مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
بإدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الأول — السنة الخامسة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٣ هـ - يونية ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أمة التوحيد توحد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان العرب في جاهليتهم قوى مبعثرة على رمال البوادي ومياه الأنهار يفنى بعضهم بعضا بالغزو والثأر حتى أراد الله الذي يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس أن يجعل منهم أمة وسطاً بين مادية اليهود وروحانية النصارى لتصلح الدنيا بالدين، وتصل الأرض بالسماء ، فألف قلوبهم على حبه ، ووحد شعوبهم على رسالته ، وأخرجهم من الجزيرة يحملون مشاعل الهدى وسيوف الحق ليقيموا الميزان ويحطموا الطغيان ويبينوا معالم الطريق إلى الغاية التي تنتهى إليها الجماعة وتتم عندها الوحدة .

ونفذت إرادة الله على ما سبق من علمه وجرى في حكمه فتوحد الشتات والتأم الشمل وبلغت وحدة العرب والمسلمين غايتها من الشمول والقوة في عهد الرشيد حتى قال يوما لغمامة مرت من فوقه : « امطرى حيث شئت فإن خراجك لى » . وظلت هذه الوحدة شاملة قوية حتى خلافة المتوكل ، ثم نجمت رءوس الشياطين من الأعاجم في الدولة تنشر

الشعوبية والزندقة والفرقة فانقطع الخيط وانفرط العقد واختلط اللسان وتفرقت الكلمة وانشعبت الخلافة الإسلامية ثلاث شعب : شعبة فى العراق ترفع العلم الأسود ، وشعبة فى مصر ترفع العلم الأخضر ، وشعبة فى الأندلس ترفع العلم الأبيض ، ثم جف الثرى بين الإخوة فتصارعوا على الحكم وتنازعوا على السلطان :

وتفرقوا شيعاً فكل مدينة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

ثم دها العالم العربى الاستعمار الانجليزى والفرنسى مع الحروب الصليبية ففرق ليحكم ، وقسم ليستغل ، وفجر ليستبد فنشأت العصبية الإقليمية لدرء خطره أو تخفيف ضرره ولكنه كان قد استشرى واستضرى وتوقح ، ففسد النظام واختل الميزان وذل الحق وأفلس المنطق وأصبح من فوق الطاقة ووراء الإمكان أن يناضل الهوى المتفرق الرأى الجميع ، وأن ينازل الحق الأعزل عدوان الباطل المسلح ، وكان لا بد للعرب أن يعالجوا ضعف الفرقة بقوة الجماعة ، وأن يتركوا بنيات الطريق إلى سواء الجادة .

وما كان للعالم العربى وهو يرى الخطوب تتواثب على جوانبه والنوازل تتفاقم فى أحشائه أن تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها تتلهى بالنظر الغرير إلى حركات زعمائها وهم يتكالبون على عرض الدنيا ويتواثبون إلى كراسى الرياسة كأن السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها مجرى الأمور الطبيعيـــة كالنوم واللذة والضحك فهى لا تشغل بهما البال ولا تدير عليهما الفكر . وكأن غريزة حب الحياة التى جعلت من ضعاف النمل أمما متحدة ومن بغاث الطير أسرابا متعاونة لم تكن من غرائز أهله ولا من نحائز حاكميه !

لذلك شعرت كل أمة من أممه فى وسط هذه الكوارث السود التى تتفجر عليها من الداخل والخارج بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع ركبها الغرور أو الضلال ساعة من الزمن فنسيت أن قرنها الحاد لا يقوى على الناب الأعصل ، وأن عيشها مقيدة مع الراعى خير من عيشها حرة مع الذئب ، وأن أسهل على الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ووحدة المصير من أن تبدئ اتحاداً صنعه الشيطان من جون بول وحسين ، ومن العم سام وسعود . ومن السيدة مريان[1] وعشاقها من هنا وهناك ، فإن هذا الاتحاد الذى ألفه الدينار والدولار والفرنك من

(١) جون بول لقب انجلترا ، والعم سام لقب أمريكا ، ومريان لقب فرنسا .

دول ثلاث ومن أفراد ثلاثة لا يدوم إلا ريثما تأنف الشعوب وتغضب. والأنفة والغضب شيمة الأبي الحر، والإباء والحرية أصلان في طبع العربي لا ينفكان عنه إلا بالقهر. والقهر وما يتبعه من الذل والفقر معناها الاستعمار. فتى تحلحل كابوسه الفادح عن صدر الأمة العربية وجدت نفسها الضائعة وأدركت وجودها المتميز فنهضت تجمع أطرافها وتصل أجزاءها وتسأل عن صلة القربى الواشجة كيف قطعها الدخيل، وعن رقعة الوطن المتصلة كيف مزقها المستعمر، وعن هذه الأسماء المتعددة لهذه الأمة الواحدة كيف افتعلها الدخلاء والعملاء ليكون لكل اسم منها دخيل فى يده أصابع قرد، ولكل دخيل فيها عميل فى أصابعه مخلب قط ... وما هذه الثمرات المأكولة بالباطل إلا رزقى ورزقك ورزقه من أبناء هذه الأمة الكادحة المحرومة اقتطعها الملوك بالصوالجة واغترفوها بالتيجان ليقدموها قرابين غير مقدسة إلى آلهة الخمر والقمر والفسق والرذيلة.

• • •

شعر بمخاطر الاستعمار ومخازيه ضباطنا الأحرار، وتبلورت فيهم ثورة الشعب، فدكدكوا حصونه عليه، وكبكبوا سماسرته صرعى من حواليه، وطهروا من أوزاره وآثاره مصر وسورية والعراق، وحطموا من بينها الأسوار والحدود، وكسروا من حولها الأغلال والقيود، فتلاقى الإخوة وجها لوجه، ولساناً للسان، ويداً ليد، وفى أيديهم أعلام العباسية، والفاطمية، والأموية، مصورة فى علم واحد ذى ثلاثة ألوان وثلاثة نجوم يتذاكرون أمانى الأخوة ويتناشدون أغانى الوحدة، ويتساقون كئوس المودة مترعة من كوثر النيل ورحيق بردى وسلاف دجلة.

ويمثلون الأقطار الثلاثة فى اتحاد عام يتوحد فيه الاسم والرئيس والعلم والجيش والدستور والتعليم والاقتصاد والخطة والغاية، فلا يبقى وراء ذلك كله إلا شئون محلية يختص بها إقليم دون إقليم ويختلف فيها قطر عن قطر.

هذه الأقطار الثلاثة هى أساس الوحدة الشاملة، وضعه الثوار على تقوى من الله ورضوان لتقوم فوقه الجمهورية العربية المتحدة بأقطارها الثانية عشر.

ولو علمت أن كل قطر من هذه الأقطار الأساسية الثلاثة قد قامت فيه خلافة وتمكنت فيه دولة وازدهرت به حضارة، وأن الأقطار التسعة الباقية إنما كانت أقماراً توابع لها تدور فى فلكها وتجرى لمستقرها، وأن

الحوائل العارضة التى كانت تحول بين الفرع وأصله، وتفصل بين الجزء وكله، قد زالت أو كادت، لعلمت يقيناً أن الوحدة فى الوطن ستتم وإن بعدت فى بعض أرضه الشقة، وأن النجوم الإثنا عشر ستبزغ فى العلم وإن تراكمت فى بعض سمائها السحب.

* * *

إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة، ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول. وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان، والسلطان يعتريه الوهن فيزول. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية فى الرزق والحرية فى الرأى والديمقراطية فى الحكم. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم، والأثرة والطاغية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل فى فساد الزمان وهلاك الأمم.

* * *

بعد قرابة ألف سنة من تمزق الوحدة العربية بين الترك والفرس والمغول والكرد والجركس والأسبان والعثمانيين والفرنسيين والانجليز والطليان يعود التراث المحمدى إلى أهله ومعه ما ضيع الجهل والفقر والانحلال من كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فيسعى بعضه إلى بعضه، وينضم قاصيه إلى دانيه، ويشعر ثمانون مليونا من العرب يعيشون بين المحيط والخليج بأن لهم كيانا طبيعياً تميز بالجنس واللغة والدين والتاريخ والموطن والمجد والثقافة، فمن حقهم أن ينزلوا فى مكانهم من صدر الوجود، وأن يشاركوا بإمكانهم فى سياسة الدنيا، وأن يقولوا للكتلتين الرأسمالية والشيوعية : إن الكتلة العربية هى وحدها التى تملك غرس الوئام فى النفوس وإقرار السلام فى العالم ؛ لأنها تقوم على الإيمان المحض، وتنزل فى خير مكان من الأرض، وتهيمن على الموارد الأولى فى الاقتصاد، وتدين بالأديان السماوية المثلى للاجتماع، وتشرق أعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ، فافسحوا لها فى الطريق، ومدوا إليها يد الصديق، وأريحوا أنفسكم من الكيد لها والائتمار بها، فقد جربتم معها كل سلاح ما عدا سلاح الحق فجربوه ولو مرة !

أحمد حسن الزيات

في مطلع العام الهجري

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هذا هو الفلك يدور دورته ، فيمضى عام ويقبل عام جديد آخر ، عام مضى لا ندرى ما الله فاعل به ، وعام أتى لا ندرى ما الله صانع فيه ، وبين هذا وذاك ينادى مناد يقول : يا ابن آدم أنا عام جديد وعلى عملك شهيد ، فتزود منى قبل أن أذهب ولا أعود .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

نحن - معشر المسلمين - إذا نظرنا إلى تاريخنا كأمة ، قرأنا كتابا أوله مشرق وحاضره مظلم : أوله أمة قوية فتية تكونت من لبنات صحراوية متفرقة جمع التوحيد بين قلوبها وربطت الأخوة الدينية بين عواطفها ، وجعلت قيمة الإنسان فى عمله وجهاده ، لا فى حسبه ونسبه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » ، « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » .

ثم تركها الرسول الكريم ، والمصلح العظيم ، صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن حول جهالتها علما وحكمة ، وشتاتها قوة واجتماعا ، وشكها إيمانا واطمئنانا ، تركها بين الأمم قوية عزيزة ، لها فى شئون الحياة رأى ، وفى مجال الحياة أعمال وآثار تعرف للضعيف واجبه وللفقير حقه ، وتجعل ذلك نصب أعينها ، وتدعو إليه فى كثير من مواطنها : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، فسموا فى الحياة ، وسمت بهم الحياة ، وظلت على هذه المبادئ ترقى سلم المجد ، وتمضى قدما فى سبيل العز ما دامت حريصة على مبادئها ، قوية الإيمان بفكرتها ، فلما بدلت وغيرت ، وفرطت وضيعت وهانت على نفسها ، وهانت عليها مبادئها ، وأعارت

حوادث الدهر أذنا صماء وعيونا عشواء ، واشتغل أفرادها ورؤساؤها ورجال الفكر والرأى فيها بما لا يجدى من اللهو واللعب وألوان العبث بدل الله عليها ، وغير أحوالها ، فأخذت تتفكك وجعلت تنحدر حتى وصلت إلى موضع الأطماع ، وتطلعت إليها الذئاب والسباع ، وشغلت بنظرات الخوف والحذر « تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » .

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ، « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » .

وصدق رسول الله صلى عليه وسلم إذ يقول : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقالوا : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن : قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

يجدر بنا أن ننظر فى مطلع كل عام هجرى إلى هذه الصفحات لنعلم أن السبب فى نجاح آبائنا ، وقوة أسلافنا ، يرجع إلى أن قلوبهم قد هاجرت من الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن الباطل إلى الحق ، وأنهم آمنوا بفكرتهم ، وصدقوا فى دعوتهم وجاهدوا فى سبيلها لله وفى الله ، وأن هجرة أبدانهم من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً من الاضطهاد أو ضعفا فى مقاومة الأهوال ، ولا التماسا لمال ، ولا طلبا لسلطان ، وإنما كانت تلبية لهذه الهجرة القلبية ، وعملا على إقرار الحق ، وإزهاق الباطل ، متمثلين أمامهم : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ما أحوجنا معاشر المسلمين إلى أن تهجر قلوبنا ما هجرته قلوبهم وأن نطالع هذه الصفحات ، وأن نذكر هذه العبر ، ما أحوجنا إلى الإخلاص فى الدعوة والصدق فى الكلمة ، والصبر على المكاره لنشق طريق السابقين بعزائم قوية ، وهمم عالية وأخلاق كريمة ، وإصغاء لصوت الحق .

ما أحوجنا ـ وأخص أهل القيادة والفكر وأرباب القلم واللسان ـ إلى أن نكون كما كانوا

العدد فى اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

مسألة العدد أو مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد ، هى إحدى مسائل الدلالة العقلية التى تتميز بها اللغات فى مقاييس النمو والتقدم ، والعلم بدرجتها فى « التجريد » والحسية .

ولا تزال الأصول الحسية لفكرة العدد ملحوظة فى جميع لغات الحضارة ، فوحدة العشرة هى عدد أصابع اليدين ، ووحدة العشرين هى جملة أصابع اليدين والقدمين ، ولا تزال كلمة « ثمانين » الفرنسية تدل على أربعة عشرينات ، وكلمة « تسعين » تدل على أربعة عشرينات تزيد عليها عشرة ، وكلمة (اسكور) Score بالانجليزية تقابل كلمة الحز أو الفاصل بين مقدارين ، لأنهم كانوا يضعون الحز بعد تمام العد بأصابع اليدين والقدمين ، ويقولون (ثلاثة حزوز) بمعنى ثلاثة عشرينات Threescores .

مثلا حية أمام الناس فى السيرة والدعوة والأخلاق واتحاد الكلمة ، ألا إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله .

أما بعد ، فتلك هى الذكريات الإسلامية الأولى ، نطالع فيها أسباب العزة والمجد ، ونتلقى عنها دروس الحياة القوية الناهضة ، ونعرف بها أن سنة الله فى نهضة الأمم ، واستقرار سلطانها ، ترجع أولا وقبل كل شىء إلى الإيمان المالك للقلوب ، وإلى الصبر الذى يذلل الصعاب ، وإلى الإخلاص الذى يربط الإنسان بربه ، وتهون به وسائل التضحية . بها نعرف أن أسلافنا ما عرفتهم العزة عفواً ولا هبطت عليهم منحاً ، وإنما وصلوا إليها بالجد والعمل والمثابرة ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر .

فعلينا أن نفقه هذه الذكريات واحدة فواحدة ، وأن نتعرف فيها مواطن العظة والاعتبار ، ونتخذ منها مصابيح الهداية والإرشاد ، فتسمو حياتنا ، وتنظر إلينا أرواح الأولين وهى فى عليين ، نظرة الفرح والابتهاج بمحافظتنا على مقدساتهم وسيرنا فى سبيلهم بما آتاهم الله من فضله ، « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

« والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

محمود شلتوت

شيخ الأزهر

ومن المعلوم أن كلمة « رقم » Fingere اللاتينية ترادف كلمة إصبع ، ولا تزال كلمة الرسم أو الرقم Figure باللغات الأوربية مأخوذة من هذا الاشتقاق .

والمتفق عليه أن العالم المتحضر قد نقل عن العرب صور الأرقام فى المرحلة الكتابية بعد تلك المرحلة الشفوية التى تخلفت إلى اليوم فى اللغات الأوربية ، بين لاتينية وجرمانية .

فهم يسمون الأرقام فى اللغات الأوربية « بالصور العربية » وكلمة الصفر لا تزال محفوظة بلفظها فى جميع تلك اللغات ، مبتدئة من (سفر) إلى (زفر) إلى (زيرو) إلى (زيرو) كما تنطق اليوم بالانجليزية .

ولا نريد فى هذا المقال أن نطيل البحث فى أصل هذه الصور العددية ، فقد تكون هندية فى أصلها القديم كما هو الشائع بين مؤرخى العلوم الرياضية . ولكن الأمر الذى لا خلاف عليه أنها تأصلت فى البلاد العربية وانتقلت منها إلى الأقطار الأوربية ، وأن أهم هذه الأرقام وهو « الصفر » محفوظ باسمه العربى وعلامته النقطة (٠) هى العلامة التى تقابل النقطة الهندسية بتعريفها الرياضى الذى يجردها من الطول والعرض والامتداد حيث كان ، ولم تكن لهذا (الصفر) علامة هندية معروفة قبل القرن التاسع للميلاد ؛ وهو القرن الذى شاع فيه استعمالها فى كتب الرياضة العربية .

على أن الأرقام لا تعنينا هنا بمقدار عنايتنا بتراكيب الكلمات فى بنية اللغة التى سبقت اختراع الأرقام والأعداد ، بل سبقت علم الحساب فى أدواره الشفوية وأدواره الكتابية ، لأن تكوين الكلمات فى اللغة هو الدليل الأصيل على طبيعة التعبير عند القوم من نشأتها الأولى ، ثم يأتى تكوين القواعد النحوية والصرفية دليلا آخر على أصالة الإدراك العقلى فى طبيعة اللغة المتطورة ، لا فرق بينه فى هذا الغرض وبين الأدلة العضوية أو الحيوية ، ونعنى بها ما يعرف بالأدلة البيولوجية .

ولا توجد فى لغات العالم المتحضر لغة واحدة حلت فيها مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد مثل حلها المكين المتأصل من بنية اللغة العربية .

أول علامات التمييز بين الإفراد والتعدد أن اللغة العربية تقسم المتعدد إلى قسمين ، فليس كل ما عدا الواحد جمعاً فى التعبيرات العربية ولكن المتعدد قد يتألف من واحد وواحد ، وقد يتألف من الكثرة التى هى زيادة على واحد ومعه واحد آخر .

نعم إن التثنية تلاحظ فى بعض اللغات الأوربية عرضا عند تصريف الفعل فى بعض الحالات على غير اطراد فى جميع الأفعال ولا فى جميع مواضع الإعراب .

ولكن اللغة العربية، وحدها، بين اللغات الكبرى هى التى قام تركيبها الأصيل على قواعد مطردة للتمييز بين المثنى والجمع، فى تصريف الأفعال وتصريف الضمائر وتصريف الصيغ التى تستخدم للتكلم أو للمخاطب أو للغائب، فى جميع مواضع الإعراب.

وقد وضعت اللغة العربية معنى الجمع «عقلا» فى موضعه الصحيح الذى نخلص إليه بعد تحقيقه من الوجهة الفلسفية، فكل ثلاثة فما فوقها فهو الجمع ممیزاً من معنى الإفراد ومعنى الاثنينية.

ولو جاز أن نبدأ الحساب من المئات والألوف لاحتجنا إلى فاصل «عقلى» للتفرقة بين العشرين والسبعة والأربعة والخمسة، فى معنى «الصفة الجمعية».

وفى هذه الحالة يجوز للسائل أن يسأل: لماذا تكون العشرون جمعاً ولا تكون الخمسة أو الأربعة أو الثلاثة؟..

ولكننا نبدأ الحساب من الواحد وهو أول العدد، فإذا جاوزنا الواحد لم يقم أمامنا غير واحد وواحد آخر، ولم ننتقل من فكرة التوحد والتفرد إلا لنقول إنهما واحدان أو فردان أو اثنان.

ثم نصل إلى الثلاثة فنصل إلى معنى آخر غير معنى الواحد مفرداً أو معنى الواحدين مفردين، وهذا هو معنى «الصفة الجمعية» بلا اختلاف بين الثلاثة أو الأربعة أو المائة أو الألوف المؤلفة، وإنما تكون التفرقة هنا تفرقة بين جمع قليل وجمع كثير، وليست تفرقة بين الفردية والاثنينية ولا بين الاثنينية وما زاد عليها.

ولم تهمل اللغة العربية أن تميز بين جمع القلة وجمع الكثرة فى صيغ كثير من الجموع كما هو معلوم، بل وجدت فيها الصيغ التى تدل على القليل كما وجدت فيها الصيغ التى تدل على الكثير، ولم تترك التمييز بينهما للوصف وحده، كما يقال مثلا طائفة صغيرة وجمهور كبير ... وقد يكون ذكر كلمة الطائفة وكلمة الجمهور فى اللغة العربية مغنياً عن إتباعها بالوصف لما فى معظم هذه الكلمات العربية من الدلالة على القلة والكثرة بغير حاجة إلى الصفات.

* * *

ثم يأتى الجمع باختلاف الصيغ واختلاف المميزات بين الجموع وبين أنواع الكثرة التى لا ينحصر معناها فى مجرد التعدد بغير دلالة أخرى.

فهناك الجمع القياسى فى المذكر والمؤنث، وهناك الجمع القياسى للعاقل وغير العاقل.

وهناك جمع التكسير على غير قاعدة واحدة تقاس فى جميع الكلمات، ولكن قواعدها تحصر على كثرتها فلا تخلو من رابطة بينها أو رابطة بين الكلمة والشىء المعدود.

فالغالب فى أسماء الإفراد التى تعرف لها جموع تكسير أن جمعها غير القياسى يشتمل على نوع من التعريف لا يستفاد من جمعها على القياس .

فإذا قيل عاملون وزارعون وحاصدون وفارسون فهذا غير قولنا (عمال وزراع وحصدة وفرسان) لأننا نلبس فى جموع التكسير معنى الفئة ذات الصناعة الخاصة التى تنعزل من جملة الجموع بتلك الصناعة ، فليس معنى (عمال) مائة أو ألف أو ألوف عدة فى حالة العمل الذى يقوم به كل عامل ، ولكن الكلمة تفيد معنى التعريف لطائفة من الناس بين طوائف أخرى لها مثل هذا التعريف بين تنكيرات الجموع على الإطلاق .

ولم تترك اللغة العربية هذه التفرقة لجموع التكسير على اختلاف الصيغ واختلاف الدلالة على القلة والكثرة .

ومما نستدل به على اطراد هذه الدلالة أن صيغة مفعول لا تجمع على صيغة من صيغ جموع التكسير ، ولكنها تشذ أحياناً فيستفاد من اللفظ الشاذ معنى التخصيص ، أو التعريف ، لطائفة خاصة لها صفاتها المميزة لها بين جملة أفرادها ، وكذلك يستفاد من كلمة « ملاعين » غير ما يستفاد من كلمة « ملعونين » التى هى الجمع على القياس ، وينصرف الذهن عند سماع كلمة « ملاعين » إلى أناس تخصهم اللغة لأسبابها ، وليس قصارى الأمر فيهم أنهم ملعون ، وملعون ، وملعون ...

* * *

بل توجد غير جموع التكسير ألفاظ بصيغة المفرد مخصصة لهذا المعنى فى مواضعه ، ونعنى بتلك الألفاظ أسماء الجمع وتلحق بها أسماء الجنس الجمعى من بعض الوجوه .

فأسماء القوم والنساء والخيل والإبل هى أسماء للجموع لا تأتى لمجرد الدلالة على التعدد أو التفرقة بين الواحد والاثنين وما هو أكثر من الواحد والاثنين ، ولكنها تفيد التمييز بين الفرد والنوع كيفما كان عدده أو كيفما كانت كثرته بالنسبة إلى واحده ، ويلحق به اسم الجنس الجمعى الذى يدل اشتقاق المفرد منه على أنه قد وجد ـ أصلا ـ للجماعة ثم أخذ منه المفرد كما ينبغى عقلا بالنسبة إلى الجماعة التى ينسب إليها واحدها ، فكلمات الترك والروم والنمل والشجر لم تؤخذ من المفرد التركى أو الرومى أو من النملة والشجرة ، ولكن العكس هو الصحيح فى هذه الجموع وأمثالها كافة .

ويجب أن نقرر هنا فضل اللغة العربية فى الاستعداد للتفكير الفلسفى فى هذه القضية التى تقدمت جميع القضايا الفلسفية فى بحوث الخلاف العويص بين المفكرين من قبل أرسطو وأفلاطون إلى ما بعد مدرسة

الواقعيين والاسميين فى القرون الوسطى . إذ كان الخلاف بين الطرفين فى كل قضية من تلك القضايا المتلاحقة أيهما أسبق إلى العقل : إدراك الجنس والنوع أو إدراك الفرد والواحد ؟ !

فهذه تراكيب اللغة العربية تحسب الحساب لكل من هذين الفرضين ، فيوجد فيها اسم الجنس الذى يتبعه الفرد وتوجد فيها صيغة المفرد الذى يتكاثر بالعدد وصيغة المفرد الذى يتكاثر فى طائفة معينة وعلى وصف محدود .

ونعود فنقول فى هذا الصدد كما قلنا فى بحوث أخرى من قبل إن اللغات الكبرى لم تخل من دلالات على هذه الفوارق فى جملتها ، ولكنها دلالات مبعثرة لم تجتمع لها قواعدها المطردة فى أساس التركيب كما نرى فى قواعد اللغة العربية حيثما بحثناها فى باب العدد أو باب الصفة أو باب الظرف أو باب الجمل الفعلية والجمل الاسمية ، أو غير ذلك من أبواب القواعد النحوية والصرفية التى تناولنا البحث عنها أو نتناولها فيما يلى من الفصول .

* * *

ونحن نؤثر كلما استطعنا أن نفسر هذه المزايا فى لغتنا العربية بتفسيراتها العلمية أو الفكرية التى نستطيع أن ندركها بالقياس إلى الواقع وإلى الحقائق الواقعية أمام أعيننا من قبيلها .

فما هو التفسير العقلى لهذه المزية فى تعبيرات العدد باللغة العربية ؟

إننا نرجح أن تمييز العربى بين المثنى والجمع راجع إلى مزية أخرى فى اللغة سابقة لمزية الإفراد والتثنية وهى مزية التذكير والتأنيث التى تأصلت فى لغة العرب قديما من عهد اشتغالهم بالرعاية وتقسيمهم الأحياء إلى أزواج وإطلاقهم معنى الزوج على الاثنين تارة وعلى الفرد المتمم للجنس الآخر تارة أخرى .

هذا سبب راجح يضاف إليه سبب آخر ، وهو أن مسألة الكثرة والقلة على درجاتهما قد كانت هى مسألة الحياة والموت ، ومسألة القوة والضعف ، ومسألة الثروة والفاقة ، ومسألة الأصول والفروع . عند قوم يعتزون بالقبيلة ويعتزون بما تملك من أنعامها وبما تحسب من أصولها وفروعها ، فلا غرابة فى تخصيص كل عدد بالصيغة التى يتميز بها عما عداه .

وقد تكون لهذه المزية أسباب غير ما تقدم ترجع إلى المطابقة بين الكلمات والأصوات عند النطق بها لا يتسع هذا المقال لتفصيلها وتحقيقها ، ولكننا لا نحتاج إلى تحقيق الأسباب وتواهينها لكى نقرر الواقع من ثبوت تلك المزايا ، لأن بيان هذه المزايا لا يتوقف على تفصيل أسبابها ؟

عباس محمود العقاد

مناهج الإسلام
لتقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدنى

— ٤ —

حقوق الزوجية :

لكل من الزوجين حقوق على صاحبه :

١ — فالزوج عليه النفقة وكل ما يحتاج إليه بيت الزوجية :

ومن هدى النبوة فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، أى فى عتق رقبة — وذلك هو تحرير العبد أو الأمة من الرق — ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، — أى زوجتك — : أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك » .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شىء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شىء فلذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شىء ، فهكذا وهكذا » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا . قال رجل : عندى دينار ، قال تصدق به على نفسك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على زوجتك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على ولدك ، قال : عندى دينار آخر ، قال: تصدق به على خادمك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : أنت أبصر به » .

وهذه الأحاديث تدل على أن نفقة الزوجة مقدمة على نفقة جميع الأقارب .

وينبغى أن نفهم أن قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام : « تصدق به على زوجتك » ، لا يراد به تقرير أن هذا من قبيل الصدقة التى تعتبر عطاء للفقير المحتاج ، والزوجة ربما أنفت منه إذا كان على هذا الوضع ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل لفظ الصدقة فى هذا المقام حتى بالنسبة لمالك الدينار ، إذ يقول له عن الدينار الأول : تصدق به على نفسك . والمراد أن ينفقه على نفسه ، رضى النفس ، صادق النية ، واضعا إياه فى موضعه فيكون له به ثواب الصدقة .

وقد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجة أن تنفق من مال زوجها ولو بدون علمه على نفسها وأولادها بالمعروف .

وذلك فيما روى عن عائشة رضى الله عنها : أن هنداً قالت يارسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ،

فقال : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف .

٢ — وعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف ، وألا يضخم ما عسى أن يجده فيها من نقص يمكن علاجه ، أو الغض عنه ، فإن من ينشد الكمال المطلق لن يجده ، وربما كان في الزوجة بعض نواح حسنة تجبر ما عسى ألا يعجب الزوج منها .

وفي ذلك يقول الله عز وجل :

« وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« لا يفرك مؤمن مؤمنة - أي لا يبغضها - إن كره منها خلقا رضى منها غيره » .

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » .

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي » .

وهذان الحديثان الأخيران يدلان على أن مقياس رقى الرجل هو معاملته بالحسنى لزوجته ، وهذا المقياس النبوي هو الذي يتشدق بعض الناس بأنه مقياس المدنية الأوربية .

٣ — ويبلغ الأمر في رعاية حق الزوجة إلى أن يرشد النبي صلى الله عليه وسلم الرجال إلى عدم مفاجأة النساء بالدخول عليهن بعد القدوم من السفر وذلك لإعطائهن فرصة لإصلاح شأنهن ، والاستعداد لأزواجهن .

ومن ذلك :

ما روى عن أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يطرق أهله ليلا ، وكان يأتيهم غدوة أو عشية .

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » .

وعنه أيضا قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أي عشاء لكى تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة - وذلك كناية عن التنظف والتهيؤ للزوج .

وعنه أيضا قال : « نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم » .

قال الإمام الشوكاني في نيل الأوطار : والحكمة في النهي عن الطروق المفاجىء - أن المسافر ربما وجد أهله مع الطروق وعدم شعورهن بالقدوم على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما .

٤ — والزوجة عليها طاعة زوجها في السر والعلانية لا في المظهر فقط .

وفي ذلك يقول الله عز وجل : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

والقنوت : هو الطاعة في إخلاص وخشوع أي أن على الزوجة أن تطيع زوجها طاعة حقيقية صادقة ، وبعض النساء يخرجن على

هذه الطاعة ، فتفسد العلاقة بينهن وبين أزواجهن وبعض النساء يطعن أزواجهن فى الظاهر ، بينما يخرجن على هذه الطاعة فى السر حين يأمن علم الزوج واطلاعه ، وذلك من شأنه أن يهدد الحياة الزوجية ، ويبعث الشك فى نفس الرجل ، ولذلك يصف الله الزوجات الصالحات بأنهن مع الطاعة الصادقة المخلصة حافظات للغيب أى محافظات على غيب أزواجهن كما هن محافظات فى حضورهم ، وقوله : « بما حفظ الله » إما أن يكون المراد به أنهن محافظات على غيب الأزواج بما شرع الله من أحكام وآداب للزوجية يتبعنها وينفذنها فيكون حفظهن بحفظ الله . وإما أن يكون المراد به أن يعمل النساء على حفظ غيبة الأزواج متوسلات بحفظ الله ، طالبات توفيقه ومعونته ، فإن الأمر منه وإليه .

وأيا ما كان المعنى فإن المراد هو أن تبذل المرأة كل ما فى وسعها لتحقيق طاعتها الكاملة المخلصة لزوجها مع محافظتها التامة ، فإن ذلك هو الذى يدرأ عن الحياة الزوجية أكبر الخطر ، وإذا تحققت طاعة المرأة لزوجها ، وشعر الرجل بأنه « القوام » حقيقة على المرأة كان ذلك هو صمام الأمان الزوجى ، وإلا فإنه يثور ظاهرا أو باطنا ولا يستريح إلى وضعه الزوجى ، فيعاند ويصادم وإن لم يقصد وربما كانت ثورته الباطنية التى لا تظهر أو المكبوتة ـ كما نعبر الآن ـ أشد خطراً على الحياة الزوجية من الثورة الظاهرة المعربدة وفى كل خطر شديد لو يعلم الناس .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجىء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

« لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

« لا تصوم امرأة ، وزوجها شاهد ، يوما من غير رمضان إلا بإذنه » .

« لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، وألا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، وهو من الصحابة الذين دخلوا مصر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إياكم والدخول على النساء » ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : « الحم الموت » . . قال العلماء الحم هو أخو الزوج وما فى معناه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه كأخيه وابن أخيه وأقارب الزوجة يسمون الأختان وهم فى معنى الحم .

وقال ابن الأثير : « الحم الموت » هذه كلمة تقولها العرب ، كما تقول : « الأسد الموت » ، و « السلطان النار » ، أى لقاؤهما

مثل الموت والفار يعنى أن خلوة الحم أشد من خلوة غيره من الغرباء ؛ لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس فى وسعه . أو سوء عشرة أو غير ذلك ، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخوله بيته .

٥ — ولا يجوز للزوجة ان تسأل زوجها الطلاق بدون سبب ، ومع كون الإسلام يبيح « الخلع » وهو الطلاق فى مقابل مال تدفعه المرأة لزوجها ، فإنه ينظر إلى هذا الخلع نظرة كراهية .

فالقرآن الكريم يقول : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » .

يعنى إن مال « الخلع » هو فى الأصل مما لا يحل للزوج ؛ لأنه يأخذ مما أعطاها من المهر شيئا ، أو يأخذه كله ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

لكن أبيح ذلك فيما إذا وصل الأمر بالزوجين إلى حال من القلق لزوجى لا يمكن معها إقامة حدود الله فى الزوجية بأن يظلم الزوج زوجته ، أو تخرج هى على طاعته ، فى هذه الحال يحل للمرأة أن تختلع ويحل للرجل أن يأخذ مال الخلع .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

« إن المختلعات هن المنافقات ، وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريح الجنة - أو قال - رائحة الجنة » .

٦ - ومن حقوق الزوج التى جعلها الإسلام له بحكم العقد ملك العصمة ، فمن حقه أن يبقى على عقد الزوجية ، ومن حقه أن يفضه ، ولم يجعل الشارع هذا الحق للزوجة أصالة ولكنه أباح أن يملكها الزوج أمر نفسها ، إما عند العقد . وإما بعده فلها حينئذ أن تفصم عقدة الزواج ، ويكون هذا فى الحقيقة فصما من الزوج لأنه هو الذى أعطاها هذا الحق ، وبإرادته ثبت لها .

وإنهاء الزوجية على هذا النحو هو المعروف بالطلاق ، ومع كون الطلاق من حق الرجل أصالة ، فإن الإسلام لم يتركه دون أن يضع له من الأحكام ما يتمشى مع روح المحافظة على رابطة الزوجية وما يحول بين الزوج وبين اتخاذه وسيلة للظلم وإساءة استعماله بوجه من وجوه التعسف .

ولكى نعرف تشريع الإسلام فى أمر الطلاق ، وتتابع خطواته التى تدل على ما ذكرناه ، نؤجل الكلام عنه إلى العدد المقبل إن شاء الله تعالى ؟

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

العبث بالتاريخ الصحيح ضلالة فى الدين

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(١) « إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا » .
(ب) « يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله » .
(ج) « فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم . والله لا يهدى القوم الكافرين » .

تمهيد :

حدثناك فى المقال السابق عن عناية القرآن باعتماد التاريخ فى تقويم الحياة ، وما للأخذ بالتاريخ من أهمية فى شأن الفرد والجماعة ، بل فى جانب الدنيا بوجه عام .

وكان اعتمادنا فى الحديث على آيات ، وسنة .

فمن الآيات قوله تعالى : « وجعلنا الليل ، والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل . وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » ـ « يسألونك عن الأهلة . قل هى مواقيت للناس والحج » ـ « هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب »

وكذلك ما ورد عن الرسول فى احتسابه الأشهر القمرية ، واستيفاء عددها باثنى عشر شهراً كما قرر القرآن ، وكما كان جاريا فى الشرائع الأولى .

وكما كان تقديره الأشهر القمرية مناط المعرفة لموعد الصوم ، والحج ، وموعد الزكاة ، وأمد المعاهدات بين المسلمين وسواهم ، إلخ . . .

وما كانت شئون الحياة لتأخذ وضعها الصحيح لولا تنسيق الأمور فى نمطها التاريخى كما أسلفنا .

ومن هذا كله يكون الأخذ بالتاريخ سنة حتمية مشروعة من جانب الله ورسوله ، ولا يعتبر وصفا تقليديا ، ولا أمراً اعتباطيا

ويكون العبث بالتاريخ إفساداً لنظام مفروض ، وتعرضا لأضرار جسام . والله

ينهى عن الفساد ، وعن التعرض للأضرار وإن هان شأنها .

١ ـ ومع ما وضح لنا فى سياق الحديث السابق من توجيهات نحو اعتماد التاريخ فى تقييد أمورنا ، وتقدير أعمالنا : فإن الله تعالى يزيدنا بيانا فى ذلك بما ينكره على الكافرين قديما إذ كانوا يقدمون ، ويؤخرون بين الشهور ، ويبدلون فى أسمائها ، ويتوصلون بهذا النسىء إلى استحلال الحرب فى الأشهر الحرم ، وتحريمها فى أشهر أخرى بدلا منها ، ثم يعكسون هذا فى عام آخر .

ولم يكن هذا النسىء والتلاعب به مرة ، أو مرات ، معدودات بل ظل عشرات من السنين ، حتى استوعب جميع أشهر العام مرة ، أو مرات وبسببه كان موعد الحج يخرج بتقديمه أو تأخيره عن ميقاته الزمنى فى ذى الحجة ، فلم يكن حجهم صحيحاً على دين إبراهيم كما زعموا حتى صادف وقوع الحج فى شهره مرتين متعاقبتين ـ على ما قيل ـ .

وإحداهما حجة الوداع التى كان الرسول فيها على رأس الحجيج . وكان الحج صحيحاً على الأصل المشروع من عهد إبراهيم عليه السلام .

وهذا ما قرره النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته الأخيرة التى ظلت منهجاً إسلامياً بعد

ومما قال فيها ـ صلوات الله عليه ـ « ... إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ... » .

يريد : أن الزمان عاد إلى ترتيبه بعد دوراته المخالفة ...

ثم لا نسىء بعد ، ولا جاهلية ، ولا عبث بالأحكام ، ولا مزيد فى عدد الأشهر .

فإن ذلك كله زيادة فى الكفر ، ويفتتن به الذين كفروا ، فيسلكون به مسلك التحليل فى عام والتحريم فى عام ، ويحتالون فى تحريم أربعة أشهر من السنة حسب اختيارهم ، ويخالون أنهم اتبعوا ما عرف لهم من دين إبراهيم فى تمام العدد ، ويعجبهم لأنفسهم هذا التمويه . وإن علموا أنه ضيمهم ، وأنه مخالف ، وباطل ، وافتراء على الله ، وعلى دين إبراهيم ! .

٢ ـ وإذا كان القرآن يعيب على الكافرين هذا التغيير ، فهو يستحثنا إيجابا على اعتماد التاريخ ، ويشتد فى إنكاره سلبا للعبث منا بالتاريخ .

فليس ذلك حكاية مجردة عن الأهداف ، ولا خصوص حديث قاصر على شأن الكفار ، وإنما هو قصص يساق للتوجيه إلى العمل أكثر مما يساق للحكاية والتشنيع .

وإذا كنا ضربنا بعض الأمثال بما نحتاج فيه إلى ضبط التاريخ والاعتماد عليه فى معرفة المواقيت العبادة ، وحلول الدين فى موعده ، وخروج المعتدات من عدتهن ، وتحمل المسئوليات الدينية ، والمدنية ، والجنائية لمن بلغ رشده فى السن عاقلا ، والتحلل من المعاهدات المؤقتة بزمن محدود بين المتعاهدين

فإن هناك أمورا سلبية فى مقابلة هذه الإيجابيات وتكون لها أضرار خطيرة تهب علينا من إهمال التاريخ ، أو من العبث به تقديما أو تأخيرا .

وذكر النسىء - وهو التأجيل - لا يخرج التقديم فى التاريخ عن الحرمة . فإن كل تأخير فى التاريخ يلزمه تقديم لما كان متأخرا عنه ، أو يلزمه إثبات الاستحقاق لغير ما يستحق .

فالدائن - مثلا - يعبث بوثيقة الدين ، ويقدم تاريخها ، ليتعجل دينه قبل موعده .

والمدين يعبث فى الوثيقة التى تكون بيده ليسقط الحق ، أو يبعد أجله إن استطاع .

والأب قد يؤجل قيد مولوده لغاية ما ، فيكون هناك زمن مختلس من عمر الصبى ، وذلك قد يكسبه حقوقا ليست له فى الواقع .

والزوجة ترجىء تاريخ فرقتها للزوج ، وترجىء نهاية العدة ، ليتسع لها زمن النفقة عليه ، أو تكسب حقا فى ميراثه ببقاء العدة المصطنعة ، أو تلحق به ولدا جاءت به بعد العدة الواقعية .

وقد تعمد الزوجة أو الزوج إلى الاحتيال فى تقديم العدة ليتخلص أحدهما أو كلاهما من قيود العدة الصحيحة .

٣ - والتدليس فى التاريخ أنواع شتى ، وصور لا تحصى .

وساحات القضاء حافلة بالمشاكل من هذا القبيل ، وفيها ألوان شيطانية ، يرتكبها المحتالون فى حذق ، ويعانى فيها القضاة جهودا مضنية .

وآثار ذلك كله غير هينة فى اضطراب الحياة ، وفساد العلائق ، وزعزعة الثقة .

حتى لترى بعض الناس ينكمشون فى المعاملة ، ويقبضون أيديهم عن تبادل المنافع : خوفا من التعرض التجاحد ، وبعدا عن مظان الخلافات ، ومسالك الضلال ، وهذا ضرر عام .

وقد أحاط القرآن بكل ما يدرأ هذا فى كثير من مقاماته .. نحو قول الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون » .

وواضح أن التلاعب فى التاريخ وخاصة

تاريخ الوثائق : من أخطر الوسائل إلى أكل الأموال بالباطل .

وقد حرم الله ذلك الأكل ، وحرم كل وسيلة تؤدى إليه .

٤ ـ ومن الإلمام بما ذكره القرآن عن النسىء ، وما يتصل به عن عبث فى التاريخ : تقديما ، أو تأخيرا يتبين لذى الوعى أن من حق التاريخ علينا ألا نشوبه بتدليس ، وألا نتخذ منه وسيلة إلى الإخلال بالأوضاع الصحيحة .

وحسبنا أن الله أخذ على الكافرين كفرهم واشتد فى إنكار ضلالهم بتحويلهم الحرام إلى حلال وحرمهم الله من هدايته الموصلة إلى رضاه فقال : « والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وكل حرام يعاب على الكافرين فهو معيب على المؤمنين ، وليست هناك محاباة فى تشريع الله لعباده فإن الله حق ، ولا يرضى من عباده غير الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

٥ ـ وإذا تحدث القرآن أولا ـ عن الإشادة بالتاريخ فى قوام الحياة .

وتحدث ثانيا ـ عن خطر التلاعب بالتاريخ فى الجانب الدينى ، والدنيوى ، واعتبر النسىء ، وما هو من قبيله عملا كفريا ، وضلالا يباعد العبد عن هداية ربه ومناجزته .

فقد انتقل بنا من هذه الآيات إلى آيات فيها عتاب على المؤمنين فى شأن التخلف ، أو التباطؤ عن النهوض إلى القتال حين دعوتهم إلى النفرة لقتال العدو .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم ، إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ؟ ؟

وهل هناك مناسبة بين الحديث عن النسىء الذى ارتكبه الكافرون ، وبين العتاب على المؤمنين فى تباطئهم عن القيام سراعا إلى جهاد العدو ؟ .

إن المناسبة فى سياق الآيات ليست حتمية دائما ، فقد يكون لكل آية مقام خاص بها وغرض لا يرتبط بالأخرى فى موضوعها بالذات : فلكل مقام مقال ، كما يقول البلغاء .

على أن المناسبة هنا يسيرة المدرك بين الحديث عن النسىء ، وبين العتاب على المؤمنين فإن السياق كله تهذيب . وتربية للمسلمين .

ومجال التربية يتسع لسوق الحديث فى ألوانه العديدة .

وفى ذكر النسىء تطهير للمسلمين من لوثة الكفر التى كانت لأصحاب النسىء ، وترفع بهم عن الوقوع فيه ...

وكذلك فى العتاب على المؤمنين لتخلفهم ،

أو تباطئهم عن الجهاد حفزاً لعزائمهم ، وبعداً بهم عن مظهر التخاذل ، وكراهة الجهاد كما يفعل المنافقون .

وفى كلا التوجيهين دفع بالمسلمين إلى التخلص من النقائص الدينية والخلقية ، وترغيب لهم فى محاولة الكمال اللائق بهم وهم تحت لواء الإسلام .

فليس لغيره من أعداء الإسلام أن يقول : إن الآيات ليست متماسكة فى سياقها .

فإنها آيات مفصلات فى أغراض مقصودة ومتعددة ويزيدها روعة أن تكون كذلك .

فضلا عما بينها من تناسب فى الغرض العام ـ وهو التربية الإسلامية .

وموضوع العتب على المؤمنين : أنهم فى العام التاسع للهجرة قاموا بغزوة فى الطائف ، وفى حنين ، ثم فوجئوا بنبأ عن قدوم جيش الروم لمحاربتهم فى تبوك ـ مكان معروف بين المدينة ودمشق .

وكان الحر شديدا حين دعاهم الرسول إلى النفور للقاء العدو المحتشد إليه .

وكانت ثمار البساتين على وشك النضوج ، وهم فى ذلك الأوان معسرون من المال ، والأرباح فكان من البعض تباطؤ فى الاستجابة وظهر فيهم ضعاف ، ومنافقون لا ينشطون إلى مثل هذا ...

ومع هذا خرج إلى الجهاد من خرج ، وظهر من المنافقين من لم يكن معروفا بوضوح وأراد الله ألا يكون قتال ، حيث ظهر كذب الأخبار عن احتشاد الأعداء ، فكفى الله المؤمنين القتال .

وكان تكليف الناس بالنفرة لمجرد الاختبار وإظهار المنافقين ، وتعليم المؤمنين ألا يتخلفوا عن الدعوة إذا اقتضاهم الأمر .

وليس ذلك خاصا بعهد الرسول بل هو درس تربوى يعتبر منهجا خالدا فى الحياة الإسلامية بعد .

فما يتخلف عن الجهاد حين الدعوة إليه غير منافق يجنح إلى القعود والراحة ، ويرضى بالدنيا عن الآخرة وهيهات أن تطيب له الدنيا كما يزعم ، ومهما كانت فمتاعها قليل وزائل .

والمؤمن الحق لا يخذل دينه ، ولا يفتن فيه بعمل المنافقين .

وعلى هذه الشاكلة الكريمة تكون حياة المسلمين الصرحاء .

عبد اللطيف السبكى

المحرم والسنة العربية وعاشوراء

بالأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

المحرم هو اسم للشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية . ومن المتفق عليه أنه كان لشهور هذه السنة فى أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة فى تحديد تلك الأسماء . وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أنه كان يطلق على المحرم اسم « المؤتمر » لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل فى أقضيتهم ، فيستفتحون السنة بتصفية خلافاتهم فى العام السابق ورسم ما ينبغى أن تسير عليه علاقاتهم فى العام الجديد ؛ وعلى صفر اسم « الناجر » من النجر أى شدة الحر ؛ وعلى ربيع الأول اسم « الخوان » كشداد من الخيانة ، وعلى ربيع الثانى اسم « الصوان » من الصيانة ، وعلى جمادى الأولى اسم « الزباء » وهى الداهية الكبيرة ؛ وعلى جمادى الآخرة اسم « البائد » لكثرة القتل والقتال فيه ، فقد كانوا يحرصون فى هذا الشهر على فض خصوماتهم بحد السيف والانتهاء من حروبهم قبل أن يجىء شهر رجب الذى كان من الأشهر الحرم التى لا يجوز القتال فيها (وذكر صاحب القاموس المحيط أنه كان يطلق على هذا الشهر اسم « رنة » ولعله من رنين الأسلحة) ؛ وعلى رجب اسم « الأصم » لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صليل السيوف (وقد بقيت صفته هذه بعد الإسلام ، فكان يطلق عليه « رجب الأصم ») ؛ وعلى شعبان اسم « الواغل » لهجومه على رمضان (والواغل فى الأصل هو الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى إليه ، كالوارش فى الطعام) وعلى رمضان اسم « الباطل » وهو وعاء يكال به الخمر (وذكر صاحب القاموس المحيط فى مادة « رمض » أن رمضان كان يسمى « الناتق » من نتقه إذا زعزعه ونفضه) ؛ وعلى شوال اسم « العاذل » من العذل وهو الملامة ؛ لأنه أول أشهر الحج ، فكأنه يلومهم على ما يزاولونه من غير أعمال هذه الشعيرة ، ويثنيهم عن كل شىء ماعدا مناسكها . أو لعله سمى بذلك لشدة حره ، فقد كانوا يصفون الأيام الشديدة الحر بأنها « معتذلات » و « عذل » بضمتين . وتردد صاحب

القاموس فى اسم العاذل فذكر أنه اسم شعبان فى الجاهلية أو شوال) ؛ وعلى ذى القعدة اسم « رنة » لأن الأنعام كانت ترن فيه أى تصوت لقرب النحر (وذكر صاحب القاموس المحيط أن ذا القعدة كان يسمى « ورنة » بالواو) ؛ وعلى ذى الحجة اسم « ترك » لأنهم كانوا يتركون الإبل فيه . وتتفق هذه الأسماء مع ما نقله الخطيب خير الدين المدنى فى تذكرته .

وقد أورد محمود باشا الفلكى فى رسالته التى ألفها بالفرنسية وترجمها إلى العربية أحمد بك زكى بعنوان : « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام » أسماء أخرى للشهور فى الجاهلية ، وهى على التوالى ، ابتداء من المحرم : ناتق ، ثقيل ، طليق ، ناجر ، أساخ أو أسلخ أو سماح أو سماخ ، أمنح ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برط أو مرط ، حرف أو نعيس ، نعس أو مريس .

أما أسماؤها المستعملة الآن فالمشهور أنها وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين ، وقد اختلف فى تعليل تسميتها بهذه الأسماء . وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أن العرب سموا الشهر الأول « المحرم » لحرمة القتال فيه فقد كان أحد الأشهر الأربعة الحرم « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب » ؛ والثانى « صفر » لما كان يعتريهم فيه من مرض تصفر به ألوانهم ؛ والثالث والرابع « ربيع الأول » و « ربيع الثانى » لأنهما كانا يأتيان فى الخريف ، وكانت العرب تسمى الخريف ربيعا ؛ والخامس والسادس « جمادى الأولى » و « جمادى الآخرة » لمجيئهما فى أيام الشتاء إذ يجمد الماء ويتساقط الجليد ؛ والسابع « رجب » من الرجب وهو الكف لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ، أو من الرجب وهو التعظيم لأنهم كانوا يعظمونه فلا يحاربون فيه ؛ والثامن « شعبان » لانشعاب القبائل فيه إلى طلب الماء والكلأ وإغارة بعضهم على بعض ، والتاسع « رمضان » من الرمض وهو شدة الحر لمجيئه فى صفوان الصيف ؛ والعاشر « شوال » من شال القوم إذا ارتحلوا وتفرقوا وخلت منازلهم منهم ؛ لأنهم كانوا يرتحلون فيه ويتفرقون فى طلب الكلأ والماء ، أو من شالت النوق بأذنابها إذا رفعتها لشهوة الضراب ، لأن هذا الشهر كان موسم لقاحها ، ولذلك كانت العرب لا تجيز الزواج فيه حتى لا يتشبهوا بالأنعام ؛ والحادى عشر « ذا القعدة » لقعودهم فيه عن القتال ؛ لأنه كان من الأشهر الأربعة الحرم ؛ والثانى عشر « ذا الحجة » لإقامتهم الحج فيه .

ومع أن السنه العربية سنة قرية تتحدد شهورها بدورة القمر حول الأرض ولا علاقة لأشهرها بالفصول لأن الفصول إنما تتحدد بدورة الأرض حول الشمس (فقد يأتى الشهر العربى فى سنة ما فى الصيف ثم يأتى بعد بضع سنين فى الخريف ثم فى الشتاء ثم فى الربيع) مع ذلك فإن بعض الشهور العربية قد سميت بأسماء تشير إلى أحوال جوية خاصة أو إلى أمور تقع فى فصول معينة ، وهى شهور صفر وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورمضان وشوال ، وقد علل ذلك محمود باشا الفلكى فى رسالته السابق ذكرها « بأن العرب أطلقت على الأشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية أو غيرها التى كانت جارية فى وقت القسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم إلى ما وراء ذلك ؛ لجهلهم أنه بعد مضى سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف فى الشتاء وبالعكس » . وإلى هذا المعنى يشير الفيروز أبادى فى « القاموس المحيط » إذ يقول فى مادة « رمضان » إنه « سمى به هذا الشهر لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت منها ، فوافق ناتق (وناتق هو الاسم القديم لرمضان على ما يذهب إليه الفيروز أبادى كما تقدم) زمن الحر » . — أو لعل تقويمهم كان فى قديم عهودهم تقويما شمسيا ثم تحولوا عنه فيما بعد إلى التقويم القمرى ، مع احتفاظهم بالأسماء القديمة الدالة على الفصول والأحوال الجويه ، وهى أسماء لا تستقيم مدلولاتها ولا تطرد إلا مع التوقيت الشمسى . ويذهب بعض الباحثين إلى أنه كان لديهم تقويمان تقويم شمسى وتقويم قمرى ، وأنهم سموا شهور السنة القمرية بالأسماء نفسها التى كانوا يطلقونها على شهور السنة الشمسية حتى لا تختلف أسماء الشهور فى التقويمين ، وإن كانت المدلولات لا تصدق إلا فى شهور السنة الشمسية ، ثم اقتصروا فيما بعد على التقويم القمرى .

* * *

ويظهر أنه كان لشهر المحرم مكانة خاصة كبيرة فى نفوس العرب بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته وقد احتفظ له الإسلام بهذه المكانة ، فسماه الرسول عليه الصلاة والسلام « شهر الله » ، ولم يندب عليه السلام إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ فقال « شهر الله الذى تدعونه المحرم » ، (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

هذا ، ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم « عاشــوراء » وقد يسمى التاسع كذلك « تاسوعاء » . والراجح أن هــذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان وليستا منقولتين من لغة أخرى . وقد روى عن الرسول عليه الصلاة والصلاة والسلام بعض أحاديث ندب فيها إلى صيام يوم عاشــوراء ويوم تاسوعاء واليوم الحادى عشر من المحرم . واستخلص ابن قيم الجوزية من الأحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ؛ ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط ؛ ويلى ذلك إفراد عاشوراء بالصوم . ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة رأى طوائف اليهود فيها تصــوم عاشوراء ، فسألهم عن ذلك فقالوا إننا نصومه تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر . فقال عليه السلام : « نحن أولى بموسى منكم ، وإنى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هــذا اليوم ذنوب العام السابق له » . فصامه وحبب المسلمين فى صيامه ويقال إن النبى عليه السلام قد حرص على مخالفة اليهود فندب إلى صوم التاسع مع العاشر فمن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصومه ، قالوا يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال : « إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع » فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وأبو داد) .

ولا أكاد أطمئن إلى هذه الروايات التى تربط بين صيام عاشوراء عند المسلمين وصيام اليهود . ويبدو لى ضعفها من عدة وجوه أهمها ما يلى :

١ — أن ما يسمونه عاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من الشهر السابع العبرى (تشرين) الذى كان يسمى عندهم كذلك يوم « كبور » أى يوم الكفارة ، وقد جاء أمر اليهود بصيام هذا اليوم وعدم مزاولة الأعمال فيه فى عدة فقرات من أسفار العهد القديم (انظر من ذلك : سفر اللاويين ، إصحاح ١٦ ، فقرة ٢٩ وتوابعها ، وإصحاح ٢٣ فقرة ٢٧ وتوابعها ، وسفر العدد إصحاح ٢٩ فقرة ٧) ولكن هذا اليوم لا يوافق العاشر من شهر المحرم فى أية سنة من السنين التى قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة وذلك أن الرسول عليه السلام قد دخل المدينة على أرجح الأقوال يوم الاثنين ١٦ من ربيع الأول الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرين العبرى وهو يوم عاشوراء

عند اليهود (حسب ما حققه محمود باشا الفلكي وغيره). فلا يمكن إذن أن يكون العاشر من شهر تشرين العبري قد جاء في العاشر من شهر المحرم العربي في أية سنة من السنين العشر التي أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة، سواء اعتبرنا السنة العبرية سنة قمرية أم اعتبرناها سنة شمسية.

٢ — أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليداً لذكرى اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر الروايات التي ناقشناها، وإنما يصومونه للاستغفار وطلب العفو عن الخطايا كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة بل إن اسم هذا اليوم عندهم ليدل على ذلك، فهو يسمى عندهم «يوم كبور» أي يوم الكفارة.

هذا. وقد روى عن عائشة ما يفيد أن صيام عاشوراء يرجع إلى أصل عربي جاهلي لا إلى أصل يهودي. فقد قالت: «كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية.. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه. فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه. فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه»، (حديث متفق عليه من الجماعة)

وأنا أميل إلى ترجيح هذه الرواية على الرواية السابقة التي ظهر لنا ضعفها، والتي تربط بين صيام يوم عاشوراء عند المسلمين، وصيام «يوم كبور» عند اليهود.

وتحافظ بعض فرق المسلمين على أنواع من الصيام ترتبط مواقيتها بأحداث اجتماعية ذات بال في تاريخها الخاص. ومن ذلك إحياء بعض فرق الشيعة للأيام العشرة الأولى من المحرم بالصيام والقيام وترتيل الأوراد وتعذيب الجسم تخليدا لذكرى من استشهد من آل البيت في هذه الأيام.

ويظهر أن هذه الفرق قد استغلت الأحاديث الواردة في صيام عاشوراء فأولتها على الوجه الذي يتفق مع حرصها على تخليد ذكرى شهداء آل البيت في كربلاء، مع أن الأحاديث والروايات السابق ذكرها تدل على أن الصيام يوم عاشوراء أصلا يختلف كل الاختلاف عما تذهب إليه هذه الفرق، ومع أن إجماع الثقات من فقهاء المسلمين منعقد على أنه ليس من تعاليم الإسلام اتخاذ أيام وفاة الأنبياء والشهداء والصالحين من المؤمنين أيام صيام ولا أيام مأتم وعزاء؟

دكتور علي عبد الواحد وافي

الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

— ٢ —

١ — إذا نظرنا إلى مدنية الصين، وإلى مدنية الهند، فإننا نجد أنهما قائمتان على الدين، وكذلك الأمر فى كل الحضارات القديمة، ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا فى هذا الأمر: إنها كذلك تقوم على الدين.

وقد رأينا فى المقال السابق: أن الدين ـ وهو عقيدة وأخلاق ـ لا يتعارض مع الاتجاه العملى أو التطور المادى، بل رأينا على العكس من ذلك: أنه يحث على التقدم فى مختلف ميادين الصناعة والزراعة وغيرهما عما يتصل بالمادة.

ولكن الحضارة المادية، إذا لم تقم على مبادئ من الخلق السليم وعلى الإيمان بالله وباليوم الآخر، فإنها تدمر نفسها، وتشقى بها الإنسانية.

ولا ريب فى أن العقيدة الصحيحة، ليست اختراعا بشريا، ولا يمكن أن يكون الخلق السليم نتاجا من صنع البشرية ذات الأهواء المتعارضة.

والكلمة الأولى والأخيرة إذن، فى العقيدة والأخلاق، إنما هى الوحى المنزل المعصوم.

وما من شك فى أن الطابع الجوهرى الذى يجب أن يكون للعقيدة والأخلاق، إنما هو أن تكونا مبادئ ثابتة لا تتقلب بحسب الظروف، ولا تختلف باختلاف الأهواء، ولا تخضع للشهوات فتتكيف تبعاً لها.

ومن المسلم به أنه لابد للحضارة، أيا كانت من أن تقوم على مبادئ ثابتة، ومن أن ترتكز على عقيدة صحيحة، ومن أن تكون أهدافها: إسعاد الإنسانية بالسير بها فى الطريق الذى رسمه الحكيم الخبير، والذى ترشد إليه النصوص التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وإلا لما كانت الحضارة حضارة، بل ارتكاسا وانتكاسا.

ولا ريب، أن كل من يتدبر ما قدمناه يرى دون كثير من الجهد: أن الأمر كما ذكرنا، أو على الأقل أن الأمر: «ينبغى» أن يكون كما ذكرنا.

٢ — بيد أن الحضارة الحديثة: تمردت على كل هذه القواعد، وشذت على كل هذه المبادئ، وكانت بدعاً من الحضارات، ونشازاً من المدنيات!!!

أما بيان ذلك وتوضيحه : فليس بالأمر العسير :

لقد بدأت الحضارة الحديثة - فى ميدان المعرفة - بقلب الأوضاع الثابتة الصحيحة السليمة ، فحددت ميدان العلم الصحيح بأنه الميدان المادى فحسب ، حتى لقد أصبحت كلمة : « العلم » لا مدلول لها فى الحضارة الحديثة إلا المعرفة فى الميدان المادى ، وفى الدائرة الحسية .

لقد حصرت الحضارة الحديثة نفسها ، منذ المبدأ ، إذن ، فى دائرة المادة ، وسجنت نفسها فى سجون الحس ؛ وإنها حينما اتخذت الملاحظة والتجربة أساساً ، والاستقراء حكما وميزانا ، فإنها بذلك : استبعدت - بجرة قلم - الميدان الروحى ، أو ما وراء الطبيعة ، أو الإلهيات عن الميدان العلمى ، وعن مجالات المعرفة الصحيحة

وما دام « ما وراء الطبيعة » لا يظهر فى المعمل وفى المصنع ، ولا ينظر بعين ، ولا بميكروسكوب ، فإنه إذن لا يدخل فى المحيط العلمى .

هذه النظرة القاصرة ، تقابلها النظرة الرحبة ذات الأفق الواسع ، أعنى نظرة الدين ، إنه يدع الحس مجالا يسرح فيه ويجول بالملاحظة والتجربة والاستقراء ، ويدع للعقل مجاله يستنتج فيه ويستنبط ، ويدع للروح مجالها تستكشف فيه وتستلهم .

ونظرة الدين : تصل الإنسان بالكون كله : سمائه وأرضه ، بحاره وجباله ، وهاده وسهوله ، كواكبه ونجومه ، ولكنها تصله أيضاً بما وراء الكون : باللانهاية إنها لاتحد الإنسان ولاتسجنه فى حسه ، ولاتقيده بسلاسل وأغلال .

هكذا شأن الإسلام مع الإنسان . وكان الأمر كذلك فى الحضارات السليمة ، التى توالت على الإنسان منذ أقدم العصور .

وبينما المدنية الحديثة تربط الإنسان بالمادة ، برباط محكم ، إذا بالدين يرفعه إلى الله ، فيصله به .

وبينما الحضارة الحديثة تخضعه للمادة ، إذا بالدين يخضع المادة له ويجعله سيد الكون وخليفة الله تعالى .

ومما هو جدير بالذكر : هذه الأمثلة الكثيرة التى يتحدث بها القرآن عن الإنسان ؛ فيرفع بها من درجته ، ويعلى بها من شأنه ، فى مقابلة سائر المخلوقات .

ولقد وصل الدين فى تكريم الإنسان إلى مالا يتطرق إليه خيال المدنية الحديثة ولا وهمها ؛ لقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريما له ، فآدم إذن وبنوه : يمكنهم أن يترقوا فى المجالات الروحية إلى ما هو أسمى درجة من الملائكة .

وقد أذن الله بهذا التصوير الجميل : ـ سجود الملائكة لآدم ـ للإنسان أن يسمو روحيا إلى ما لا نهاية .

ولم يقف ذلك عند حدود الإمكان فحسب ، بل لقد تحقق بالفعل :

فها هو ذا سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وصل من القرب فى المجال الروحى إلى سدرة المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى ، وأوحى الله إليه مباشرة ، وأراه من آياته الكبرى .

وأما صلة الإنسان بالمادة فإنها صلة تسخيرها لأمره وإرادته ، لا تسخيره لها : فسيدنا داود : سخر له الحديد لينا يصوغه كيفما شاء .

وسيدنا سليمان : سخرت له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، وسخرت له الجن والطير على اختلاف أنواعها ، فكان الحاكم عليها بإذن الله .

وسيدنا إبراهيم ، سخرت له النار ، فكانت عليه برداً وسلاما .

وسيدنا عيسى : سخرت له الطبيعة فى مظاهرها المختلفة ، يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله .

إن الله يرشدنا إلى أنه يأذن للإنسان بالسيطرة على الكون : ما ظهر منه وما خفى ، حينما يتخذ الوسائل المادية والروحية لهذا التسخير ، والإنسان إذن دون منازع : سيد هذا الكون .

ذلك تكريم الحضارة التى تقوم على الدين للإنسان .

أما المدنية الحديثة : فإن من نظمها التى انتهت إليها فى أحدث مثلها وفى آخر أطوارها ، إنما هو : النظام الشيوعى .

ولا نستطيع أن نجد تعريفا للنظام الشيوعى أدق من أنه : استعباد المادة للإنسان وسيطرتها عليه ، إن المادة هى : أساس النظام ، والمادة : هى هدف النظام والمادة : هى هم الشيوعيين المقيم المقعد . لقد أصبح الإنسان فى النظام الشيوعى : آلة من الآلات المادية بل جزءا فى آلة ، كمسمار مثلا فى حذاء مارد مدمر ، هو المادة .

ونظرة الحضارة الإسلامية إلى الإنسان والعلم إذن : تختلف اختلافا جذريا عن النظرة الشيوعية وإذا كانت النظرة الشيوعية تقول : ولقد سخرنا بنى آدم ، وتتخذ ذلك مبدأ لها ، فإن النظرة الإسلامية تتخذ مبدأها من القرآن :

« ولقد كرمنا بنى آدم » .

وبالله التوفيق ؟

الدكتور عبد الحليم محمود

وحـدة الشاعر

للأستاذ العوضي الوكيل

نستعرض فى هذا المقال ثلاثة شعراء ، أحدهم عربى وهو العقاد ، الثانى فرنسى وهو لامارتين ، والثالث انجليزى وهو إسكندر بوب .

نستعرض ما قالوا فى موضوع كان القول فيه حظا مشاعا بينهم ، وهو وحدة الشاعر ، وبين يدى الحديث أحب أن أتقدم بكلمة إلى السيد / عبد الوارث سعيد الذى نشر فى عدد رمضان سنة ١٣٨٢ هـ من هذه المجلة (فبراير سنة ١٩٦٣) كلمة عاب فيها علىّ أن جعلت العنوان الجانبي لهذه الكلمات لفظة « أدب مقارن » .

وهو يرى أننا أسأنا التعريف وتجافينا عن وجه الحق وذلك « لأن للأدب المقارن مفهوماً محدداً عند دارسيه ، يخالف المفهوم الشائع لكلمة مقارن أو مقارنة ، هذا المفهوم هو البحث فى الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة ، وما لهـذه الصلات من تأثير أو تأثر » .

وأنت بعد هذا التعريف الرسمى المسجل ، لا تستطيع أن تستعمل مادة المقارنة فيما وضعتها له لغتنا ، ولا تستطيع أن تدنو من مادة « ق . ر . ن » بحال من الأحوال ، إلا إن أردت المعنى الذى أورده السيد / عبد الوارث فضيق به مفهوماً واسعاً رحيباً لهذه المادة .

لن تستطيع بعد هذا أن تسلك شيئين فى نظام ، ثم تتخذ من ذلك سبيلا إلى الموازنة ، ثم تسمى عملك هذا قرنا ، أى ربطا ، أو مقارنة أى موازنة .

والسيد عبد الوارث كان حريصاً فى كلمته على أن يثبت مراجعه بالتفصيل ، ولكنه مع هذا كان خليقا به أن يجعل من مراجعه معاجم لغة العرب ، وتراثها فى الشعر والنثر ، ليعرف أن العرب تعرف مدى القرب بين المقارنة والموازنة .

وكنت أحب للسيد عبدالوارث ، وهو ابن من أبنائنا بدار العلوم أن يتروى فيما يكتب ما دام لا يستطيع أن يكون من أصحاب الارتجال . وعليه السلام .

* * *

وحدة لامارتين ، إحدى قصائد التأملات ، وقد سبق لنا التعريف بلامارتين فى عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس سنة ١٩٦٣)

من هذه المجلة ، حين كنا نستعرض بحيرته ، وبركة البحترى .

والتأملات ديوان شعرى لهذا الشاعر الفرنسى العظيم نظمه حوالى سنة ١٨٢٠ م ، وصادف بنشره نجاحاً منقطع النظير ، وارتقى به الشاعر - فى سرعة - درجات فى سلم المجد والشهرة والخلود .

وقد سماها النقاد التأملات الأولى تمييزاً لها عن «التأملات الجديدة» التى نظمها بين عامى ١٨٢٣ ، ١٨٣٠ م وبها - أو بغيرها - دخل الشاعر الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٠ م .

أما إسكندر بوب فهو شاعر انجليزى عاش فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد نشأ معتل الصحة ، واهى البنية ، وسكن مرض الربو صدره ، حتى أودت به أزمة من أزماته سنة ١٧٤٤ عن ستة وخمسين عاماً قضاها فى القراءة والتفكير ونظم الشعر ، وكتابة المقالات النقدية .

وقد استطاع بوب ، وتلاه من بعده لورد بيرون أن يجعلا من الشعر وسيلة للرد على نقادهما ، يقول العقاد[1] :

« على أن « بيرون » و « بوب » لم يكونا ناقدين فيما نظماه من القصيد بل كانا مدافعين يردان هجمات النقاد عليهما ، وكانا أحيانا محاربين يهجمان على أصحاب المذاهب المخالفة لهما بين الشعراء والأدباء : كتبت مجلة « بلاكوود » الأدبية فصولها عن ديوان « ساعات الفراغ » فاشتدت عليه وسخرت منه ، فأراد الشاعر أن ينتصف لنفسه ، وأن يعلم النقاد أن عروس الشعر تحسن النضال فى ميدانه ، ونظم قصيدته التى سماها « الشعراء الانجليز والصحفيين الإيقوسيين » فأوسع فيها النقاد سخرية وهجوا وعرج على نظرائه من شعراء عصره فقال فيهم مقاله ، وأعمل فيهم لسانه وخياله ، وحسبها الأدباء يومئذ مثلا من أمثلة الردود الطريفة ولم يحسبوها فناً من فنون النقد ، أو ميزانا من موازين التمييز والتقدير .

وكذلك صنع « بوب » حين أنحى عليه نقاد عصره ، وخالفه النظراء فى مذهبه فإنه نظم شعراً ، ولم يكتب نثراً فى الدفاع عن أدبه ليثبت لناقديه أن سلاح الشاعر لا يقصر عن سلاح الناقد الناثر فى ميدانه ، وأرسل قصيدته إلى صديقه الطبيب الأديب « أربثنوت » يشرح مذهبه ويكيل الصاع صاعين لخصومه ومنافسيه ، وقيل عنه يومئذ إنه عرفهم بأقدارهم ، وإن لم يحمد له ميزانه فى تعريف الناس بتلك الأقدار » .

أما أستاذنا العقاد فهو غنى كل الغنى عن التعريف ، وقد اخترنا له فى مقام عرض المتقاربات فى الأدب العالمى عن الوحدة

(١) مقدمة ديوان رسوم وشخصيات من نظم كاتب المقال .

قصيدة لا تحمل عنوان الوحدة كصاحبيه : الانجليزى ، والفرنسى ، وإنما تحمل عنوان « ياكتبى » ، وإن كانت له قصائد ومقطوعات كثيرة تتحدث عن الوحدة والانفراد ومن ذلك قطعة الشعر [1] ووقفة فى الصحراء [2] وغيرها .

قصيدة لامارتين ، ترسم صور الطبيعة ناطقة بالروعة والجمال ، وتصور لنا نفسه وقد غامت فيها سحب الحزن والألم ، ثم لا تلبث أن تتجه إلى الله يستهل الشاعر قصيدته بقوله :

أسرح الطرف فى الوادى الذى انبسطت
أمام عينى ووجدانى مرائيه
والشمس تسبح نحو الغرب فى طفل
وقد جلست حزين الفكر عانيه
فى ظل « بلوطة » أمست كهولتها
تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالباً فى وحدة عجب
مشرداً وكأن القلب فى تيه

وفى المقطع الثانى من القصيدة يرسم لنا النهر هادراً فى واديه ، حيناً ، وسائراً يتلوى حيناً ، وماء البحيرة كأنه نائم يلفه الصمت العميق ، ونجم المساء يصعد من جانب الأفق إلى كبد السماء بهياً جميلا ، يقول :

كم يهدر النهر فى واديه منطلقا
وفوق أمواجه وشى من الزبد
لقد تلوى على الوادى وسار إلى
حيث اختفى خدرا فى ظلمة الأبد
وفى البحيرة ماء راح فى سنه
قد لفه عبقرى الصمت فى برد
نجم المساء سما من عندها صعداً
إلى السماء وما أبهاه فى الصعد

وهو يشكو وحدته وحزنه ، هائما قلقاً ، لا يستقر ، والطبيعة ، على جمالها ، لا تستطيع أن تهبه العزاء والسلوى :

أرنو إلى الأرض روحا هائما قلقا
لا يستقر من البلوى على حال
وليس فى صور الأكوان قاطبة
ما ينقذ القلب من هم وبلبال

* * *

أنقل العين ما بين الربى عبثا
وأقطع اليوم من صبح إلى غسق
وأقطع الكون بالعين التى جهلت
مداه فى ظلمة تطغى وفى ألق
وهل لمثلى مكان فى رحائبه
فيه سعادة روح فى الحياة شق

ثم لا تلبث نفسه أن تتجه إلى رجاء السعادة فى السماء :

لكن هناك شمس جد ساطعة
شمس حقيقية فى عالم ثان

(١) ديوان من دواوين ص ٤٤ .
(٢) الجزء الأول من ديوان العقاد .

هل لى سمو بروحى وهو فى جسد
مركب الجسم من أخلاط أدران

* * *

هناك أجمل من ورد ومن نهل
يا طالما رمته من قبل سلسالا
هناك سوف ألاقى الحب مبتسما
هناك سوف تلاقى النفس آمالا

وفى ختام القصيدة يبرز شوق الشاعر إلى عالم المجهول ، فيطلب من ريح الشمال أن تحمله إليه عاصفة به دون أن تأخذها فى ذلك رحمة أو شفقة .

إذا هوت من ذرا أغصانها ورقة
والشمس فى موقف التوديع محترقة
تهب ريح فتذروها وتحملها
إلى عوالم لم تحلم بها حدقة
وإننى مثلها لا شىء يفرقنى
عنها ولا هى عنى قط مفترقة
هيا احملينى يا ريح الشمال ولا
يأخذك فى العصف بى عطف ولا شفقة !

أما وحدة بوب ، فدون ذلك بكثير ، سواء فى حجمها وعدة أبياتها أو أفكارها ومعانيها ، فهى وحدة بسيطة يعرضها الشاعر فى صورة رجل يكتفى بما عنده ، ويستغنى عن غيره ، ثم لا تكون به حاجة إلى أن يتدخل فى شأن غيره ، فتمضى حياته هينة لينة ، هادئة صافية ، ويكون ليله نوما عميقا ، ونهاره رضاء وبراءة ، وتأملا لطيفا :

يقول بوب :

سعيد ذلك الرجل الذى يعيش .
قانعاً يتنفس هواء أرضه .
القليلة الموروثة الكافية .
تمده أبقاره باللبن .
وحقوله بالخبز ، وأغنامه بالصوف .
أما أشجاره فتمنحه فى الصيف ظلا ـ وفى الشتاء ناراً !
وإنه لمبارك ، لا يتدخل فى شأن غيره .
وتمر ساعاته وأيامه وسنوه ، لينة .
فى صحة جسم وأمن بال .
نهاره هادئ ونومه هنئ .
ظافراً بالراحة والبراءة والرضا والتأمل .

ثم يتمنى الشاعر أن يعيش هكذا غمراً لا يعرفه أحد ، حتى إذا جاءه الموت مضى غير مأسوف عليه ، متسللا من العالم ، ثم لا يكون هناك حجر أو شاهد قبر يدل الناس عليه . يقول :

هكذا دعنى أعيش .
غير معروف . هكذا دعنى .
أمضى متسللا من العالم غير مأسوف علىّ .
ثم لا حجر ولا شاهد يدل علىّ حيث أرقد .

أما قصيدة أستاذنا العقاد ، فقد قلنا إن موضوعها الأصيل ليس هو وحدة الشاعر ،

ولكنها مع ذلك تتحدث عن الشاعر بين كتبه وحيداً يجن عليه الليل بينها ، فإذا هو عاكف عليها ، لا يجفوها مهما أرهقته ونال العكوف عليها من صحته ، وهو يعرف أنها صرفته عن ملاذ الحياة فالناس بين نائم غارق فى كراه ، وبين معاقر كأسا يرتشف طلاها أو عاشق بين يديه معشوقه .

وتأسره أرواحها فيسألها كيف يحل هذا الأسر ، وماذا الذى كسب منها ؟ هل كسب النور والمعرفة ؟ لقد طالما كشفا له عن القبيح :

إذا أرانى النور قبحا فيا
حسن الذى يضمره الغيهب

هل كسب الأحاديث والمنى والخبرة ، إن صاحبها لمتعب :

ينتفع المرء بما يقتنى
وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى
وخبرة صاحبها متعب

لقد صور العقاد فى بلاغة وقوة كيف تقف الكتب حوله بالليل وكأن جماجم أصحابها تهيأ للحديث ، ثم لا تلبث أن تتجادل وتتناقش بصوت يسمعه قلب العقاد الذكى ويعيه خاطره الخصب :

كم ليلة سوداء قضيتها
سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب

ولهذا المعنى الأخير معى قصة ، فقد كنت أقضى جانباً من الليل فى مكتبتى الخاصة ، وورد على خاطرى هذا البيت ، فما هو إلا أن تصورت الكتب فى شجار وجدال ، وتصورت أصحابها يتحدثون ، فاقشعر بدنى وقمت من فورى وغادرت المكتبة الصاخبة الساكنة !

ووحدة العقاد إذن وحدة الأديب العالم الفنان ، وحدة العقاد حين يلتقى بالقائلين من كل عصر وجيل ، ومن كل قطر وبلد يبعثهم خياله أحياء ينطقون ، وتشخص أمام عينه صورهم وأزياؤهم وكأنهم أصحاب سمر ، ورواد ندوة ، والعقاد يرهقه الجهاد فى سماعهم وقراءتهم ، ولكنه مع هذا لا يرجو أن يزايله ذلك الإرهاق

ياكتبى ألبست جلدى الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب
ياكتبى أين ترى المنتأى
عن أسر أرواحك والمهرب
أنفقت منى ما يضن الورى
به على الله ولم يذنبوا
من ضوء عينى ومن صحتى
صدى ومن وقتى وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته
فما أنا إلا الفتى الأشيب

العوضى الوكيل

المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

– ٢ –

١ — العدل :

قلت فى ختام كلمتى السابقة إن الاشتراكية فى الإسلام هى ما يفهم من قول الله : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى» وقد أكد الله مفهوم هذه الكلمات بالنهى عما يقابلها . إذ قال : «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى» فإن المتأمل فى معانى الفحشاء والمنكر والبغى يجدها تقابل العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، لأن الفحش – وهو تجاوز الحد – كما يقع على القول يقع على العمل ، وهو – دون شك – ضد العدل والفحشاء والفاحشة هى القبيح الشنيع من الأقوال والأعمال ، وقد استعملت الفاحشة فى معنى البخل ومنع الصدقات حيث يقول الله «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء» واستعمل الفاحش بمعنى البخيل فى قول الشاعر القديم :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

أما استعمال الفحشاء بمعنى تجاوز الحد فى القبح فقد فهم من قوله تعالى فى الشيطان : «إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» وقوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر» ، وقد أطلقت الفاحشة على الزنا – لأنه غاية فى الشناعة والقبح وجاء من ذلك قول الله : «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم» وقوله «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة» ، وقوله فى قوم لوط : «إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين» ، وهى بهذا المعنى أيضا تقع فى مقابل العدل لما فيها من الجور وتجاوز الحد ، والخروج عن القصد ، ولأن العدل قد فسر بالواجب وقيل فى توجيه هذا التفسير : إن الله عدل فيه على عباده بجمل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم . فكل ما أوجبه الله عدل وخير ، وكل ما نهى عنه جور وشر ، ومن ثم يتبين مدى ما تسعه كلمة العدل من معانى الإنصاف وتوخى القصد فى الأمور . والمثل والنظير والجزاء والفداء . وما إلى ذلك من المعانى اللغوية . وكل ما يدل على المعادلة والمماثلة ، وهذه المعانى يجب أن تطبق فى كل شئون

المجتمع والحياة، فالعدل فى الحكم، والعدل فى القضاء، والعدل فى تقدير الأجور، والعدل فى الرضا، والغضب والعدل فى إسناد وظائف الدولة لمن ترشحهم مواهبهم لخدمة الدولة، والعدل فى تهيئة الفرص المتكافئة لتربية المواهب والانتفاع بها فى خدمة الأمة، وكل علاقات الأفراد بالمجتمع وعلاقات المجتمع بالأفراد يجب أن تقوم على العدل، لا على الغرض والهوى، فإن ذلك بعض ما يفهم من قول الله: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا»، وذلك - كذلك - بعض ما يفهم من قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون». فالقسط - وهو العدل - يجب أن يكون رائد المؤمنين وأولى الأمر فيهم فيما يكون بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم، فلا ينحرف بهم الغرض والبغض إلى ظلم غيرهم مهما يكن شعورهم نحوهم بالكره والشنآن، حتى ولو كانوا يخالفونهم فى الدين بدليل قوله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»، بل إنه إذا خاف المؤمنون من قوم خيانة فليس لهم أن يسبقوهم بالخيانة، بل عليهم أن يجاهروهم بنبذ العهد إن كان بينهم وبينهم عهد، كما يفهم من قوله تعالى: «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين»، ومن هذا التوجيه الإلهى الرشيد، نبعت القاعدة الشرعية المعروفة لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

فالعدل هو حجر الأساس فى بناء المجتمع السليم، وهو قوام النظام فى شريعة الإسلام بل هو الغاية من كل ما جاء به الأنبياء قبل محمد عليه السلام، فإن ذلك بعض ما نفهم من قول الله: «لقد أرسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط». ولا شك أن العقل السليم يستحسن العدل - ويجد فيه بعد النظر المبرأ من الهوى والقصور ومصلحة المجتمع ومصلحة الأفراد فى المجتمع، فالمنكر - وهو ما ينكره الشرع القويم. وينبو عنه الطبع السليم، ويتجافى عن العرف الصالح - فى الطرف المقابل -

كذلك ـ لمعنى العدل ، والبغى ـ وهو الجور . وابتغاء الاستيلاء على حق الغير ـ ظلم يتجافى عن معنى العدل . ومن ثم نجد فى النهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تأكيداً للأمر بالعدل . وسنجد فيه كذلك تأكيدا للأمر بالعدل ، وسنجد فيه كذلك تأكيدا للأمر بالإحسان وإيتاء ذى القربى .

٢ — الإحسان :

والإحسان فى المرتبة التى تلى مرتبة العدل فى الوجوب والاهتمام ، وليس معناه قاصرا على التبرع بالصدقة أو النفقة كما تبادر ـ ولا يزال يتبادر ـ إلى بعض الأفهام ، وإنما معناه واسع جامع بحيث يتناول كل قصد حسن . وكل قول حسن . وكل فعل حسن ، وذلك بعض ما يفهم من قول الله « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » فقد نكر العمل ليشمل كل عمل . وكما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه) . فإتقان العمل وإحسانه يدخل فى عموم معنى الإحسان ، ولا شك أن المراد به العمل الصالح وهو الذى يحقق مصلحة فردية لا تضر المجتمع أو أحد أفراد المجتمع أو مصلحة اجتماعية ينتفع بها المجتمع وأفراد المجتمع . فمتى كان فى العمل مصلحة كان حسنا ، وما يقال فى العمل يقال فى الكلمة الطيبة والنية الطيبة ، فإنهما كذلك من الإحسان بمكان ، كما يفهم من قول الله : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقول النبى صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فالأعمال تقدر بالنيات الباعثة عليها وصلاحها يقاس بالدوافع النفسية الخفية التى تكمن وراءها ، ولا يطلع عليها إلا علام الغيوب ، ولهذا قرن الله العمل بالإيمان ليكون منه بمنزلة الثمر من الشجر ، وما يقال فى العمل يقال فى الكلمة الطيبة كما يفهم من قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » . وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الكلمة الطيبة صدقة كما أن العدل بين اثنين صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، هذه إشارة عابرة إلى مفهوم الإحسان ومدى انطباقه على كل ما يصدر عن الإنسان سواء كان قولا أو عملا أو نية تكمن وراء القول والعمل أما تفصيل ذلك فيحتاج إلى كتاب ولا يستوفيه استيعاب ، وما قيل فى مقابلة العدل بالفحشاء والمنكر والبغى يقال فى المقابلة بينها وبين الإحسان بل إن مرتبة الإحسان فوق مرتبة العدل لأنه زيادة فى الخير والفضل . فهو بالنسبة إلى الفحشاء والمنكر والبغى على طرف النقيض .

٣ — إيتاء ذى القربى :

هذا هو الأصل الثالث الذى يقوم عليه كيان المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ، وذكره بعد العدل والإحسان يشعر بأنه فى القمة العالية منهما ، فإن أحق الناس بهما هم ذوو القربى . أى أصحاب القرابة ، بل إن لهم بحكم روابط النسب ووشائج القربى ما ليس لغيرهم ، ومن ثم جعل الله تركة المتوفى شركة بين أقربائه ، يأخذ كل منهم بمقدار ما فرض الله له فيها على حسب درجة القرابة ووفق ما يقضى به العدل والفضل « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا . وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » . وقد أوجب الله النفقة على القادرين الموسرين للمحتاجين من الأصول والفروع كالأب والجد والابن وابن الابن ، وجعل نفقة الزوجة والأولاد حقا على الزوج ، ولا شك أن ذلك وغيره مما لا يتسع المقال لذكره ـ مظهر من مظاهر الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وقام عليها المجتمع الإسلامى ونلمحها فى قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » .

وقوله سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » فإن الاشتراكية فى الأسرة تتركز فى معنى قوله « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » والاشتراكيه فى المجتمع تتركز فى معنى قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ولا شك أن الأسرة أساس المجتمع وأن كل المعانى الانسانية السامية التى تراد لخير المجتمع تنبع من المعانى الصافية التى تسود جو الأسرة ، فالرحمة مشتقة من الرحم ، والاخاء مشتقة من الأخوة .

وكل المعانى الطيبة ترجع إلى المعانى الفطرية التى تجمع بين الأقربين وتكون منهم الأسرة أو العشيرة ، فإيتاء ذى القربى أصل من الأصول التى تقوم عليها الاشتراكية .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

فهو فحشاء . وهو منكر وهو بغى ، وهكذا نجد فى الآية الكريمة قواعد الاشتراكية السليمة بل نجدها كما وجدها أسلافنا أجمع آية فى القرآن إذ كل ما يرجى من خير فى العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى : وكل ما يخشى من شر فى الفحشاء والمنكر والبغى .

وفقنا الله إلى الخير ، ووقانا من الشر ، وهدانا إلى سواء السبيل .

عبد الرحيم فوده

حروف القرآن وحدوده

للأستاذ محمود الشرقاوي

« تأمل حديث ابن مسعود رضى الله عنه في الموطأ : إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه ، تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه ، قليل من يسأل كثير من يعطى ، يطيلون فيه الصلاة ويقصرون فيه الخطبة ، يبدؤون أعمالهم قبل أقوالهم . وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه ، تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده ، كثير من يسأل قليل من يعطى ، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة ، يبدءون أهوائهم قبل أعمالهم » .

هذه السطور القوية المخلصة المنيرة تجدها في كتاب : « الموافقات »[1] للإمام الشاطبي ، فهو صاحب الفضل في هذا العنوان الذى اخترته من حديث ابن مسعود . هذا الحديث الذى يقدم لنا هذا التحديد والتمييز بين « حروف القرآن » التى تحفظ ، بينما تضيع « حدوده » .

فإذا « تأملنا » هذا الحديث ، كما طلب إلينا الشاطبي ، وطابقنا بينه وبين وقائع التاريخ وجدنا أن العصر الأول ، عصر الصحابة والسلف ، كان فقه القرآن فيه وفهمه والتزام حدوده وفضائله وغاياته مقدما على مجرد التلاوة والترديد ، بلا تأثر ولا التزام حدود ، لم تكثر فيه تلاوة القرآن تلاوة السرد وترديد الكلمات ، بل يكثر فيه فقه القرآن وإدراكه والتأثر به في القلب والضمير والسلوك والخلق والعلاقات بين الناس « والرعاية لحقوق الله » كما يقول الحارث المحاسبي[1] .

عصر كانت تحفظ فيه الحدود التى أمر الله بحفظها ، أكثر مما تحفظ فيه الحروف التى تتلى والناس لهم من هذه الحدود ومن خلقهم وضميرهم عاصم ودافع : عاصم يعصم فقيرهم ومحتاجهم من السؤال : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ، ودافع يدفع قادرهم على أن يعطى ويبذل . عصر يطيل فيه الناس الصلاة ، كما قال ابن مسعود ، لما فيها من المناجاة والقرب من الله والخشوع له ،

(١) ص ١١٨ الجزء ـ ٢ ـ طبع المطبعة السلفية بالقاهرة .

(١) شيخ الإمام الغزالى ، وقد تأثر به كثيراً في كتاب : « إحياء علوم الدين » . ولد في النصف الثانى من القرن الثانى بالبصرة ومات سنة ٢٤٣ .

ويقصرون الخطبة إذ كانت حديث ألفاظ وحركة لسان ومنطق حروف ، يحاسبون أنفسهم على العمل والبدء به ، قبل أن يوجهوها للحديث والقول والجدل .

ثم نجد ، فى حديث ابن مسعود هذا ، أن الناس ، فى آخر الزمان ، على عكس هذه الحال ، تكثر فيهم تلاوة القرآن ولكنها تلاوة لا تجعل القلوب فاقهة ولا مدركة ، يحفظ أناس منهم حروف القرآن ولكنهم يضيعون حدوده ، ليس لهم من وازع ولا دافع ، فسائلهم كثير وباذلهم قليل، يخطبون فيطيلون لأن حركة اللسان لا تكلفهم شيئاً ، ويصلون فيقصرون لأن قلوبهم لا تشعر بأنس المناجاة وسعادة القرب ولذة الخشوع والتلاشى والفناء، يوجهون أفئدتهم وألسنتهم نحو المظهر من القول ولا يحاسبون أنفسهم على العمل ورقابة الضمير والتزام الحدود والغايات والمقاصد ، يبدءون أقوالهم قبل أعمالهم .

العلم والعمل : صنوان لا يفترقان ، الحروف والحدود : أولاهما لابد أن توصل إلى الثانية هكذا كان المؤمنون فى العصر الأول ، وهكذا يجب أن يكونوا فى كل عصر وكل مكان .

حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل :

وقد روى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال : « حدثنا الذين يقرءون القرآن ، كعثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل » ، وروى أحمد فى مسنده عن أنس : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فى أعيننا »[1] أى ارتفع قدره وعظم شأنه . وقد أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين [2] وكذلك قالت عائشة : « كنت جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ... والتمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت : « ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »[3] .

فالغاية الأولى عند صحابة الرسول ، رضوان الله عليهم ، كانت العمل بآيات الله المنزلة بعد فهمها وتدبرها ، وكانت هذه الغاية سابقة مقدمة على الحفظ والتلاوة المجردة والترديد والترتيل .

وليس معنى كلامنا التزهيد فى حفظ القرآن وتلاوته ، فقد حفظناه صبياناً ، ودرسناه فتياناً وشباناً ، وما نزال نتلوه ونسمعه فتخشع نفوسنا وتطمئن قلوبنا : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . بل الذى نريده هو أن يعمل

(١) لسان العرب ، ص ٧٨ الجزء ـ ٤ ـ الطبعة الأميرية .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ص ٢٠٨ الجزء ـ ٢ ـ

(٣) حديث الإفك .

رجل الدين ويدعو الناس إلى العمل، بكتاب الله والتزام حدوده وآدابه وفضائله. وأن يكون هذا العمل وهذا الالتزام مقدمين عنده.

الشريعة والفلسفة معاً:

حدود القرآن، وليست حروفه وحدها، مقصودة الشارع الحكيم من الشريعة، وهذا الإدراك الحكيم حدده عالم حكيم، هو ابن حزم، وجمع بين الشريعة والفلسفة معاً فى هذه الكلمات الناصعة: «الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها فى المعاد، وحسن السياسة للمنزل والرعية. وهذا نفسه لا غيره هو الغرض فى الشريعة. هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة»[1].

الصلاة التى لا تنهى عن الفحشاء والمنكر:

ولكى تدرك أثر الحرص على الحروف وحدها، بل جناية هذا الحرص على الحدود، نضرب مثلا للصلاة التى أمر بها الله وجعل لها حروفا وحدوداً فقال فى حدودها: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وحروفها هى شروطها وأركانها وما يتلى فيها، مما تفصله كتب الفقه، وحدودها هى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر. ولكن بعض الذين يحرصون على الحروف قبل الحدود ولا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، وبعض الذين يدرسون شريعة الله يحرصون على الحروف قبل الحدود أيضا، لهذا البعض: «أبواب كثيرة، ومباحث متعددة كلها تدور حول ضبط الأرقام وتسوية الأشكال.. كيف يقف المصلى وكيف يسوى يديه ورجليه؟ وكيف يركع وكيف يسجد؟ وما الزاوية الهندسية التى يأخذها فى الركوع والسجود؟ إلى غير ذلك مما يتصل بهذه الصور، أما القلب وكيف يخشع، والضمير وكيف يصحو، والمشاعر وكيف تجتمع لهذا الموقف العظيم بين يدى رب العالمين فذلك ما لم يكن فى نظر أصحاب الفقه موضع بحث أو محل جدل أو خلاف، لأنه كما يبدو شىء عرضى لا يمس الصميم من الصلاة.. فإن الصلاة كما عرفها الفقهاء: «أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم» هذه الصورة الكاملة للصلاة فى مباحث الفقه، وإنها لصورة باهتة هزيلة لا تهز قلبا، ولا تحرك شعوراً؛ لأن الفقهاء لم يلتفتوا إلى هذه الناحية، ولم يكن همهم البحث فيها، ولم يكن يعنيهم أن تحقق الصلاة

(١) ص: ٩٤ من كتابه: «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» الجزء ١ ـ الأدبية بالقاهرة ١٣١٧.

أو لا تحقق شيئاً للمصلى .. أتريد دليلا لهذا القول ؟ . مهلا !

اختلف الفقهاء فى قراءة الفاتحة فى الصلاة كما اختلفوا فى القدر المطلوب قراءته . ومن وجوه الرأى فى هذا الخلاف جواز قراءة آية من القرآن الكريم ولو لم يكن لها معنى مستقل كآية «ثم نظر» وآية «مدهامتان» فذلك مما تصح به الصلاة عندهم عملا بظاهر قوله تعالى «فاقرءوا ما تيسر منه» على ما ذهب إليه بعض أصحاب المذاهب الفقهية .

إلى هذا الحد من الهزل أو السطحية فى الفهم ينتهى الرأى عند بعض الفقهاء فى موقف حاسم فى الصلاة . غايته ذكر الله وتمجيده بتلاوة ما يملأ القلب ويشرح الصدر من آى الكتاب الكريم . وطبيعى أن تلاوة آية «ثم نظر» أو آية «مدهامتان» ونحوهما - مما لا يحقق معنى إلا إذا ارتبط بما سبقه أو لحقه من الكلام - لا تبعث فى النفس أى إحساس [1] .

الصحيح والمريض والشبعان والجائع :

وهذا التفصيل والتمثيل الذى كتبه مؤلف جديد ، أجمله ومثل له قبل قرون طويلة إمام عظيم يقول : « ... فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشبعاناً . وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر ، وبين أن يكون سكرانا ، بل السكران لا يعرف حد السكر وهو سكران ، وما معه من علمه شىء . والصاحى يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شىء ، والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة » [1] .

هذا الامتزاج فى النفس بين حدود القرآن التى تُرعى وحروفه التى تتلى هو الذى يجعل إيمان القلب والحرص على مثل العقيدة أغلى من كل شىء فى الحياة ، بل أغلى من الحياة نفسها ، وهو الذى أخرج لنا وللناس هذه النماذج النادرة التى خلدتها الحياة ثم أعجب بها كل من عرفها فى هذه الحياة .

زينوا القرآن بالفعال :

وهذا مثل نجده عند هؤلاء الصحابة الذين امتزجت فى نفوسهم وقلوبهم وضمائرهم حدود القرآن وغاياته وفضائله ، مع حروفه وكلماته :

فى حروب الردة وفى غزوة اليمامة خاصة ،

---

(١) عبد الكريم الخطيب ، ص ٨٠ من كتابه : «فى طريق الإسلام» - الكتاب العربى -

(١) حجة الإسلام الإمام الغزالى : كتابه : «المنقذ من الضلال» طبع مطبعة ابن زيدون فى دمشق بإشراف الدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ١٩٣٤ .

لقى المسلمون حرجاً وعنتاً شديدين ، حتى تراجعوا ودخلت جيوش مسليمة الكذاب فسطاط خالد بن الوليد ، ثم آبت لهم شجاعتهم وارتدت إلى قلوبهم الحية فوقفوا وثبتوا ، وثارت الريح فى وجوههم تحمل التراب وتحول دونهم ودون عدوهم ، وأحسو بالحرج مرة أخرى فذهب قوم منهم إلى زيد ابن الخطاب يطلبون مشورته ، فكان جوابه أن قال : « لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتى . غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا فى عدوكم وامضوا قدما » ، واندفع يقاتل وقومه من وراءه حتى لقى الله شهيدا . وصاح أبو حذيفة فيمن حوله : « يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال » ، ثم ألقى بنفسه يقاتل حتى لقى الله شهيداً ، وتقدم مولاه سالم فحمل الراية وقاتل وهو يقول : « بئس حامل القرآن أنا إن لم أثبت » ، وثبت يقاتل حتى لقى الله شهيدا .

وهذه أمثلة نجدها ونعجب لها فى ذلك العصر الأول . ولكننا إذا عرفنا السبب ـ كما يقولون ـ بطل العجب .

وعلى العكس من ذلك نجد ، فى التاريخ القديم ، قوماً يحرصون على حروف الشريعة دون حدودها ، ونجد لهم فى كل عصر أشباهاً ونظائر ، وفى عصرنا هذا وفى مستقبل الزمن أيضاً .

نجد مثلا لذلك صار رمزاً وعلماً وشعاراً يدل على هذا الخلق المرذول وهذه الفطرة الفاسدة . هم جماعة من اليهود القدماء كانوا يسمون أنفسهم « الفريسيين » يريدون بذلك أنهم ممتازون مختارون [1] . هؤلاء الفريسيون كانوا يعرفون بالتمسك الشديد بنصوص « الشريعة » وحروف التوراة وأوامر الديانة اليهودية . ثم أصبح اسم هؤلاء القوم علما على كل من يعنى بالمظاهر الخارجية للدين ـ كل دين ـ دون روحه وجوهره وغاياته . أى من يعنى بالحروف دون الحدود .

وليس عجيبا بعد ذلك أن يصم القرآن الكريم هؤلاء اليهود ويضعهم بمثابة الحمار إذ يقول : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » [2] .

هؤلاء وأمثالهم هم الذين قال عنهم ابن مسعود : « يبدون أهواءهم قبل أعمالهم » .

« البقية فى العدد القادم »

محمود الشرقاوى

(١) الفريسيون : نسبة إلى « الفرز » ، أى الاختيار والانتقاء ، وتجد فى الإنجيل لوماً شديداً من المسيح لهم .

(٢) الآية ـ ٥ ـ من سورة الجمعة .

من معانى القرآن

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

الأمى : هو الذى لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وقد لوحظ فى هذه القسمية النسبة إلى الأم على معنى أن من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب يكون على ما ولدته أمه عليه من الغفلة والجهالة ، وعدم الخبرة ، والتلاوة : القراءة لأن فيها تتابع الكلمات والألفاظ فى النطق ، ومادة التلاوة تفيد معنى التتابع ، إذ تقول تلاه بمعنى تبعه . وتتالت الأمور بمعنى تتابعت .

والتزكية : تفيد معنى التطهير من الخبائث كما تفيد معنى التنمية والتقوية ، لأن مادتها الزكاء والزكاة ، وهما يفيدان معنى الطهارة والنمو والبركة .

والضلال : البعد عن الحق والصواب ، والضياع ومن ذلك ضلت الإبل بمعنى ضاعت .

المعنى :

الله الذى ينزهه عن كل ما لا يليق بكمال جلاله وجماله كل ما فى السموات والأرض ، المتصرف المطلق التصرف ، الطاهر المبرأ من كل نقص ، الغالب الذى لا يقهر ، الحكيم الذى لا يخطىء فى قول أو فعل هو الذى بعث فى العرب على ما كانوا عليه من جهل وغفلة وعدم دراية بالقراءة والكتابة رسولا منهم أمياً مثلهم . فكان من مظاهر قدرته تعالى فيه أن يقرأ عليهم آياته ، ويطهر نفوسهم من الخبائث ، ويحرر عقولهم وقلوبهم من شرك الشرك والأوهام ، وينمى فيهم نوازع البر والخير ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد كان كما يقول الله فيه : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ، وبذلك صاروا إلى ما صاروا إليه من الخير والقوة والعلم والحكمة وكانوا قبل أن يرسله الله رحمة لهم وللناس كافة فى ظلام لا يتعرفون من خلاله الطريق إلى الخير والحق ، وكان هذا الظلام بيناً ظاهراً لا سبيل إلى الشك فيه . ثم صاروا بفضله وبفضل الله عليه وعليهم إلى ما يشير إليه قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

والمتأمل فى هذه الآية وفى دعاء إبراهيم عليه السلام إذ قال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » يدرك أن محمداً عليه السلام كان دعوة إبراهيم المستجابة ، إذ الكلمات هى الكلمات والألفاظ هى الألفاظ ، وما كان من خاتم الأنبياء كان تحقيقاً لمعنى الدعاء .

عبد الرحيم فودة

من روائع المثنى بن حارثة

للأستاذ محمد رجب البيومى

لا أدرى لماذا يتردد اسم المثنى(١) عالياً فى العراق وخافتاً فى شتى عواصم العربية ؟ ألأنه الفارس البطل الذى ضم ما حول الفراتين إلى الإسلام ، لحق له أن يذكر هناك بالمحمدة والثناء ؟ ولكن ما لعمرو وخالد وسعد وأبى عبيدة تتردد أسماؤهم رنانة فى كل مكان يشيد بالفتح العربى والتاريخ الإسلامى ؟ أيكون المثنى أقل منهم كفاحا ؟ وأهون استبسالا ؟ إن تاريخه ليشهد أنه قريع هؤلاء الأبطـــال ونظيرهم همة وشجاعة وتمرساً بالخطوب والأهوال ، وما قرأت وقائعه المجلية إلا عجبت كيف لا تفرد الكتب الخاصة بتحليل روائعه ، وهأنذا أشير إليه من بعيد ، راجياً أن أوفق إلى رسم خطوط واضحة عن بطولته الشماء ! .

لقد انحدر المثنى بن حارثة الشيبانى من قبيلة بكر بن ربيعة ذات الأنفة والعزة والاستعلاء ، وتاريخها فى الجاهلية عبق فواح يتأرج بعبير العزة والحرية ، إذ أن ربيعة قد انفردت بين القبائل بمنازلة الفرس ، وتحدى آل ساسان ومن شايعهم من بنى المنذر بن ماء السماء ! فكانت غاراتها المتتابعة لا توجه إلى الأعراب من بنى القربى وذوى الرحم بل تهدف فى صميمها إلى منازلة الأعاجم ممن يبسطون سيطرتهم على العرب فى تغطرس وخيلاء حتى عرفت ربيعة بين القبائل بربيعة الأسد وربيعة الفرس رمزاً لشجاعتها الخارقة وعلو همتها فى مصاولة الأكاسرة العتاة ، وبنو شيبان من ربيعة فى الذروة والسنام إذ كانوا قادة المعركة فى يوم ذى قار ، حتى ضرب بهم المثل فقيل كأثر بشيبان وحارب بشيبان ! .

وقد نشأ المثنى بن حارثة فى هذه القبيلة الباسلة ، تجرى فى عروقه دماء العزة والأنفة وتفور نفسه حفيظة أن يسيطر على قومه أعجمى غريب يستعين عليهم بالأساورة والمرازبة والدهاقين ! فوقف يوم الفرات أحد أيام العرب فى الجاهلية : على رأس

---

(١) كتبت إجابة لرجاء الأديب حسين أحمد جاد الله من قراء مجلة الأزهر .

المقاتلين من بنى شيبان ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم أباديد ، وغرق مئات الأساورة فى الفرات وساق أنعامهم وخيولهم وأموالهم نهباً مقسماً لربيعة الأسد ، حتى أرخت ربيعة بيوم الفرات كما أرخت قريش بيوم الفيل !

وحين أشرق نور الإسلام كان المثنى مع قومه على شواطئ الفرات لا يعلم كثيراً عن حقيقة الدعوة الإسلامية فالأنباء تصله من مكة والمدينة متضاربة متناقضة لا ترسم لعينه طريق الهداية على وجهه الصحيح ، فرأى أن يتريث حتى يستيقن ، وبعث بمن يجمع له الحقائق عن قريش بمكة ، والأنصار بالمدينة ، وأخذ يوازن ويعلل ، حتى اهتدى إلى الدين الصحيح ، فأسرع بالرحيل إلى المدينة ، وبايع الرسول الأعظم على الإسلام فى السنة التاسعة ، ورجع إلى مقره ، مطمئنا واثقا بدينه الجديد !! .

وكان يخلو إلى نفسه فيتذكر جهاد المسلمين فى بدر وأحد والخندق وخيبر ومؤتة وتبوك فيستشعر أسفاً يضيق به إذ ابتعد عن شرف هذه المعارك ، وهو البطل الفارس ، وتمنى أن تعود الغزوات من جديد ليقف إلى جوار رسول الله بسيفه وبسالته جنباً لجنب ! ! لقد فاته الشرف الأسنى إذ تقاعس معذوراً عن ميدانه الأصيل فى حمى المسلمين ! وليت الأيام تفسح المجال من جديد ! .

وكأن الأقدار قد سايرت هواه فلم تلبث حروب الردة أن نهضت بعد وفاة الرسول على قدم وساق وسارت الجيوش الإسلامية من المدينة تصاول أعداء الله من المتنبئين ومن لف لفهم من المؤلفة قلوبهم والمنافقين ووقفت القلة المؤمنة أمام الكثرة المرتدة ومعها إيمانها الراسخ ، ويقينها الأكيد . فسارع المثنى مشوقا إلى أداء واجبه فى هذه المعمعة الخطيرة وقاد كتائبه من ربيعة وشيبان حتى التحق بعلاء ابن الحضرمى قائد جيوش المسلمين بالبحرين ، فأسهم معه إسهاما باسلا وأخذ يواصل القتال متتبعا كتائب الكفر والمروق ، حتى استولى على القطيف ، وتابع الزحف إلى دلتا الفرات حتى أشرف بجيشه على أرض السواد ، وتمت كلمة الله بانتصار الإسلام فرجع المثنى بقومه سعيدا منتشيا دون أن يعرفه أبو بكر خليفة المسلمين ! ! وأخذ يحس بفرحة تغمره إذ بدأ الجولة الأولى من جولات الإسلام ، وطالما وازن بين شعوره بالنصر فى معركة الردة ، وشعوره بالنصر قبل ذلك فى معارك الجاهلية ، فرأى أن المعركة الأخيرة ذات طعم هنىء لذيذ ، فأجرها العظيم مدخر عند الله فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، أما معارك الجاهلية فذات طنين يدوى

فى القبائل دون أن يكون له رصيده الضخم من رضوان الله ! وشتان ما بين الناحيتين من فروق ، ومن ثم فقد عزم على مواصلة الجهاد تحت لواء الإسلام ليضيف إلى سعادته الراهنة فيضا من السعادات !! .

وكان مما يأكل قلب البطل منذ نعومة أظفاره خضوع القبائل الضاربة حول الفرات لسلطان العجم وخنوع الحيرة بملوكها وأمرائها لكسرى وذويه ، فلماذا لا يحشد جهوده ، لحرب هؤلاء المتسلطين ، تحت راية الإسلام لقد كانت العروبة وحدها تلهب أحاسيسه فتدفعه إلى منازلتهم رغم ضآلة ما يمتلك من سلاح وعتاد ! أما الإسلام اليوم فقد أصبح دافعا قويا لهذه الحرب الضروس ، وإذا كان هذا الدين القيم عربى النشأة فلا بد أن يمتد حتى يشمل هؤلاء الذين يدينون بتفاوت الطبقات فى فارس ، ولا يعلمون ما عليه الإسلام لأبنائه من أن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بتقوى الله والجهاد ! إن هذه المشاعر الإسلامية الجديدة تفتح منافذ جديدة فى أحاسيسه ، وتغمره بقوة لا تنفد ، فتدفعه دفعا إلى منازلة الفرس ، ودعوتهم إلى الدين الجديد ، وقد شاء أن ينهض لذلك الأمر بنفسه دون أن يرجع إلى خليفة المسلمين خشية أن يجد لديه ما يخالف رأيه فى هذا الميدان الرهيب ، فتتفرق كلمة بنى شيبان وربيعة تفرقا لا يرضى البطل الكبير ، ومن ثم فقد أعلن الحرب على العجم ، وقاد الجيش الإسلامى من ربيعة إلى ميادين رائعة ، نازل بها فريقين مجتمعين فريق الأساورة الفرس ممن تعاظمهم أن يقف القائد العربى أمامهم بشجاعته الباسلة وفريق العرب من أتباع كسرى وخشاة بأسه ممن يستكثرون على أنفسهم منازلة طاغية جبار يسيطر على الشرق منذ أحقاب طوال وإذا كانت الأعمال بالنيات ، فقد استطاع المثنى ومعه أخواه البطلان الباسلان المعنى ومسعود أن يهزم كتائب الفرس حين تحرك شمالا على رأس قوة من رجال القبائل مساحلا الخليج الفارسى حتى بلغ مصب نهرى دجلة والفرات ، فأدار المعركة الأولى فى فارس بعد الإسلام إدارة المنتصر الباسل ، وتردد نجاحه الرائع فى آفاق العروبة حتى جاء أبا بكر بالمدينة فدهش كثيراً لما علم ، وأخذ يسأل أصحابه : من هذا الذى تأتى أخبار وقائعه قبل معرفة نسبه ، فرد عليه قيس بن عاصم المنقرى (هذا المثنى بن حارثة الشيبانى رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ! إنه المثنى !) .

كانت جيوش الخلافة الإسلامية تتجه بكتائبها المحتشدة لغزو الروم فى ديار الشام ، ولم يكن ليجول بخاطر أبى بكر أن يبعث

رجاله إلى فارس ، فالروم منذ غزوة مؤتة فى تربص وتأهب لملاقاة المسلمين ، وقد كان اتجاه الرسول إلى غزوهم بالشام مبعث ثقة وإيمان فى النفوس ، فكل مجاهد ينهض لهؤلاء إنما يحقق رغبة نبيه ، ويتابع خطته مطمئنا إلى نجاح العاقبة بإذن الله ، أما الفرس فقوم صلاب شداد سار لهم فى العرب ذكر مهيب مخوف ، والتفكير فى منازلتهم مظنة خطر بعيد ، إذ أن أفيالهم الكثيرة تتقدم جيوشهم الظافرة فتغنى غناة أبشع الأسلحة فتكا ، وأعتى الذخائر إبادة . فكيف يلبي أبو بكر دعوة المثنى إلى نضال آل ساسان ؟! لو كانت دعوته تلك قد سبقت أوانها قبل أن تتحرك الجيوش إلى قتال الروم ، لأمكن الخليفة أن يوحد جبهة القتال ، فيجعلها فى الشرق مع فارس دون أن يتشعب الجيش الإسلامى إلى فرقتين متباعدتين ! الحق أن المأزق حرج ، ولا بد للخليفة أن يتبصر مواطئ أقدامه قبل أن يصدر قراره النهائى !! فيلبث حينا لا يدرى ماذا يصنع ! .

ولكن المثنى العظيم يصل إلى المدينة بنفسه فيقابل خليفة رسول الله ، ويهون من شأن الفرس إذ يبسط أمامه سجل حروبه معهم فى الجاهلية والإسلام ، ثم يتشعب الحديث ، فيناقش أبا بكر فى قراره الذى اتخذه بشأن المرتدين بعد أن رجعوا إلى الإسلام ، إذ شاء أبو بكر أن يحرمهم من الجهاد فى الفتح الإسلامى ليقصر شرفه على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الوفاء للدين والثبات عليه ، ! فكان من رأى المثنى أن يرجع أبو بكر عن قراره ليتيح لهؤلاء سبيل التوبة الحقيقية إذ يمتشقون الحسام دفاعا عن دين الله وتكفيراً لما أسلفوا من حرب الإسلام !! وكان للبطل منطقه السديد ، ورأيه النافذ فاقتنع أبو بكر بوجهة نظره ، ودعا المسلمين عامة إلى البلاء فى الغزو فسنحت الفرصة أمام هؤلاء النادمين ليقوموا بما يكسبهم شرف الرجولة فينسخوا ليل الماضى بصباح الغداة ... وما أعظمها خطة جعلت كتائب المجاهدين تتدفق من كل مكان راغبة فى الجهاد عن طواعية وترحاب ، وسالت الشعاب المنفرجة فى بطن الجزيرة هاتفة بالغزو ، مدوية بنشيد الجهاد : الله أكبر الله أكبر !! غير أن التفكير كان متجها بهؤلاء إلى الروم لا إلى فارس ، ولكن المثنى الباسل يعتلى المنبر ليهون من شأن المجوس ، ويلفت الأنظار إلى الميدان الجديد ، وقد شاء الله أن يختار أبا بكر إلى جواره الكريم قبل أن يصدر قراره النهائى ، فاستدعى رضى الله عنه عمر بن الخطاب فى مرضه الأخير ليقول فى إصرار : (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إنى لأرجو أن أموت من يومى هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع

المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس معه ، ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتني متوفى رسول الله وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله) .

مات أبو بكر ! فبايع الناس عمر ، وكان أول ما بدأ به أن ندب الناس مع المثنى قبل صلاة الفجر من هذه الليلة نفسها ، وقام المثنى فخطب الناس بعد البيعة قائلا : (أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فإننا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شق الواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها ! !) ثم تحدث المثنى عن جهاد خالد معه فى حرب العراق وكان أبو بكر رضى الله عنه قد أمده به ليحمى العرب على شواطىء الفرات فقط دون أن يدور بخلده امتداد القتال إلى بطن فارس فأبلى خالد أحسن البلاء مع المثنى وانتصر القائدان فى مواقع ذائعة نذكر منها : الولجة ، وذات السلاسل ، والأنبار . ثم جاء أمر أبى بكر بانتقال خالد إلى كفاح الروم فى اليرموك مكتفياً بتأمين الحدود العربية ! فأسف المثنى أسفاً زائداً لمحاولة انتهاء المعركة مع فارس على هذا النحو المفاجىء وجاء بشخصه إلى المدينة ليعلن تصميمه على مواصلة القتال ، والحق أنه نجح فى مسعاه أكبر نجاح إذ أقنع أبا بكر وعمر ، وخطب الناس بالمدينة فثبت يقينهم وهون عليهم أمر المجوس ! فسارت الكتائب مشوقة للصراع ...

على أن عظمة المثنى الباهرة تتخطى الحدود المعقولة ، حين نجده يتناسى شخصه ، فيقبل بارتياح تام أن يكون الأمير المسلم على الجيوش غيره ، وهو الذى ذلل عقبات النصر وفتح باب الهجوم على الأساورة متحديا جميع الصعاب مهما تجمعت من حوله وتذاءبت عليه ، ! فحين جاء خالد بن الوليد إلى الحيرة بادر فانضوى بجنده تحت لوائه وأبدى من الجهاد والبسالة ما تعجب له خالد وأكبره ! وحين هم بالرحيل إلى اليرموك شد على يد المثنى وقال له فى اهتزاز : ارجع إلى إمارتك منصوراً سيداً كما كنت ، وقد يكون خالد أعرف الناس ببسالة صاحبه ، كما يكون المثنى أكثر ميلا إلى الانضواء تحت رايته من غيره إذ أن كفاح سيف الله فى حروب الردة قد جعل القيادة من حقه فى معتقد بعض الناس ، أما الذى يثبت العظمة النفسية على وجهها الصريح للمثنى فهو قبوله إمارة أبى عبيد بن مسعود الثقفى حيث أمره عمر بن الخطاب دون المثنى ! ولم تكن له من السابقة الذائعة ما يقنع المثنى بكفايته عن يقين ، ولكن المثنى كان أطوع له من بنانه ، وقد أخذ يبصره بمواقع الأمر تبصير

من يرجو على يده النجاح والظفر !! وكان في أبي عبيد الثقفي إيمان وإخلاص، ولكن الدربة الحربية كانت تعوزه وهي وحدها وسيلة الانتصار، فحين تجمعت الجموع الفارسية في معركة الجسر وقد حشد لها رستم مئات المهرة من القواد وعشرات الآلاف من الجنود مصمما أن يقذف بالعرب نهائيا من أرض العراق ! أقول حين حشد رستم جموعه الكثيفة خلف الأفيال والخيول والسلاسل، ونظر المثنى فعلم أن الجيوش العربية ستطوق تطويقاً حاصداً بهذا الجمع الهائل المديد. أشار على أبي عبيد بالانسحاب من الحيرة إلى خفان، ليستطيع أن يجد في الصحراء الممتدة ملاذا للفرار إذا ضاق به المأزق، وتلك خطة سديدة إذ أن سياسة الاحتفاظ بالأماكن المحتلة كثيرا ما تجلب الوبال على المحتفظين، وقد قبل أبو عبيد مشورة صاحبه، فانكفأت الجيوش متراجعة إلى خفان.

وحانت الساعة الفاصلة أمام جسر الفرات، فرأ المسلمون على الضفة المقابلة من الطوفان الفارسي الزاحف ما لا يحصى عدده غير الله من الجنود والخيول والسلاح، وبعث جاذويه قائد الفرس رسوله إلى العرب يسأل من الذي يعبر الجسر من المتقاتلين ليلتحم النضال، وكان من رأى المثنى أن يعبر الفارسيون ليكون أمام العرب متسع من البادية إذا حان خطر شديد، وصمم أبو عبيد أن يعبر المسلمون لتشتد حماستهم الدافعة، وتكون الثقة الحية في نفوسهم كفيلة بالتقدم فالاكتساح، وقد أطاع المثنى أمر القائد العربي كارها غير راغب، وزحفت الجيوش الإسلامية لترى كوكبة من الأفيال تبعث الرعب في النفوس، وقد سارع أبو عبيد إلى الفيل الأكبر يضرب خرطومه بسيفه ضربة لم تصب مقتله فهجم عليه ووطأه بخفه فسقط شهيداً، ودب الرعب في نفوس المسلمين، وهموا بالانسحاب إلى الجسر ولكن أحد المتحمسين من العرب قد ارتكب خطأ فاحشا حين هدمه ليمنع الفرار ... ونظر المثنى فإذا الحرب بعد سقوط الجسر تصبح حرب إبادة واستئصال للمسلمين، فتقدم مضحياً بنفسه مع لفيف من قومه الأشداء، وتصدى صابراً لهجمات الفرس ثم بعث بمن يعيدون بناء الجسر فأمكنتهم في ظل هذه المؤخرة الصامدة الثابتة التي دفعت باستبسالها المستميت كل زحف أن يقوموا برسالتهم فنهض الجسر كما كان، وانسحب الباقون إلى حيث كانوا من قبل، ولولا وقفة المثنى وجماعته لكانت موقعة الجسر موقعة إبادة واستئصال للعرب ! ولكن الله قد أيد البطل بروح من عنده

فلم يتوان لحظة فى مأزقه مع ما صوب إلى جسده من النصال! لو أن جيوش (جاذويه) تتبعت فلول المنهزمين إثر معركة الجسر لاندحر المسلمون اندحاراً يتغير معه وجه التاريخ، ولكن الخلاف حول الحكم فى المدائن بين رستم والفيرزان قد وجد سبيله إلى الجيش الفارسى، فلم يغتنموا الفرصة السانحة وأضاعوا النصر الساحق لأمر قدره الله، فأخذ المثنى يجمع الفلول المتناثرة، ويرسل إلى العرب فى القبائل البعيدة يدعوهم لنصرة إخوانهم المستبسلين، وأمده عمر بن الخطاب بكتائب جديدة تعوض بعض ما ضاع يوم الجسر من آمال، ثم احتشد بجموعه بالبويب قريبا من الكوفة، وشهد الفرات مرة أخرى جيشين يتقابلان على ضفتيه وليس بينهما غير الجسر، فبعث مهران القائد الفارسى الجديد رسوله يسأل من الذى يبدأ بالعبور، وكان المثنى هو القائد دون سواه فلم يقع فى خطأ أبى عبيد، وطلب من الجيش الفارسى أن يجرب دوره فى العبور، ثم استعد بأبطاله ليقابل المندفعين إليه كالطوفان المزبد يملئون الأرض عجيجا وجلبة، وقد وجد المسلمين يتنكبون الفيلة خائفين، فتجرأ على منازلتها بالسيف عن خبرة واقتدار، وقد سبق أن عرف مقاتلها فى معركة بابل وطار له معها بين العرب حديث سجله الفرزدق بعد عشرات السنوات حين قال:

ومنا المثنى قاتل الفيل وحده
ببابل إذ فى فارس حكم بابل

أجل هجم المثنى على الأفيال جريئا غير هياب، وهجم أخواه المعنى ومسعود معه فى ساحة الموت مستبسلين، ونظر المسلمون فإذا آل حارثة الشيبانى يتوسطون النار الملتهبة مغامرين فغمرت الناس حماسة لا تعهد، واندفعوا وراء الأبطال، وكأنهم فقدوا عقولهم فلم يفكروا فى خطر الأفيال والسيوف والرماح ونظر المثنى فإذا صفوف بنى عجل تتقهقر، فترك مكانه ليصرخ فى وجوههم: يا بنى عجل اتقوا الله حق تقواه ولا تفضحوا المسلمين ثم عاد إلى مكانه فوجد أخاه مسعوداً قد استشهد فخاف أن يزعزع مصرعه بعض النفوس فكظم حزنه الأليم وصاح يا بنى الإسلام لا يزعجكم مصرع أخى فكذا مصارع الأخيار، واندفع إلى الميدان مجلجلا بالتكبير!

وكان البطل قد جمع إلى جيشه فى معركة البويب طائفة من نصارى العرب يقاتلون حمية لإخوانهم فى الدم لا فى الدين، فلما طال القتال واشتد أراد أن يلهب حمية المسلمين فتقدم إلى أنس بن هلال النمرى وقال له: (إنك أمرؤ عربى وإن لم تكن على ديننا

فإذا حملت على قائد العجم فاحمل عليه معنا) فأطاعه أنس مع نفر من قومه وحملوا على القائد فقتله غلام نصرانى من تغلب ! ورأى المسلمون ذلك فاستبسلوا مستميتين ، حتى انكشف الأعداء ، وقد اهتبل المثنى الفرصة فتقدم إلى الجسر فأسقطه لينتقم للمسلمين من المعركة السابقة وخف المنهزمون من الفرس إلى الجسر فلم يجدوه ، فتبعهم العرب قتلا واستئصالا وصاروا بين قتيل وغريق ... وقر المثنى عينا بالنجاح .

هال يزجرد ملك الفرس ما حل بقومه بعد معركة البويب فاستعد لموقعة تكون فى رأيه معركة الحياة أو الموت ، وجاءت النذر للمثنى بما ينويه صاحب الفرس ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يسأله المدد الحفيل فأرسل سعد بن أبى وقاص على رأس جيش كبير إلى المثنى ، وقد شاء القدر ألا يتقابل البطلان حيث مات المثنى متأثرا بجرح أليم أصابه يوم الجسر فظل يهادنه مستعينا بالصبر حتى انتفض عليه فجأة فأسلم الروح شهيدا أبيا ذا حماسة وعزة وإيمان ، وحين تيقن الموت دعا كاتبه ليملى عليه كتابا إلى القائد الجديد ضمنه خلاصة تجاربه ، وزبدة نصائحه ، فضرب بذلك أرفع الأمثلة فى الإخلاص لعقيدته والحرص على انتصار ذويه ، وإن كان النصر على يد غيره من اللاحقين .

مات المثنى فبكته البطولة والكرامة ، وجاء سعد بن أبى وقاص ليلتقى بجيوش فارس فى القادسية ، وقد تكاثرت الفيلة تكاثراً عنيفاً بسطوتها القاهرة على العرب ففر كثير من المسلمين مذعورين ، ورأت سلمى زوجة المثنى - وسعد من بعده - ما كان ، فصاحت فى غضب وامتعاض : ولا مثنى للخيل بعد المثنى ! فخجل الفارون خزيا ورجعوا إلى الحومة مستبسلين ! حتى كسبوا النصر ، وقال قائلهم فى إكبار : رحم الله المثنى فقد نفعنا حياً بجهاده وميتاً بذكراه .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

من أقوال مصطفى صادق الرافعى فى الغنى والفقر :

* ينبغى أن تقدر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته ، بل بعدد الأشياء التى يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها .
* الغنى أن تملك من الدنيا ، ولكن أحسن الغنى أن تهنأ فى الدنيا .
* الفقر خلو من المال ، ولكن أقبح الفقر خلو من العافية .

محاولة لبعث القديم

للدكتور أحمد كمال زكي

تمهيد :

محاولات الرصد العلمي لأدبنا لم تنته إلا إلى نتائج محدودة ، ولعل حظ الإخفاق فيها أكبر من حظ التوفيق ، ولم نجد محاولات المستشرقين إلا فيما قدمه بروكلمان(١) من ناحية وجرونباوم(٢) من ناحية أخرى ، وتراوحت أعمال غيرهما بين العرض التاريخي أحيانا والنقد التأثري أحيانا بغير جدوى كبيرة فى الغالب . بل لعل صنيعا كالذى قدمه الدكتور طه حسين مثلا فى « تجديد ذكرى أبى العلاء » . كان أجدى على أدبنا مما قام به نلينو وهو هو من نعرف فى ميدان الاستشراق !

ولقد أسهم أساتذتنا من جانبهم فى الجهود الذى حمل لواءه المستشرقون ، غير أن كثيراً من عملهم لم يخرج عما قدمه جوزيف بورجستال سنة ١٨٥٠ ، وكان من نتيجة هذا أن توجهوا إلى دراسة الآثار الأدبية - ولاسيما الشعر - دراسة فيلولوجية ساعدهم فيها علماء الغرب ببسط أساليب التحقيق الفنى أمامهم - واستطعنا عن هذه السبيل أن نصل إلى الحقيقة الطريفة التالية : وهى أن أدب التقليديين فى حرصه على تحقيق مثالية الجاهليين الشكلية أهدر عبقرية الشعراء وألغى ذاتيتهم .

وكان من الممكن أن يستمر الأمر على هذا النحو ، إلا أن الجهود ما لبثت أن تضافرت على وضع الأساس لبناء جديد استعين فيه بواحد كطه حسين وآخر كمحمد أحمد خلف الله وثالث كبروكلمان ، وقدم من ثم الدكتور محمد نجيب البهبيتى كتابه « تاريخ الشعر العربى إلى نهاية القرن الثالث » ، كما قدم الدكتور شوقى ضيف أول أجزاء تاريخ الأدب العربى كله وكما يقدم غيرهما أعمالا فيها الأصالة المنشودة وفيها الدقة والمنهجية التى كادت تقتصر على نيكلسون وبروكلمان .

وقامت فى الوقت نفسه حركة تبعد قليلا عن الحركة السابقة . . حركة تقصد بها تجديد

---

(١) أصدر فى فينا كتابه « تاريخ الأدب العربى » فى سبعة أجزاء عرضت لنحو عشرة آلاف أديب .

(٢) يجب أن نقرر هنا أن فون كريمر كان من من البرزين فى هذا الميدان ولعل جرونباوم يمثل الآن نشاطه الآن من بعض الوجوه .

الدرس الأدبي تجديداً يقوم على فهم القديم داخل بيئاته الخاصة ، وكانت تصاحبها حركة ثالثة تقوم على نقد الفنون الأدبية نقداً يفترض كثيراً من النظريات التي تفسر نشأتها وتحدد خطوات سيرها ، وأتيح لهاتين الحركتين أن تبقيا إلى الآن متزعما الأولى الشيخ أمين الخولى وحاملا لواء الثانية جولدتسيهر ، وربما لو اتحدت مجاهداتهما . . فأخذ كل بالإقليمية العلمية وبفلسفة الإيحاء الفنى وروحه مع العناية بأسباب الاقتصاد وغيره ، لكانت النتيجة خيراً لا شك فيه .

على أن الآثار كلها لم تلبث أن كشفت عن عمق ما ذهب إليه الدارس العربى ؛ لأنه فى حقيقة الأمر لم يكن يهمل شيئاً مما يحيط بأى نص أدبى كما لم يحاول أن يغفل أية دراسة يمكن الانتفاع بها . . بغض النظر عن اقتران فكرته بما تهاجم به من احتجاج يقدمه غلاة القومية ، وهم هؤلاء الذين يحاولون إلغاء الإقليمية على أسس من التحمس العجيب !

ويمكن القول بصفة عامة إن قسم اللغة العربية بآداب القاهرة استجاب للدعوة - على أى وجه - وجند أبناءه للدرس الإقليمى المتخصص ، فقام بعضهم بدراسة الكوفة ورصد آخر لمعالم البيئة الأدبية فى البصرة ، وقام ثالث بمثل هذا وذاك فى الحلة ، وعرض رابع لحلب وهكذا ...

فى سبيل التجربة :

وقد يعن لنا تطبيق نظرية الإقليمية أن نسأل بادئ ذى بدء ماذا حول النص ثم إلى حد ترتبط نتائج البحث بالكيان الكلى للأدب ؟ والشق الأول من السؤال يقضى بدراسة آثار العروبة الأم مع دراسة آثار الإقليم الأولى ، والشق الثانى يفضى إلى المقارنة بين الأصل وما تفرع عنه لوضع أيدينا على الملامح المشتركة فنتعرف - بعد - على وجوه الخلاف ، وإذ ذاك يتبلور الجديد .

وليس هذا عسيرا ما خلصت النية وصح العزم ، فإن من أقوى الدعائم أن تناقش الآثار فى أدق أبعادها وفى أعمق جذورها وليس يصح أن يقال مثلا . إن نظرية أرسطو فى الشعر والخيال هونت من حظ الخيال عند العرب وأضعفت من طاقاته الخلاقة [1] لمجرد أن نثبت عراقة التقليد أو ضحالة التوليد خلال العصور التى أعقبت الجاهلية .

إن وراء ذلك من الأسباب ما تمليها طبيعة الإقليم من ناحية وطبيعة اللغة التى تحتل هذا الإقليم كأداة تعبير رئيسية من ناحية ثانية . ومن هنا تكون نظرتنا إلى الكوفة مثلا غير

---

(١) راجع جوستاف فون جرونباوم فى « دراسات فى الأدب العربى » صفحة ٩ .

نظرتنا إلى بغداد وغير نظرتنا إلى الموصل أو الحلة أو واسط، وتكون النظرة إلى هذه البيئات جميعا غير النظرة التي تسدد إلى بيئات مصر أو الشام أو اليمن .

نحن نهتم بالنتائج فى المحل الأول ، فإذا قلنا متعجلين إن أدب العراق يختلف عن أدب مصر فى عصوره الأولى على نحو ما فنحن لا نقدر مدى الخلف حقا حتى ندرس بيئات هذا الأدب ولن نصل إلى ما نريد حتى نستعين بالميثولوجيا والاثنوجرافيا والانثروبولوجيا وغيرها من ألوان العلم المنظم .

ويهدينا هذا العلم إلى أن كثيراً من المدن التى قرر الدارسون أنها بنيت فى الإسلام كانت تلعب دورها فى التاريخ قبل أن تعرف هذا الدين الجديد ، وأن نشاطها الأدبى - بناء على ذلك - يجب أن يتعرض لهذه المرحلة « اللا إسلامية » . . فالكوفة مثلا لم يؤسسها العرب فى العام السادس عشر أو السابع عشر الهجرى [١] . وإنما كانت موجودة باسم العاقولا أو الياكيولو [٢] ، ودلت الأبحاث على أن فى مكانها قرب الخورنق والسدير كانت ثمة منطقة يحكمها عربى من الجنوب وعرفت باسم كويفة ابن عمرو الأزدى [١] .

فإذا انتقلنا إلى البصرة نراها - فى عرف التقليديين - إسلامية يبنيها عتبة بن غزوان فى السنة الرابعة عشرة من الهجرة ، ولكن إسلاميتها لا تثبت أمام ما وقع فيه رواة الاخبار حين أرادوا أن يتفهموا مدلول التسمية ، ولما استعان هؤلاء بالغويين وقعوا فى سلسلة من المتناقضات لأن البصرة عندهم فيها حجارة سود أو لأن فيها حجراً أبيض أو لأنها « كذان » أو ذات أرض غليظة أو صلبة أو طين علك [٢] .

فى مثل هذه الظروف يجب على الباحث أن يتشكك ، ويلجأ فى هذه الحال إلى دراسة تاريخ موقعها ، وهنا نجد بصريا ثا فى الآرامية ونرى بعض الباحثين يقول إن « بصر » بالكلدانية الجزء الضعيف و « بصريا » و « باصرا » و « باصرى » محل الأكواخ. وفى العهد الفارسى نراها « بس راه » أى الطرق الكثيرة يروى ياقوت لحزة الأصهانى أنه سمع أحد الفرس يقول : البصرة تعريب

---

(١) راجع فتوح البلدان للبلاذرى صفحة ٣٨٤ ومعجم البلدان لياقوت ٧ : ٢٩٥ .

(٢) يزعم ماسينيون أن هذه تسمية سريانية للكوفة .

(١) لسان العرب مادة « كوفة » .

(٢) لسان العرب مادة « بصر » .

بسيراء لأنها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها إلى أماكن مختلفة (١).

وإذن فتاريخ أدب البصرة العربي ـ كتاريخ أدب الكوفة لا يمكن أن يكون كتاريخ الأدب في بغداد التي أنشئت عام ١٤٥، ولا يبدأ بدخول العرب المسلمين إقليم العراق، وإنما يمهد له كل ما مر على البصرة والكوفة من أحداث في عهودها الآرامية والفارسية ثم العربية.. لأن الأدب فن، والفن ابن التاريخ البعيد!.

ويتبع هذه دراســة «سكانية» تبين حقيقتين هامتين أولاهما غلبة الآراميين واليمنيين (٢) على الكوفة وتسود الفرس وتميم مدينة البصرة، إلا أن هذا لم يمنع وجود عناصر أخرى ـ ولا سيما في البصرة أشهرها الهنود والزنوج والسريان الذين يختلفون في أصلهم اختلافاً كبيراً.

وليس من شك في أن هذا يعقد الأمور إلى حد بعيد، فإذا قلنا بعد ذلك إن سكان البصرة كانوا يميلون إلى الثورة ويجنحون إلى الشك ويحسنون الجدل وينزعون نزعة استقلالية ويأخذون بواقعية مغرقة في المادة إذا قلنا ذلك قلناه ونحن ندرك أن طبيعة أرض البصرة كانت مضطربة لا تثبت على حال تأكلها البطائح مرة وتأكل هي من البطائح مرة، وتشقها الأنهار حيناً وتنطم هذه الأنهار حيناً آخر! كما ندرك أنها ثغر تقوم حياته على الأخذ والعطاء والمناقشة والمساومة ومن هنا يحتك الفارسي باليوناني ويحتك هذان بالنبطي، ويسمع من الجميع زنجي من الزنوج ولا يلبث أن يحمله إلى هندي فيتمعن ويتأنى ولكنه لا ينزل عن شيء من حقه لأنه هو الذي يكد وهو الذي يتغرب، وينظر النظرة نفسها سواه فتشيع الفردية وتعظم الأنانية ويكره الجميع أن يحد أحد من سلطانهم وهكذا.

وإذن فلم يكن العرب من تميم هم الذين لونوا حياة البصرة بلون ثائر ... بل العكس يقال هنا، فقد مثلت تميم في بيئة البصرة كل قوى المحافظة، وأبت أن تنزل عن كثير من عادات العرب الأقحاح ولا سيما طوال القرن الأول الهجري وبعض الثاني ونصبت نفسها حامية للغــة والفصاحة، داعية إلى عروبة ارستقراطية أثارت عليها حفيظة العناصر السكانية الأخرى، ومن ثم بدأ تيار الشعوبية في الظهور.

وربما يحسن أن ننصرف عن التفصيلات في مناقشة هذا الجانب، وإنما نقول إن كل شيء في البصرة أصبح يمهد لظهور المتكلمين

(١) لكاتب المقال «الحياة الأدبية في البصرة» وفيه عن ذلك كثير

(٢) أشهر قبائلهم همدان وحمير ومذحج وكندة والأزد.

ولا سيما المعتزلة آخذين أصول العقائد على أساس عقلي، ومناقشين النقول القديمة على ضوء الحقيقة، فشكوا فيما لا يقبله المنطق، وقعدوا اللغة بعد بحث دقيق في مرويات الجاهلية.

وبدا الأمر كما لو أن المعتزلة كانوا مسئولين عن تحطيم كثير من التراث وإنكاره، فوجد الشعوبيون فرصة ذهبية للمشاركة في عملية التحطيم لإحلال حضارة الفرس التي اندثرت بانتصار العرب المسلمين غير أن هذه الموجة لم ترتفع إلا منذ القرن الثاني الهجري، وأما القرن الأول فقد مضى والسلطان العربي في أوجه وكانت تميم كما قلنا توجه الحياة وجهة محافظة وتربي جيلا من الفصحاء نشأ في كنفه ابن المقفع وظهر فيه جرير والراعي والفرزدق الذين تحول شعرهم إلى ضرب من الجدل شغف به كل البصريين.

وقد لوحظ أن أغلب الشعوبية وسيظهر فيهم عمالقة الشعر والنثر كانوا يشبون في كنف ربيعة والأزد، فثل هؤلاء موجة التحرر والخروج على سلطان تميم الرجعي، ولم تفقد تميم هذا السلطان إلا بعد انتصار العباسيين واستعانتهم بعلوية ربيعة وشيعة الأزد.

مزية التجربة الفنية:

وأخشى أن ألجأ إلى ضرب من الافتراض في سبيل معرفة تلك الحقيقة، وهو افتراض يسنده التاريخ وتظاهره النصوص نفسها.. إنه لا يعتبر من قبيل المعرفة وإن يكن يقضي بألا نخلع عنه صفة الصدق المطلق، وعلى هذا الأساس لا نقبل كل ما يصل إلينا داخل الإقليم الواحد، وبالتالي لا ندرجه تحت أي لون من ألوان التقسيم الزمني الذي يقرره مؤرخو الأدب.

إننا قد نجد بعض الملحوظات الهامة عند هؤلاء المؤرخين، تماما كما نجد مثل هذه الملحوظات تتساقط من أفواه الرواة الكلاسيكيين، فإذا لم تكن هذه مما يهدر الذاتية ويفتئت على المنهج العلمي أمكن جعلها علامات على الطريق.

قد نقبل من طه حسين مثلا منهجه الديكارتي، وقد نطبق دعوة جب إلى الاهتمام بدراسة مراكز التطور الثقافي في المجتمع الإسلامي، وقد ننحو نحو شوقي ضيف فيما ذهب إليه في كتابه «التطور والتجديد»... قد نفعل ذلك، ولكننا لا نفعله بصفة عامة، وإذا فعلناه اصطنعنا أسلوب النقد التاريخي لأننا سنفترض أنهم استعانوا بتراث ضاع معظمه وحرف من ناحية ووثقوا قوما كان من الواجب ألا يكونوا عدولا على خط مستقيم.

فأبو الفرج مثلا يشوه مروياته عن أبي

العتاهية فى كتابه « الأغانى » إذ يسوق أغلب أسانيد هذه المرويات عن خصوم للشاعر ، وإذا كان منهجه يرفض ما تتطلبه منه أساسا فإن مروياته - برغم ذلك - تظل عارية مما يشترطه الباحثون فى أسلوب « السيرة » ، لأنها لا تعنى برصد الزمن أو تطوره ، ولأنها تشبه أشعار بشار بن برد - من وجهة نظر الناقد القديم - من حيث إن فيها الشذرة بجانب البعرة !

ومعنى هذا بعبارة موجزة أننا نتقبل ما يقيم أحكامنا ويؤيدها . . معناه أننا نعنى بالصالح مما قاله غيرنا ، ومن ثم نصل إلى أن المحاولات بما تستند إليه من تمحيص ونظر تقدم الحقائق بغض النظر عن كل المتناقضات العرضية ! ويبدو من العسير علينا حقا أن نتعرض لأدب البيئة داخل الإقليم المعين . . فكيف نبدأ - فى البصرة مثلا - ومن أين وإلام نظل متعلقين بماضى العرب مع وضع ماضى البلد كله فى كفة ميزان ؟

لنعد إلى الافتراض ، ومن ثم نتصور - فى أول عهد المدنية المسلمة - حياة القلق وعدم الاستقرار ، ثم نقرر أنه لم يكن هناك أدب إلا بعض ما كان يتردد على لسان العجم ولم يكن للعرب به دراية ! وإذا كانت البصرة قد سمعت مع ذلك شيئا من الأدب العربى فإنها لم تسمع إلا أدب الجاهلية .

على أن احتكاك هذا الأدب بما فى المصر الجديد القديم ، وجلوس الأعاجم إلى سماعه باعتبار أن لغته هى لغة القرآن الكريم ، ثم محاولة بسط السلطان القبلى على أنه مظهر لتماسك العرب .. أقول كان هذا يغذى تيار الأدب بدم آخر ، وكان جيل الأدباء - خضوعا لسنة التطور ونتيجة للتفاعل الحتمى - يتخلى عن كثير من أصالة الفنان الجاهلى .

معنى هذا أن الفنان البصرى بدأ يظهر .. تماما كما بدأ الفنان الكوفى يظهر ، وأخذ كل منهما يعيش حياته التى كانت تأخذ من العروبة شيئا وتتقبل من الشعوبية شيئا آخر !

وكانت النتيجة أن الأدب فى البصرة عاش فى أنماط لغوية لم تختلف عن أنماط الجاهلية طوال العهد الذى تـودته تميم ، فلما تخلت تميم عن هذه السيادة - لأسباب سياسية فى الغالب - أفسح المجال لأدباء خلفوا آل الأهتم وفحول النقائض جميعا وكانوا من الموالى ، ولم يكن ثمة فاصل حقيقى بين عهدى تميم وما أعقبه غير أننا نجعل أيام هشام فقط انتقال :

وكان عصر تميم عصر الحفاظ اللغوى ، وكان عصر ما بعد هشام عصر التحرر اللغوى..

كانت اللغة كظاهرة اجتماعية تتعرض لكل هزة يضطرب لها المجتمع الإسلامى ، وقـــد استطاع العرب أن يحفظوها حتى ولد الموالى من الأدباء . . فحوروها ، ومالوا بها عن

الجادة ميلهم إلى الحياة المدنية التى كان قوامها اللذة وانتهاك حرم التقليد !.

ويمكن أن نلحظ بسهولة رجلين قاما بتشكيل أدب التحرر اللغوى، هما ابن المقفع فى النثر وبشار بن برد فى الشعر، وكلاهما كان مولى مضيع النسب[1] يكره العرب ويدعو إلى أن يتملك الأحرار من الفرس ولا يحترم الدين ويجيد فنون الكلام من خطابة ورجز وغريب ويتظاهر بالعلوية ويأخذ بأسباب اللهو ويصادق كل منهما الآخر وموتا مقتولين.

لقد استطاع ابن المقفع وقد انصرف إلى الكتابة أن يجعل النثر فناً لا يقل أثراً عن القصيد، وعبر بأسلوب فنى فى «كليلة ودمنة» وبأسلوب تقريرى فى «رسالة الصحابة» عن مأساة الموالى وطموح الشعوبية.

واستطاع بشار أن يعطى للشعر مفهوما ضمنه الفكرة التى ألح عليها ابن المقفع، وألقى بالقصيدة العربية إلى العامة فاستغل تلاميذه هذا أحسن استغلال.

ولكن تقسيمنا التطور الأدبى على ابن المقفع وبشار لا يعنى أنا نقسم الأدب إلى شعر ونثر فى المحاولة التى نقصدها، فقد آثرنا أن نجعل الأدب بنوعيه كلا متماسكا عبر به الأديب عن تجاربه التى اضطرب بها.

فإذا هو فى آخر الأمر تعبير عن ماض كان وعن حاضر كائن وعن مستقبل يمكن أن يكون.

وبهذا التقسيم نتجنب الوقوع فيما وقع فيه الدارسون القدماء من تناقض. جوهرى أنهم لا يستطيعون أن يضعوا علامات مميزة على قوالب التعبير لأنها نتيجة تجارب نفسية معقدة، فقد كان الشاعر حين يمدح مثلا لا يتخلص من استعداده السيكلوجى ومن النظم الفنية المتوارثة، فيفخر ويتغزل ويصف ويحقق ما يسميه الكلاسيكيون بفنون الشعر ؟

لقد كان من شأن القيود التى فرضها الأولون على دراسة الأدب أنها حالت بين طبيعته وبين أن يصبح جانبا من جوانب المعرفة شبه اليقينية، ومن أجل ذلك نضطر - غير آسفين - إلى إلغاء كثير مما وضعه الأجداد ما دمنا نستبدل به شيئا أكثر جدوى وأعظم غناء.

وتلك حقيقة التجربة !

هى أن نعيد النظر فى تنسيق ما صح من النصوص داخل الإطار البيئى، ودراسة المحصلة على أساس أنه تعبير يشغل حيزا زمنيا معينا ؟

دكتور أحمد كمال زكى

مدرس الأدب العربى بجامعة عين شمس

(١) كان أبو بشار طيانا صمد الرواة بنسبه إلى لهراسف الملك الفارسى، وكان أبو ابن المقفع يصنع القفاع، ولكن الكاتب جعله أميرا من أمراء الخراج أيام الحجاج.

التنافس السلمي حول الثقافة في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

— ١ —

تمهيد :

أثيرت في الآونة الأخيرة مشكلة الحرب الباردة التي تدور رحاها بين المعسكرين المتنازعين في ميدان جديد لم يسبق أن تناولته تصريحات الساسة أو تداولته أقلام الكتاب والمعلقين على الأنباء العالمية في أجهزة الإعلام المختلفة ، ونعني به « الميدان الثقافي » .

فقد ظل الصراع المرير بين الكتلتين الكبيرتين منذ نشب في أعقاب الحرب العالمية الثانية قاصراً على الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية بوصفها المحور الرئيسي الذي يدور حوله النزاع حتى يوشك أن يهوى بالعالم من جراء هذا الانقسام في أتون حرب جديدة مدمرة تقضي على حضارة الإنسان ، وتعيده إلى عصر الهمجية الأولى .

وأصبحت قضية نزع السلاح أخطر القضايا التي يواجهها عالم اليوم منذ انتهى الرأي العام العالمي إلى أن عقد « معاهدة لنزع السلاح » هو الحل الحاسم لمشكلة الحرب الباردة ، والعلاج الناجع للأدواء التي نجمت عنها ، وأغرقت الشعوب في دوامة من القلق والتوتر والخوف على مصير الجنس البشري ، ومن ثم ارتفعت الأصوات من صفوف الدول المحايدة داعية إلى تضافر الجهود الصادقة البناءة في داخل الأمم المتحدة وخارجها للحث على إبرام معاهدة بين الدول الذرية لحظر التجارب النووية ونزع السلاح نزعاً شاملا .

غير أن الدعاة إلى سيادة العدل الدولي ، واستتباب السلام العالمي قد شغلتهم متابعة المعركة السياسية والاقتصادية الدائرة بين المعسكرين والبحث عن سبيل لإيقافها ، فلم يتبينوا من خلال الغيوم الكثيفة التي رانت على العلاقات الدولية ذلك الجانب الهام الذي تمخض عنه النزاع وهو الصراع الثقافي .

الحرب الباردة في الميدان الثقافي :

ولئن كانت الحرب الباردة في الميدان الثقافي هي إحدى المشكلات الفرعية التي نجمت عن الصراع السياسي بين الماردين الجبارين ، فإنها لا تقل خطراً عن غيرها من الأزمات الدولية وهي بالتالي تستوجب دراستها ، ومناقشة ما تسفر عنه تلك الدراسة النظرية من آراء ومقترحات ، ووضع الأنسب منها في موضع التنفيذ . ويمكن من هذا السبيل المشاركة الإيجابية في قضية السلام والتمهيد لتصفية الجوانب الأخرى من الخلاف .

ذلك أنه مع التسليم بصحة الرأى القائل إن القضاء على الحرب الباردة قضاء جذريا بمنع التجارب الذرية ونزع السلاح كفيل بإزالة كل ما ترتب عليها من آثار، وإن الصراع الثقافى فى حقيقته لا يعدو أن يكون انعكاسا لهذه الحرب وواحدا من تلك الآثار. مع التسليم بصحة هذا الرأى، فإن من الخطأ البين أن ندع هذه الأدواء الفرعية تستفحل بدعوى انتظار الوقت المناسب الذى تحل فيه المشكلة الكبرى. ولاسيما إذا أدركنا أن هذا الحل يقتضى مرحلة طويلة من الزمن للإعداد له وإخراجه إلى حيز الواقع، وقد تتدهور الأوضاع الدولية فى هذه الأثناء وتنحدر من سيء إلى أسوء.

وضع حد للصراع الثقافى:

إن المبادرة إلى وضع حد للصراع الثقافى فى حينه تنطوى على عمل إنسانى كبير فى سبيل إذابة الجليد بين المعسكرين، وانتزاع الأعشاب الضارة من الطريق، وتطهير النفوس من رواسب الأحقاد وافتقاد الثقة، تلك الرواسب التى تقف عقبة كأداء فى وجه الجهود المبذولة للتخفيف من حدة الخلاف وإعادة الأمور إلى نصابها وفقا لصالح البشرية وتأمينا لمستقبلها.

فالواقع أن منع الصراع فى الميدان الثقافى لا يقل أهمية عن حظر استخدام العلم الحديث فى إشعال نيران الحروب. فالثقافة تؤثر فى الكيان السياسى والاقتصادى للدول مثلما تتأثر به، بل إن الانقسام الذى يفصل الدول الكبرى إلى فريقين يختلفان فى الأنظمة السياسية والعسكرية والاقتصادية إنما نشأ فى الأصل نتيجة للاختلاف الأيديولوجى ونعنى به الاختلاف فى العقائد والأفكار.

والثقافة هى البوتقة التى تنصهر فيها التيارات الفكرية التى تسود مجتمعا معينا فتميزه عن سائر المجتمعات، وتقيم بينه وبينها حواجز من اختلاف النظر والحكم على الأمور.

ومن هنا تبرز أهمية معالجة الانقسام الدولى فى الميدان الثقافى وما يستتبعه من إذكاء لهيب الصراع فى الحرب الباردة فكما أن الخلاف فى هذا الميدان كان من عوامل الاختلاف فى مختلف النظم، فإن الحد منه أو تصفيته من أسباب إزالة الجفوة بين المعسكرين والتخفيف بالتالى من حدة الصراع والتمهيد لجو من الثقة المتبادلة فى سبيل استتباب الأمن الدولى ودعم السلام وتحقيق الرخاء للبشرية.

دور الفكر والثقافة فى التطور الإنسانى

فمن نافلة القول أن نقرر ما للفكر من شأن بالغ فى تطور البشرية حتى ليعد بمثابة البنيان الأعلى للمجتمع والإطار المعنوى الذى يضم مختلف الماديات ويشكل أخلاقيات الجماعة وقواعد العرف والسلوك.

وقد كان للنظريات الفلسفية من قديم . وهى تلك التى نبعت من ممارسة الحياة عن طريق الملاحظة والاستقراء والتجربة والاحتكاك بالواقع - والرسالات السماوية التى أنزلت على الأنبياء ، الدور الأكبر فى القضاء على العقبات الطبيعية التى تقف فى وجه الإنسان وتحول دون تطلعه إلى آفاق جديدة فسيحة . وكان للمبادئ والأفكار الإنسانية أعظم الأثر فى بناء المدنية واستمرار التقدم على مدى العصور والأحقاب .

والثقافة — فى المجال القومى — هى الركيزة الأولى فى تكوين المجتمع الواحد الذى يتألف من أفراد متجانسين يستظلون بالأبنية العليا التى يشكلها الفكر المشترك وتتحدد تبعا له علاقاتهم بغيرهم من الجماعات البشرية وطرائق تفكيرهم وتصرفاتهم .

غير أن « الثقافة » : كما دلت على ذلك الأحداث التاريخية المتعاقبة — سلاح ذو حدين .

فهى إثراء للبشرية وسبيل لتقدمها إذا استخدمت فى سبيل الخير .

وهى جناية على الإنسان قد تصل به إلى حافة الهاوية إذا أسىء استخدامها فنأى بها أهلها من مقاصدها الحميدة .

فالعلم - وهو أهم روافد الثقافة - مرتبط فى ميزان الفكر السليم ، بالقيم الخلقية عند الفرد والقيم الإنسانية عند الجماعة . فلا خير فى علم لا ينتفع به فى صلاح النفس .

وويل للعلماء إذا استخدموا علمهم وهو قبس من نور الخالق فى غير صالح البشرية ، إن وزرهم حينئذ يبلغ أضعاف ما يقترفه غير العلماء من آثام .

وكلما كان المفكرون والعلماء فى مجتمع ما ، ذوى نزعات إنسانية تغلب جانب الخير على الشر وتؤمن بمستقبل الإنسان فى ظل الحضارة والسلام ، كان هذا المجتمع أقرب إلى المثالية واستطاع أن يقوم بدوره فى تحقيق حياة أفضل للانسانية جمعاء شعارها المعتقدات السمحة والقيم الخلقية الفاضلة .

الثقافة سبيل الإخاء بين الشعوب :

ومن الخير الذى تهدى إليه هذه النزعات الإنسانية أن تباح الثمار العلمية التى جنتها إحدى الجماعات لغيرها من أعضاء الأسرة البشرية وألا تقام الأسوار والحدود لمنع تبادل الفكر والمعرفة بين شعوب الأرض جميـــعا ، وألا تستخدم الثقافة فى تأريث العداوات والإحن بين النـاس .

فالثقافة رسول المودة ومشعل النور للإنسان وينبغى أن تدع الدول أهل العلم والثقافة أحراراً فلا توجههم لخدمة مطامعها أو تشوه إنتاجهم الفكرى للدعاية لمذهبها أو تفرض عليه الحصار فلا يبلغ غيرها من الدول .

الثقافة في المجتمع الإسلامي :

لقد ازدهرت الثقافة فى المجتمع الإسلامى فى ظل الدولة الإسلامية الأولى ، وقدمت للعالم حضارة زاهرة تتميز بالخصب والتكامل ، فأخرجت الناس من ظلمات الجهالة والعبودية إلى آفاق الكرامة والحرية والمساواة وكفالة الرزق للجميع فى ظل نظم اقتصادية واجتماعية وإدارية تتميز بالكفاية والعدالة وتعمل للصالح العام وفقا لأحكام الشريعة .

وكانت هذه الحضارة على موعد مع التاريخ ، فإن جانبها الإنسانى هو أعظم الجوانب وأكثرها إشراقا . ولم يكن العالم فى جميع مراحل تطوره أشد حاجة إلى الروح الإنسانية - التى تحقق الخير للجماعة ولا تقدس الفرد تقديسا مطلقا - منه فى تلك المرحلة .

فلا غرو أن تقترن الدعوة الإسلامية منذ بدايتها بالنهضة الثقافية القائمة على أسس إنسانية كريمة عادلة ، وأن يكون شعارها العلم للجميع ، فهى تقوم على جناحى المادة والروح معا . وقد جاء الإسلام لتحطيم الطغيان وإقامة العدل وإتاحة فرص الحياة للمحرومين وإرساء مبادئ الحق والمساواة . وبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - للناس كافة فدعا إلى وحدانية الله والإخاء بين البشر ، واهتدى أئمة المسلمين بمبادئ الشريعة السمحة فأدركوا أن السبيل إلى تعارف الناس وتعاونهم هو نشر الثقافة الصحيحة والمعرفة الشاملة بينهم ، فإن ذلك خليق بتقويض الضلالات القديمة وخلق واقع جديد للمجتمع الإنسانى يسير فى هداه حتى يبلغ غايته السامية فى توحيد أفراده وضمان الرفاهية لهم .

الإسلام ثورة دينية علمية :

وإن حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث تشهد جميعا أن الدين الجديد الذى جاء به « محمد » كان ثورة اجتماعية شاملة بأجل معانيها ، ومن ثم وعت رسالة الإسلام الدور الضخم الذى يؤديه « العلم » فى بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التى تشكل خلية المجتمع ، وأدركت ما تفتحه المعرفة والثقافة من آفاق رحيبة نحو مستقبل حر كريم للإنسان ، وما تفجره من طاقات خلاقة فى الأفراد والجماعات .

ففتحت المغالق وأزالت السدود التى كانت تقف حائلا فى سبيل العلم ، ومهدت له الطريق ليتسلل إلى كل عقل كى يتهيأ لاستقبال الرسالة الإسلامية الكبرى والإيمان بها ، وهى رسالة إنسانية طابعها العلم والحضارة والتقدم . ويتوارد على الخاطر فى هذا الصدد ما عرضه الرسول صلى الله عليه وسلم على أسرى المشركين فى غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدى

منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين ، فنى الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس .

فالجهل عدو النفس البشرية وملقيها فى ركام العدم ، ولكى تبنى دولة عليك أن تحرر النفوس من عبودية الجهالة ، وتضىء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة .

والإسلام منذ نشأته أكبر من أن يخوض غمار صراع ثقافى ، فالثقافة فى شريعته حق للناس جميعا ، والعلم فريضة وهو أكرم عند الله من أن يرتزق به أو يحرم منه بشر أو يصبح ميدانا للاتجار والمساومة ، وإن آية الرسول الأولى هى «القرآن» الذى حوى من العلم كل شىء ، وقد جعل الإسلام من اللسان العربى الذى نزل به القرآن لغة المعرفة والحضارة .

والمساواة الإسلامية لا تقتصر على الحقوق السياسية والاقتصادية ، بل تمتد حتى تشمل جميع المناحى الاجتماعية وفى مقدمتها العلم والثقافة . فالعلم حق للإنسان لا يقل شأنا عن حقه فى الحياة الحرة والعيش الآمن الكريم ، فإنه لا حرية ولا كرامة فى ظل الجهالة ، والسبيل الحق لنهضة الجماعة هو نشر الوعى والمعرفة بين أبنائها جميعا .

والإسلام حين يجعل طلب العلم فى رتبة الفرائض ، ويعلى من منزلة العلماء ، ويجعل من المساجد مدارس لتلقى أصول المعرفة ، ويحث أهله على التماس الثقافات مهما بعدت مناهلها ، إنما يؤكد بذلك دور الثقافة فى تعميق وعى الفرد والجماعة بشئون العقيدة والحياة وخلق مجتمع تتحقق لأبنائه العزة والرفاهية .

الإسلام والتبادل الثقافى :

ويرى الإسلام كذلك إلى صلاح أمر الأسرة البشرية عن طريق نشر الثقافة المشتركة وتبادل الفكر بين الناس جميعا ، وهو أقرب طريق إلى تعارف الأفراد والجماعات وتجانسهم وتحطيم ما يحول بينهم من أسوار العزلة والفرقة التى تشتتهم شيعا وأحزابا وتجعل بعضهم لبعض عدوا . وهذه هى الغاية الكبرى للعقيدة الإسلامية . فهى عقيدة تحررية كبرى جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من إسار الشرك بالله والإضرار بالخلق ولتبدل ظلمات الناس وجهالاتهم نورا ، فيصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين يعملون يدا واحدة فى سبيل التقدم البشرى .

وما كان الإسلام ليحقق مقاصده الرشيدة التى انطوت عليها رسالته العالمية إلا بتحرير العلم والثقافة من شرور الفتنة والاستغلال والتنابذ التى تجعل منهما سلاحا مدمرا يشهره أعداء البشرية فى سبيل تحقيق أطماعهم ومصالحهم الذاتية .

لقد فتح الإسلام كل النوافذ والأبواب ليغشى العلم كل مكان ويعمر كل قلب

وخصه بأكرم الأماكن وهى بيوت الله، وجعل موضعه من المجتمع بمنزلة الروح من الجسد. ولم يحرم الإسلام حتى عداته من حق التزود بالمعرفة لعلهم إذا استنارت بصائرهم وشفت ضمائرهم أن يفيئوا إلى الحق ويجانبوا الشر والعدوان .

وقد أدرك المسلمون الأوائل أن الانقسام الفكرى هو شر المحن التى تبتلى بها البشرية فهو فرع من شجرة الحقد والبغضاء والنزوات الشريرة ، وأن القضاء على هذا الانقسام كفيل بتقريب شقة الخلاف بين الناس ومد جسر التفاهم والتجاوب والموادعة .

ومن ثم كان التبادل الثقافى من أهم الأسلحة التى حاربت بها الدولة الإسلامية فى عصورها الزاهرة عوامل الشر والعدوان حتى تهيأ لها تحقيق غاياتها من خلق مجتمع متكافل حر وتعزيز الأمن والسلام فى العالم ، وقد استخدمت هذا السلاح فى موضعه ـ فلم تجنح به إلى غير ما قصد به . فلا تمييز بين الناس فى حق التعلم والتزود من المعرفة ، ولا عصبية ، ولا طغيان ، بل مساواة وعدل يظلان الخصوم والأصدقاء .

وفى سبيل تحقيق رسالة الإسلام فى تطهير النفس البشرية وإشاعة المساواة فى كافة أرجاء العالم ونشر مبادئ الإخاء بين أبناء الأرض على اختلاف أجناسهم وألوانهم وتباين ألسنتهم ونزعاتهم ، سجل الإسلام فى صفحته الخالدة أعظم المواقف التى التزمها المسلمون الأوائل فى سبيل قضية العلم ، إيمانا منهم بقدسيته وفهما لرسالته .

فالإسلام هو دين العلم والعمل وهو ـ بطبيعته ـ دعوة إلى الحق صدع بها صاحبها للعالم بأسره . فليضرب أبناؤه فى فجاج الأرض ، ولينهلوا من منابع العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق وليكن البحث العلمى رائدهم فى حلهم وترحالهم ذلك أدنى أن يحقق غاية من أنبل الغايات التى تتوخاها العقيدة الإسلامية . فالمسلم فى سعيه إلى المعرفة يرتاد آفاقا جديدة ، ويختلط بأشخاص وجماعات كانت تفصله عنهم عوائق وحواجز شتى . فيتم بذلك لقاء فكرى خالص لوجه الحقيقة صادر عن أكرم حوافز النفس البشرية وهى التآخى والتعاون فى الكشف عن خبايا الطبيعة وحقائق المجهول .

ولا ريب أن هذا اللقاء الفكرى يقرب بين الطبائع المتنافرة ويؤلف بين المذاهب المتناقضة ، ويسفر عن نتائج إيجابية للعمل المشترك فى سبيل الصالح العام للبشرية . فهو يوثق العلاقات بين الناس ، ويقيم الروابط الودية والصلات الجيدة فتتضاءل مسافة الخلف بينهم ، ويفتح السبيل للتوفيق والمصالحة وحسم المنازعات ؟

رائد : حسن فتح الباب

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٦ —

الجانب الإنسانى والأخلاقى

فى التشريعات الإسلامية :

فى المقال السابق تكلمت عن بعض الجوانب الإنسانية فى الإسلام ولما ينته الحديث ، واليوم سأتناول بعض الجوانب الأخرى فأقول وبالله التوفيق :

لقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهود حتى ولو كانت مع الأعداء ، أو منهم ، وحرم الغدر بجميع صوره ، ففى الكتاب الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » (١) وقال سبحانه : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هى أربى من أمة (٢) . إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » (٣) .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مثالا كاملا للوفاء بالعهد فى سيرته وفى علاقاته مع الناس ومعاهداته مع المحاربين والأعداء ، فلم تحص عليه غدرة قط ، وقد سمعت فى المقال السابق نهيه المؤكد لقواد الجيوش والسرايا عن الغدر والخيانة ، وثبت عنه أنه قال : (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان) رواه البخارى ومسلم ، بل بلغ صلوات الله وسلامه عليه غاية السمو الإنسانى والخلق حينما أمر بعض أصحابه بالوفاء بالعهد الذى أخذه عليهم الكفار مع ما يترتب عليه من تقليل سواد المسلمين فى أول غزوة وأهمها فى الإسلام .

روى مسلم فى صحيحه بسنده عن حذيفة قال : ما منعنى أن أشهد بدراً إلا أنى خرجت أنا وأبى « حسيل » ـ والد حذيفة ـ قال :

---

(١) الإسراء : ٣٤ .

(٢) ومصداق هذا القول الحق ما نعلمه من نقض الدول الكبيرة لعهود الدول الصغيرة ونبذهم لها ما دام فى هذا مصلحة وإرضاء لنزوات الدول الكبيرة ، وإثراء على حساب الدول الصغيرة ، وعلة العلل فى هذا النقض ما تتمتع به الدول الكبيرة من كثرة فى العدد والعدة وما تملك من آلات الدمار والخراب أو الحرص على أن تكون هكذا فاعتبروا يا أولى الأبصار .

(٣) النحل : ٩١ ـ ٩٢ .

فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمدا فقلنا : ما نريده وما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : « انصرفا ، نفى لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم » . فهل لهذا مثيل فى غير شريعة الإسلام ؟ ! !

ومن تشريعات الإسلام فى هذا ، التى يعتبر نسيج وحده فيها أنه يلزم المسلمين إذا كان بينهم وبين غيرهم من الدول عهود ، ولاحت لهم أمارات نقضها من جانب الأعداء ألا يسارعوا هم بالنقض ، ويأخذوهم على غرة ، بل لا بد من إعلانهم أولا بنقض العهد حتى يأخذوا أهبتهم ، ويكونوا على علم به . قال سبحانه وتعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » (١) أى أعلمهم قبل الهجوم عليهم بنقض العهد حتى تكونوا أنتم وهم سواء فى هذا العلم ، وهذا الأدب الإسلامى فى الحروب لم تصل إليه دول الحضارة فى القرن العشرين ، ولعلنا على ذكر مما جرى فى الحربين العالميتين فى قرننا هذا من نقض وغدر وهجوم من غير سابق إنذار ، ولا يزال هذا ديدنهم ما داموا لا يحتكمون إلى شريعة الرحمن ، شريعة الإيمان ، والعدل والرحمة ، والوفاء .

ومن المثل العليا فى هذا الباب - باب إعلان الأعداء قبل الهجوم - ما حدث فى جيش كان يتولى إمرته السيد الجليل معاوية - رضى الله عنه - روى الإمام أحمد فى مسنده عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير فى أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد - أى عهد - فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غزاهم - أى أخذهم على غرة - فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء) . فبلغ ذلك معاوية فرجع ، فإذا الشيخ هو (عمرو بن عتبة) رضى الله تعالى عنه .

فأين من هذه التشريعات الإسلامية فى المعاهدات والحروب التى شرعت وطبقت تطبيقا دقيقا من منذ قرابة أربعة عشر قرنا هجريا - القوانين الوضعية التى انتهت إليها حضارة القرن العشرين فى الحروب والمعاهدات والتى لا تعدو أن تكون حبرا على ورق ؟ ! !

إن إنسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بلغت الغاية فى السمو والترفع عن الأحقاد والعداوات حينما مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقام لها ، فقالوا له :

(١) الأنفال : ٥٨ .

يا رسول الله إنها جنازة يهودى فقال النبي : أليست نفسا منفوسة ؟!!

بل إن إنسانية التشريعات الإسلامية لتتجلى أيضا فى رعاية حرمة الإنسان فى حياته وبعد مماته ، بل وفى عدم النيل من الموتى أو سبهم ، أو التمثيل بهم أو إهانتهم .

فنى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تسبوا الأموات فقد أفضوا إلى ما قدموا) يعنى من عمل ، وإذا كان نهى عن سبهم فمن باب أولى عن التمثيل بهم ، وتتجلى إنسانية الشريعة الإسلامية أيضا فى قيام المسئولية الجنائية تجاه الأحياء دون الأموات ، وتجاه الإنسان العاقل دون الحيوان والجماد .

ولعلك تعجب حقا إذا علمت أن عقوبة الحيوان والجماد قد أقرتها الشريعة اليهودية ، وقوانين اليونان ، والرومان والفرس فى العصور القديمة ، كما أقرت عقوبة الحيوان قوانين الأمم الأوربية المسيحية فى العصور الوسطى ، وصدر العصور الحديثة ، وهكذا يتبين لنا سمو الشريعة الإسلامية عن الشريعة اليهودية والقوانين الوضعية السابقة ، وسبقها للقوانين الحديثة بتقرير هذا الأصل بأكثر من عشرة قرون ، وتبلغ التشريعات الإسلامية غاية مداها فى الرحمة حينما لم تقصر تشريعاتها على الإنسان بل تعدته إلى الحيوان والرفق به ، والإحسان إليه فقد جعلت ما يأكله الحيوان أو الطير من زرع إنسان صدقة وساوت بين الإنسان والحيوان فى هذا ، فنى صحيح البخارى عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يزرع زرعا ، أو يغرس غرساً ، فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة) وأمر الشارع بعدم إيلام الحيوان والطير عند الذبح ، فنى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة [1] ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) وجعل تعذيب الحيوان سببا فى دخول النار ، فنى الصحيحين مرفوعا (عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) [2] .

كما جعل الرحمة بالحيوان سببا لدخول الجنة فنى صحيح البخارى مرفوعا (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث . يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد

---

(١) يعنى حدا أو قصاصا .
(٢) هوامها وحشراتها والواحدة خشاشة .

بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له) وفى رواية (فأدخله الجنة) قالوا يا رسول الله : وإن لنا فى البهائم لأجراً فقال (فى كل ذات كبد رطبة أجر) ونهى الإسلام أن يتخذ كل ذى روح غرضا روى البخارى ومسلم عن ابن عمر: أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا أى هدفا يرمى إليه وروينا أيضا عن أنس قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم) يعنى تحبس لتقتل ، ويسمو الإسلام فى معاملة الحيوان فينهى الرسول أصحابه أن يلعنوا حيوانا وأمرهم أن يصان وجهه عن المثلة والتقبيح إذا ما اضطروا إلى كيه للاستشفاء ، وقد صار الرفق بالحيوان مما يدخل فى الحسبة فى الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم ، وكان يعزر من لا يرفق به . روى ابن الجوزى عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يضرب حمالا ويقول : حملت جملك مالا يطيق . فأين من هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة ما تقره بعض التشريعات الوضعية فى بعض الدول فى قرننا العشرين من التحريش بين بعض الحيوانات والطيور حتى تسقط صريعة الجراح والآلام ، ومن اتخاذ بعض الطيور غرضا يرمى ، ولا غرض لهم فى هذا إلا التلهى والتسلية ، وهكذا لم تصل بعض القوانين الوضعية المعاصرة إلى ما وصلت إليه الشريعة الإسلامية من قرابة أربعة عشر قرنا ، وإذا كانت القوانين الوضعية الحديثة قامت على رعاية الجوانب الإنسانية فهذا أمر لم تعرفه إلا بعد القرن الثامن عشر ، وأغلب الظن أن تكون تأثرت ـ فيما تأثرت به ـ بالشريعة الإسلامية فقد كان للاتصال بين الشرق والغرب آثاره فى كل منهما ، وإليك كلام رجل عالم بالشريعة والقانون قال : (ولا يفوتنا بعد هذا أن نذكر أن القانون الوضعى كان حتى آخر القرن الثامن عشر قانونا وحشيا بعيدا عن أفق الإنسانية ، فكان يحاكم الأحياء والأموات ، والحيوان والجماد ، وينزل بالجميع عقوبات شتى قائمة على التمثيل والتشهير ، كان القانون الوضعى هكذا حتى أخذ فى القرن الثامن عشر بأول مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية فانقلب قانونا إنسانيا بحتا ، إذ أصبحت العقوبة فيه قائمة على أساس التأديب والزجر بقصد حماية

المجتمع ، ولم تعد هناك حاجة للتمثيل والتشهير ، ولم يعد منطق القانون يقبل محاكمة الأموات والحيوانات والجمادات ، وهذا المبدأ الأول الذى لم يعرفه القانون إلا فى القرن الثامن عشر عرفته الشريعة مع غيره من المبادئ من القرن السابع الميلادى ، ولذلك تركزت المسئولية الجنائية من يوم نزول الشريعة فى الإنسان الحى ، ولم يجعل غيره أهلا ولم يعرف عن الشريعة ما عرف عن القانون من محاكمة الأموات والحيوان والجماد ، ولم يعرف عنها أنها تقبل التشهير والتمثيل ، بل عرف عنها أنها تأباه أشد الإباء ، ... ويكفى الشريعة الإسلامية فخرا بعد هذا أنها سبقت تفكير العالم بأحد عشر قرنا وأن العالم يسير على آثارها من قرنين، ولا تزال تسبق تفكيره بمراحل » (١).

هذا ولا يزال فى المقارنات مجال ومجال فإلى المقال الآتى إن شاء الله تعالى ؟

محمد محمد أبو شهبة

(١) التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ج ١ ص ٦٢٨ .

الإسلام والائتمان المصرفى

أقترح أن يحل التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الإسلامى بالنسبة للقروض الاستهلاكية ، والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الإنتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفى السائد فى الاقتصاد الغربى .

فالزكاة والإنفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة إلى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما فى القروض الإنتاجية فالمال الذى أودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهى عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية . وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار - العنصر الأساسى فى تكوين رأس المال القوى .

والبنك من جانب آخر - بما فيه مساهموه - سينال ربحه المشروع جزاء وفاقا على مابذل من جهد بصير وفطنة واعية فى توجيه مال المساهمين ومال المودعين فى استثمارات مجزية ، هذه الروح التعاونية التى تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هى روح إسلامية خالصة .

الدكتور محمد عبد الله العربى
المستشار القانونى للمؤتمر الإسلامى

[من محاضرة بقاعة الإمام محمد عبده]

التصوير السياسي
في شعر ذكريات الهجرة الحديث

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

لقد أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما اختار يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي إذ كانت هذه الهجرة المباركة فتحا مبينا للدعوة الإسلامية ، واتخذ المسلمون منها قدوة في نشر دينهم في الأقطار ، فخرجوا بعد أن رست قواعد هذا الدين الخالد إلى العراق ، وإلى بلاد الفرس والشام وغيرها ، مهاجرين بعبادتهم القويمة ، هاجرين أوطانهم ، متمثلين قول الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيرة وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما »[1] .

ولولا تلك الهجرات الأولى ، وما قصد إليه المهاجرون من رغبة صادقة في إعلاء كلمة الحق ، ونشر مبادئ الإسلام التي تشيع الحرية والعدالة والمساواة بين الناس ، وتكف أيدي أقويائهم عن ضعفائهم ... لولا تلك الهجرات ما انتشر الإسلام ، وما كان أحد من ملوك تلك الأقطار التي سادها الإسلام ، أو من ساداتها على استعداد لأن يذهب إلى المدينة المنورة ليعلن تنازله عن سلطانه وجاهه إلى خليفة المسلمين ، أو يدخل في مبادئ الدين الجديد .

وحسنا صنعت الشعوب الإسلامية في الاحتفال بذكرى الهجرة ، لما في هذه الذكرى من عبر ، وإيحاء باستمرار الكفاح والجهاد في سبيل الدفاع عن الحق ، ومناصرة المظلومين ، وطلب العزة والكرامة .

والمعروف أن الاحتفال بالمواسم الإسلامية - غير العيدين - وعلى رأسها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، قد بدأ من عصر الفاطميين بمصر ، ومن تلك المواسم كان الاحتفال برأس العام الهجري[1] .

وفي أوائل عصرنا الحديث كان الاحتفال بمناسبة الهجرة قاصراً على رفع التهاني للخديوين والحكام كسائر المناسبات الأخرى. وكان الشعراء يتخذون من هذه المناسبات

---

(١) سورة النساء ١٠٠ .

(١) راجع خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها .

فرصا يرفعون فيها المدائح إلى الحكام متزلفين متقربين لينالوا حظوة عند حاكم أو عظيم دون أن يلتفتوا إلى ما فى مناسبة الهجرة مثلا من عبر، وصور حية للكفاح والجهاد، أو يوجهوا نظر أحد لذلك.

فنجد مثلا «السيد على أبو النصر» أحد الشعراء المقربين إلى الخديو إسماعيل يرفع إليه تهنئة بمناسبة حلول الهلال لمطلع عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) يقول فى مطلعها:

أراك أراك الحى تحمل غردا
فهل كلما غنتك تذكر خردا (١)

وبعد أن يكيل المدح والثناء للخديو، ويخلع عليه ما شاء خياله أن يخلع من صفات، يعود فيذكر مناسبة الهجرة فى بيتين، لا أثر فيهما لإشارة ما، عما فى الهجرة من معان وعبر:

وقد أقبل العام الجديد بسعده
يقول له: أبشر، فلا كانت بعيدا
خفق على مثلى يبشره به
وينظم فى بشراه درا منضدا

وحافظ إبراهيم يهنئ عباسا بمطلع العام الهجرى ١٣٢٢ الموافق ١٩٠٤ بقصيدة يقول فى مطلعها:

قصرت عليك العمر وهو قصير
وغالبت فيك الشوق وهو قدير

وبعد أن يكيل المدح والثناء، يبين عن غرضه، ويعرض حاجته فى ضراعة:

عسى ذلك العام الجديد يسرنى
ببشرى، وهل للبائسين بشير
وينظر لى رب الأريكة نظرة
بها ينجلى ليل الأسى وينير

إلخ أما عبرة الهجرة وما فيها من دروس، فلا شىء من ذلك، ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى طريقه إلى النفوس، وبعد أن تنفس الناس قليلا فى ظلال دعاوى الحرية التى ملأت الأجواء بخطب مصطفى كامل وكتابات اللواء ... وبعد أن ضاق الناس ذرعا بما يملأ أسماعهم عن أمجاد أوروبا، وانحطاط الشرق ... وبعد أن تجاوبت أصداء البعث الإسلامى فى دعاوى جمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل ومحمد عبده ... عند ذلك اتجهت الأنظار إلى ماضى الأمة الإسلامية، وركزت الأنظار بنوع خاص حول يوم الهجرة النبوية وبدأ الشباب يعنون بالاحتفال بذكرى هذا اليوم لما فهموه منه من معانى البطولة والتضحية والإيثار، وما فيه من إيحاءات تدعو إلى اليقظة والكفاح.

وقد كانت أولى مظاهر الاحتفال بهذا اليوم،

---

(١) أراك الأولى: فعل ومفعول به، والثانية منادى، وهى شجر الأراك الذى تتخذ منه عيدان السواك.

ذلك الاحتفال الرائع الذى أقامه شباب المدارس الثانوية بدار التمثيل بالقاهرة فى مطلع عام ١٣٢٦ الموافق ١٩٠٨ ، وقد ألقى فى هذا الحفل الكثير من الخطب والقصائد من مندوبى الطلبة وغيرهم ، ثم أخذ الشعراء يتحدثون عن روعة هذا الاحتفال ، وما يبشر به من بعث ويسجلوا ذلك التوثب ضد سياسة الاستعمار .

وبعد أن ذاع نجاح هذا الاحتفال الذى يعتبر مؤتمرا سياسيا هاما ، وبعد أن تهيأت النفوس لتقبل مايلقى فى هذا المؤتمر من خطب وأشعار تبعث الشجاعة فى نفوس المترددين .. عند ذلك اضطرت الحكومة إلى مجاراة الشعور العام فأصدر مجلس الوزراء (برياسة بطرس غالى) قرارا فى يناير ١٩٠٩ وكان قد حل مطلع العام الهجرى ١٣٢٧ واعتبر ذلك القرار يوم الهجرة عيداً رسمياً تعطل فيه مصالح الحكومة والمدارس . وفى مطلع ذلك العام أقيم أول احتفال رسمى بدار التمثيل أيضا ، وقد ألقى فيه حافظ إبراهيم قصيدة عامرة لم يكن ميدانها تمجيد الخديو كما كان فى الماضى ، بل إن تيار الأحداث قد جرفه ، فاندمج فى الجو السياسى العام للأمة الإسلامية وراح يصور أحداث مصر وسائر الأقطار الإسلامية قطراً قطراً . سجلها فى قصيدته بأسمائها لم يترك تركيا ولا فارس ولا تونس ولا المغرب ولا جاوة ... ومطلع هذه القصيدة :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها
على الدهر حسنا . أنها تتجدد

وبعد أن أشار إلى ما حدث فى العام المنتهى بكل قطر إسلامى سواء بالعزة والخير كقوله :

وفى دولة الأفغان كانت شهوره
وأيامه بالسعد واليمن تزهر
وفيه بدت فى أفق جاوة لمعة
أضاءت لأهليها السبيل فبكروا

أو بزوال الملك ممن لم يحسنوا عليه القيام كما حدث لملك مراكش الذى عرف بالتهاون حينذاك :

وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه
وأخنى عليه الدهر والأمر مدبر
ولا عجب أن ثل عرش ممالك
قوائمه عود ودف ومزهر

بعد ذلك اتجه يتحدث عن التصوير السياسى فى مصر وتوثب المصريين ضد الانجليز ، معتبرا أن ضغط كرومر كان خيراً

لأنه وجـــه نظر المصريين وحفزهم إلى الانفجار :

وفيه سرت فى مصر روح جديدة
مباركة عن عبرة تتسعر
خبت زمنا حتى توهمت أنهـا
تجافت عن الإيراء[1] لولا (كرومر)
تصدى فأدراها ، وهيهات أن يرى
سبيلا إلى إخمادها وهى تزفر
مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى
فنى مصر إيقاظ على مصر تسهر

فلما كان العام التالى أنشد قصيدة مطلعها :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله أن يتحققا

وفى ذلك العام (١٩١٠ / ١٣٢٨) كانت المناقشات تدور حول مد امتياز قناة السويس ثم إن الانجليز قيدوا الصحافة ... وفى هذه القصيدة نجد حافظا يصرح بهذا الضغط السياسى ، غير عابئ برهبة سلطان الإنجليز ، ولعله استمد حريته هذه من تحرره من قيود الوظائف لأنه فى العام التالى (١٩١١) عين بدار الكتب فلم يقل بيتاً واحداً فى مناسبة الهجرة إلى عام ١٩٣٢ حينما انتقل إلى رحمة الله . استمع إلى تصويره فى قصيدة ١٩١٠ وهى آخر قصائده الثلاثة فى هذه المناسبة :

حصدت مناجله غرائس زجائنا
ولو أنها أبقت عليه لأورقا[٨]
فتقيدت فيه الصحافة عنوة
ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
وأتى يساوم فى القناة خديعة
ولو انها تمت لتم بها الشقا
إن البلية أن تباع وتشترى
مصر وما فيها . وألا تنطقا
كانت تواسينا على آلامنا
صحف . إذا نزل البلاء وأطبقا

وفى العام التالى (١٩١١ / ١٣٢٩) أنشد المرحوم عبد الحليم المصرى قصيدة مطلعها :

الله أكبر لاحت طلعة القمر
فاستقبلوه بحمد الله والسور

وبعد أن تحدث عن حرب طرابلس ، وفظائع الطليان الذين انتهزوا فرصة انشغال الخليفة بثورة فى اليمن واضطراره لسحب جيش طرابلس فهجموا عليها مطمئنين لموافقة الانجليز ، بعد ذلك اتجه إلى تصوير الأحوال السياسية فى مصر ، وكيف أن الانجليز

---

(١) الإيراء : مأخوذ من أورى الزند : أخرج ناره . والتعبير هنا مجازى والمراد ثورة النفوس بعامل الضغط .

(٨) الضمير إلى العام المنتهى .

يستولون على خيراتها ويتركون أهلها فى فقر حافزاً همم المصريين :

يأيها العلم المصرى : طل شرفا
لا زال ظلك ممدوداً على النهر
تفديك من خافق كالقلب إن وقفت
به الصبابة بين الوجد والحصر
يا شعب : إنك فى عهد إذا طلعت
به نيرات الليل لم تغر
فكن وقلبك أنى كان منبعثا
تجد من النفع ما تخشى من الضرر
أتحرث الأرض فى مصر وتزرعها
ويجتنى القوم فيها يانع الثمر(١)

ولقد وجد الشعراء فى مناسبة الهجرة متنفسا يعبرون فيه عما يجيش فى نفوسهم ونفوس الشعب من مآسى الاحتلال ، وظلم الانجليز ، وخنقهم للحريات . . وكان الشعر بذلك منبراً عاما ، وحمى يلجأ إليه الشعراء ليتحدثوا إلى حد ما عن سياسة الحكومة والاحتلال فى زمن كان الحديث فى السياسة محظوراً فيه على مختلف طوائف الأمة إلا من يسمح له المستعمرون فى حدود أهوائهم أو يخرج على قيود السلطات فيلق به فى غيابات السجون .

وقد أخذ تصوير الشعراء للأحوال السياسية فى مناسبات الهجرة يتطور بتطور الظروف وتزداد صراحتهم عاما بعد عام :

ففى عام ١٩١٩ إبان اشتعال الثورة المصرية أطل على العالم هلال عام ١٣٣٨ ، وهنا انبرى المرحوم أحمد محرم يحيى هذا الهلال مصورا ظروف البلاد فى تلك الفترة وقسوة الانجليز فى قتل الأبرياء بغير حساب ، مصوراً كذلك وحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا ضد الطغيان متهكما بوعود الانجليز وما أذاعوه من مبادئ تقرير المصير على لسان ولسون لتخدير الشعوب ، حافزاً همم المصريين ومطلعها :

حيوا الهلال وحيوا أمة النيل
واستقبلوا العيد عيد العصر والجيل

ومنها فى تصوير وحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا :

قالوا : أقاطيع يغشى الذل ساحتها
فاهتاجت الأسد تحمى عزة النيل
وأقبلت مصر يمشى أهلها زمرا
من حاشدين ، ومن شتى أبابيل
لم تبق فى خدرها بيضاء ناعمة
من العذارى ولا الغيد المطافيل
يهتفن : مصر ، ومصر كل منجبة
ومنجب من بنيها غير مفصول

ومنها فى التهكم بمبادئ ولسون وإخلاف الانجليز وعودهم :

---
(١) يعنى بالقوم : الانجليز .

قالوا : السلام فهز الكون صارخهم
عن منهل بدم الأبطال معلول
واسترسلت ترفع النجوى وتنفثها
أيدى اليتامى ، وأفواه المراميل
وبشرونا بما سن (الرئيس) لنا
من شرعة ذات تبيان وتفصيل[1]
لو قيل : يوم يقوم الناس موعدنا
قالوا : مساريع راعونا بتعجيل
ومنها فى حفز همم المصريين وأنهم رجال
بأس سيصلون إلى حقوقهم :
إنا لعمر الألى ظنوا الظنون بنا
لا بالضعاف ولا القوم التنابيل
نسمو إلى الشرف الأعلى ويرفعنا
مجد لنا لم نزده غير تأثيل
راس على الدهر إن جاشت زلازله
توهى الجبال ، وترميها بتحويل
نصون مصر ونحميها بما علمت
من الدروع العوالى والسرابيل
يا مصر : عامك عام الخير فارتقبى
فيه المنى ، وثقى منه بتنويل
ما أخلف الله من وعد، ولا كذبت
آمال شعب بلطف الله مشمول

(١) يشير إلى مبادئ ولسن الأمريكى التى نادى بها سنة ١٩١٨ متضمنة « حق الشعوب فى تقرير مصائرها » .

فلما كان عام ١٩٣٦ وامتلأ الجو السياسى فى مصر بما دار حول المعاهدة البريطانية التى وقعت حينذاك ، سجل كثير من الشعراء ذلك الجو فى ظلال قصائد الهجرة والمولد النبوى ، ولمحرم فى تلك المناسبة كثير من الشعر الصادق فى تصوير الشعور العام ومن ذلك قصيدة كبرى فى ذكرى الهجرة عام ١٣٥٦ (أوائل ١٩٣٧) بعد أن وقعت المعاهدة وقد وضح فى هذه القصيدة أن الحقوق لا تؤخذ بالأقوال ، وإنما لغة السيوف هى الفيصل فى كل خلاف بين عات متجبر ومطالب بحقوقه ، ضاربا المثل من كفاح الرسول الكريم ، ومطلعها .

أقبل ، عليك من الشعوب سلام
فزع الصليب إليك والإسلام

ويسجل فى هذه القصيدة ماينبغى أن تكون عليه الأمة الإسلامية اقتداء بماضيها المجيد :

اضرب لنا مثل الجهاد ، ومر بنا
نغشى الوقائع ، فالحياة صدام
هل أسلم الهادى الأمين قياده
أم كان منه النقض والإبرام
رفع الحياة على أساس صالح
والسيف ركن ، والكتاب إمام
(أحد) و (بدر) شاهدان ، فما على
من يسفح الدم فى الحقوق ملام

تلك المشاهد : جال فيها مصحف
أم جال فيها مصحف وحسام

ومن طرائف هذه الألوان فى التصوير السياسى صورة رسمها الأستاذ محمود غنيم لموسولينى عندما ادعى أنه « حامى حمى الإسلام » وذلك من قصيدة إبان الحرب العالمية الثانية (١٣٦٠ هـ) .

يا شاهرا لحماية الإسـ
لام سيف ابن الوليد
جـددت فى لوبيا سنا
بغداد فى عصر الرشيد
وظهرت فى هدى الحسين
وأنت أشقى من يزيد
هلا تركت حماية الإسـ
لام لله الحميد ؟ إلخ ...

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى منتصف عام ١٩٤٥ هل عام ١٣٦٥ فأنشد الأستاذ غنيم قصيدة كبرى يحلل فيها اليقظة العربية والدعوة إلى الوحدة ، ومن هذه القصيدة :

ذكرى وموعظة ، أسوقهما إلى
قومى ، فهل القوم سمع واع ؟
هل يجمعون على الخطوب أمورهم
فالخير كل الخير فى الإجماع
أبناء يعرب : لا حياة لأمة
بالذكريات ، بل الحياة مساع
فثبوا إلى الأهداف وثب مغامر
لا واجب قلبا ، ولا مرتاع ...

تلك هى بعض الأمثلة من شعرنا الحديث فى ذكريات الهجرة فى فترة ما قبل الثورة المباركة ، وقد رأينا فيها كيف تجاوب الشعراء مع الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد ، وسجلوا فى شعرهم صوراً رائعة لتطور الظروف العامة ، وأبرزوا آمال الشعب فى أن يحيا حياة كريمة ، ويتخلص من أدران الاحتلال ، حتى قيض الله لهذه الأمة رجالا من أبنائها الكرام ، وحقق على أيديهم تلك الآمال العراض فى ذلك اليوم المجيد الذى انبثق ضوءه قوياً وهاجاً فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ولقد اتجه التصوير السياسى فى شعر ما بعد الثورة وجهة جديدة تتمشى وتطور الظروف الجديدة ، إذ ظهرت أمور شغلت الأذهان : كالجلاء ، والنصر فى العدوان الثلاثى ، والدفع الثورى فى ميادين الاقتصاد والتشريعات الاجتماعية ، وإبراز ما يترتب على وحدة الشعوب العربية من آثار تحقق عزتها وسيادتها . ولقد أسهم الشعراء فى تصوير كل ذلك .

وسنكتفى هنا بعرض أبيات من نموذجين أحدهما حول قضية فلسطين وعودة اللاجئين ، والآخر حول قضية الجزائر :

فى أغسطس سنة ١٩٥٦ م زار الأستاذ عبد الحافظ [1] ريان مدينة غزة ضمن لجنة امتحان الثانوية العامة، وهناك رأى من أحوال اللاجئين ما حفزه على ارتجال قصيدة فى مناسبة العام الهجرى ١٣٧٦ هـ الذى هل حينذاك: قال فى مطلعها:

يا هلالا أتى لدنيا معيدا
قصة كان من قديم رواها :
أن فى الكون أنفساً شرهات
بانتهاك الحقـــوق تبغى علاها :
قد صحا الشرق يا هلال . فكبر
إن فى العرب من يصون حماها

ومنها :

يا لقلب فى ليله بات يشكو
ويعانى من حالكات دجاها
هاله صرخة لأم حنون
رميت من عاد بأؤم رماها

ويقول فى ختامها :

وأرى عملاق العروبه ابى
لفلسطين دعوة و فتداها [2]
وأرى الزحف راعداً كالأعاصـ
ـير العواتى قد طوحت بعداها

يسترد الحقوق من غاصب ما
شاء إلا مذلة ، فارتداها

وفى مطلع عام ١٣٧٩ (١٩٥٩) وثورة الجزائر على أشدها، أنشد قصيدة مطلعها :

هلال الصام قد وافى مشيرا
ليمن النصر ، قد زف البشائر

إلى أن يقول :

أخى فى الحق : فلتسرع لعون
فذا حق العروبة والعشائر
لقد كشفت فرنسا عن وجوه
صفاق . وانبرى غل السرائر
أخى : حرية الأوطان خذها
فما نال المطالب غير قادر
إلى أرض العروبة نفتديها
فهيا بالفدا نحمى الجزائر
أخى : فلنضربن والله يرعى
حمانا . إنه للحق ناصر
« يقين النصر » فى قلبى أراه
ضياء ساطعا يمحو الدياجر

هكذا حقق الله أمنية الشاعر فى البيت الأخير إذ تم النصر لجزائر باتفاق « إفيان ».

اللهم حقق آمال شعوب الأمة العربية فيما ترجون من عزة وقوة، وأزل الغشاوة عن أعين الغافلين . إنك سميع مجيب ؟

الدكتور سعد الدين الجيزاوى

---

(١) المدرس الاول بوزارة التربية والتعليم . وكان والده من علماء الازهر الشريف .

(٢) يشير إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

الإسلام ... في المعركة ضد الجوع

(بمناسبة الحملة ضد الجوع التي تنظمها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة)

للأستاذ فتحي عثمان

« إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » .

هكذا جاء عهد الله لأبي البشر ...

وعاش آدم في الجنة لا يكدح ولا يجوع ...

ثم شاءت إرادة الله أن ينقله إلى عالم جديد ليعيش بطريقة أخرى .

وهبط الإنسان إلى الأرض ... مشحوناً بطاقة العمل في الكون ، محتاجا للوقود الذي يغذو هذه الطاقة .

كان لا بد أن يعمل ليأكل ، فقد انتهى عهد الجنة التي كان يرزق فيها بغير حساب !

وشهدت الأرض هذه القوة الجديدة ، التي أخذت مكانها تحت الشمس .

شهدت « الإنسان » ! !

وانضافت هذه الطاقة الفريدة إلى ما في هذا الكون من طاقات ...

وتفاعلت هذه الطاقة مع تلك الطاقات .

وتولدت الحضارة العملاقة ! !

وعاش الإنسان : يعطي ويأخذ ، ويرسل ويستقبل ، ويبذل ويأكل ... ويفتح بطاقته طاقات الكون ، ليتلقى من طاقات الكون مدداً يعين على استمرار الحياة ! !

وبقي عهد الله للبشرية ألا تجوع ...

لقد رعى الله « الإنسان » بغذاء الجنة أولا ... ثم رعاه بما وهبه من طاقة وسخر له من طاقات أخيراً ...

وجاء دين الله رفيقاً « للإنسان » في رحلة الكون ، يرشده إلى ينابيع الطاقة في نفسه وفي الآفاق :

« ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

* * *

والجوع يهدم الشخصية ، ويقضي على التجاوب الطبيعي بين الإنسان وجميع مؤثرات بيئته البعيدة عن إشباع غريزة الأكل ولا يبقى للعوامل الأخرى التي تصوغ السلوك البشري أي تأثير ، وكذلك تختفي بالتدريج دوافع المحافظة على الحياة وتحكم العقل إلى أن تنتهي بانعدام كل حذر وكل

وازع من ضمير ، وعندئذ يستحيل الإنسان حيوانا ضاريا قــد سيطرت عليه الحاجة القصوى إلى إثبات وجـوده ، فيقاتـل ويغزو ويدمر .

والشعور بحدة الجوع ليس متواصلا بل هو متقطع وله فـترات ازدياد ونقصان ، وأول مراحـله : الهياج العصبى غير العادى وسرعة الغضب المتناهية وتوتر فى الحواس، يعقبه تلبد فى الإحساس واكتئاب شـديد وغثيان وعجز عن التركيز .

وثمة ظاهرات اجتماعية متعددة : كقطع الطريق ، والعزلة الكـئيبة ، والثورات التى لا تنقطـع فى جهات أخرى ، والدعارة والانحطاط الخلقى — ترجع كلها بدرجات متفاوتة إلى الانحلال الذى يحدثه الجوع فى توازن الشخصية البشرية وتكاملها ، وفى خلال تجارب أجراها دكتور كيز ، نشأ عن الجوع التهاب حقيقى فى الأعصاب مصحوب بشعور الكراهية للمجتمع ، فإذا بلغ الجوع ذروته صحبته حالة من الهياج والجنون ، عرفها بحارة القرنين السادس عشر والسابع عشر باسم (سعار الجوع) .

وآثار نقص التغـذية أو الجوع المزمن على الروح المعنوية أقل وضوحا من آثار التضور ، لكنها أطول مـدى وأصعب شفاء ! فبينما ينشأ عن الجوع الحاد فى العادة نوع من التهيج غير العادى ، نجـد الجوع المزمن يسبب الكآبة والتبلد، والذين يعانون الجوع المزمن سرعان ما يفقـدون شهيتهم للطعـام ، ولا يعودون يحسون بالجوع ، وبهذا تتوقف استجابتهم للدوافع التى تحبب العمل إلى الإنسان ! .

والأثر النفسى للجوع المزمن هو أن يكسب غريزة الجنس من الأهمية ما تعوض به عاطفيا فقـدان شهية الطعام ، خـلافا للقصور الحاد الذى يقلل الرغبة الجنسية .

والأرقام تبين بوضوح أنه كلمـا زادت نسبة الـبروتين هبطت قوة النسل بنفس النسبة ، على أنه كلما زادت نسبة البروتين فى الطعام زادت مناعة الصغار ضد الأمراض، فتقل بينهم نسبة الوفيات ! ...

هـذه كلمات منيرة لباحث فى معهد التغذية فى جامعة البرازيل :

هو جوزويه دى كاسترو ...

وهى تبرز خطر (الجوع) فى تهـــديد (الإنسان) ...

(الإنسان) فى حقيقته وكرامته ومعنوياته.. لا مجرد بنائه البيولوجى ! ومن أجل(الإنسان) ... جاء القرآن يعدد نعم الله على النـاس ، فقرن التحرر من الجوع إلى التحرر من الخوف ، قرن الجوع إلى الخوف فى الابتلاء :

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » !

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » !

كذلك قرن القرآن الجوع إلى الخوف عند تعداد النعماء وكشف الضراء :

« فليعبدوا رب هذا البيت

الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » !

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات » !

* * *

والدين لا يكتفي بأن يحقق للإنسان ما يملأ فراغ المعدة ويقضي ميكانيكياً فحسب على الإحساس بالجوع ....

إنه يطالب للإنسان طيبات الرزق.

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » .

وشكراً لله على نعمته في الرزق ، وحكمته في البيان ! .

فإن التعبير « بالطيبات » يستلزم أن يكون الطعام :

من كسب مشروع : ليس فيه إخلال بحق فرد آخر أو بحقوق الجماعة .

وأن يكون الطعام طيباً من الوجهتين الغذائية والصحية : بأن يتحقق فيه كفاية المقومات الغذائية اللازمة ، والوقاية من أسباب المرض .

ولم يغفل القرآن الإشارة إلى ما نسميه الآن (بالجوع الجزئي) ... أشارة إلى « شيء من الجوع » وأشار إلى « نقص من الأموال والأنفس والثمرات » !

« والجوع » كلمة ذات معان عديدة ... الجوع الفردي : سواء في مجاله الفسيولوجي ، أو في مظاهره السيكولوجية ... والجوع الجماعي ، الجوع المحلي أو العام الذي يتعرض له أعداد هائلة من البشر ... الجوع الكلي : أي العجز التام الناشيء عن نقص الطعام (التضور) والذي يقتصر على مناطق تنزل بها كوارث شديدة أو على ظروف استثنائية ، والجوع الخفي الذي يقضي على بعض الجماعات بالموت البطيء جوعا لنقص بعض العناصر الغذائية التي لا غنى عنها مع أنهم يشبعون كل يوم ! ... وهذه الأنواع الجزئية الخاصة من الجوع التي كشف العلم الحديث عن نواحيها العديدة في كل جهة من العالم هو أهم مايعنى به

فى الدراسة حاليا ... وعلى ذلك فإن الجوع يشمل كل شيء ابتداء من أحوال نقص الغذاء وسوء التغذية إلى الموت من الجوع فعلا ... فالغذاء هو الوقود الذى تستخدمه الآلة البشرية لتوليد الطاقة ، وهو الذى يمد الآلة البشرية الحية أيضاً بكل العناصر اللازمة لصيانتها وإصلاحها وتأديتها لوظيفتها . . وعن طريق الطعام يحصل الجسم على الطاقة الضرورية لتأدية وظائفه ، وعلى المواد الأولية الضرورية لبناء أنسجته وتعويض خسائره الفسيولوجية ... ولما كان جسم الإنسان غير قادر على إنتاج هذه المواد مباشرة كان لابد من أن يحتوى عليها غذاؤه حتى لا تتعرض الآلة البشرية الحية للأمراض الخطيرة . والتغذية الكاملة الوافية يجب أن يتوافر فيها أمران : أن تمد الجسم الحى بكل الطاقة التى يحتاجها ، وأن تمده بكل المواد المتنوعة اللازمة لحفظ توازنه . فإذا لم يحصل الفرد على قدر من الطاقة يساوى ما يفقده فإنه يتعرض لجوع عام أى نقص فى الطاقة ، فإذا كان الفرق كبيراً فإنه يقترب من درجة التضور ، وإذا اختفت العناصر المذكورة كلية فإنه يتعرض للموت جوعا . . وإذا نقص عنصر من العناصر الأساسية ـ بغض النظر عن مسألة توجيه الطاقة ـ تعرض الإنسان للجوع الجزئى أو النوعى . وكثير من أمراض التغذية ـ وهو الاسم الذى يطلق على أنواع من الجوع الجزئى ـ قد لا تبين لها أعراض ظاهرة ولو أنها تؤثر فى الصحة ، وهناك أنواع أخرى تظهر واضحة فى شكل أمراض معينة وهى أمراض النقص الغذائى . وأهم أنواع هذه الأمراض تلك التى تنجم عن نقص مقدار البروتين ، أو بعض المواد الدهنية أو الأملاح المعدنية ، أو الفيتامينات .

والدين لا يرضى عن الجوع الجزئى ، كما لا يرضى عن الجوع الكلى ...

إنه لا يرضى لكرامة الإنسان إلا طيبات الطعام ، على اختلاف الألوان .

« والأنعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » ...

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون» .

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » ...

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً . فكلى واشربى وقرى عينا » .

« وهو الذى سخــــر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً » .

« وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا

سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون »

« أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شىء بصير » ...

« قل أحل لكم الطيبات ، وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله ، إن الله سريع الحساب ».

هذه دعوة الدين ...

دعوة إلى الطيب من كل شىء ...

الطيب من القول والعمل ، والطيب من الطعام والشراب واللباس والسكن ...

وكل طيب حلال للانسان أيا كان ، وعلى الطيبات يتعاون الإنسان والإنسان على اختلاف الأديان والأوطان .

« اليوم أحل لكم الطيبات » ...

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » ...

وهذا ما يليق بكمال الدين وكرامة الإنسان

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

« وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

فتحى عثمان

الإسلام والأموال

فكرة الإسلام عن النقد تتلخص فى أنه بجميع صوره ، لا ينبغى أن يكون إلا للدولة ، ومن ثم يكون سك النقود وإصدار العملة الورقية ، وخلق النقود الحسابية بالائتمان مثلا هذه كالفروع لوظيفة واحدة . وهذه الوظيفة لا تنبغى إلا للدولة .

ومن ثم تكون المصارف وهيئات تكوين رءوس الأموال (كشركات التأمين وتوظيف المدخرات) منشئات لا يجوز للفرد ولا للشركة أن تتملكها إلا إذا رجعنا القهقرى وأجزنا للفرد أن يسك العملة وأن يصدر النقود الورقية ، وأن يتقلد فى عشيرته أو فى المجتمع ، وظائف القضاء والأمن .

الدكتور عيسى عبده إبراهيم

الأستاذ فى كلية تجارة عين شمس

البابيّة أو البهائيّة

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

— ٢ —

قلنا فى مقالنا السابق إن الإسلام خاتم الشرائع ، وإن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

وأشرنا إلى ما تتابع فى التاريخ الإسلامى من دعوات المتنبئين وكشفنا عن العقيدة والبيئة اللتين كانتا مرتعا لهذه الدعوات الضالة .

وكشفنا عن الربط بين هذه العقيدة و تلك البيئة وبين ظهور البابية ، وعرضنا لحياة الباب ومحاولات أتباعه ، والعقائد التى دعا إليها .

ولم تكد الحياة تستريح من شرور الباب وآثامه بمقتله حتى تجمع أتباعه حول رغبة الثأر والانتقام ، فألفوا جمعية سرية تفتك بكل من يعارضها ، وتعد له من أساليب الغدر والخديعة ما تأباه كل نفس إنسانية شريفة ، وكان الميرزا حسين على الملقب فيما بعد بالبهاء هو الرأس المفكر لهذه الجماعة المتعطشة للدماء وكان أعضاء الجماعة ينفذون أغراضهم الشريرة بالذبح ، أو بالسم ، أو بالخناجر المسممة ، وظلوا يشيعون الرعب والهلع فى النفوس حتى انكشف أمرهم فى محاولة قتل الشاه ، فتعرضوا لحملة شديدة كادت تودى بهم ، وأودع ميرزا حسين السجن حتى أنقذه الاستعمار الروسى بعد أن ظل فى السجن أربعة أشهر ، ورحل إلى العراق فى حماية الروس أيضا . وكان صبح أزل أخو البهاء قد أعلن بعد مقتل الباب أنه الموعود بقول الباب « من يظهره الله » وآمن به جماعة من البابيين وكان يدعو إلى المبادئ التى أعلنها الباب فى كتابه البيان .

ولما رحل البهاء إلى بغداد أخذ يمهد السبيل إلى نفسه ، ويلقى فى روع أتباعه أنه الموعود ببشارة الباب ، فوقع صدام بين أتباعه وأتباع أخيه صبح أزل ، وكان الأزليون فى ذلك الوقت يمثلون الأكثرية واجتمع كبار زعماء البابية ، وأخذوا يعرضون على البهاء مثالبه ونقائصه فلم يجد بدا من ترك بغداد والفرار إلى صحراء السليمانية يعمل الحيلة ويفكر فى أساليب جديدة للخداع ، وأخذت نفسه تمتلئ بالحقد

الأسود على أخيه وأتباعه ، ويستعمل من أساليب النفاق ما يمهد له السبيل للوصول إلى غاياته وأهدافه الخبيثة ، وكان قد شاع أمره وانكشف كفره لعلماء السليمانية ، وهموا أن يأخذوه بكفره ، فلما أحس منهم ذلك فر ثانية على كره منه إلى بغداد ، زاعما أن وحيا إلهيا قد نزل عليه وأمره بالعودة إلى بغداد ، وأخذ يعلن أن الوحى جاءه بنسخ بعض أحكام البابية ، فاشتعلت الفتنة بينه وبين البابيين ، وأخذوا يرمونه باللعنة ويصوبون نحوه سهامهم ، وأخذ يرد عليهم فيما يزعم أنه وحى ، ويرميهم بالغدر والسفه وتراشق الفريقان السباب والشتائم وأخذ كل يؤكد أن الباب كان يعنيه هو ، ومن قول الأزليين فى ذلك : « إن الباب كان يعنى يحيى بما قاله فى كتابه البيان : « لا إله إلا أنت ، لك الأمر والحكم ، وإن البيان هدية منى إليك ، وأخذ يحيى يصف أخاه بالإثم ويسميه العجل ويصف أتباعه بأنهم يشركون ، ومن قوله فى ذلك : « خذوا ما أظهرنا بقوة ، وأعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون ، إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون » .

وكان نتن البهائية وبجونهم قد فاح خاصة إذا جاء شهر المحرم ذكرى احتفالهم بمولد الباب ، وهذا الشهر الذى يحلل الشيعة فيه مظاهر الحزن والأسى على ما أصاب الحسين فكان ذلك داعيا أن يطلب علماء العراق طرد البابيين من ديارهم ، فنفوا إلى الاستانة سنة ١٨٦٤ م .

وأعلن البهاء حينئذ أنه الموعود الذى بشر الباب بظهوره منتهزا فرصة اجتماع البابيين قبل تفرقهم .

وفى تركيا سلك البهاء كل سبيل للقضاء على أخيه وإزالته من طريقه ، وساعده على الوصول إلى أغراضه ما جبل عليه من دهاء ومكر ، ومن معرفة أكثر أساليب الباطنية ، واستطاع أن يوجد من البابيين حزبين متنازعين ، على رأس كل منهما أخ يكيد لأخيه ويصطنع الأساليب والوسائل المختلفة للفتك به والبطش بأتباعه حتى إن البهاء حاول قتل أخيه غيلة ، ولما رأت الحكومة التركية ذلك نفت يحيى إلى قبرص ، وظل بها حتى مات ، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكا ، وجعلت على كل منهما رقباء من أتباع الآخر ، إلا أن تعطش البهاء إلى الدماء دعاه إلى أن يدبر مؤامرة فى عكا لأتباع أخيه أبادهم فيها على يد رجاله بالساطور والحراب فى وحشية سافرة لا تصدر إلا عن نفس امتلأت بالإثم وانطوت إلى أقبح معانى الغدر والخسة وأخذت البهائية بعد ذلك ترث البابية

فى كل شىء تبقى من تعاليم الباب ما تشاء وتلغى منها ما تريد وتضيف إليها ما تحب .

وكان البهاء قد أعلن أنه المظهر الأكمل الذى بشر به الباب والذى يتحقق على يديه بلوغ رسالته إلى درجة أعلى من الكمال .

فالباب كان ممهداً للبهاء ، وفى شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية إلى الظهور لكى تحقق على وجه الكمال ما مهد له الباب فى دعوته ، وعلى هذا فبهاء الله أعظم من الباب ؛ لأن الباب هو القائم . والبهاء هو القيوم ، أى الذى يظل ويبقى ، وليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب ؛ لأن الباب نفسه تحدث عن خليفته فى المستقبل بقوله : « إن الذى يجب أن يظهر فى يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذى سبق ظهوره » ، وللبهاء كتاب هو الأقدس أفضل من البيان وما سبقه من الكتب . والبهاء لم يثبت فى دعواه على أمر واحد ، فبينما يزعم أولا أنه خليفة القائم إذا به يعود ، ويدعى أنه القائم نفسه ، ثم عاد فخلع على نفسه صفة النبوة ثم صفة الألوهية والربوبية زاعما أن الحقيقة الإلهية التى لم تنل كما لها الأعظم إلا بتجسدها فيه .

وقد رأى فيه مريدوه أنه كائن فوق البشر ، ووصفوه بكثير من الصفات الإلهية فى أناشيدهم الحماسية التى اتخذوها سبيلا لمدحه والثناء عليه .

ويبدو من سلوك البهاء وأخلاقه أنه كان رجلا بعيد الأطماع واسع الحيلة يتخذ من الوسائل والأسباب ما يصل به إلى هدفه وغاياته مستعينا بدهائه الخفى ومكره المحكم وقوة السيطرة على أتباعه .

ووجد البهاء فى الاستعمار والصهيونية قوة تعينه على الوصول إلى أهدافه ، ووجدا فيه أداة يوجهونها كيفما شاءت أطماع الاستعمار ، وحقد الصهيونية من إشاعة البلبلة والفرقة والتميع فى المجتمع الإســـلامى ، وإغراقه فى الخلافات . وشغله بالمنازعات الداخلية ، فأمدوه بالمـال ، وأضفوا عليه ظل حمايتهم وبسطوا له فى الأمل ، وكلما فتح ثغرة زادوه عونا وتأييداً ، فاستغل كل منهم الآخر لتحقيق مآربه وأهدافه .

وأخذ المال ومظاهر التأييد والجاه تتوالى على البهاء من الاستعمار ورجاله حتى أصبح يحيا حياة مترفة ناعمة فى مدينة عكا التى اتخذها مقراً ومقاما ، وأخذ منها يوجه الرسائل ، والكتب إلى كثير من الملوك والحكام فى أوربا وغيرها يدعوهم فيها إلى اتباع دينه الجديد .

وكانت له تنبؤات مع بعضهم حققت الصدف بعضها فاتخذها أتباعه دليلا على صدق دعواه ، وأبرزها تنبؤه بهزيمة نابليون قبل وقوعها بأربع سنوات .

ولكن العقل المنطلق من قيود الأوهام يستطيع أن يدرك أن مثل هذا قد يقع إذا ما تهيأت أسبابه ، وليس من العسير على رجل عادى أن يدرك ذلك بالنسبة لما يلاحظه من تطورات وأسباب .

من تعاليم البهاء :

الصلاة :

وقد خالف البهاء الباب فيما أقام عليه من عبادات منها أنه جعل الصلاة تسع ركعات فى الصباح والزوال والبكور ، ومن كلامه فى ذلك فى الأقدس (قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفى البكور والآصال ، وعفونا عن عدة أخرى أمراً فى كتاب الله يقصد الكتاب الأقدس - إنه لهو الآمر المختار) .

القبلة :

وجعل القبلة حيث يكون قصره فى عكا إليه يحجون ويتجهون فى صلاتهم ما دام حياً وفى مماته اتخذ البهائيون قبره قبلة لهم ، ومن قوله فى كتابه الأقدس فى تحديد القبلة . . (إذا أردتم الصلاة ولوا وجوهكم شطرى الأقدس المقام المقدس الذى جعله الله مطاف الملأ الأعلى) .

الربا :

وقد سأل أحد اليهود البهاء عن حكم الربا فأجاب : وأما ما سألت عن أرباح منافع الذهب والفضة فقد صدر البيان الآتى من ملكوت الرحمن منذ عدة سنين خاصا لاسم الله زين المقربين عليه بهاء الله الأبهى - قوله تعالى - يقصد قوله هو . فضلا على العباد قررنا الربا كسائر المعاملات المتداولة بين الناس - أى ربح النقود - صار ربح النقود حلالا طيبا طاهرا ، وقد توقف القلم الأعلى - يعنى قلمه هو - فى تحديده حكمة من عنده وسعة لعباده .

الجهاد :

ثم حرم الجهاد ودعا إلى هذا فى أكثر من موضع ومن قوله فى ذلك : (البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب ، وقد نزل هذا الأمر المبرم من أفق إرادة مالك القدم) ، وقد وجد الاستعمار فى هذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق أغراضه فى ابتلاع العالم الإسلامى ، وتربيتهم على الذلة والاستكانة لينفرد بمغانم بلادهم ويستأثر بخيراتها ، فرحب بهذه وساندها بكل قواه ، وأخذ يصطنع من أساليب التأييد كل ما يستطيع حتى يرضى نزعة الشهرة فى صنيعته الظامئ إلى الشهرة ، وكان الاستعمار يحشد له عدداً ضخما من أصحاب الصحف ومراسليها ومندوبى وسائل الإعلان المختلفة ليتلقوا عنه ما يهذى به من هراء وينقلوه إلى أرجاء العالم المختلفة لأن فى هذا تحقيقاً لمآربهم التى يرمون إليها من

استغلال العالم الإسلامي والانفراد بخيراته ، وقد سلك الاستعمار الغربي هذا المسلك مع كل خارج على مبادئ الإسلام داع إلى النيل من جلالها وتفكيك وحدتها في أي مكان نشأ ، وقد وقف الاستعمار هذا الموقف من القادياني الذي ادعى النبوة في الهند ، ووضع تحت يديه من ألوان التأييد وأضفى عليه من سبل الحماية ما يمكنه من نفث سمومه وبلبلة أفكار المسلمين وتمزيق وحدته ، ولا شك أنه وجد في البهاء سلاحا خطيرا فاستغله وبذل له المال جما كثيرا ومن المصادفات التي تستدعي انتباه الباحث وتستوقف نظره في دعوة كل من هذين الكذابين البهاء ، والقادياني أن كلا منهما دعا إلى تحريم الجهاد ، ولاقى من تأييد الاستعمار وحمايته النصيب الأوفى .

وكما مضى البهاء إلى نهاية الشوط في خدمة الاستعمار وتحقيق مآربه نظير ما يضفيه عليه من حماية وما يبذل له من أموال ، اتجه إلى ممالأة الصهيونية والسير في ركابها لتحقيق أغراضها . وأراد بهذا النفاق أن يضمن تأييد اليهود وعونهم فأخذ يدافع عن حقوقهم في الأرض المقدسة ، ويفتري الوحي المنزل عليه في إثبات حقهم . بل مضى خطوة أبعد بأن أعلن أنه يدعو إلى توحيد الأديان كلها على أساس أقدم الكتب المنزلة وهو التوراة . وأخذ أتباعه يفتشون في في ثنايا الكتاب المقدس عن كلمات يوهم ظاهرها تأييد دعوته والتبشير بمقدمه واصطنع أصحابه لغة الإجلال للكتب المقدسة والأنبياء السابقين ليضمنوا استماع أتباعهم إليهم حتى يصبوا في آذانهم ما يريدون من إفك وضلال ، وقد اندفع بعض اليهود في استخراج آيات من التوراة تضفي على دعوة البهاء صنعة الوحي المنزل والإشارة إليها في الكتب السابقة .

وهذا أبو الفضل الجرفادقاني أحد الدعاة البهائيين يقول في محاولة يبغي من ورائها أن يجد أصلا في الكتب السماوية لمجيء البهاء فيقول : (البشارات الواردة في مجيء يوم الله ونزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله ، وهذا اليوم هو اليوم العظيم الرهيب المهيب الذي عبر عنه في الكتب السماوية بتعبيرات شتى ، وسمي بأسماء عليا من قبيل يوم الرب ويوم الملكوت ، ويوم الحسرة ويوم التلاق ويوم القيامة والساعة وأمثالها ، وقد ذكر الأنبياء عليهم السلام لمجيء هذا اليوم أشراطا وعلامات وشواهد وأمارات ودلائل ومقدمات مما هو مذكور ومدون في كتب الأولين ومنصوص ومصرح به في كلمات الأقدمين ، ثم ينتهي إلى أن التوراة هي أقدم كتاب سماوي موجود ، ويستشهد منها بالآية الثانية

من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من أسفار التوراة التي تقول : « جاء الرب من سينا ، وأشرف من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه قبس الشريعة » ثم يعلق عليها فيقول : فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن بين يدى الساعة وقدام مجيء القيامة لابد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات يظهر أربع ظهورات حتى يكمل بنى إسرائيل وينتهى أمرهم إلى الرب الجليل . فيجمع شقيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم أذى كل العباد ويسكنهم فى الأراضى المقدسة ويرجع إليهم موازينهم القديمة إلى أن يقول : فظهر أولا بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سيناء ، ثم ظهر ثانيا سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم من جبل سعير ، ثم ظهر ثالثا سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فتجلى بظهوره من جبل فاران ، فدارت الأدوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار وتم الظهور الرابع بأمر الملك الجبار . ويقصد بذلك . . ظهور البهاء ، بل لم يكتف البهائيون بذلك بل زعموا أيضا أن الميرزا عباس عبد البهاء بشرت به الكتب أيضا وهو ما أشارت إليه آية التوراة السابقة بقولها ، وعن يمينه قبس الشريعة » . وجد اليهود المتحمسون للبهائية فى إخراج ما يحتمل أن يشير إلى ذلك وتأويله سواء فى التوراة والإنجيل وزعموا أن ما جاء فى سفر أشعياء من الإصحاح التاسع عدد ٦ إنما يقصد به عبد البهاء وهو : يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام ، من أجل ذلك اندفعت الصهيونية فى تأييد البهائية بكل ما أوتيت من قوة ، واندفع البهاء وابنه وأتباعهما فى خدمة الصهيونية جهد طاقتهم متسترين بمظهر العالمية فى الدعوة والإنسانية فى النظرة .

وظل البهاء سادراً فى غيه عاملا على نشر كفره وباطله حتى استراحت من شروره الحياة سنة ١٨٩٢ فخلفه ابنه عباس عبد البهاء وأخذ يعمل على سنة أبيه فى ممالأة الاستعمار والتزلف إلى الصهيونية والكيد للإسلام والتمادى فى الكفر والتمويه على الناس محاولا ربط تعاليم البهائية بأفكار الحضارة الغربية مدخلا عليها من التعديلات ما يحاول به أن يلائم طبيعة الغربيين فى تفكيرهم ، وقد انتقلت البهائية من المجال الإسلامى إلى المجال الأوربى والأمريكى وأخذوا ينشئون لهم مراكز فى أوربا وأمريكا وبنوا لهم داراً فى ـ الولايات المتحدة ـ تسمى مشرق الأذكار ، وأصبحت لهم مجلة تصدر فى أمريكا

منذ سنة ١٩١٠ تسمى نجم الغرب ويصدر منها في العام تسعة عشر عدداً لأن العدد ١٩ مقدس لدى البهائيين ثم تولى أمر البهائيين بعد هلاك عبد البهاء ابن اخته شوق رباني وتلفعت البهائية في كثير من الأحيان بالتقية واصطنعت النفاق حتى تصل إلى أهدافها فإن وجدت فرصة انتهزتها وإن رأت الأنوار سلطت عليها قبعت في جحورها وادعت الإسلام شأنها شأن كل مدع جبان .

والبهائية خارجة على الإسلام كافرة به منكرة لتعاليمه، ولهم تأويلات باطلة وانحرافات ضالة في تفسير ما جاء في القرآن الكريم ليتفق مع نزعاتهم المنحرفة وضلالهم الآثم وحسب القارئ أن نضع بين يديه طائفة من هذه التأويلات ليدرك مدى ما يرتعون فيه من ضلال وخاصة في أمور الآخرة فهم يفسرون النفخ في الصور بأنه خطب قرة العين ، ثم نداء الميرزا بأنه رب القيامة وإفاضة الوجود الإلهي على كل الممكنات ، ويفسرون انفطار السماء بأنه نسخ الأديان السابقة وبطلانها ولا سيما الإسلام والقرآن ويفسرون تبديل الأرض بأنه تبديل القلوب بما أنزل عليها من أسطار الملكوت وانكدار النجوم وتكوير الشمس بضلال العلماء واحتجاب التعاليم الدينية بالأوهام ونسخ الأحكام في الشريعة السابقة .

ويفسرون الأرض التي يقبضها الله بالعلم والمعرفة ، والسماوات التي تطوى بيمينه سبحانه بالأديان المنسوخة .

وللقيامة في أوهام البهائية تفسير عجيب ، فهي عندهم نوعان : صغرى وكبرى أما الصغرى لحلول روح الله في جسد بشرى ، ويرون أن العالم قد شهد عدة قيامات ، لأن الحقيقة الإلهية عندهم لا تغيب عن الهياكل البشرية وهم تبعا لهذا يرون أن نفس الله قامت بكل واحد من الأنبياء السابقين أما القيامة الكبرى فهي قيام الروح الإلهية في جسد البهاء ، وواضح من هذا التفسير أنهم ينكرون القيامة بمعنى اليوم الآخر الذي يحشر فيه الناس لرب العالمين وينكرون ما يتبعه من بعث وحساب ورؤية فالبعث هو اليقظة الروحية ، والحساب هو الفصل بين المؤمنين بتجسد الله في البهاء وبين الكافرين بالتجسد أيضا ، ورؤية الله هي رؤية الجسد البشرى الذي حلت فيه روح الله ، ولقاء الله في جلاله الأعظم هو لقاء البهاء .

والجنة هي رياض المعرفة التي فتحت أبوابها في عهد البهاء ، ومعرفة الكتب الإلهية بواسطة البهاء ، وهي الإيمان بأن البهاء هو رب السموات والأرض إلى آخر هذا الطوفان من الهراء والعبث والضلال الذي لا يأوى إلا في عقول خربة ، ونفوس مظلمة ، وقلوب

أعماها الهوى وأضلتها الشهوة وإليك النص الذى كتبه البهاء يحدد فيه معنى هذه الأشياء قال : « هل القيامة قامت ؟ بل القيوم - يريد نفسه - بملكوت الآيات » وهل ترى الناس صرعى ؟ بلى ، وربى الأعلى الأبهى ، قال : أين الجنة والنار ؟ قل : الأولى لقائى ، والأخرى نفسك أيها المشرك ... إلخ

ومن الجلى أن البهائية فى هذا يتابعون أسلافهم من الملاحدة والباطنية وذوى العقائد الضالة ويوهمون الناس أنهم جاءوا بشىء جديد وما هم إلا نقلة كفر وضلال ودعاة هدم وتخريب وطلاب مطامع ومغانم وأدوات تسخر نفسها لهدم الإسلام والنيل من صفاء جوهره ، وتلقى بنفسها فى أحضان الاستعمار والصهيونية وتدلف إلى أغراضها فى أسلوب حقير جبان ، قد باعت نفسها للشيطان، والإسلام منها براء وحاشا لساحته النقية أن يلوثها هذا الدنس أو ينال من رفعته هذا الهراء ، وواجب المسلمين أن يتنبهوا لهؤلاء الأدعياء ويقفوا لهم بالمرصاد حتى ينقذوا العالم من شرهم ، ويجنبوا المجتمع الإسلامى وباءهم المقيت .

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ؟

محمد إبراهيم الجيوشى

خطئان مطبعيان

فى افتتاحية العـــدد

جاء فى صفحة ٣ فى السطر العشرين من العمود الثانى :

(بأقطارها الثانية عشر) والصواب : بأقطارها الاثنى عشر .

وجاء فى صفحة ٤ فى السطر الخامس من العمود الأول :

(وأن النجوم الاثنا عشر) والصواب : الاثنى عشر .

وحدة الهدف أولاً:

مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١ - لا يزال كثير من المسلمين المعاصرين يفهمون الإسلام بالتقليد، ويؤمنون بأصوله وأركانه بالوراثة، ويأخذون أحكامه وآدابه بالتناقل ... دون أن يرجعوا إلى العقل وأحداث الزمن الحاضرة فى فهمه، وتدبر غاياته وأهدافه. وكثيراً ما يثرثرون بما لا يفهمون، ويهرفون بما لا يعرفون، ويقولون ما لا يتدبرون. والعجب العاجب أن تسمع من بعضهم أن الاجتماع على الفضائل الإنسانية، والمثل والقيم النبيلة، يكفى فى الإسلام وفى كل دين، دون دخول فى الإسلام، وإيمان بالدين. وتصديق برسالة محمد صلوات الله عليه.

وليس أغرب من هذا الفهم فى عرف العقل، ولا فى رأى الدين نفسه؛ وكأنى بهؤلاء يقولون إن: «وحدة الصف» هى الغاية وعليها المعول وفيها الكفاية. وحسبهم أن يجتمع الناس على الخير، ويؤمنوا بالفضيلة، ويصدقوا بوجود الله؛ ففى ذلك كل الغنى، وفيه الفوز برضاء الله ونعيمه الأبدى..

ولقد اجتمع كثير من الدعاة المضللين على الدعاية لفكرة توحيد الأديان، لغرض فى نفوسهم، ومرض فى قلوبهم، فهذا التوحيد لن تؤمن به اليهودية ولا المسيحية، ولا يؤمن به الإسلام نفسه ما دام أساسه أخذ بعض الدين وترك بعضه، وما أصدق ما يقول الله عز وجل فى كتابه الحكيم: «إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً» (١)

إن ذلك كله خطأ ما بعده خطأ فى حكم العقل وحكم الدين أيضا، فالإسلام لا يدعو إلى وحدة الصف وإنما يدعو إلى وحدة الهدف فليكن الإنسان مؤمناً أولا بالدين، فهذا الإيمان أساسى وضرورى لتحقيق وجود الإنسان الروحى والفكرى والأدبى أولا، ثم بعد ذلك عليه أن يلتزم آداب الدين وأركانه وشعائره، ويعمل بها ليحقق الغاية من الإيمان ومن الدين؛ وفى ذلك يقول الله عز وجل: «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا» (٢). ويقول وما أصدق ما يقول: «يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله، والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(١) النساء: ١٥٠، ١٥١ (٢) النساء: ١٢٤.

فقد ضل ضلالا بعيداً » [١]

إن التوحيد فى الأديان أو بينها هو ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله عز وجل : « قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » [٢] .

وبهذا تتحقق وحدة الهدف بين أتباع الدين ، أما أن يجتمع الناس كافة على بعض أصول الدين دون بعض ، تحقيقا لفكرة وحدة الصف ؛ فهذا خطأ فى التفكير والفهم ؛ وقد كان لنا من عبر الحاضر ما يذكرنا بحقائق الدين وحكمة تشريعاته وأصوله ، فقد كنا ندعو إلى وحدة الصف ، ثم عدنا ندعو إلى وحدة الهدف أولا بعد أن تبين لنا أن وحدة الصف لا تكسبنا ولا تكسب دعوة العروبة والقومية والوحدة خيرا . . . فهل يلام الإسلام إذا مادعا أولا إلى وحدة الهدف ، فطالب الناس بالدخول فى الإسلام أولا ، ثم طالبهم بعد ذلك بأعمال الإسلام وتشريعاته وآدابه وأحكامه ؟ .

٢ - إن الدين والإيمان بالله أولا هو الحد الفاصل بين روح الإنسان وبين غرائز الحيوان : بين المدنية والوحشية ، بين العقل والجهل ، بين النور والظلام .

والإيمان بالوحى والرسالات السماوية أمر حتمى ؛ لأنها خيوط الفجر فى ظلمات الحياة ، ومبادئ الحق والخير والعدل والحرية فى ضلالات الباطل والشر والظلم والطغيان ، ولأن الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالاته هم دعاة المثل والقيم الإنسانية الرفيعة وحاملو لواء المدنية والحضارة والهداية فى الأرض .

والإيمان برسالة الإسلام إيمان بالتطور والتجديد وبالكمال الروحى والنفسى وبالفضائل والمبادئ الشريفة ، وبالحياة نفسها ومثالياتها العالية . . . وما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعظم الدعاة إلى أعظم المبادئ وأكرمها وأشرفها عند الله والناس ، وهو الذى قاد الحياة إلى عصر جديد ، وشرع لها من المبادئ والأصول ما أعزها وسما بها إلى غايات رفيعة من السلام والخير والهدى والإيثار والمحبة ومرضاة الله والناس ، ونقلها إلى حياة النور والمدنية والعدالة والإخاء والمساواة ، وعلمها أن الدين هو الحياة الشريفة ، وهو موجه الحياة إلى أشرف المبادئ والأهداف ، وقائدها إلى أسمى الغايات وأنبل الاتجاهات والمساعى .

والعمل الصالح ، والتزام الفضائل ، وإيثار العدل ، وحب الحرية ، والإيمان بالمساواة والإخاء ، وبالإيثار ، والعمل لخير المجتمع ؛ هو تحقيق لمدلول الدين نفسه وعمل بمبادئه ، وتطبيق لأحكامه ...

وذلك كله تحقيق لوحدة الهدف قبل كل

(١) النساء ١٣٦ . (٢) آل عمران ٨٤

شيء ؛ دون نظر إلى وحدة الصف ، التي تعني جمع الأنصار والأتباع ، دون أن يشملهم جميعا السلام الروحي ، ودون أن يجتمعوا كلهم على هدف واحد وغاية واحدة وسبيل واحد .

٣ — وحـــدة الهدف أولا مبدأ من مبادئ الإسلام الأولى ، عناه الدين وألزم به أتباعه ، وطبقه في كل أموره ودعوته .

ولست مع من يرى أن بعض الأعمال يمكن أن تقدم على الإيمان بالدين نفسه ، كائنة ما كانت هذه الأعمال ، وبالغة ما بلغت من السمو والرفعة والشرف ..

وفي « التفسير البياني » للدكتورة الكبيرة بنت الشاطئ ـ وهو تفسير جديد قيم يسير على مناهج علمية ثابتة ـ عند تفسير قوله تعالى من سورة البلد : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » . ترى الدكتورة الأخذ بصريح الترتيب في الآيات ، وتقول ما نصه : (يبين القرآن مراحل اقتحام العقبة ، فيضع كرامة الإنسان بالعتق ، والعدالة الاجتماعية بإطعام فقير أو مسكين ، خطوتين سابقتين على الإيمان ، مقرراً ألا سبيل إلى رجاء الإيمان فيمن غره جاهه فاسترق مخلوقا مثله ، وتحجر قلبه فلم يطعم في المجاعة يتيما أو مسكينا ؛ معلنا ألا مكان لإيمان صادق مخلص في مجتمع يبيح إهدار البشرية ، ويطيق أن يمسك الطعام في يوم مجاعة عن يتيم ذي قربى أو مسكين معدم ، لا يجد إلا التراب [1]) .

ومعنى ذلك أن الإيمان في المرتبة الثانية لا الأولى ؛ ودائما نقول : إنه لا يستطيع المحافظة على حقوقه إلا مؤمن بها ، وأن الإيمان أولا ، وكل شيء يجيء في المرتبة التالية له ، فوحدة الهدف أولا . والإيمان في يد الرقيق وثيقة الحرية ، وفي يد الفقير والمسكين وثيقة العدالة الاجتماعية ، وماجدوى تحرير الرقيق إذا لم يكن يملك الإيمان به ، ولا يملك الوثيقة التي أعلنت تحريره وماجدوى عدالة اجتماعية ، إذا لم تكن هذه العدالة جزءا من الدين والإيمان ، وشعيرة من شعائرهما ، وحقا واجبا للفقير أو المسكين واليتيم الإيمان أولا ؛ لأن الإيمان هو الحرية والوسيلة إلى الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية .

فالقرآن الكريم جعل كل هذا من اقتحام العقبة وتحمل المسئولية ، والإنسان مطالب بها جميعا ، وقدم القرآن فك الرقبة والإطعام للاهتمام بهما في مجتمع جاهلي خوطب بالقرآن ثم رفع من منزلة الإيمان بالتعبير بثم ؛ لأن الإيمان إذا وجد وجد كل عمل صالح وخلق كريم .

والأمر كله أن القرآن والإسلام يعتبران وحدة الهدف أولا : فكل الطاعات والأعمال

(١) ص ١٧٠ التفسير البياني .

الصالحات لا تجيء عبادة مقصودة يتقرب بها إلى الله إلا بعد وجود الأساس الذى تبنى عليه هذه الطاعات ، وهو الإيمان ، وبدونه تكون هذه الأعمال أعمالا إنسانية نبيلة ليس المقصود بها طاعة الله بل إرضاء نزعات أخرى ، وهى لا ترفع مسئولية الإنسان عن وجوب الإيمان بالله ورسالته ولا تبعد عنه عذابه وغضبه فى اليوم الآخر وليست مرضاة الله فى الآخرة إلا عن المؤمنين المصدقين ثم الطائعين . . وفى هذا يقول الله عز وجل : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » . . . إلى أن قال عز وجل : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

إن وحدة الهدف مبدأ ظاهر واضح فى تعاليم الإسلام وشعائره وأصوله . . فهى تلى فى المنزلة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبخاتم الرسل وبرسالته الكريمة الخالدة .

٤ — ووفق ناموس التدرج والارتقاء لا بد أن تأوى الإنسانية إلى هذه الشريعة السمحة الكريمة ، ولا بد أن ترد إلى أصولها العامة ، ومبادئها الشريفة ، التى وسعت الناس جميعا والتى ساوت بينهم فى الحقوق والواجبات وأعلنت مبادئ الحرية والإخاء بين البشر كافة ، وشرعت شرائع الشورى والديمقراطية والعدالة والحق ، والتكافل الاجتماعى ، وجعلت الناس إخوة ، ونادت بوحدة إسلامية تسع المسلمين جميعا ، وهى التى تنادى بها اليوم فى وحدة عربية ، فهى وحدة عربية إسلامية مصغرة ، كما نادت بوحدة إنسانية عامة ، يشترك المسلمون وأتباع الديانات السماوية الأخرى فيها فى المحافظة على السلام وعلى القيم الإنسانية ، وعلى بناء الحضارة ، وعلى أصول المدنية والمسئولية الأدبية بين العبد وربه . فالوحدة الأولى هى وحدة فى الهدف ، وهى مقدمة على كل شىء والوحدة الثانية هى وحدة فى الصف ، وهى لا تقوم إلا إذا وجدت الأولى ، وهى ضرورية للتوازن العالمى ولسيادة السلام فى الأرض ، ولتبادل التجارة والمنافع بين البشر جميعا . يقول الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من محاضرة له فى قاعة الإمام محمد عبده [1] ما نصه : « إذا كان المسلمون قد انحدروا من أجناس وأنساب شتى ، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى ، ولهم لغات ولهجات متباينة فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم ، والإسلام عقيدة وشريعة ، مبادئ ومثل وطريق للسلوك فى الحياة ، للسلوك فى شتى أنواعه ومظاهره ، ففرس لذلك بين الأمم والشعوب التى اعتنقته عادات وتقاليد متشابهة

(١) راجع مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٢ هـ ص ٥٩٣ وما بعدها « الإسلام والعالم » .

فى الحياة ، وحدبها بين اتجاهات المسلمين فى تصرفاتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة ، ولم يوحد الإسلام بين المسلمين فى كلمة التوحيد فحسب ، بل وحد بينهم كذلك فى قواعد السلوك ، وفى أساليب السلوك فى الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة ، فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ؛ لأنها وحدة فى الإيمان ، وحدة فى المثل وفى الأهداف ، وحدة فى الشعور ، ووحدة فى السلوك والأخلاق ، وفى التقاليد والعادات » .

• — إن الإسلام يقف اليوم فى مركز الثقل فى العالم ، يحفظ للإنسانية روحها ، ويجدد للحضارة بناءها ، ويبنى للحياة قيمها ومثلها ، تفرمن أمامه نزعات الإلحاد والمادية وتحاول أن تطغى عليه نزعات الفساد والتحلل فلا تلبث أن تجد العود الصلب ، والحق الثابت ، والقوة الفتية ، والشباب المتجدد ، والمثاليات الإنسانية الكريمة ، فتخشع وتطأطئ الرأس صاغرة ذليلة .

الإسلام هو الحياة المتوثبة ، والشعائر الكريمة الحية المتجددة ، هو كل قوة وكل خير وكل عدل ورحمة فى الأرض : « إنه لا عيب فيه ، ولا ينقصه شىء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات ؛ فإذا كانت هناك عيوب ، وإذا كان هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا ، ولعملنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للإسلام » (١) .

ولا يعنى ذلك أن ندخل فى الإسلام تقاليد المسلمين المتأخرة ، وجمودهم الذى صاروا إليه ، ولا أن نحاسبه على أعمالنا نحن ، وعلى ركوع البعض منا أمام القوة والجبروت والسلطان ؛ بل إن الإسلام هو التحرر والانطلاق والحق والإنصاف ، وهو السمو النفسى والروحى فى كل نواحيه ، وهو كل دعوة كريمة فى الحياة

وليت شعرى متى يفهم المسلمون رسالتهم فى الحياة حق فهمها ؟ ومتى يؤمنون بالإيثار لا الأثرة ، وبالحق لا بالباطل ، وبالعدل لا بالجور ، وبكل قيم الحياة ومثالياتها الرفيعة ؟

اللهم إنك ربى ، وأنت القادر على تغيير الطباع ، وتصحيح الأوضاع ، وعلى أن يعود مسلمو اليوم كما كانوا بالأمس ، مثلا رفيعة ، وأمثلة حية لمبادئ الإسلام وآدابه وأصوله.

اللهم أنت الذى أنزلت رسالتك ، وأنت الذى وعدت بحفظها فى الأرض لتبقى فيها ما بقيت الحياة ، تبعث الإيمان والخير والفداء والتضحية والبطولة والشجاعة والنبل والشمم والخير بين الناس . فاكتب الدين وأهله العزة والسيادة والمنعة والقوة والظفر ، حتى تبقى الراية مرفوعة ، واللواء خفاقا ، والعلم مرفرفا ؛ يجتمع عليه الناس كلما فرقتهم الحياة ، وأغرتهم الدنيا ، ووسوست إليهم المادية ودعاتها المبطلون ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

(١) المرجع السابق نفسه .

طبيعة الشعر العربى

للدكتور عبد الله الطيب

— ٣ —

فرضيه الشعر :

على هذا الذى قدمناه أن يكون قد أوقع فى نفسك أيها القارئ الكريم شيئاً مما نراه ، من أن القافية والوزن معاً هما مفتاح القصيدة بما يشيعان فى موسيقاها من وحدة وارتباط .

وإذ هما كذلك فإنهما وثيقا الصلة بالمعانى التى تدور فى قلب الشاعر وتنبعث من أعماق تجربته إلى محض البيان ولقد تذكر أنا فردنا فى كتابنا المرشد الأول بحثاً مستفيضاً عن طبائع الأوزان طوالها وقصارها وما يرتبط بهن من ألوان المعانى . فالذى زعمناه هناك نريد أن نجعله ههنا أساساً لزعم آخر قد كنا ألمعنا لك بطرف منه ، وهو أن اتحاد القافية مع الوزن يحصر دائرة المعانى التى يهم بها الشاعر فى نطاق أقل حيز من نطاق الوزن المجرد قبل أن تصحبه القافية . ثم ضروب التنويع الموسيقى من زحاف إلى سكنات وحركات وهلم جراً ، يزدن فى هذا الحصر حتى لا تبقى أمام الشاعر إلا وثبة البيان التى تحيل مدلول موسيقا الوزن والقافية والزحاف والحركات والسكنات والاختلاسات ، كل ذلك إلى تعبير ناطق .

وأقول وثبة البيان ، لأن الوزن والقافية وما يتبعهن كل ذلك فى الإمكان تصوره مجرداً غير مصحوب بتجربة الشاعر . ولنا أن نزعم أن محض القدرة على تصنيع الإيقاع كفيل بأن يجئ هيكلا ، ذا وزن وقافية وأصناف من الزخارف النغمية ولكن هذا الهيكل يكون بارداً خالياً من الروح هامداً حتى تصحبه وثبة البيان المنبعثة من حاق التجربة والرغبة فى التعبير عنها . ووثبة البيان هذه هى ما كان يسميه القدماء (نفس الشاعر) يعنون به الروح الذى ينتظم رنة نظمه من المطلع ويربط بين سائر أجزاء كلامه ويشيع فيها وحدة عميقة ذات جرس مبين ووحى نافذ .

وإذا بلغنا هذا المبلغ فإنا نجسر فنقول إن القصيدة العربية شكل وهيكل ذو وحدة تامة مصدرها إطار موسيقى السمع ونفس حار ينبعث منه هذا الإطار الموسيقى حتى يكون مفتاح التعبير له ، ووسيلة تأتيه إلى البيان .

ذلك بأن الشاعر العربى يقبل على القول إقبالا مباشرا ولا يتكلف التماس الوسائط، وأعنى بهذا أنه يروم إيصال تجربته إلى السامع فيها مشاركة تامة، وحتى يصير كأنه هو نفسه قد اجتاز بمراحلها وأحس نشواتها وحرقاتها وهذا المرام من الشاعر العربى يضطره إلى الصراحة وإلى أن يكافح نفس سامعه كفاحا حتى يتصل بها اتصالا لا تشوبه شائبة من حجاب .

وإذا الصراحة طريق عسر، فإن الشاعر العربى قد طلب لها التذليل بإيرادها فى إطار من الوزن والقوافى والزخرفة النغمية نوع من مادة الموسيقى والغناء . ذلك بأن الموسيقى والغناء مما يحركان النفوس ويسموان بها — يسموان بنفس الشاعر حتى يملك الشجاعة التى يقوى بها على الصراحة وعلى مكافحة نفوس السامعين، ويسموان بالسامعين حتى يتجردوا من حجب الذاتية إلى لقاء الشاعر فى تجاربه .

والشاعر يرزم فى أعماق فؤاده بالموسيقى والنغم والحركات والسكنات قبل أن تسمح نفسه إلى طريقة من الوزن والتقفية وهذا الارزام يكون أول مراحل التعبير وأول مراحل الرتبة البيانية ومن طريقه ينتقل الشاعر من أرض الحجاب الذى يكون بينه وبين السامع المنتظر، إلى سموات من الأسفار، وتصحبه فى انتقاله هذا نشوة نفسية تزداد عنفا كلما قارب البيان والإفصاح — هذه النشوة النفسية إنما هى ضرب من الجذب الروحى الذى يعترى الكهان والعرافين وأمثالهم من أهل الوجدان والتطلع إلى الملأ الأعلى .

والشاعر قد تعتريه هزة الجذب الروحى والنشوة الشعرية قبل أن تتفتح نفسه إلى موضوع بعينه . وقد تعتريه بعد أن يصدم نفسه حادث ما أو موضوع ما . فإذا اعترته قبل أن يكون قد استثاره موضوع يعرف أمره، فإن حالته النفسية تكون فى ظلام من الانقباض أشبه شىء باليأس الحانق على أنه وهو فى هذه الحال ، يدرك أنها إرهاص بالتعبير الذى لابد أنه تاليها ثم ينكشف عنه الظلام إما رويدا رويدا إلى نور الإفصاح وإما بفجأة بعد عسر طويل . والغالب عليه فى هذه الحالة أن يتخبط فى التماس سبل البيان آخذا آنا بهذا الوزن وتلك القافية، وآنا بهذاك الوزن وهاتيك القافية، وربما نظم قصيدة كاملة ثم وجدها لا تحمل كبير معنى من نفسه فاطرحها ولايزال فى نحو من هذا العناء حتى يفرج عنه .

والحق أن الشاعر فى هذه الحالة إنما يكون قد ألمت به دوافع تجارب من الماضى طال اختباؤها حتى إذا حان أوان بروزها

اجتذبته بعنفها فلم يجد بداً من الانقباض والضجر حتى يستذكرها إلى أن تشرق عليه واضحة جهيرة . هذا وإذا اعترت الشاعر حالة الجذب بعد حادث بعينه ، أو موضوع بعينه فالغالب أن يكون اعتراؤها إياه يسير المس أول الأمر ، ضعيف الإلمام ، وربما وجد نفسه ينطق برنة الوزن والقافية ، أو ببيت كامل أو عدة أبيات

وقل أن يستوفى التجربة حقها فإذا أعرض بعد ما تأتى له أولا فإنه لابد أن تعاوده دوافع هذه التجربة ولو بعد أمد طويل وتصنع به نحواً مما قدمنا نعته من قبل وإن لم يعرض ، وأقبل على إيفاء التجربة حقها من التعبير ، فإنه لابد أن تلم به حالة الضجر والقلق والظلام بعد انقطاع أوائل الأبيات أو أوائل التعبير عنه ، ولا تزال هذه الحال تشتد به وهو يلتمس السبل إلى البيان حتى يجد مسالكه إليه . ومن هنا تشابه حالة الجذب فى مظهريها - أى حين تعرو وبلا سابق حادث وحين تعرو بأثر صدمة حادث بعينه أو موضوع . وعندى أن منشأ هذا التشابه من أن الشاعر فى كلتا الحالتين يروم استخراج خبيء تجارب الماضى التى توحى إليه بالبيان . ولعل صدمة الحادث المعين أو الموضوع المعين إن هى إلا مجرد سبب مباشر لإثارة التجارب المودعات . وكثير من حالات الجذب تقع فى طرائق وسط بين مجرد الانبعاث من دون سابق حادث أو مجرد الاستجابة إلى صدمة حادث أو موضوع ، من ذلك مثلا أن يتذكر الشاعر حادثا مضى ثم يعتريه انقباض ما إلى أن يقول فيه بيتاً أو بيتين . ثم يقطع به ، ثم يراجعه القول بعد ذلك .

هذا وإن من تجارب الشاعر ماينـدفع به إلى البيان اندفاعا ومنها مايستسر إلى حين . ومنها مايروم مخرجا وأكثرها يختمر ويتعتق ويمكث دهوراً ثم يحدث فى نفس الشاعر ما سبق لى نعته من انقباض وظلام ثم وضوح وانبلاج وإفصاح .

وهذا الوصف كله تقريبى لا أزعم أنه يصدق على أحوال الشعر جميعها وأرانى غير واجد بدأ من أن أستثنى ضروب القول المتعمد ، وهو الذى يصطلح له المعاصرون قولهم شعر المناسبات إذ الشاعر لا يصدر فيه عن دافع منبعث من الأعماق ، ولكنما يستجيب إلى دعوة من الخارج يسخر لها ملكته .

على أنه حين يجمع أطراف ملكته ويتخير مفتاح التعبير فى الوزن والقافية ، ويمد بنات فكره إلى شتى قطوف المعانى ، لا يخلو

فى كل ذلك من رجعة إلى ماضى تجاربه، ومن وثبة إلى فنن من الخيال. وحينئذ يبطل عامل المناسبة، ويتلاءب التعبير على طريقة مستقيمة من طرق البيان الأصيل. ومتى تأتى للشاعر ذلك أمكنه أن يصعد بالنفس الخطابى، وهو النفس الغالب على أصناف البيان المتعمد بمرض المناسبات، إلى طرق من الإفصاح الرحب المدى، الذى ربما استثارهم بمجموعة بأسرها. على أنه لابد من الاحتراس ههنا بأن النظام فى المناسبات مزلة أقدام. وربما وثق الشاعر بملكته ثقة أعمته عن حقائق عوامل الأصالة فى نفسه. فيكون الترنم بأنغام بما أوتيه من ملكة ودربة، ويحكم نظاما من المعانى، ثم لا يصاحب ذلك جميعه عنصر الجذب الروحى الذى لابد منه لحياة الإطار الموسيقى والعبارة البيانية.

وقد كان أحمد شوقى رحمه الله كثيراً ما يزل هذا الزلل، وتشفع له مقدرته على النظم والتنغيم. ولقد سبق لى أن ضربت من ذلك فى المرشد أمثالا، ولا أهاب ههنا أن أصف سائر مراثيه بأنها من شعر المناسبات وأنها خالية من الروح كل الخلو لا أكاد أستثنى من ذلك شيئا إلا بيته فى سعد رحمه الله:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانثنى الشرق عليها فبكاها

والصناعة فى الشطر الأول لا تخفى إذ ضمنه قوله تعالى: «والشمس وضحاها» على أنها صناعة خفية التكلف ورنة النغم تشفع لها هذا، ومما يقارب شعر المناسبات فى خطورة المرقى، ومقاربة الزلل، شعر المجاريات، وأحسب أن المجاراة الجيدة لا يقدر عليها إلا ملهم موفق أو تجىء على محض الاتفاق والمصادفة.

ذلك بأن الوزن والقافية كما قدمنا لك هما مفتاح للتعبير. فالذى يجارى شاعراً آخر، إما أن يكون قد اتفق له ذلك اتفاقا، وإما أن يكون قد تعمده، فمن أمثلة الأول كلمة أبى الطيب:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب

فهذه لا يغفل أن يكون هو قد تعمد بها مجاراة أبى تمام حيث قال:

السيف أصدق إنباء من الكتب

ومن أمثلة الثانى كلمة شوقى:

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب

فإنه جارى كلمة أبى الطيب:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

ومحل النظر هو هذا الضرب الثانى، لأن الشاعر الذى يوافق آخر قبله فى الوزن والقافية على سبيل الاتفاق والمصادفة، إنما يشابهه فى أمر واحد فقط وهو أن كلامه فى جملته داخل فى حيز المعانى

العاطفية التي تشير إليها طبيعة الوزن والقافية كاستشعار البطولة مثلا - إذ غير خاف أن أبا الطيب أسبغ على خولة ألوانا من البطولة استشعر ذلك منها وحسبك شاهداً صريحا قوله :

فما تقلد بالياقوت مشبهها
وما تقلد بالهندية القضب

ولا تصح المجاراة المتعمدة من الضرب الثاني إلا إذا احتدم جانب العاطفة والروح وغلب على الشاعر غلبة جماته يتخذ من وزن الشاعر الآخر هو الذي يجاريه ومن قافيته نموذجا يحتذي ، ويجري يرتاد فيه مسالك تجربته وانفعاله ومقاصد تعبيره ، ولا ريب أنه تصاحب هذا النوع من التعمد حالة من حالات الجذب شبيهة بما يعانيه الشاعر حين تظلم نفسه قبيل إشراق الشعر عليه ، وذلك أنه بالتماسه للنموذج يكون كالمتحسس في الظلمة ، فمتى وقع خاطره على كلمة شاعر بعينها نزلت عنده بمنزلة المفتح لما يعتلج في نفسه ، ولا أكاد أمترى أن عبدة بن الطبيب قد لاقى عناء من هذا الضرب في قصيدته التي أولها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

إذ قد نظر فيها إلى كلمة كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

ولعلنا لا نباعد أن عددنا هـــذه المجــاراة أدخـــل في باب الاتفاق والمصادفة منه في باب التعمد البحت الكالح ، الذي استشهدنا له بكلمة شوقي في مجاراة المتنبي .

ذلك بأن المتعمد تعمدا بحتاً إنما يروم مجاراة الوزن والقافية بالاجتهاد وقوى الملكة ، ولا أشك أنه يرتكب الكلفة والصناعة بادئ أمره ، وربما عمد إلى ألوان من التدليس بما هو بضاعة الشعراء كالافتنان في التنغيم والمحسنات البلاغية واصطياد المعاني الشاردة ، كل ذلك يروم أن يضاهي به ما لا بد للشعر الصالح منه ، من حرارة النفس ، واندفاق الطبع .

وقدر للشاعر المجيد بعد هذا التكلف أن تنفتح بعض آفاق نفسه فيصدق في التعبير ، على أن هذا إن تأتى إنما يجيء كالفلتة وفي الأبيات القلائل وأكثر مجاريات المرحوم أحمد شوقي من هـذا الضرب ، كهذه البائية التي استشهدنا بمطلعها فإنها في جملتها ليست بشيء وكسينيته التي جارى بها البحتري وليته لم يفعل ؟ ومن أغرب ما قرأت من المجاريات كلمة الأديب الغزي أوردها صاحب الجريدة في اختياراته ، يجاري بها تائيـة أبي العلاء التي في سقط الزند :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقد النار لا يكرى بتكريتا

وهي كلمته :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا
واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ولا أدري لماذا يطلب المواقيت إذا تيسر التلاقي ، ولكنه أتى من طلب المؤاخاه بين الحج والمواقيت فأفسد هذا المعنى كل الإفساد ، وخور الشطر الأول لا يخفى على القارئ :

فثغرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر
المسود لا ثمه يطوى السباريتا
واللثم يجحف بالملثوم كرته
حاشا ثناياك من وصم وحوشيتا

والمقابلة ههنا بين اللؤلؤ المبيض والحجر المسود اجتهاد مرهق . ولعمري لو شبه ثغرها بالحجر الأسود لكان أبلغ ، إذ يسبغ عليه قداسة ونورا ولكنه اندفع مع الطباق ورام المقابلة بذكره أن لا ثم الحجر الأسود يطوي السباريت ، وهذا كما لا يخفى معنى سرقه من أبي العلا المصري إذ هو كثير الدوران في لزومياته ، وما على من يريد لثما من ثغر محبوب أن يطوي إليه السباريت ؟ .

أمست سعاد بأرض لا يبلغها
إلا العتاق النجيات المراسيل

هذا ولقد جمع خيال الغزي رحمه الله ـ اللهم غفرانا ، بل إغرابه حتى أخذ ينعى على الحجر الأسود أن الشفاه أجحفت به وأثرت فيه وثغر المحبوب بزحمه يزداد حسنا على اللثم فهو ههنا يربى على الحجر الأسود ، فتأمل هذا العنت .

ولعمري أن قوله « اللثم يجحف بالملثوم كرته » آبدة من الأوابد لغريب عبارتها وخشونتها وما الكر واللثم ، ولا أحمد لفظة « الملثوم » ، كما لا أحمد لفظة « يجحف » وأما « حاشا » و « وحوشيتا » وما إليها فتذكرنا بأنه يجاري المصري ، وويل الكواد من مجاراة العراب ، وإنما أراد إلى قول المعري : —

ذم الوليد ولم أذمم دياركم
فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا
فإن لقيت وليدا والنوى قذف
يوم القيامة لم أعـدمه تبكيتا

ثم قال الأديب الغزي : —

قابلت بالشنب الأجفان مبتسما
فبدا من ناظريك السحر منكوتا
فكان فوك اليد البيضاء جاء بها
موسى وجفناك هاروتا وماروتا
جمعت ضدين كان الجمع بينهما
لكل جمع من الألباب تشتيتا
جسما من الماء مشروبا بأعيننا
يضم قلبا من الأصلاد منحوتا

وإنما نظر في هذه الأبيات إلى قول أبي العلاء : —

يادرة الحذر فى لج السراب أرى

مقلداً بعقيق الدمع منكوتا

إلى آخر ما قاله . ولقد بالغ فى التكلف وإنما سقنا هذا الذى سقناه من ثانيته لضرب مثلا على المجاراة التى يراد بها إظهار الصناعة فإنها أكثر ما تئول إلى نقيض ما يريده صاحبها .

هذا والنقائض فى الشعر مما يدخل فى باب المجاراة المتعمدة كالذى تجده فى مناقضات جرير والفرزدق . غير أن هذين كانا يجريان كلاهما مجرى الخط وقد سبق لهما قبل المباراة أن حددا لأنفسهما مجال القول فإذا استهل أحدهما بوزن ما وقافية ما كان ذلك كالمؤذن لصاحبه بأن مجال القول ههنا . فتى جاراه صاحبه فى وزنه وقافيته لم يكن بالمبعد كل الإبعاد عن طريقة الرضى التى تنشأ من الانفعال والنفس العاطفى الحار . ولقد نرى عند جرير والفرزدق أنه ربما عمد أحدهما إلى مخالفة صاحبه فى القافية لا فى الوزن ليجعل ذلك أقرب ما يهم هو بقوله من ذلك ما فعله جرير فى مجاراة الفرزدق إذ يقول .

إن الذى سمك السماء بنى لنا

بيتا دعائمه أعز وأطــول

فانه قد خفض الروى لينجو بالقول عن التفخيم إلى ما هو من طريقه ومذهبه من الوثب والاندفاع . تأمل فى التدليل على هذا الذى نذهب إليه قول الفرزدق :ـ

إن الذى سمك السماء بنى لنا

بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائه

ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

أحلامنا تزن الجبال رزانة

وتخالنا جنا إذا ما نجهل

وتأمل بعده قول جرير :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا

وبنى بناءك بالحضيض الأسفل

بيتا يحمم فينكم بفنائه

دنس مقاعده خبيث المدخل

أبلغ بنى وقبان أن حلومهم

خفت فما يزنون حبة خردل

ولعمرى إذ عمد الفرزدق إلى التفخيم والرفع فلا شيء أبلغ فى نقض ذلك من التحقير والخفض وهذا ما عمد إليه جرير فأجاد .

وقد تجد أحد هذين الشاعرين ربما عدل عن وزن صاحبه ورويه ، متى بدا له أن يغير مجال القول نفسه ، فإما تبعه صاحبه وإما خالفه ، وجرير أبدا يروم جذب الفرزدق إلى الوافر والكامل والقوافى الذلل المنطلقات والفرزدق أبدا يجنح إلى الطويل وإلى ما يكون حزنا من ضروب الروى .

شيطان الشعر :

هذا ونعود بك أيها القارئ الكريم إلى ما كنا فيه من نعت حال الشاعر حين يروم القول ويلتمس أسبابه فى أصناف النغم الذى يصير من بعد مفتاحا للتعبير وطريقة للبيان والإفصاح .

إن حال الجذب والانفعال التى ترافق تطلع الشاعر إلى تحصيل فى الوزن المناسب والقافية المؤاتية ، هى نفسها التى تصبغ كلامه كله بصبغ واحد وتشيع فيه روحا واحدا وتجعله ذا نفس واحد متصل وهى فى رأينا سر الوحدة عند الشاعر العربى وجوهر الروح العاطفى فى كلامه ـ تفيض أول أمرها نغما صرفا ثم تتسرب بعد ذلك فى مسارب القول الناصع .

وقد بينا لك آنفاً أن طريقة الشاعر العربى فى التعبير الجهير المباشر هى التى ألجأته إلى أن يصعد بنفسه إلى قمم من الانفعال حتى يقدر على التصريح غير هائب ـ لأن همه الاعتراف ـ وحتى يتقبل السامعون ذلك من صنيعه قبولا حسناً وهو إذ يصعد بنفسه إلى علياء الانفعال ويهمهم فى أعماقها بالنغم ملتمساً للتعبير ، يصير كما قدمنا إلى شىء من حالة الجذب والهيام ، يرتفع به عن مطلق الفردية البشرية إلى شىء من البطولة . ولذلك زعمت العرب أن الشاعر يصاحبه شيطان يلقى إليه ، قال سويد بن أبى كاهل :

وأتانى صاحب ذو غيث
زفيان عند إنفاد القرع
قال لبيك وما استصرخته
حاقر للناس قوال القذع
ذو عباب زبد آذيه
خمط التيار يرمى بالقلع
زغربى مستعز بحره
ليس للماهر فيه مطلع
هل سويد غير ليث خادر
ثئدت أرض عليه فانتجع

وغير خاف ههنا أن شيطان سويد هو سويد نفسه بدليل البيت الأخير ، وهذا يقوى ما نزعمه من حالة الجذب ، وقضية شيطان الشعر معروفة فلا تحتاج إلى بسط ههنا ، وبحسبك شاهداً على إيمان العرب بها أن الذين ألمع إلى مذهبهم هذا فى قوله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . والمنعوتون بالإفك والإثم والكذب ههنا هم الكهان ، ثم أضيف الشعراء إليهم بسبيل المشابهة والمضاهاة ومنهم من

استثنته الآيات كما ترى . وفى الأثر أن حسان ابن ثابت أعين بروح القدس بعد أن أسلم ، وهذا أيضاً دليل على إثبات الهاتف الذى يجذب الشاعر ويجيش فى صدره .

ويحسن بنا هنا أن نوازن بين مزاعم الفرنجة فى نسبة الشعر إلى « الميوزات » أو « عرائس الشعر » وبين مزاعم العرب فى الشيطان والرئى . ألا ترى أن الذى تلهمه العرائس جدير أن يكون فى بيانه ذا ريث ومهل وانفعال بنفسه شيئاً ما عن طبيعة الموضوع الذى هو بصدده ، حتى يجيء كلامه نعتا أو كالنعت لا اعترافا ولا تصريحا ، ولا روما إلى إيصال تجربة بعينها إيصالا مباشراً إلى نفس السامع ، ذلك بأنه من طبيعة المستلهم إلى العرائس أن يتأملهن ويعجب بهن ويتأتى إليهن، وفى كل هذا شوق وطرب مع تقية وانفعال .

أما من كان قرينه شيطانا فإنه يخالطه مخالطة لا يدع معه له انفراداً بنفسه أو انفعالا بذاتها . وعلى هذا فإن تعبيره يكون ضربة لازب ألواناً من الاعتراف يتدافعن تدافعا وينفجرن انفجاراً . فعسى هذا التمثيل أن يعين شيئاً على إدراك بعض حقيقة الفوارق بين مذاهب الشعر الإفرنجى والشعر العربى .

هذا وإذ نحن بصدد الحديث عن شيطان الشعر ، فقد لا نبعد عن تثبيت معانى ما نحن بمعراضه ، إذا استطردنا بالقارئ شيئاً إلى نعت بعض شعراء العرب المشاهير بنعوت شياطينهم أليس معلوما أن كل شاعر قد كان يدعى لنفسه شيطانا ؟ أم لم يمر بك كلام سويد بن أبى كاهل من قبل ؟ أم لا تعلم قول حسان :

ولى صاحب من بنى الشيصبان
فطوراً أقول وطوراً هوه

وقول الأعشى :

دعوت خليلى مسحلا ودعوا له
جهنام جدعا للهجين المذمم

فأبو العتاهية مثلا شيطانه من الحن بالحاء المهملة ، وهم أمة خسيسة من الجن شديدو ابث مع ضعف وتخاذل . ويخيل لى أن أكثر شياطين الشعر المعاصر من هذه القبيلة .

وآية الضعف والتخاذل فى أبى العتاهية أنه تنكب الجزالة فى التعبير بدعوى الزهد ، والناس يذكرون أنه كان زنديقا وكان جشعا وأشد خلق الله حرصا على المال ، والذى فى أسلوبه من الركاكة والهجنة لا يخفى . وأحسبه لو لم يتخذ الزهد طريقة ما كان لينفق فى زمان كان يستمع إلى أبى نواس ، وبشار ومروان بن أبى حفصة .

(البقية على صفحة ١٠٩)

سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله

للأستاذ عباس طه

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه).

ومن نافلة القول العرض حتى ولو لماما للأنواع الثلاثة التى وردت فى صدر الحديث وإنما الخليق بالعرض والتحليل والإشادة والتفصيل ما سنبسطه بإسهاب فيما يلى :

أولا : رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه :

غير خاف أن العدد هنا عدد الأصناف لا عدد الأفراد ، أى سبعة أصناف وأنواع من الناس يجمع كل صنف صفة من الصفات فلا يرد أن هذا الرابع فيه رجلان فحق العدد أن يكون ثمانية ، وذلك لأنهما وإن كانا رجلين فإنهما مشتركان فى صفة واحدة فهما صنف واحد ، فليس للمذكور زيادة على السبعة ، وإنما ذكرا على وجه التثنية لأن الغالب فى المحبة التى تجرى بين الناس أن تكون متبادلة ، فالنفس دائما تستريح إلى النفس التى تحبها ، فتؤدى استراحتها لها إلى مشاركتها لها فى المحبة . قيل : إن رجلا طلب إلى أحد الملوك أن يحب ابنه ، فرد عليه بأن المحبة ليست أمرا اختياريا يملكه الإنسان من نفسه حتى يطلب منه تحصيله ، فقال له : طريق ذلك أن تحسن إليه فيحبك فتحبه ، وحقيقة جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، كما قال الأول :

وكل امرئ يولى الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

واستدعاء محبة أحد الطرفين محبة الآخر أمر يكاد يكون مطرد المشاهدة :

وللشىء مع الشىء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

نعم قد قالوا : إن أصل كل المحبة محبة المرء لنفسه ، ومنها يتفرع حبه لغيره ، فهو إذا أحب المحسن فإنه إنما أحبه لذات إحسانه ، وإذا أحب جمالا فى المخلوقات كألوان الزهر وتجلى الشمس والقمر كان مرجع ذلك إلى

استمتاع حواسه أو استرواح نفسه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلأن الله أودع هذا السر فى هذا الزهر لأنه يريد أن يسوق الناس إلى محبته .

وكلمة (تحابا) على صيغة تفاعل ، وهذا الوزن يأتى فى العربية لمعان ، منها وهو المراد هنا أن يشترك اثنان أو أكثر فى فعل بدون أن يلحظ أن لأحدهما صفة البدء به أو المجاوبة على بدئه .

وأما قوله - اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه - فمعناه أنه حب قلبى روحى صادق ، ليس رياء ولا ملقا فهو فى حال الاجتماع والافتراق سواء ، يثمر فى الأول العطف والإيناس والتواد ، وينتج فى الثانى ود غيبته ، وحفظ حقه ، ورعاية مصلحته . وخليق بمن أحرز هذا الوصف أن يكرمه الله بإظلاله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

هناك محبة عليا لا تسمو إليها إلا النفوس الخيرة هى محبة الله ، لله وفى سبيل الله ، محبة تسمو على الاعتبارات والنزوات ولذلك يقول صهيب رضى الله عنه عمدة أهل الحق : « اللهم أنت تعلم أنى لا أحبك طمعا فى جنتك ولا خوفا من نارك ، ولكنه الانقياد إلى خير طريق وأبلج محجة ، ومن أجل ذلك يقول عمر ابن الخطاب : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . وقد روى أن أيوب السختيانى وسرى السقطى والخليل بن أحمد من علماء الصوفية المتقدمين أطبقوا على أن محبة الله مطلب لا ينال إلا بالرياضة والإقبال على الله والتجرد من الدنيا وعلائقها مع الاحتفاظ بنصيبهم فيها وقد جاءت السيدة رابعة العدوية وهى قطب من أقطاب علم التصوف فقالت مخاطبة لله عز وجل :

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى
فكشفك لى الحجب حتى أراك
وأما الذى أنت أهل له
فشغلى بذاتك عمن سواك

ثانيا : ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله .

غير خاف أن تغلغل الشهوة فى قلوب الناس وتمكنها من نفوسهم أمر معروف بلا مرية ، وإنما يتفاوتون فى الفضل بقدر ما يبذلون من جهد للتخلص من إسارها ، وقهر النفس على الفرار من سيئاتها ، وقد يكون الخلاص منها لضعف تعلق النفس بها لأنها لم تستكمل كل الرغائب ، كأن يكون الوصول إليها متعاصيا لا طاقة للمرء عليه ، أو أن تكون داعية الجمال فيها ضعيفة فتضعف الجاذبية أو أن تكون فى إنسان مرذول تنفر بعض النفوس من الاتصال به

لحقارة شأنه وأنفة النفس من معاشرته فإذا كملت الرغائب وهى مبنية على النزوات كانت الصلة ميسورة ، وكان أمامها ما يرغب فيه ولا تعاف النفس مقارفته . فهذا هو الامتحان حقا ، فمن أعرض عنها وقد توافرت رغباته فيها ، فإنما يكون ذلك خوفا من الله ولمن خاف مقام ربه جنتان .

وهذا هو ما صوره الحديث الشريف ، فقد بدأ بأن الطلب من المرأة ، وهذه أول درجات الإغراء ، وثنى بأنها ذات منصب أى شرف وحظوة فلا تأنف النفس من الاتصال بمثلها ولا تحتقرها ، وثلث بأنها ذات جمال ، وذلك أساس الرغبة الشهوية ، فإذا امتنع عن ذلك مخافة من الله دخل فى قوله جل شأنه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » وقوله : « قال إنى أخاف الله » أى قال لنفسه ذلك يعظها ويزجرها ، ويربى فى نفسه خـــوف الله ، فهى لضعفها أحق بأن تخاف ما يخافه الرجل القوى ، وتخصيصه فى الإجابة الخوف بنفسه وكأنه يقول لها : أنا خفت على نفسى فإن كان يهمك نفسك فخافى أنت أيضاً على نفسك فكأنه يتركها وقد فتح لها باب المخافة لتستنبط هى بنفسها الخـــوف على نفسها ، وهذا فى الغالب أشد تأثيراً من أن تدعو الشخص إلى الخوف صراحة . وقريب من هذا ما فى قوله تعالى : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » .

ثالثا : ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه :

للنفوس ولوع بالمال وإحرازه والتحفظ عليه والاستمساك به والهلكة فى سبيله لا يدانيه ولوع بأى شىء آخر ، فهم يرون فيه جماع أغراضهم ، وملاك رغباتهم ، ونيل مشتهياتهم :

والمال مذ كان تمثال يطاف به
والناس مذ خلقوا عباد تمثال
إذا جنى الدور فانع القاطنين بها
أو الممالك فاندبها كأطلال

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

وقوله : « تصدق أخفى » جملة أخفى حال ، أى تصدق مخفياً صدقته ، وروى فأخفى ، وروى إخفاء ، وروى تصدق بصدقة فأخفاها ، ووجه رواية الفاء أن الإخفاء أو الجهر حال من أحوال الفعل وصفة من صفاته ، وصفة الشىء متأخرة فى الملاحظة عن وجوده وإن لم تنفصل عنه وجودا .

وقوله : (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

غير خاف أن الترغيب فى إخفاء الصدقة محمول على صدقة التطوع ، أما زكاة الفرض فالأفضل إظهارها لأنها شعيرة من شعائر الدين ، وفى إظهارها إظهار لعزة الدين ، وليكون قدوة للسالكين معينا لتضافرهم على أدائها .

ومما لا مرية فيه أن الصدقة المخفية فضلا عما فيها من سد الخلة ففيها عدم إحراج للمتصدق عليه .

روى الجاحظ فى كتابه ـ البيان والتبيين ـ أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها جلست ذات يوم فى دارها وحولها فضليات النساء من الصحابة فقالت عائشة : (رحم الله لبيد حين يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

فقال بعض الحاضرات من النسوة : كيف ذلك يا أم المؤمنين وما معناه . فقالت عائشة : ذهب قوم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة سدها بغير علمه ، وجاء قوم فى أعقابهم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة استوثق من صاحب الخلة ثم سدها بعلمه ، ثم جاء من بعدهم قوم كان إذا علم أحدهم خلة انتظر حتى يسأله ، فإذا سأله سدها ، لجاء من بعدهم قوم أشحاء النفوس مهملو الرءوس كان أحدهم يذهب إليه ليسد خلته فيأبى ذلك عليه ، وهو أسوأ الفرق الماضية والحاضرة) .

ولا شك أن الرعيل الأول من المسلمين كان يخفى صدقته أو معونته وعن هذا الفريق يحكى الله فى قوله تعالى : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » .

رابعا : ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

لا مشاحة فى أن فيض العيون عند الخلو بالله عز وجل نعمة كبرى يفيضها الله على عباده ، فالعبد إذا خلا بربه ذكره ذكر المؤمنين ، وخشيه خشية الخائفين ، لأنه يعلم السر والنجوى ، ويعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فالعبد الخائف من ربه حين يخلو به يظهر أمامه على حقيقته دون مصانعة ولا مخاتلة ، وهذا الفضل قد يكون فى غير المسلم فأولى أن يكون فى المسلم الذى يعتقد أن هناك ثوابا وعقابا فى دار الجزاء ، وليست الدموع التى تفيض من عين العبد عند خلوه بربه دموعا مصطنعة ولا زائفة وإنما هى دموع الرجل الخائف المضطر ، روى الإمام الغزالى فى كتاب الإحياء أن بعض الخائفين من الله كان يحصى على نفسه من وجه النهار إلى آخره جميع ما يصدر عنه من الأعمال فإذا جن الليل استحضر السيئات

منها وبكى فى جوف الليل وسكونه إنابة إلى الله حتى يبلل الأرض بدموعه فيغفر الله له تلك الهنات ، روى الحاكم من حديث أنس مرفوعا (من ذكر الله ففاضت عيشه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) وروى عن أبى هريرة مرفوعا (لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع) وروى أن داود عليه السلام سأل ربه : ما جزاء من بكى من خشيته حتى تسيل دموعه على وجهه؟ قال : أسلم وجهه من لفح النار.

وروى عن سيدى عبد العزيز الدباغ وهو عاهل من عواهل علم التصوف والمعرفة والشهود أنه علم عن أخ له فى الله كثرة بكائه ونحول جسده حتى كاد بصره أن يكف فأنشد رضى الله عنه :

من أين للعارض السارى تلهبه
أم كيف طبق وجه الأرض صيبه
هل استعار دموعى فهى تنجده
أو استعار ضلوعى فهى تلهبه؟

نسأل الله أن يحشرنا وإخواننا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما؟

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ١٠٤)

ودعبل شيطانه من الجن الآبدين سكان الفلوات والقفار الذين يلمون بالناس أحيانا ليصرعوهم. وقد ذكر الرواة أنه كان يألف القفار وربما صاحب جماعة الشطار واللصوص وربما قطع الطريق ، وهو فى كل ذلك يلم بالحضر وما كان يفعل ذلك إلا ليفتك بعظيم أو خليفة بهجاء يصمه به آخر الدهر. وديك الجن ، وهو من معاصرى دعبل ، وقد كان شيطانه من العمار وهم الجن الذين يسكنون البيوت . وقد كان صاحب طريقة من النظم أحسبه سبق بها أبا تمام لما كان يستعمله من البديع والإغراب . وروى له ابن رشيق أنه ألم به دعبل فأنشده قوله :

كأنها ما كأنه خلل الخلة
وقف الحبيب إذا بغا

وإنما أراد أن يروعه بهذا ، فأنكره دعبل عليه وسخر منه .

الدكتور عبد الله الطيب

(للبحث بقية)

ما يقال عن الإسلام

الإسلام في تاريخ العالم

للأستاذ عباس محمود العقاد

من موضوعات التأليف التي كادت أن تصبح لها في اللغة الانجليزية « دورة » كالدورة الصحفية موضوع الكتابة عن تاريخ العالم في مجلد واحد ، مختصر أو يطبع في الطبعات الدقيقة التي تسمى عندهم بمكتبة الجيب .

ومن الواضح أن الدورة في هذه المؤلفات تحسب بعشرات السنين : كل عشرين سنة هجرية ، أو كل ثلاثين سنة ، أو كل جيل من الأجيال البشرية المتعاقبة ، إذا حسبنا الجيل ثلث قرن على العرف الشائع ، لأن السنين الثلاث والثلاثين يلتقي فيها على الدوام جيل قديم ، وجيل مقبل ، وجيل قائم في إبانه.

وقد ظهر في الجيل الأخير باللغة الانجليزية ، ثلاثة تواريخ عالمية من مطبوعات المجلد الواحد : وهي تاريخ « ولز » المصلح الاجتماعي والكاتب القصصي ، وتاريخ فان لون الناقد الفني والكاتب الأديب ، ثم هذا التاريخ الذي بين أيدينا لمؤلفه جون باول Bowle المشرف على تأليف الموسوعة الجامعة لتاريخ العالم ، وله من مؤهلات الإحاطة بالتواريخ الإنسانية ، والتواريخ الشرقية على الخصوص ما لم يكن لزميليه السابقين ، وإن لم يبلغ مبلغهما من الملكة العقلية واستقلال الرأي أمام التقاليد.

والخاصة التي تتميز بها التواريخ العالمية في مجلد واحد أنها تكتب من وجهة نظر مقدورة في موازين مؤلفيها ، فليست هي مجموعة من المتفرقات لا تربط بينها رابطة غير الاجتماع على خريطة الكرة الأرضية ، وليست هي مجموعة من الوقائع مجردة من المغزى والدلالة على طريقة المؤرخين المسجلين للحوادث العامة في كتب المطولات ، ولكنها أشبه بقصة متناسقة يعرضها شارح واحد يقدم للنظارة شريطاً من الصور المتحركة ، ويذكر لكل مرحلة منه مناسبة ملحوظة تلحقه بالمراحل التي سبقته وتصل بينه وبين المراحل التي تليه .

ولقد كان « ولز » كفئاً لهذا التنسيق على أساس النظرة الواسعة إلى الوحدة الإنسانية في أطوار التقدم الاجتماعي والانتقال من نظام « معيشي » إلى نظام يخلفه ويحل في أكثر الشعوب محله ، وكذلك نظر إلى دور الصيد ودور المرعى ودور الصناعة ، ثم دور

التوسع فى العلاقات الاجتماعية والأخلاقية التى تقوم عليها دعائم المجتمعات والهيئات الحاكمة

وكان فان لون مقتدراً على تنسيق التاريخ العالمى فى نطاق الحركة الفكرية والدلالات الفنية ، كأنما ينظر إلى الإنسانية فى مراحلها المتتابعة نظرته إلى بعثة ثقافية تشتغل بالتموين إلى جانب اشتغالها بالبحث والتحصيل .

أما المؤلف الأخير - وقد ظهر كتابه فى أواخر السنة الماضية - فالمرجع الأكبر أمامه هو مرجع الجغرافى الذى استوفى أسانيد الإحصاء وأنباء الصحف والإذاعة ، وأخذ ينقل الأبعاد الزمانية إلى خريطة مكانية يعرض فيها مواقع الماضى كأنها تحصل فى الوقت الحاضر ، ولم يتخذ له فى هذا العرض موقفاً مستقلا غير الموقف « التقليدى » الذى يصطنعه « المسجل المعاصر » حين يدين نفسه بمظاهر « الاستنارة » على حسب اصطلاح العرف الحديث ... فكل تعليقاته على الحوادث التاريخية الكبرى فهى تعليقات مسبوقة من بقايا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مضافاً إليها علم الرجل العصرى كما يستمده من مراجع الإحصاء والإذاعة ، وبخاصة فى القسم المفرد أو الأقسام الموزعة التى عرض فيها لتاريخ الإسلام

يبدأ بتقرير الواقع المشهور عن دور الإسلام بين أدوار الديانات العالمية ، ويفصله عن ديانات رومة وأثينا والصين والهند بأنه هو الديانة الثالثة الكبرى بين الأمم السامية ، وأولاها اليهودية ثم المسيحية .

ويقارن بين النبي عليه السلام وبين السيد المسيح صاحب الديانة السامية الأخرى وبين « بوذا » صاحب الديانة الآرية المهذبة ، فيقول إنه مثلهما يملك العبقرية الدينية ولكنه يمتاز عنهما بالكياسة السياسية مع القدرة العسكرية .

فإذا تكلم عن العوامل الاجتماعية ، والنفسية ، التى ينسب إليها تمكن الإسلام فى وطنه ثم انتشاره فى سائر الأوطان على نحو لا نظير له من قبله ولا من بعده ، فهنالك تغلب عليه تلك الفكرة « التقليدية » عن عقيدة السيف والغنيمة ، ويفوته التعليل التاريخى الأول الذى ينبغى أن يسبق كل تعليل : وهو انتشار الإسلام لأنه وافق فى العالم كله حاجة عامة ، بعد أن حان أوانها وتمهدت الأسباب لوفائها فى عالم الفكر والضمير

فكل ما عدا القدرة السياسية والعسكرية فى نبى الإسلام فهو قابل للتفسير بحماسة « التعصب » العنيف وبالرغبة فى كسب الغنائم ، وبالطبيعة البدوية التى بنيت على تعدد الرحلات والغارات .

ويتبين قصور هذا المؤلف خاصة عن تعليل للحوادث العظمى كلما ذكرنا أنه أعرف من زميليه بتواريخ المشرق فى كل من الهند والصين والبلاد الملاوية ، وهى

البلاد التى يوجد فيها اليوم قرابة ثلثمائة مليون مسلم دخلوا فى الديانة الإسلامية بعد عصر الفتح بعدة قرون ، وبغير عامل من تلك العوامل التى تفسرها غارات البدو أو طمع الفقراء من أبناء البادية فى كسب الغنائم واغتصاب الديار .

ويتبين هذا القصور من وجهة النظر العصرية قبل كل شىء ، لأنهم تعودوا فى هذا العصر أن يعللوا كل نجاح كبير بمقدار الحاجة له والموافقة بينه وبين أشواق النفوس ومطالب المعيشة وضرورات الحياة ... فاذا يفعل الطمع فى الغنائم لولم تكن للإسلام مزية إنسانية يتطلبها العالم ويستعد لها قبل أوانها ؟ ولماذا لم يفعل هذا الطمع فعله فى تاريخ انتشار الديانة اليهودية وهى ديانة قبائل بادية ومطامعها فى الغنائم واغتصاب الديار تحل عندها محل الشريعة المقررة فى مواعيد الإله ؟

وينتقل المؤلف من هذه النظرة التقليدية إلى نظرة تقليدية أخرى عند الكلام على الحضارة الإسلامية بعد انتشارها بين الشعوب السامية الآرية ، فهو يعيد هنا تلك الدعوة المحفوظة عن استعارة الثقافة العربية خاصة والإسلامية عامة من الثقافة الإغريقية ، ولا يكلف نفسه مؤنة المقابلة بين ذخائر التراث العربى الإسلامى فى الحكمة والطب والكيمياء والجغرافية والتاريخ والأدب وبين الذخائر التى تخلفت باللغة اليونانية فى جميع هذه الموضوعات ، بل لا يكلف نفسه مؤنة البحث فى المسائل المنقولة والمسائل المبتكرة التى تحتوى فيما احتوته ردودا على حكماء اليونان وعلمائهم وزيادات مستقلة فى دراسات الحكمة والطب لم تؤثر عن مرجع يونانى وصل إلى العرب أو بقى له أثر فى القارة الأوربية وقد كان أولى من ذلك كله وأقرب إلى التحقيق العلمى أن يسأل المؤلف نفسه : لماذا حوربت الثقافة الإغريقية عند نقلها إلى الأوربيين ولم تحارب هذه الثقافة - بمثل هذه الشدة بين شعوب الإسلام على اختلاف الأجناس ؟ وربما كان أولى من ذلك أيضا أن ينظر المؤلف إلى الفن العربى الإسلامى فى البناء ليعلم مبلغ استقلال الذوق العربى عن اليونان فى ناحية ثقافية من ألصق النواحى بهم وهى ناحية الفنون الجميلة ، ويعلم كذلك أن الذوق العربى قد استقل بفنه بين أمم شرقية كثيرة سبقته أبناء الجزيرة العربية إلى تشييد العمائر وابتكار أساليب البناء .

ولكن المؤلف يشهد للحضارة العربية الإسلامية شهادة تشفع له فى هذه الزلة التقليدية ، لأنه يقرر بعد إسهاب الكلام عنها أنها لم تستتبع فى التاريخ دورا من أدوار الظلمات كما حدث بعد الحضارة الرومانية اليونانية بين أبناء القارة الأوربية .

* * *

ومن النظرات التقليدية التى سبق إليها المؤلف تلك المقارنة بين العقيدة الإسرائيلية والعقيدة الإسلامية كما وردت فى كتب الديانتين ، ويذكر من هذه المقارنات أن القرآن يسأل الإنسان : « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » وعنده أن هذا السؤال الإلهى كسؤال الله لأيوب أأنت الذى زينت جناحى الطاووس ؟ وأن العقيدة الإلهية متقاربة — إذن — بين الديانتين !!

وفى هذه المقارنة أكثر من خطأ واحد لأنها مجموعة من الأخطاء لا يتخللها صواب واحد فى جهات الموازنة بين الجانبين .

فالخطأ الأول أن سفر أيوب ليس من الأسفار الإسرائيلية ، لأنه خلا من كل إشارة إلى الفداء أو إلى المسيح المنتظر لخلاص بنى إسرائيل ، ولم يكتبه نبى من اليهود .

ويماثله فى الخطأ أن الإله فى سفر أيوب لا يمثل إله الكتب الإسرائيلية « يهود » الذى يدين عباده بميزان محدود ، ويدين سائر العباد بميزان آخر غير ذلك الميزان .

ويأتى بعد ذلك خطأ المقارنة بين عبارة عارضة فى سفر أيوب وبين العبارات القرآنية التى تنتظم الكتاب كله ولا تدع فى الأرض أو السماء صورة من صور الخلق لا يقام بها الدليل على وجود الخالق وعلى رحمته وعدله واستغنائه بدليل العقل عن أدلة الخوارق والمعجزات .

وشفيع المؤلف فى هذه الأسطورة التقليدية أنه خص الإسلام بالقوة الصالحة لتوثيق الوحدة « الأخوية » بين المؤمنين وأنه لم ينظر إلى فارق من فوارق الجنس واللون أو فوارق الغنى والفقر كأنه فارق حائل دون جامعة الإخاء بين أبناء آدم وحواء ، ولكنه على هذا التقدير منه لدعوة الأخوة الإنسانية فى الإسلام لم يذكر لهذا الدين حسنته « الإنسانية » الأولى فى إنقاذه لبنات حواء من مذلة العبودية ، ومن مذلة الحرمان من الروح ، ذلك الحرمان الذى أوشك أن يلحقها بالخلائق العجماء .

وقد لازمه خطأ الفهم إلى النهاية حين ختم فصله الخاص بانتشار الدين معيداً قوله فى الفصل كله : إن الصبغة « الحربية » قد لازمت حضارة الإسلام فى كل صفحة من صفحاتها التى مثلتها عواصم دمشق وبغداد والقاهرة والقسطنطينية ، وإن سر هذه الصبغة كامن فى الدفعة « الديناميكية » الباقية منذ قيامه على « عصبية الصحراء » . وينسى فى هذا الختام الموجز كل ما قرره عن خاصة « الأخوة الإنسانية » التى اختص بها هذا الدين « السمح » الكريم ؟

عباس محمود العقاد

الكتب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ — منهج الإمام محمد عبده
فى تفسير القرآن
للأستاذ عبد الله محمود شحاته

هذا البحث تقدم به المؤلف إلى جامعة القاهرة لنيل الماجستير ، وأشرف على الرسالة فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ، والذى كان رئيساً للجنة التى ناقشتها على مدرج كلية دار العلوم ـ وكان عضوا اللجنة الأستاذ الدكتور محمود حب الله والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، وقد منحت اللجنه المؤلف درجة جيد فى العلوم الإسلامية (مادة الشريعة) وقام بطبعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكتب مقدمتها فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

الرسالة تقع فى حوالى ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، الباب الأول تناول المؤلف فيه حياة الإمام ، وترجم له ترجمة مركزة لا إسهاب فيها ، وفى الباب الثانى تناول المؤلف منهج الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن مقارنا بمناهج المفسرين السابقين ، واعتبر أن منهجه قام على تسعة أسس : اعتبار السورة وحدة متناسقة ، عموم القرآن وشموله ، القرآن المصدر الأول للتشريع ، مناهضة التقليد ، المنهج العلمى فى البحث ، تحكيم العقل ، ترك الإطناب فى المسائل المبهمة ، التحفظ من التفسير المأثور ، تنظيم الحياة الاجتماعية على هدى القرآن .

أما الباب الثالث والأخير فقد تناول المؤلف فيه مدرسة الإمام فى التفسير ، ويعنى بها مدرسة المنار ، وخصائصها الخمس : التحقيق العلمى ، تأثر الشيخ رشيد بابن كثير ، تأثره بالغزالى ، التوسع والإطالة ، بيان السنن الاجتماعية وأسباب التطورات التاريخية مستنبطا ذلك من القرآن .

الأستاذ شحاته لم يكن فى بحثه هذا مواليا لآراء الإمام فى كل ما رأى ، بل له وقفات معارضة لا سيما عند الكلام عن تحكيم العقل فى فهم القرآن ، وإن كانت هذه الوقفات جانب بعضها الصواب ، فالإمام لا يتأثر بالمؤلفين الفرنسيين فى حديثه عن المعجزات والنبوات كما يرى المؤلف ، ومحاولة الإمام

أن يقرب إلى الأذهان المعجزات الإلهية ويعلل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ليس فيه خروج عن أصول التفكير والبحث السليمين، ولا تأثر بالمفكرين الفرنسيين، وقد سبقوا بمفكرين إسلاميين لهم مكانتهم فى مجال الفكر، كالمعتزلة وغيرهم، ومسألة خلق عيسى من غير أب التى وقف عندها المؤلف، لأن الإمام يرى أن الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب وعلى المجموع العصبى يحدث فى عالم المادة من الآثار على خلاف المعتاد، لم ينكر الإمام عندها قدرة الله سبحانه، وإلا فمن الذى بعث الملك لينفخ فى فرج العذراء؟

من المسائل التى تعرض لها الإمام ووقف منها المؤلف موقف المعارض، مسألة السحر، وسحر الرسول - صلوات الله عليه - بوجه خاص، فالإمام يستبعد أن يكون الرسول قد سحر إلى الدرجة التى تجعله يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله، كما يستبعد مسألة سحر الرسول إطلاقاً، والمؤلف يوافق الإمام فى الجانب الأول، ولا يوافقه فى الجانب الآخر، وإن كان يرى أن سحر الرسول بمثابة إصابته بنوع من الهم أو الثقل امتحاناً له، ويعود المؤلف فيحاول تأييد حديث البخارى ويدافع عنه، وفيه أن الرسول سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن، وفى هذا تناقض المؤلف مع نفسه، ولو جرى هذا لكان هناك مجال للتشكيك فى نزاهة إبلاغ الرسول عن ربه، ولا يستبعد أن يكون قد نزل شىء للتبليغ فى تلك الفترة، والتشكيك فى سلامة رواية الحديث أجدر وأحق من التشكيك فى التبليغ، وسد لباب لا يأتى بخير، لا سيما الحديث من الآحاد التى لا يعول عليها فى المسائل العقيدية.

أما اعتبار كلام الإمام (بأن السحر ليس علما يعتمد على الحقائق) فيه مجانبة للصواب كما يرى المؤلف، ففى هذا الاعتبار شطط، فقد أشار القرآن فى بعض آياته أن السحر تخييل وخداع، ولم يثبت علميا أن السحر من الحقائق العلمية إلى اليوم، فهو ما زال ضرب من الشعوذة ليس إلا.

الحق أن البحث الذى نحن بصدده بحث جيد ولا يحد من قيمته معارضة المؤلف لبعض آراء الأستاذ الإمام، والذى ألاحظه أن الترجمة للإمام كانت مقتضبة، وأن الأسس التسعة التى اعتبرها المؤلف مما قام عليها منهجه فى التفسير لم تشمل كل الأسس المعروفة عن منهج الإمام، وأنا أعتز بكلمة الشيخ أبو زهرة فى مقدمته للبحث: وهى أن السيد المؤلف خاض خوضا شديداً نوافقه فى بعضه ونخالفه فى بعضه، ولكننا فى الموافقة والمخالفة نقدر اجتهاده».

٢ - النبي محمد :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

عنوان الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة للأستاذ الخطيب ، هو : (النبى محمد ، إنسان الإنسانية ونبى الأنبياء) واعتبر أن هذا البحث الذى يقع فى حوالى ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير ، حلقة ثالثة سبقها كتابه (قضية الألوهية بين الدين والفلسفة) فى حلقتين (الله ذاتاً وموضوعاً) و (الله والإنسان) .

تناول البحث : النبوة ، النبى ، المعجزة ، الإعجـــاز ، مصادر الرسالة الإسلامية ، خاتم النبيين ، الداعى وموطن الدعوة ، الرسول ومعجزاته ، الرسول والمعجزة الكبرى ، بشرية الرسول ، المرأة فى حياة النبى ، نبى الملحمة ثم نبى الرحمة .

الأستاذ المؤلف فى بحثه عن « النبوة » وهل هى ضرورة إنسانية ، عرض مذاهب الناس تجاه النبوة ، فهناك المؤمنون بالشرائع السماوية إيمانا كاملا وهم مقرون بالنبوة بالطبع ، وبصلتها بالسماء ، وهناك غير المؤمنين بالشرائع السماوية ، فمنهم من يعتقد فى الله وينكر رسالات الأنبياء ، ومنهم من ينكر الله ، وينكر الشرائع السماوية إطلاقا ، وقد كان لفلاسفة اليونان والهند وغيرهم نصيب أوفر فى إنكار كمال الجنس ليرقى إلى مرتبة النبوة .

والمؤلف يناقش فى البابين الثالث والسابع قضية المعجزة ، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ففند أولا رأى بعض الفلاسفة المنكرين للمعجزة ممن يرون أن كل ما يقع فى الحياة مألوف وغير مألوف هو جار على طبيعتها ، وواقع على ما تقضى به سننها ، وأن الأحداث التى تبدو غريبة أو خارقة لمألوف الحياة هى فى الواقع أحداث طبيعية لم تعرف أسبابها التى لا بد أن تكون قائمة وراءها ، وأما فيما يتصل بالمعجزات التى حفلت بها كتب السيرة ونسبت إلى الرسول ، فالمؤلف مع تقريره بأن من مستلزمات المعجزة أن تكون للتحدى ، يعرض هذه المعجزات وينعى على منكريها ، وهى فى جملتها ليس فيها شىء من التحدى اللهم إلا فى قصة الشجرة التى ذكرت فى قصة الأعرابى الذى عرض عليه الرسول الإيمان فأبى إلا بدليل فاستشهد الرســـول الشجرة فأقبلت تنطق بالشهادة بنبوة محمد ثلاثا ثم عادت أدراجها فآمن الأعرابى .

والمؤلف نقل القصة من كتب السيرة دون ما إشارة إلى سندها وروايتها ودرجة صحتها فى مجال البحث العلمى للحديث النبوى ومع إيمانه بأن المعجزة الكبرى هى القرآن الذى توافر له كل مؤهلات التحـــدى ، يعود فيحاول إسناد قصة الشجرة بتحليل بعيد عن المنهج العلمى .

إن القرآن قطع بأن معجزته هى المعجزة الكبرى حين جاء فى سورة العنكبوت : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .....

والمؤلف فى عرضه للمعجزة غفل جانبا مهما فى القضية . فالمعجزات التى نرددها فى كتب السيرة من الأمور العقيدية التى تتطلب خبراً قطعى الدلالة والورود ، وكنت أود أن يناقش المعجزات بالروح التى ناقش بها ختان الرسول وشق صدره بعد عامه الثانى فقد كان واسع الأفق خصب التفكير ...

وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد أضفى على بحثه لونا من التحليل العميق لجاء بحثا شيقا ممتعا .

٣ — شرح القصيدة النونية :

لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس

هذا الكتاب فى جزءين كبيرين نشرته مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين والقصيدة النونية التى تبلغ أكثر من ستة آلاف بيت ، وضعها العلامة ابن قيم الجوزية ، وأسماها « الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية » وقام بشرحها والتعليق عليها فضيلة الشيخ محمد خليل هراس المدرس بكلية الشريعة وفضيلته أقدم على شرحها شرحا مطولا ؛ لأنه يرى من ناحية أنها أعظم ما ألف فى التعريف بمذهب السلف الصالح فى إثبات الصفات لله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات والرد على فرق الزيغ والضلال من المعطلة النفاة ، أو المجسمة الغلاة ، ومن ناحية أخرى ، أن هذه القصيدة لم تزل بكراً لم يفتض ختامها ، والمحاولات التى سبق أن تعرضت لشرحها يسيرة ليس فيها شفاء لعليل ، ولا رى من غليل » .

أما منهج الشارح الذى ذكر فى المقدمة أنه قد التزم به ، فهو الشرح الوسط بين البسط والإيجاز ، والواقع أن فضيلته لم يلتزم تماما هذا الوسط فى الشرح ، فقد أضفى على تفسير أبيات القصيدة النونية الكثير من الشروح وأعتقد أن هذا كان ضروريا ، فالشعر مهما كانت بلاغته يقصر دون عرض القضايا الكلامية عرضا تاما سليما ، وابن قيم الجوزية حاول فى قصيدته أن يعرض مذهب السلف فى إثبات الصفات لله ، وأن يجادل ويناقش المنحرفين عن مذهبهم من الجهمية وغيرهم ، وأستاذه ابن تيمية سبقه عن طريق النثر ، وتأثر تلميذه به فى الجدل والمناقشة حين عرض هذه القضية فى كتابه (الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة) .

إن شرح القصيدة النونية بالطريقة المسهبة

التي انتهجها فضيلة الشيخ هراس، كان ضروريا فالشعر يقصر دون إيضاح المسائل العقلية المعقدة، وقد اعترف بذلك ابن قيم الجوزية حين جاء في بعض أبياته حين تعرض لأدلة العلو والاستعلاء:

والنظم يمنعني من استيفائها
وسياقة الألفاظ بالميزان
فأشير بعض إشارة لمواضع
منها وابن البحر من خلجان

المهمة التي أداها الشارح جديرة بالتقدير، وكان ينقصها مقدمة تلخص منهج ابن قيم الجوزية في القضايا الكلامية التي أثارها، كما كان ينقصها التبويب المنسق الذي ييسر على القارئ استيعاب هذه القضايا المعقدة المتشعبة وروح البحث العلمي المجرد من العنف والصلابة في الرأي.

٥ — في أصول الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبو شهبة

المؤلف هو الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد أبو شهبه، الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، وأحد كتاب مجلة الأزهر المعروفين، والموضوع من الموضوعات العلمية الشاقة التي تحتاج إلى علم وذهن خصب ودقة في البحث والاستيعاب، فأصول الحديث - كما يقول الأستاذ المؤلف (من أجل العلوم وأشرفها وأدقها وأعظمها إفادة إذ به يعرف صحيح المنقول من ضعيفه، ومقبوله من مردوده).

بدأ البحث بالرواية وأقسامها وكونها طريقا للعلم وتاريخها، ثم مميزاتها في الإسلام ثم تناول الحديث في عهد الرسول وعصر الصحابة والتابعين، ثم تحدث عن كتب أصول الرواية وشروط الراوي ومناهج المحدثين في النقد، ثم أسباب الجرح ومراتبه وشروط المتواتر، وشبهاته، ثم أخبار الآحاد وأقسامه، ثم تناول البحث قصة الوضاعين وأمارات الوضع، وانتشار الموضوعات في كتب العلوم وكتب التفسير وكتب الوعظ وكتب السير والأدب واللغة وختم البحث بعرض لكتب الموضوعات والأحاديث المشتهرة والتخاريج.

الكتاب - وإن كان على ما يبدو، مدرسي المنهج، ولذا جاء مقتضبا غاية في التركيز - إلا أن الأستاذ المؤلف، قدم لنا دراسة طيبة عن أصول الحديث لا يفيد منها الطالب وحده، وإنما يفيد منها أيضاً كل من يعنيهم الأصل الثاني من أصول التشريع، والذي ما زالت قضيته مثار أخذ ورد، وجدل ونقاش، وتحتاج دائما إلى دراسات مستفيضة وعلى مستوى عال من المنهج العلمي في أصول البحث.

محمد عبد الله السمان

أنباء وآراء

حول موضوع التبشير فى أندونيسيا :

زار السيد الملحق الصحفى لسفارة أندونيسيا بالقاهرة إدارة المجلة وتحدث عما نشر بعدد شوال عن موضوع التبشير فى أندونيسيا ، ثم قدم سيادته مذكرة بالمبادئ الخمسة « البانجاسيلا » وهى المبادئ التى أشار إليها الكاتب فى حديثه عن التبشير فى أندونيسيا وهى :

(١) الإيمان بالله .

(٢) القومية الأندونيسية .

(٣) الإنسانية .

(٤) الديمقراطية « سيادة الشعب » .

(٥) العدالة الاجتماعية .

ثم قال إن المبدأ الأول : وهو الإيمان بالله شرحه الرئيس أحمد سوكارنو فى خطابه الذى حدد فيه فلسفة الثورة الأندونيسية إذ قال : مبدأ الإيمان بالله ليس معناه أن الشعب الأندونيسى يؤمن بربه فحسب ، ولكن معناه أن كل فرد من أفراد الشعب يؤمن بربه : فالمسلم يعبد ربه وفق تعاليم النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسيحى يعبد ربه وفق تعاليم عيسى ، ويؤدى البوذى مراسيم عبادته تبعا لكتبه الدينية وحينئذ تكون أندونيسيا دولة تؤمن بالله .

فهلموا نعمل بأوامر الدين سواء المسلم منا أو المسيحى ، وقد أوصى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصايا كثيرة فى التسامح واحترام الأديان ، كما أوصى بذلك أيضا عيسى المسيح . فهلموا بنا ـ عملا بتلك الوصايا ـ نعلن مبدأ الإيمان بالله الذى يعنى عبادة الله الشاملة لمكارم الأخلاق وتبادل الاحترام والتقدير .

ومن هذا يتبين الخطأ الذى وقع فيه الكاتب وقد يكون مصدر هذا الخطأ قصورا فى فهم صحيح للمبادئ الخمسة التى كان ينبغى عليه كأندونيسى أن يلم بها إلماما كاملا .

وعليه فالجمهورية الأندونيسية عملا بهذه المبادئ الخمسة تحمى حرية العقيدة ، ولا تسمح

لأى دين بأن يعادى ديننا آخر الأمر الذى يهدم مبدأ من مبادئ « البانجاسيلا » ويتعارض معها وهمنا فى هذا الأمر أن نشير إلى نقطتين هامتين جاءتا فى كلام السيد الكاتب :

الأولى : تختص بالعون الذى تقدمه وزارة الشئون الدينية بأندونيسيا للهيئات الدينية والتعليمية المختلفة من حيث المساواة فى هذا العون بين المسلمة منها وغير المسلمة ؛ والمعروف أن عدد المسلمين بأندونيسيا يمثل ٩٥ ٪ من الشعب الأندونيسى والباقى هو ٥ ٪ موزع بين المسيحيين والبوذيين وليس من المنطق ولا الواقع أن يتساوى العون مع هذا الفارق العددى الضخم .

الثانية : عما جاء فى كلام السيد الكاتب من دخول الأجانب دون قيد ولا شرط والحق : أنه لا يسمح لأى أجنبى بدخول البلاد إلا بشروط قررتها الحكومة إذ لا يعقل غير هذا كما هو المتبع فى أى دولة أخرى .

والمجلة تفسح صدرها لهذا التعقيب ، وتعقب عليه بقول الله تعالى :

« إن الدين عند الله الإسلام » .

حول مقال الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم

أقبلت بشغف على مطالعة مقال الباحث الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى عن (محرم) لأنى أحس فى كل ما يكتب عن محرم فى هذه الأيام بالذات بنوع من المشاركة الوجدانية مبعثه اهتمامى بمحرم وتراثه ومصاحبتى له سنوات أقنعتنى بأصالته الفنية وخصبه المتعدد النواحى على الرغم مما لاقاه من جحود وإهمال . وكان كتابنا عنه هو أول محاولة تهدف إلى لفت الأنظار إلى ما يستحقه هذا الشاعر العظيم من تقدير . وإلى الكشف عن خصائصه الفنية وشاعريته الخصبة ، فقضيت فى مطالعة المقال مستصحبا هذا الإحساس المشوب بالرضا .

غير أنى استوقف نظرى وأنا اقرأ البيت :

قتلت برشوة حقا ضعيفا
له من إثمها كفن ورمس

أن السيد الباحث أشار فى الهامش إلى مصدر البيت على أنه الجزء الثانى من الديوان ص ١٨٨ - ولما كنت موقنا أن قصيدة الرشوة لم ترد فى الديوان عدت إلى الصفحة المشار إليها ، فلم أجد القصيدة وتأكد ظنى ،

ورجعت إلى كتاب شاعر العروبة والإسلام فوجدت البيت واحداً من قصيدة الرشوة صـ ١٨٨ وقد دعانى ذلك إلى مراجعة سريعة لمصادر البحث فوجدت نظائر لهذه الحالة فى الأبيات التى تشير إلى تعليم البنت ، أشار فى الهامش إلى أن مصدرها صـ ٢٧٦ جـ ٢ من الديوان ، والصواب أن الصفحة المذكورة من كتاب شاعر العروبة والإسلام ومصدرها فى الديوان صـ ١٥٠ جـ ٢ .

والأبيات التى يقول فى ختامها :

راودتنى عصبة عن حقها
وأبى العرق الكريم المنتمى

يشير إلى مصدرها صـ ١٥٩ جـ ٢ والصحيح صـ ١٥٦ ولعل التصحيف وقع أثناء الطبع وعلى الرغم من أن السيد الباحث كان حريصا على الإشارة إلى مصادره بالنسبة للديوان فإنى أراه كان على العكس من ذلك بالنسبة لقصائد أخرى لم ترد فى الديوان فقد استشهد بأكثر من ثلاث عشرة مرة من كتاب شاعر العروبة والإسلام بأبيات من قصائد لم ترد فى الديوان ولم يشر إلى الكتاب إلا مرة واحدة وكان يسرنا أن يشير الباحث الفاضل إلى مصادر القصائد الأخرى ، وله مع عتبنا شكرنا والسلام .

محمد ابراهيم الجيوشي

تعقيبات :

— ١ —

بين الكسائى وسيبويه :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد رجب البيومى ليدافع عن الكسائى فلقد تلوث الغربال بعنوان ... وهو الكسائى وصمة عار فى جبين الضاد - ويقول الأستاذ إنى قرأت ترجمته فى كثير من الكتب . ولكننى أقول له بقى كتاب لم يطلع عليه وهو بغية الوعاة للسيوطى فقد كتب فيه أسطراً فى ترجمة الكسائى ونقل عن ابن الأعرابى ، قال : كان الكسائى أعلم الناس ضابطاً عالما بالعربية قارئاً صدوقا إلا أنه كان ... ... والحياء يمنعنى أن أسطر ما كتبه فراجع صفحة ٢٣٦ . أما سيبويه وحكايته مع الكسائى فسوف يكون فى مقال آخر إن شاء الله .

— ٢ —

الدكتور جمال الدين الرمادى

العلم والعمل فى الإسلام

قرأت مقال الدكتور أيضاً فراقنى أسلوبه وقدرت نفسيته التى صورت هذا المقال إلا أننى كنت أنتظر أنه لا يكتب حديثاً إلا إذا راجع مظان الأحاديث فإنه يكتب

فى مجلة الأزهر ولها شهرة عالمية كما لا يخفى فلا يصح أن يكون مصدراً لذكر أحاديث تكلم فيها بالوضع، مع أنى أكرر وأقول إن مقاله فى مستوى رفيع وهو المطلوب من العلماء. فلا غبار على الأسلوب وملاحظتى على ذكره للأحاديث التى ذكرها، فنها أنه كتب وقال: (من طلب الدنيا فعليه بالعلم ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم) هذا كله لم يسمع من الأفواه ولم يذكر فى كتاب أنه حديث وإذا كان قد ذكر على أنه حديث فليبين، ولا يصح التساهل. فقد جاء الوعيد فى التساهل، كذلك ذكر حديث (إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) وقد نبه عليه جلال الدين السيوطى فقال منكر لا أصل له. والحكم كذاب يروى الموضوعات.

وقال ابن عدى لا يروى عن الزهرى غير الحكم ثم عقب عليه فى صفحة ١٠٩ فى كتاب اللآلىء المصوغة والعلم ليس فى حاجة إلى ذكر أحاديث لم تصح فحسبه قوله جل ذكره. « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ... ولنا كلمة أيضاً فى مقال الأستاذ الشرقاوى فى القهوة سنذكرها فى مناسبة قادمة بعون الله تعالى ؟.

سيد على المعربجى

ذكرى الرافعى:

لم ألق فى الأدباء مثلك (مصطفى)
تحكى براعته الحسام المرهفا
تحمى حمى أم اللغات بجده
وتذود عنها من بغى وتعسفا
قول كآيات الكتاب تنزلت
قد جل حسن بيانه أن يوصفا
كالصبح نوراً والنسائم رقة
والدر نظما والربيع مفوفا
ألقى البيان قياده لك تنتقى
منه - كما شئت - الأرق الألطفا

* * *

يا ناصر الفصحى بقولك لم تكن
متصنعا فيه ولا متكلفا
أعليت بالأدب الرفيع لواءها
فهفا على العرب الكرام ورفرفا
وأعدته شعبا قويا بعد ما
قد كان أوهى ما يكون وأضعفا
فلتبق ذكراك الكريمة بيننا
فهى الأحق بيومها أن يحتفى

عبد الرحمن نجا

باب الفتاوى :

من أضابير لجنة الفتوى

يشرف عليه : ابراهيم محمد الأصيل

السؤال :

الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر

جماعة جمعوا بين صلاة المغرب والعشاء بسبب غزارة المطر وصلوا العشاء قبل المغرب ، بحجة أن وقت المغرب قد فات لأنهم صلوا بعد وقت العشاء .

فهل صلاتهم صحيحة وفي أي المذاهب تصح وأيها تبطل ؟

عبد العزيز عبد الله القطيفي - الكويت

الجواب :

مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه جواز الجمع بين المغرب والعشاء خاصة للمطر تقديما وتأخيراً بشرط أن ينوى الجمع فى وقت المغرب قبل خروجه بما يسع الصلاة ليتميز التأخير المشروع عن التأخير تعدياً ، فإن لم ينو كان متعدياً بتأخيرها وكان فعلها فى وقت العشاء قضاء .

وعلى كل : سواء فعلت مع العشاء أداء للعذر أى نوى التأخير قبل خروج وقتها أو قضاء فإنه يجب الترتيب بين المغرب والعشاء لأن الفعل يحاكى استقرارها فى الذمة ، وحيث ثبتت فى الذمة مترتبة فإنه يجب فعلها كذلك مترتبة . فإن خالف وعكس الترتيب بأن صلى العشاء قبل المغرب كما فى مسألتنا كان فعل العشاء باطلا يجب فعلها ثانيا بعد صلاة المغرب .

ومذهب الشافعية عدم جواز الجمع تأخيراً بالمطر وعليه ففعل المغرب مع العشاء فى وقت العشاء لا يكون إلا قضاء . والترتيب فى فعل المقضيات مندوب خروجا من خلاف من أوجبه لا واجب ، فإذا صلى العشاء أولا والمغرب ثانيا وقعت صحيحة وإن لم يأت بالمندوب .

ومذهب الحنفية عدم جواز الجمع إلا فى الظهر والعصر تقديما بعرفة والمغرب والعشاء تأخيراً بمزدلفة فلا يجوز الجمع عندهم فى غير ذلك ، وعليه ففعل المغرب فى وقت العشاء فى غير المزدلفة يعتبر قضاء ، والترتيب واجب إن كان من أهل الترتيب بأن لم يترك فى حياته ست صلوات ولو من أيام متفرقة لسهولته عليه حينئذ فإن لم يكن من أهل الترتيب بأن اجتمع عليه ست صلوات فأكثر سقط وجوب الترتيب وله أن يصليها كيف شاء ، فإذا صلى العشاء قبل

المغرب حينئذ وقعت صحيحة لعدم وجوب الترتيب .

ومذهب المالكية عدم جواز الجمع بين المغرب والعشاء تأخيرا بالمطر فتأخير المغرب إلى وقت العشاء موجب للإثم والترتيب بينهما واجب بحيث لو فعل العشاء قبل المغرب كانت العشاء باطلة .

وهذا هو حكم المسألة فى المذاهب الأربعة كما طلب السائل .

الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب الأظفار والحمل الصناعى

السؤال :

١ — هل الشارع يمنع الحائض أثناء الحيض من صبغ شعرها وتخضيب أظفارها وإن فعلت لا يصح لها غسل لامتناع وصول الماء للشعر والظفر لكونهما تخفيا وهما بحالة غير طاهرة ؟

٢ — تقدم الطب الذى تمكن من إعطاء مصل منوى للمرأة بطريقة الحقن تحمل بواسطته طفلا وتنجب أولادا فما رأى الشرع ؟

مدير الأشغال العامة بطرابلس ـ لبنان

الجواب :

عن الأول نفيد بأن الأصباغ التى يصبغ بها الشعر ويبقى أثرها لا تمنع فيه الطهارة فى الوضوء والغسل سواء أثناء الحيض أو أثناء الطهر منه وأن الأصباغ التى يخضب بها النساء أظافرهن الآن لا تمنع الطهارة فيها وقد نص الحنفية فى باب الغسل كما فى شرح الدر على أنه لا يمنع الطهارة ما على ظفر الصباغ كما نص الشافعية فى هذا الباب كما فى حاشية الباجورى على شرح ابن قاسم على أنه : « يجب إزالة ما على اليدين من الحائل كالوسخ المتراكم من خارج إن لم يتعذر فصله ، وإلا لم يضر لكونه صار كالجزء من البدن » .

ولا شك أن إزالة الخضاب فى كل وضوء وغسل متعذر فيصح وضوءهن وغسلهن دون أن يكلفن إزالة هذه الأصباغ .

وأما عن السؤال الثانى فنفيد: بأن التلقيح الصناعى المذكور فى السؤال محرم شرعا وفيه من اختلاط الأنساب ما لا شك فيه فيحرم قطعاً سواء رضى الزوج به أم لم يرض .

أجرة دخول الماشية فى السوق :

السؤال :

اشترى شخص من الجزائر سوقا من الحكومة وهذه السوق تستعمل فى بيع المواشى فيحضر البائع ماشيته ليبيعها فى هذه السوق ، ولمالك السوق الحق فى أخذ مبلغ معلوم على كل رأس تدخله . فهل المبلغ المعلوم هذا حلال أم حرام؟

ميساوى الأخضر

الجواب :

هذه أجرة جائزة على مكث الماشية فى السوق يوم البيـــع والشراء ولا يضر فى ذلك تفاوت المدة طولا وقصراً لجريان العادة بذلك ورضا النـاس به ما دامت الأجرة معلومة كما ذكرت .

إقراض المصوغات المنضبطة وزنا وعيارا

السؤال :

أرادت سيدة أن تقترض من أخرى مبلغا هو خمسون جنيها ولكن السيدة الثانية لم يكن معها سوى ٢٠ فقط ، فألحت الأولى كثيرا لتقترض من الثانية مما استدعى الثانية أن تعرض عليها بيع بعض المصوغات لسد حاجتها ، وفعـلا اتفقنا على أن تبيع الثانية الذهب ولما ذهبنا إلى الصائغ وجدت السيدة الثانية أنها إذا باعت الأساور سوف تخسر جـــزءا من قيمتها عند الاسترداد فعرضت عليها الأولى أن توفى بجميع المبلغ بما فيه الخسارة وفعـلا بيع ما قيمته ١٨ قيراطا من الذهب على أن يرد ثانية عند الوفاء ١٨ قيراطـــا ثم حـــدث عنـد الوفاء أن زادت قيمة هـذا القـدر عن المبيع سبعة جنيهات مصرية .

والسيدة الثانية تسأل عن حكم أخذ هذه الزيادة ؟

محمد على

الجواب :

الأساور الآن منضبطة وزنا وعيارا وصنعة بسبب ما يوجد حول هذه الصنعة من الاحتياط ودمغ المنضبط الصحيح عياره منها دون غيره فيجوز حينئذ إقراضها على أن يرد مثلها وزنا وعيارا وصنعة وإن ارتفع الثمـن وقت التسديد عن وقت الاقتراض .

القتل الخطأ

السؤال :

كنت سائقا سيارتى الخاصة وفى أثناء سيرى بها صادفنى شخص يركب دراجـــة فاصطدم بالعـربة دون خطأ منى مما أدى إلى قتله

وأريد أن أعرف حكم الشرع فى هـذه المسألة حتى لا أسأل عنها أمام الله ؟

ح ـ ب ـ عنابة ـ الجزائر

الجواب :

صاحب السيارة إذا لم يتمكن من تفادى هذا الصدام بأى وجه من الوجوه يكون لا دخل له فى القتل وحينئذ فلا شىء عليه ولا تلزم الدية . أما إذا كان يستطيع أن يتلافى هذا الصدام بوجه من الوجوه ولكنه لم يفعل يكون عنده نوع من التقصير فتكون الدية مناصفة نصفها عليه والنصف الآخـر يسقط عنه .

ويكون عليه كفارة القتل الخطأ وهـو صوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام .

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : الأستاذ عبد الرحيم فودة

تمكين الحق

إن إرادة الله كانت تحتم تمكين الحق من السلاح الأقوى لكى يستطيع أن يعلى كلمة الله بنصره .

وفى نفس الوقت بذلتم جميعاً هناك أخلص الجهود وأكرمها لكى لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة ، ولقد كان سلاحكم قادراً ـ لو تركتم له العنان ـ أن يسيل دماء بغير حساب ، لكن العقاب لم يكن غايتكم ، لقد كنتم هناك أصدقاء الحياة ولم تكونوا أعداءها .

وإنى لأعلم أن كثيرين من شهدائنا الأبرار الذين جادوا بالدم الزكى على أرض اليمن راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك المزيد من الدماء ، وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام .

لقد وضعتم الدعوة جنبا إلى جنب مع طلقة الرصاص ، وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة الهدى تسبق طائراتكم ، كل ذلك حرصا على الحياة ، وفهما عميقا للمرحلة التى تجتازها أمتكم وفيها من يسعى على أرضها بالضلال والتضليل ويترك للمخدوعين أن يدفعوا وحدهم ثمنها . .

الرئيس جمال عبد الناصر
من خطابه فى الاحتفال بعودة الأبطال
« جريدة الأهرام »

يبنى ولا يهدم

والمجتمع الإسلامى لا يهدم من كيان الاجتماع الذى استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية فى الحقب الطوال ، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنسانى تاريخ متصل يتمم بعضه بعضا . وتنتهى إلى التعارف بين الشعوب والقبائل فى أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الإسلام على كيان الاجتماع فى الشخصية الفردية وفى الأسرة وفى الإيمان بوحدة النوع ،

ولا يهدم بنية من هذه الأبنية الحية التى «تحققت» لتعيش بين القوى العاملة فى المجتمع لا لتتهدم وتندثر فى حقبة بعد حقبة كأنها من الشرور التى تولد على الرغم منا . وتعود كلما استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندرى من أين تعود . .

عباس محمود العقاد

من كتاب الشيوعية والإنسانية

بعد الفتح بالقلم

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

« شوقى »

من الشوقيات

قيم الحضارة العربية

.. والقيم التى تستطيع الحضارة العربية ويستطيع العرب أن يفيئوها على البشرية تتناول جوانب الدنيا كلها ، ولكن منها قيما ثلاثة نعتبرها محاور الحضارة العربية أو معالم الحياة الإنسانية كما يتصورها العرب ويؤمن بها ، وهذه القيم هى :

أولا : الإيمان بالقوى الروحية ، وإذا كانت الحضارات المعاصرة قد نعمت فى فترات من تاريخها بالانقياد لتعاليم الديانات السماوية ، فإن الحياة الواعية لشعوب الغرب اليوم لا تفسح مكانا للديانات . أو القوى الروحية ، وكان من ذلك ما يعرفه كل أحد من سيادة القيم المادى للحياة والأحياد ، وانتزاع الأمن والرضا . واختفاء السعادة الإنسانية الأصيلة من حياة الناس .

ونحن العرب نؤمن دائما بالله .. وبالغيب . وبالآخرة . وبالقيم الروحية التى تميز الإنسان باعتباره نفحة من روح الله ، ونؤمن بأن تجديد هذا الإيمان فى نفوس العرب أولا . ثم فى نفوس الناس كلهم ثانيا هو مفتاح السر الذى يفتح آفاق الخير والحضارة الإنسانية الحقة أمام الشعوب كلها . .

ثانيا : الإيمان بالإنسان ، وإذا كانت الحضارات كلها تدعى إيمانها بالإنسان فإننا نحن العرب نستمد هذا الإيمان من تصور خاص للإنسان باعتباره مركز هذا الكون ومحوره ، وباعتباره صاحب الخلافة عن الله فى أرضه ، وإيماننا بالإنسان يتخذ — فوق ذلك — صورة الحرص على تكريم

الفرد، واحترام ذاته، وتقديس حريته؛ لأن الله تعالى يعامله على هذا النحو فيقول «ولقد كرمنا بنى آدم»، ثم يقيم شريعته كلها على أساس هذا التكريم، فيقرر له حرية اختيار العقيدة والفكرة، ويحمى حياته وماله وحرمته من الأذى والعدوان. وإذا كانت مشكلة الحضارات ليست فى جملتها سوى مشكلة الإنسان ... فإن هذا التقييم الخاص للإنسان كفيل فى الحقيقة بحل أزمة الحضارة المعاصرة.

ثالثا: الإيمان بالسلام، والدعوة إليه .. وهذه القيمة مستمدة هى الأخرى من أديان السماء، فالمسيحية جاءت سلاحا خالصا للناس والاسلام يستمد اسمه من السلام، ويجعل تحيته السلام، ويجعل الأصل فى علاقات الناس حتى مؤمنهم وكافرهم هو السلام فيقول «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها».

والدنيا اليوم عامرة بالحقد والعداوة والبغضاء، ونفوس الناس مستعرة بنار هذه الأحقاد ... وهيهات أن يصنع السلام أمثال هؤلاء ... أما عن العرب فندعوا إلى إقامة السلام داخل النفس البشرية أولا ... حتى إذا توافقت طاقاتها على الخير كان من الطبيعى أن تصنع السلام العالمى وأن تمكن له؟

دكتور احمد كمال أبو المجد

من مجلة الرابطة الاسلامية

الحياة لمن يقوى بها:

إننا لا نريد أن تساس مصر بأسلوب هؤلاء الفلاسفة، وإن كنا نرحب بهذا الأسلوب على أنه لون من ألوان الثقافة النظرية يضيف إلى أذهاننا معلومات، وإنما نريد أن تساس بأسلوب الحياة التى لا تحترم إلا القوة، ولا يعيش فيها إلا الأقوياء، وإذا كنا مع دولة (صدقى باشا) فى أنه يجب الاعتماد على أنفسنا والعناية بشئوننا الخاصة، وعدم الاسراف فى العاطفة نحو جيراننا. فإننا مع ذلك يجب ألا نتخلى عن التبعات الثقيلة التى ألقتها الأقدار على عاتق مصر من قديم، فاضطلعت بها فى صورة كريمة مشرفة يزدان بها تاريخها المجيد، فقد حطم التتار بغداد وقوضوا صروح حضارتها، ثم اندفعوا يهلكون الحرث والنسل إلى أن جاء دورهم مع مصر فحطمتهم وأنقذت الشرق من شرورهم وأخطارهم، وقد انتزع الصليبيون بيت المقدس من المسلمين، وظل فى أيديهم أحقابا طوالا، ثم جاء دور مصر معهم فردتهم على أعقابهم، واستردت منهم هذه الوديعة التى أؤتمن عليها المسلمون والعرب.

ع . ف

من مقال بجريدة الزمان

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني — السنة الخامسة والثلاثون — صفر سنة ١٣٨٣ هـ - يوليه ١٩٦٣ م

١٢
٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

حول « أمة التوحيد تتوحد »

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

اطلعنا على عدد « المحرم » من مجلة الأزهر ، وقرأت فيه مقال رئيس التحرير الأستاذ أحمد حسن الزيات المعنون « أمة التوحيد تتوحد » .

وقد لفت نظرى فى هذا المقال تلك المقابلات التى عقدها بين بقاء عناصر الوحدة ودوامها ، وعدم ثباتها واستقرارها .

وليس بخاف كما يؤكد التاريخ والواقع أن عناصر الوحدة الإسلامية ومقوماتها كانت - ولا تزال - ذات أثر فعال ، وصلاحية إيجابية فى بناء مجتمع قوى متماسك وبخاصة فى الفترات التى يتهيأ فيها الأمة الإسلامية قادة يأخذون بمبادئ الإسلام وعناصره الخالدة فى العقيدة والنظم والأخلاق ، ومن هنا كانت الوحدة الإسلامية خالدة بخلود هذه العناصر التى أرادها الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أساسا لقيامها وقواعد لكيانها .

ومن هنا كذلك كان نجاح الثورات الإصلاحية مرهونا بمدى تجاوبها مع هذه المبادئ وتلك الأسس .

هذا . وقد وافق الأستاذ الزيات على أن ينشر بيانا فى هذا العدد يصحح فيه الفكرة ، ويزيل اللبس الذى وقع فى مقاله السابق لتطمئن النفوس إلى أن مجلة الأزهر حريصة على اتجاهها العلمى وطابعها الإسلامى .

وإنا لنرجو لمجلة الأزهر ، ولكل أجهزة الدعوة الإسلامية التوفيق فى الوصول إلى الأهداف التى جاءت بها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتى بها تدوم وتعم ، وهى التى من أجلها يعمل الأزهر .

ونسأل الله التوفيق فى العمل ، والعصمة من الزلل ... « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ...

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثاني — السنة الخامسة والثلاثون — صفر سنة ١٣٨٣ هـ - يوليه ١٩٦٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إيضاح وبيان :

وحدة لا وحدتان

خالج بعض النفوس المؤمنة شيء من قولي في العدد الماضي من هذه المجلة : « إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول . وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان والسلطان يعتريه الوهن فيزول . أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق والحرية في الرأي والديمقراطية في الحكم ، وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم » .

والقول الذي أعتقده وأقصده هو أن الوحدة الناصرية المقترحة غير مغايرة ولا مستقلة عن الوحدة المحمدية وإنما هي تجديد لها ؛ لأنها كما قلت في عدد شعبان الماضي من هذه المجلة : « طبقت مبادئ الإسلام التي فهمت ولم تعتقد ، أو اعتقدت ولم تطبق ؛ فالأمر شورى والحكم عدل والرزق شركة

والناس سواسية والشعب حاكم ، فإذا قلت إنها إذا نفذت ستبقى وتدوم فذلك لأنها هى الإسلام مطبقاً بالفعل منفذاً بالقانون مؤيداً بالحكم . ولو كانت غير ذلك لما اطمأن إليها قلب ولا اجتمع عليها رأى .

ولو كان الأمر أمر السلطان بغير عقيدة لكان من الممكن أن يحدث للوحدة الناصرية ما حدث للوحدة الصلاحية .

ولو كان الأمر أمر العقيدة من غير تطبيق لحدث ما حدث للوحدة السياسية المحمدية : فقد ظلت عامة قوية حين كان الإسلام معتقداً مطبقاً فى عهد الخلفاء الراشدين ومن استار سيرتهم . فلما طغت العصبية فى عهد الأمويين ، واشتدت الفردية والشعوبية فى عهد العباسيين ، وحال الإسلام فى نفوس أهله إلى مبادئ نظرية لا تتعلق بالحكم ولا تتصل بالسلوك تمزقت الوحدة وانفصمت العروة وانقسم المسلمون إلى فرق ، وانشعبت الدولة إلى دول .

ولو ظلت الوحدة الإسلامية قوية فى النفوس مطبقة فى الحكم كما كانت فى صدر الإسلام لظلت الوحدة المحمدية السياسية باقية نامية من عصر إلى عصر حتى يوم الناس هذا .

هذا ما اعتقدته وأردته . ولعل الإيجاز الذى أديت به هذه الجملة اعتمادا على ما كتبت من قبل فى هذه المجلة كان سبباً فى هذا الإبهام فأنا أوضحه فى هذه الكلمة ؟

أحمد حسن الزيات

فى مطالع الأعوام
نظرة إلى التنجيم فى العالم المتمدن

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان علم النجوم فى زمن من الأزمنة الغابرة يسمى بالعلم السماوى ، أو العلم العلوى ، أو العلم الإلهى ... وكان علماً واحداً ينطوى على عدة علوم : أولها علم الدين ؛ لأن الأقدمين كانوا يعبدون الكواكب ويخصون كل نجم بالربوبية على جزء من أجزاء الطبيعة أو قوة من قواها .

ومن علوم النجوم « علم الفلك » الذى يبحث فى حركات الكواكب ومواقيت طلوعها واحتجابها .

ومنها علم الملاحة لاعتماد السفن على رصد الكواكب واختلاط الأمر يومئذ بين دراسة الفلك ودراسة الظواهر الجوية على إطلاقها .

ولقد كان علم الزراعة يرتبط بعلم الفلك ؛ لاعتقاد الزراع قديماً أن المحاصيل الزراعية تنمو بفضل البروج والمنازل السماوية التى تشرف عليها وتقترن أحياناً بمواعيد الأمطار والفياضانات .

وأما العلم الذى كان فى الواقع يغطى على علوم الفلك جميعا فهو « علم التنجيم » أو علم الطوالع وما تنطوى عليه من أرصاد السعود والنحوس . فقد كانت كلمة التنجيم إذا أطلقت تعنى فى عرف الأكثرين علم النظر فى الغيب واستطلاع السعود والنحوس وتدبير أسباب الوقاية التى يزعم المنجمون بطلاسمهم وأباطيلهم أنها تنفع فى هذه الأمور .

ولقد مضى الزمن ، وتقدم الناس أو تقدم المتمدنون منهم ، فتركوا عبادة النجوم وعرفوا الحقائق عن علوم الملاحة والزراعة ، وعرفوا ما لم يعرفوه قط - من قبل - عن حركات الأفلاك ومنازل الفضاء ، فأصبح للفلك علم مستقل غير علوم اللاهوت وعلوم الملاحة والزراعة وانقطعت الصلة تماما بين هذا العلم الواسع وتلك الخزعبلات التى كانت تسمى بعلم التنجيم ، واضطر علماء الغرب أن يفصلوا بينهما فى لغاتهم ، فأصبح علم « الاسترونومى » أى علم الفلك غير علم « الاسترولوجى » الذى يطلق على التنجيم .

وكان المظنون أن أبناء الغرب المتمدنين قد فرغوا من أمر التنجيم وخرافاته، وقد عرفوا من حقائق الأفلاك فى هذا الزمن ما يعرفه عن تلك الخرافات التى صدقها أسلافهم ؛ لجهلهم بأقرب الكواكب إليهم وخلطهم بين مواقع النجوم التى ترى بالعين المجردة، وهم لا يعرفون أبعادها ولا يدركون آفاقها.

أما اليوم والأرصاد الفلكية تكشف الآفاق إلى مدى الملايين من السنين الضوئية وعلماء الفلك يعرفون عن تكوين الكواكب مثل ما يعرفون عن تكوين هذه الكرة الأرضية، ويتحدثون عن السفر إلى تلك الكواكب كما يتحدثون عن الممكنات أو عن الصعوبات التى تقبل التذليل، فلا ندرى كيف يعقل الإنسان المتمدن أن أسرار السماء والأرض فى الحاضر والمستقبل، يكشفها المنجمون الجهلاء وينبئ عنها من غاب عنه كل كشف جديد من كشوف السماء ولكن الواقع العجيب أن المصدقين بالتنجيم اليوم بين المتمدنين فى الغرب، يزيدون كلما ازدادت كشوف الفلك الحديث، وأننا لا نزال نتلقى من المطبوعات الأوربية والأمريكية أشتاتا من التقاويم والمجلات وجداول الأرصاد والطوالع، مخصصة كلها لمسائل التنجيم ونبوءات الحاضر والمستقبل، ودلالات الأفلاك على مصائر العظماء ومقادير الدول والحكومات وفى كل لغة من اللغات الحية تصدر التقاويم السنوية، وتصدر المجلات الدورية، وتصدر الكتب والمصنفات، وتصدر دوائر المعارف ومراجع التاريخ وينتظم صدورها كما ينتظم صدور أمثالها من المطبوعات المخصصة لمباحث العلوم والآداب والفنون، ويشتريها طلاب الطوالع بالأثمان الغالية التى تزيد أحيانا على أثمان كتب العلم والصناعة ودراسات الفنون والصناعات.

وقد عنيت إحدى المجلات السيارة بإحصاء هذه الظاهرة العجيبة، فتبين لها أن الاهتمام بالتنجيم فى ازدياد، وأن الأمم الأوربية والأمريكية لا تقل عن أبناء القارات الأخرى فى إقبالها على قراءة كتب التنجيم، وعلى استشارة المنجمين فى أخطر الشئون: ومنها مشروعات التجارة والاقتصاد، واختيار الشركاء والأزواج.

وإذا صح الإحصاء الذى اعتمدته المجلة فقد ازداد عدد المقبلين على استشارة المنجمين فى الولايات المتحدة ـ بعد الحرب العظمى ـ من ثلاثة ملايين إلى عشرة ملايين، وأصبح عدد المكاتب المفتوحة لقراءة الطوالع يقارب

خمسة آلاف ، ويقدر عدد المؤمنين بالطوالع الفلكية فى ألمانيا بنسبة سبعة وعشرين فى المائة من مجموع سكانها ، وأن رجال السياسة فى إيطاليا كثيراً ما يزورون مكاتب المنجمين تحت جنح الظلام ليسألوهم عن طوالع الأحزاب والحكومات ، وأن دور الملاحة فى اليابان لا يندر أن تستشير المنجمين لاختيار الساعة الملائمة لإنزال السفن الجديدة إلى الماء ، وأن الناشرين اليابانيين وزعوا فى سنة واحدة ثمانية ملايين نسخة من خرائط الطوالع التى تسمى بالاصطرلاب ، وأن فى إيطاليا عشرين مجلة منتظمة لا تنشر شيئا غير النبوءات وما يتعلق بها من أسئلة القراء وأجوبة المنجمين ، وأن طائفة غير قليلة من أصحاب الأعمال يتذاكرون إلى اليوم مقدرة المنجمة إيفانجلين آدمز Evangelin adamz التى كانت تقنع مورجان ـ صاحب الملايين بنبوءاتها عن تقلبات السوق ، ولا يبالون من أجل ذلك أن يجازفوا بأموالهم معتمدين على أرصاد المنجمين والمنجمات .

وقد أرادت المجلة أن تلتزم جانب الحيدة العلمية فى رواية تلك الأخبار ، فنقلتها على علاتها ولم تظهر للقارئ أنها تستخف بها ولا أنها تصدقها وتطمئن إليها ، ولكنها نقلت كذلك أخباراً أخرى عن بعض المنجمين يمثل هذه الأمانة فى الحكاية ، وفيها ما فيها من التشكيك على الأقل بفريق من المحترفين لصناعة التنجيم .

قالت إن ثلاثة من سبعة من كبار المنجمين المشهورين رسموا خريطة السيارات الشمسية فوضعوا الأسفل منها فى موضع الأعلى . . ولا تدرى المجلة ـ كما تقول ـ أعن جهل كان ذلك أم إهمال ؟ .

وقالت عن عالم برازيلى أنه ضجر من إلحاح بعض الناشرين عليه ليرسم له خريطة سماوية مقرونة بالطوالع ، فتخلص منه بإحالته إلى سكرتيره ليقنعه أو يريحه من إلحاحه ، فاخترع له السكرتير خريطة من عنده نقلها من بعض المهملات المهجورة ، ولا تزال هذه الخريطة المخترعة تباع وتستشار فى مهام الأمور .

ويتساءل كاتب البحث عن التنجيم : ترى ماذا يصنع المنجمون فى أمر التوائم الذين يتشابهون بأسماء الأمهات والآباء وساعات الميلاد وأماكن الولادة ، ولا يمكن أن يتفقا فى حوادث الحياة ؟ .

ويعجب الكاتب : لماذا يذكر الناس قليلا من الأخبار التى تصح ببعض التأويل بل لا تصح إلا مع التعسف فى التأويل ، ثم هم لا يذكرون عشرات الأخبار التى كذبت

كل الكذب، ومنها أخبار المنجمين فى القرون الوسطى عن نهاية الدنيا وهى قائمة بعد تلك النبوءات لا تزال ؟ .

إلا أن المجلة فى الواقع قد بالغت فى احترام تلك الخرافات وفى مناقشتها كما يناقش الجد الذى تخفى أباطيله أو تحتاج إلى بحث يكثر فيه القال والقيل .

الميلاد بمائة وخمسين سنة ، ولأن الفلكيين قبل ذلك التاريخ كانوا يحسبون أن مدار الأرض فيها ثابت على اتجاه واحد ، ولكن الفلكى هيباركس Hipparchus أثبت أن البروج تنتقل من أماكنها، وثبت بعد ذلك أن خط البروج انتقل قبل ألفى سنة من برج الحمل إلى برج الميزان ،

فى الأسرة الإنسانية ، وإن قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . قد خوطب به المؤمنون بالنسبة لجميع بنى الإنسان ، والنص الكامل « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

ولقد نفذ عليه السلام مبدأ التعاون الدولى عند ما جاء إلى المدينة ، وعقد حلفا مع اليهود وأساسه التعاون على البر وحماية الفضيلة ، ومنع الأذى . ولكن اليهود نقضوا العهود ، ودبروا الأمر مع المشركين على الاعتداء عليه ، مع أن أساس هذا التعاون كان التضافر على إقامة الحق ودفع الاعتداء .

وكان عليه السلام يعقد العهود مع القبائل العربية مسلمها وغير مسلمها للتعاون على الخير وما يسمى بلغة عصرنا التعايش السلمى . ولما ذهب حاجا لبيت الله الحرام ، ومعه جند كثيف وحاولت قريش أن تمنعه ، مد إليهم يد السلام ، ولم يثر فى هذه الحال حربا أو خصاما ، بل أثار دعوة إلى التعاون على احترام بيت الله المعظم وقال النبى الحكيم « لو دعتنى قريش إلى أمر فيه رفعة البيت لأجبتهم » .

وأقوى أحوال التعاون ما يكون أساسه التعاون على نصرة الضعيف . ولقد حضر وهو شاب فى مقتبل عمره حلفا لبعض أشراف قريش عقد فى دار عبد الله بن جدعان تعاقدوا فيه لينصرن الضعيف على القوى ما بل بحر صدفة ، وما رسا ثبير وحراء ، وقال الهادى الأمين ما معناه : « لقد حضرت بدار عبد الله بن جدعان مالا أزن به حمر النعم ، ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت » .

وإنه فى الوقت الذى يشعر فيه كل بنى الإنسان أنهم متعاونون فى استغلال كل ينابيع الثروة فى الأرض ، وأنهم متلاقون بقلوبهم المحبة ، وأعمالهم المتعاونة تختنق روح النزاع ، ويختنق مبدأ التناحر على البقاء الذى ينادى به الظالمون ، وهو الذى جر على العالم كله الويلات ؛ إذ حسب كل قوم أن بقاءهم هو فى الاعتداء على غيرهم فإنه حيث ساد ذلك المبدأ كان قانون الغابة هو الذى يحكم ويسيطر .

إن الإسلام لا يدعو إلى التنازع على البقاء لأنه يقرر أن التعارف والتلاقى نفسيا وعمليا هو سبيل البقاء ، ولذلك جعل التعاون الإنسانى هو الأساس ؛ لأن فيه عمران الأرض ، ونشر المحبة بين الناس .

٣ – الكرامة الإنسانية :

وردت النصوص القرآنية التي تصرح بأن الإنسان خليفة في هذه الأرض، وأن الله سبحانه وتعالى سخر له الكون وما فيه، وآتاه استعدادا عقليا يستطيع به معرفة الأشياء وطرق الانتفاع بها، وقد قال تعالى في بيان بدء الخلق : « وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين، بهذا الاستعداد العلمي الذي مكن الله به لابن الأرض من تسخير ما في الأرض كان ابن الأرض مستحقا لأن يسجد له الملائكة ومستحقا لهذه الكرامة في الأرض، ولقد صرح القرآن الكريم بها، فقال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ».

وهذه الكرامة يستحقها الإنسان لأنه إنسان، لا لأنه أبيض، أو حضري، أو متعلم أو متقدم، فهي حق لكل الألوان، وحق لكل الأجناس، ولكل الناس حضرهم وبدوهم، متقدمهم ومتخلفهم، وعلى القادر أن يعين الضعيف، وعلى المتعلم أن يعلم الجاهل وعلى المتقدم أن يأخذ في قافلته المتخلف.

وإن الكرامة يقتضيها قانون التعارف والتعاون، فليس من التعاون أن يكون أحد الفريقين مستعليا، والآخر مستخذ ا وإنما التعارف والتلاقي الروحي والعملي، والتعاون هو أن يكون الواحد في عون الآخر.

وإن التمييز بين الناس بالحضارة والبداوة، واللون والعنصر سبب جوهري من أسباب النزاع في هذه الأرض فإنه منذ أن استهينت كرامة الإنسان، واتخذ الأقوياء المتحكمون في سياسة العالم الملونين والمتخلفين يستغلونهم وقد قام النزاع على من يتحكم فيهم، كما يتنازع الناس على بضائع بين أيديهم يريد كل واحد أن يغتصبها، ولما بدأ المستغلون في أرضهم وديارهم انبعث نزاع بينهم وبين المتحكمين، وهو من جانب الذين استضعفوا في الأرض دفاع عادل أوجبته الفطرة، وأوجبته الكرامة، وأوجبته الشرائع العادلة، وأوجبه الدين الإسلامي الذي يربي الكرامة والعزة في قلوب معتنقيه، ويحملهم على احترام الكرامة في غيرهم.

وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم في تكريم الإنسان متضافرة، وأعمال الصحابة في ذلك

واضحة بينة ، وهى أوضح ما تكون فى عهد عمر رضى الله عنه .

وإنه لا يمكن أن يكون سلام عادل فى هذه الأرض من غير احترام الكرامة الإنسانية فى كل إنسان،وفى كل أرض،وكيفما كان اللون ، ومهما اختلف العنصر والجنس .

٤ — التسامح :

كان لابد لاستجابة دعوة التعارف الإنسانى العام من التسامح ، لتتلاقى القلوب على غير عداوة أو إحن ، ولذلك دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل ، فهو يبنى العلاقات الإنسانية سواء أ كانت بين الآحاد أو كانت بين الجماعات والدول على التسامح من غير استسلام للشر ، ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالصفح الجميل عمن يعاديه فقال تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » والصفح الجميل هو الصفح فى عزة وقوة ومن غير استخذاء أو استسلام .

وقد طبق النبى صلى الله عليه وسلم مبدأ التسامح فى علاقته بالمشركين وغيرهم فى معاهداته وحروبه ، فتراه فى صلح الحديبية وهو الصلح الذى عقد بينه وبين المشركين عندما أراد أن يحج فنعوه ، وأبوا أن يدخل البيت الحرام ، وكان الصلح فيه شطط من جانب المشركين ، وسماحة من جانب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد أصروا على أن يمنعوه من الحج فى عامه هذا ، فقبل هذا الشرط ومعه جيش يستطيع أن يدك عليهم ديارهم ، واشترطوا مع ذلك أن من يخرج من مكة مسلما لا حقا بالنبى والمؤمنين يرد إليهم إن لم يكن ذلك برضا من أهله ، وأن من يخرج من عند النبى مرتداً إلى مكة يقبلونه ، فقبل النبى الكريم ذلك الشرط ، حتى ضج بعض المؤمنين ، ووقف عمر بن الخطاب يقول : « لماذا نرضى بالدنية فى ديننا » ، ولكنها الحكمة النبوية ، إذ آثر الصبر والسماحة وحقن الدماء ، ولم يكن ذلك قبولا للدنية ، ولكنه الهدى الإسلامى الذى حث على الصبر بدل القتل والقتال ، والرفق بدل العنف وتأجيل فى رفق خير من تعجيل فى عنف . وسمى الله سبحانه ذلك الصلح فتحاً مبينا ، فقد قال تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً » .

وقد كان ذلك فتحا للقلوب التى كانت مغلقة على الشرك ، فإنه فى أثناء هذه الهدنة أسلم كثيرون من دهاة قريش وصناديدها ، وحسبك أن تعلم أنه أسلم داهية قريش عمرو بن العاص وصنديدها خالد بن الوليد وما استطاعت من بعد ذلك أن تشن حربا

على النبي صلى الله عليه وسلم مع عنجهيتها وعنف لجاجتها ، فكان ذلك الصلح المقاسح فتحا مبينا .

وإن التسامح الذى رطب القلوب وهداها ، هو ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح مكة ، وغلب على المشركين الذين أرادوا قتله ، وأخرجوه وأصحابه من ديارهم فقد قال : للملأ من قريش فى أول لقاء بعد النصر العزيز : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم الرسول السمح الكريم : « أقول لكم : ما قاله أخى يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » .

ولقد كان ذلك شأنه عليه السلام فى كل حروبه يعالج القلوب بالصفح والتكريم بدل أن يورث الإحن بالإذلال والانتقام . ولنضرب لذلك مثلا بغزوة بنى المصطلق ، فقد أسر المسلمون مائة بيت من بيوتهم ، واسترقوهم ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يمن عليهم جميعا ، فجاء وتزوج جويرية بنت الحارث ، فأطلق كل من فى يده أسير من فى يده منهم ، وتحرروا جميعا من الرق ، وقالت : عائشة رضى الله عنها « ما كانت امرأة أبرك على قومها من جويرية ، لقد عتق بها مائة من بيوت العرب . وما كان الزواج إلا لهذا التصرف السمح ، فما كان لشهوة يبتغيها كما يدعى الجهلاء الكاذبون ، إذ لو أرادها لملكها بملك اليمين ، لأنها تكون أمة تملك ، وتباح لمالكها بملكيته لها .

وبهذا يتبين أن التسامح هو السياسة التى رسمها النبي صلى الله عليه وسلم فى العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض ، وهى السياسة الشافية للقلوب المجروحة فى أعقاب الحرب ؛ لأن القلب المجروح يجب أن يرقأ جرحه بدل أن ينكأ قرحه .

٥ — الحرية :

إن الحرية ثمرة من ثمرات التعارف الإسلامى الذى دعا إليه القرآن الكريم ، فإن التعارف الحقيق لا يكون إلا بين الأحرار ، فلا يكون سيد وعبد ، ولا مسيطر ومقهور ، بل يكون بين أحرار على قدم المساواة ، ولا تكون المساواة إلا على أساس التعادل فى الحرية .

والحرية الحقيقية أن يقدر الحر الحرية فى غيره كما يقدرها فى نفسه ، والحرية والهوى والأنانية لا تجتمع ، فإن الحرية سيادة الإنسان على نفسه وأول مظهر من مظاهرها كبح الرجل لأهوائه وشهواته ، والحرية معنى اجتماعى يظهر فى علاقة الإنسان بغيره ومراعاته لحقوق غيره كما يراعى حقوق نفسه فهى والأثرة نقيضان لا يجتمعان ، تتلاقى مع الإيثار ولا تتلاقى مع الأثرة .

ولقد وجدنا في هذا الزمان زعماء للأمم يصفونهم بوصف الأحرار، ويصفون أممهم بأنها الأمم الحرة. ووجدنا هؤلاء يحكمون أهواءهم في شئون غيرهم، فنرى العالم الآن يخضع لشهوات حكام، وأهواء مجالس نيابية، قد جانبت حكم العقل الحر المستقيم، وهذا لا يراه الإسلام إلا استعباداً لأهواء النفوس والشعوب وليس من الحرية في شيء.

ولقد احترمت النظم الإسلامية في العلاقات الإنسانية حرية العقيدة احتراما كاملا. فنفى القرآن الكريم أن يكون الإكراه طريقا لاعتناق دين، ومنع المؤمنين أن يكرهوا أحدا على الدين فقال تعالى: «لا إكراه في الدين»، وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم مطالبا بمنع الإكراه في الدين، فقال تعالى: «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ولقد أراد أحد الصحابة أن يكره ابنين له على الإسلام فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وتلا قوله تعالى: «لا إكراه في الدين».

وإن الإسلام اعتبر امتحان المؤمن في عقيدته فتنة هي أكبر من القتل، فقال تعالى: «والفتنة أشد من القتل»، وما فتح باب القتال في الإسلام إلا لحماية الحرية الدينية، ولمنع فتنة المؤمنين فقال تعالى: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة».

وإن حرية التدين لا تتحقق من منع الإكراه فقط. بل إنها تبتدىء من ذات نفس الشخص، بأن يكون تفكيره في العقيدة متحررا، فيحكم العقل غير مقيد بأوهام، ولا خاضعا لأهواء. ولذلك نقرر أن حرية الاعتقاد تتكون من عناصر ثلاثة:

أولها: تفكير سليم غير مأسور بتعصب لجنسية أو تقليد أو شهوة فكثيرا ما تتحكم الأهواء والعنصرية باسم التدين.

ثانيها: منع الإغراء أو الإكراه للحمل على عقيدة، فليس بحر من يعتقد اعتقادا دينيا تحت تأثير الإغراء بالمال أو المنصب أو الجاه، وإنه من أشد أنواع الإكراه تسليط المخدرات والمسكرات كما يفعل بعض المبشرين بالمسيحية في إفريقية.

ثالثها: العمل على مقتضى العقيدة. وتسهيل ذلك لكل معتنق لدين من غير إرهاق.

ولقد حمى الإسلام هذه العناصر فمنع التقليد من غير دليل، وحث على أن يكون العمل على مقتضى الاعتقاد، وعمل على حماية عقيدة الذين يستظلون بظله، أو يعقدون معه عهدا، أو لا يثيرون عليه حربا، بل إنه سهل لهم القيام بشعائر دينهم، وقد قرر الفقهاء فيما استنبطوه من نصوص قرآنية ونبوية، ومن أعمال الصحابة قاعدة تقول: «أمرنا بتركهم وما يدينون»، وبهذه العقيدة المجمع عليها من

الفقهاء حيث حرية الاعتقاد ، فلا يضار غير المسلم ، بل يقيم شعائر دينه حراً غير مضطرب.

ويروى في ذلك أن عمر بن الخطاب عندما ذهب إلى بيت المقدس رأى رضي الله عنه هيكلا لليهود قد ستره التراب ، ولم يبق منه إلا أعلاه ، فجاء بفضل ثوبه ، وحمل بعض التراب المتراكم عليه ليزيله ، فاقتدى به جيش المسلمين ، فزال كل ما ستر الهيكل وبدا واضحا ليقيم اليهود عنده شعائرهم.

وفي هذه الرحلة المباركة حضر وقت الصلاة ، وعمر قريب من الكنيسة ، فصلى خارجها ، فقيل له : لا يجوز الصلاة فيها ، فقال الإمام الحر : « خشيت أن أصلي فيها فيزيلها المسلمون من بعدي ، ويتخذوها مسجداً » .

وإن فقهاء المسلمين إذ يقررون الحرية على ذلك النحو السمح يفيضون من فكرة صحيحة ، وهي أن من له دين خير ممن لا دين له ؛ لأن من له دين ولو خطئا له ضمير ديني يزجره .

ولقد ضمن الإسلام الحريات الإنسانية كلها ، فضمن حرية الإقامة ، وحرية القول ، وحرية الرأي وحرية العمل كما ضمن حرية تقرير المصير .

ولنعرج على حرية تقرير المصير بكلمة موجزة . لقد ضمن الإسلام حرية تقرير المصير للمؤمنين به ، وحرية تقرير المصير أما بالنسبة للمسلمين ، فإنه لا يجوز للمؤمن أن يخضع لدولة غير إسلامية ، ولا يجوز للمسلمين أن ينضموا تحت لواء غير إسلامي لأنه لا يمكن من تنفيذ أحكام دينه في المعاملات وإقامة الحدود .

وأما بالنسبة لغير المسلمين فإن الإسلام حرم الاعتداء على حرياتهم ، وإخراجهم من ديارهم ، ما داموا لا يعتدون على المسلمين ولا يقاتلون إلا إذا اعتدوا كما سنبينه إن شاء الله تعالى عند الكلام على إباحة القتال.

وإنه في حال القتال وتوقع الاعتداء منهم نخيرهم بين عهد يوثقونه ، أو دخول في الإسلام ، أو القتال فإن اختاروا العهد كان لهم عهدهم ، وإن اختاروا الإسلام دخلوا في زمرة المسلمين .

٦ — الفضيلة :

ختم الله سبحانه وتعالى الآية التي تبين أن الغاية المثلى من اختلاف الناس شعوبا وقبائل هي التعارف بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » ، والتقوى هي جماع الفضائل الإنسانية كلها ، فالتعارف يجب أن يكون مع الفضيلة ، والفضيلة كما هي مطلوبة بين الآحاد هي مطلوبة بين الجماعات ، ولقد حث القرآن الكريم على التمسك بالتقوى جماع الفضائل في حال السلم وفي حال الحرب وكان التشدد في الدعوة إليها عند قيام الحرب فقد قال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا

عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، والسبب فى ذلك هو أن النفوس عند القتال تندفع فى حال احتدام الحرب وقد تقع فيما يخالف الفضيلة وخصوصا إذا كان العدو ينتهك حرماتها .

ولا يصح للمسلمين أن يجاروا أعداءهم إن اعتدوا على الفضيلة ، بل ليلتزموها هم فإذا كان العدو يمثل بالقتلى لا يمثل المسلمون بهم ، وإن كان العدو يقتل النساء والذرية لا يصح أن نقتلهم ، وإذا كان العدو ينتهك حرمات النساء لا تنتهك حرماتهن .

وقد حدث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أن جارى بعض المسلمين الأعداء فقتل بعض الأطفال فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ألا لا تقتلوا الذرية ، ألا لا تقتلوا الذرية » .

ويوصى عليه السلام ألا يقتل الأسير ، فيقول : « لا يعترض أحدكم أسير أخيه فيقتله » .

وهكذا تكون معاملة المسلمين لغيرهم على أساس الفضيلة يتجاوزون حدودها مهما يستحكم شر الأعداء .

٧ — العدالة :

قامت العلاقات الإنسانية كما ينظمها الإسلام على أساس من العدالة سواء أكانت المعاملة مع الأولياء أم كانت مع الأعداء

وصرح القرآن الكريم بأن العدالة مع الأعداء هى أقرب للتقوى فقد قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ، ويقول تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم » .

والعدل فى كل صوره هو نظام الإسلام الأمثل ، فقد قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » . وقد قال العلماء إن هذه أجمع آية لمعانى الإسلام .

وإذا كان لكل دين سمة ، فسمة الإسلام العدالة ، فالعدالة هى الميزان المستقيم الذى يحقق العلاقات بين الناس فى حال السلم وحال الحرب ، ففى السلم يكون حسن الجوار قائما على العدالة ، وفى الحرب يكون الباعث عليها العدالة ، وإن كل المبادىء الإنسانية من تسامح وحرية يكون فى ظل العدالة ، فالتسامح الذى يؤدى إلى ضياع الحقوق لا يكون تسامحا ولا يكون رحمة ، بل يكون ظلما ويؤدى إلى أشد أنواع القسوة ، فالتسامح مع الظالمين آحاداً أو جماعات قسوة على الذين ظلموهم وأكلوا حقوقهم .

وإن العالم لا يصلح إلا إذا كانت العدالة ميزان العلاقات الإنسانية فى كل أحوالها ،

فلا يبغى قوى على ضعيف، ولا يضيع حق خضوعا لأمر الواقع، كما هو منطق هذه الأيام حتى صرنا نرى العلاقات الدولية تقوم على مجموعة من الظلم متكاتفة.

وإن العدالة هى ميزان التعارف الإنسانى الذى نصت عليه آية التعارف العام بين الأجناس والشعوب.

٨ — المعاملة بالمثل :

وهذه متشعبة من العدالة غير منفصلة، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به».

وبمقتضى ذلك القانون العادل كان على المسلم أن يعامل من يعتدى عليه بمثل ما يعامله، ولا يزيد عما يفعل إلا بمقدار ما يحميه من تكرار الاعتداء عليه، وإذا كان الاعتداء ظلما، فرده عدل.

ولا يتنافى ذلك مع مبدأ التسامح والفضيلة لأن التسامح يجب ألا يؤدى إلى شيوع الظلم، وإن شيوع الظلم فساد لا ريب فيه، وإن الفضيلة الإسلامية ليست فضيلة مستخذية مستسلمة، بل هى فضيلة إيجابية دافعة، لا تخضع للشر والأشرار، بل تستعلى عليهم جميعاً.

وإن العدالة لا تنافى الرحمة، بل إنها تلازمها فحيث كانت العدالة كانت الرحمة، ولا توجد رحمة مع الظلم، والمعاملة بالمثل أعظم دفعاً للظلم.

ولكن المعاملة بالمثل مقيدة بالفضيلة، كما أشرنا من قبل، فإذا كان العدو ينتهك حرماتها لا يصح لجيش الفضيلة أن يحاربه فيها، وقد روينا من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ذلك.

وفوق ذلك فإن المعاملة بالمثل يجب ألا تتجاوز الذين يقاتلون فى الميدان، فلا يصح لجيش العدل أن يقتل الذين لا يقاتلون.

٩ — الوفاء بالعهد :

إن الطريقة المثلى لاستقرار السلام، وجعل التعارف على أساس سليم هو معاهدات الأمان وعدم الاعتداء. وإن المعاهدات لا تستمد قوتها من نصوصها فقط، بل من عزم عاقديها على الوفاء بها، ولذلك حث الإسلام على الوفاء بالعهد، وقرر أن الوفاء بالعهد قوة فى ذاته، والنكث فى العهود من أسباب الضعف، وقد وثق الله سبحانه وتعالى العهد بأن قرر أن من عاهد من المؤمنين فقد اتخذ الله عليه كفيلا، وقرر سبحانه أنه لا يصح أن تكون الرغبة فى زيادة رقعة الدولة، أو زيادة قوتها مسوغا للغدر، والآية الجامعة لهذا قوله تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله

يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » .

فقد شبه الله سبحانه الذي ينقض العهد من الرؤساء بالحمقاء التي تغزل الغزل ثم تنقضه وتجعله شعراً متناثراً ، بعد أن قوى بالفتل وبين سبحانه أنه لا يصح أن تتخذ الغش والخديعة للرغبة في أن تكون أمة أربى من أمة ، أي أكثر عددا ونماء وسعة في الأرض من امة أخرى ، فإن القوة التي تكون من نقض العهود مآلها الزوال .

وقد بين عليه السلام أن خيار الناس هم الموفون بعهودهم فقال صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبركم بخياركم، وخياركم الموفون بعهودهم» وقال عليه السلام: «أنا أحق من وفى بعهده» وقد عقد مع المشركين صلح الحديبية على ألا يقاتلوه ويوادعوه ، عشر سنين كما أشرنا من قبل ، فقال بعض المسلمين للنبي أنهم على نية الغدر ، وأنهم يعدون لقتاله ، فقال عليه السلام : «هم ونواياهم ونستعين الله تعالى عليهم» .

١٠ — المــودة :

إن الأخوة الإنسانية العامة التي أوجب الإسلام بها التعارف عند ما يختلف الناس أجناسا وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ، ولو اختلف الناس دينا وأرضا وجنسا : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ، ولا الاختلاف في الدين ، ويروى أنه في مدة الحديبية بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشاً أصابتهم جائحة ، فأرسل عليه السلام إلى أبي سفيان زعيم الشرك في مكة خمسمائة دينار ليشترى بها قمحا ويوزعها على فقراء قريش .

ففي أثناء الحرب تنقطع العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة المحاربة ، ولكن لا تنقطع الصلات بين رعايا الأعداء الذين لا يشتركون في القتال ، ولذلك لا يمنع قيام الحرب أن يقيموا في ديار الإسلام ولا يؤذون في أنفسهم ولا تمس أموالهم ، والمستأمنون في تعريف الفقهاء هم الذين يقيمون في الديار الإسلامية مدة محدودة بأمان يعقد للاتجار وتبادل المنافع .

وفتح باب المودة للشعوب قد ينهى الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم .

وإذا كانت المودة موصولة غير منقطعة فالرحمة تلازمها ، بيد أنها أعم شمولا إذ أن المودة تكون بين الشعوب ، أما الرحمة فإنها تكون بين الشعوب ، وفى ميدان القتال ، فلا يجهز على جريح ولا يقتل أسير ، ولا يقتل مستسلم معلنا لاستسلامه .

ومن مظاهر الرحمة العادلة ، والمودة الواصلة العمل على نصر الضعفاء ، لأن الإسلام دين سماوى يحكم بأوامر الله تعالى وكل الأديان حثت على حماية الضعفاء من الأقوياء سواء أكانوا آحاداً أم كانوا دولا وجماعات ، ولقد قال تعالى : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ابغونى فى ضعفائكم ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » .

والإسلام لا ينظر فقط إلى حماية الدولة الضعيفة من الدولة القوية ، بل يعمل على حماية الشعوب التى أرهقها الطغيان وأضعف النخوة فيها الاستبداد .

وإن كتب النبى صلى الله عليه وسلم التى أرسلها إلى الملوك والرؤساء متضمنة دعوتهم إلى الإسلام ، وجاء فيها النص على أن عليهم التبعات فيما يتعلق برعاياهم ، وأن ذلك يقتضى أن عليهم أن يطلقوا حرياتهم ليفهموا الإسلام وليعتنقوه إن أرادوا مختارين ، ولذلك جاء فى رسالته إلى هرقل ملك الروم « أسلم تسلم ، وإلا فعليك إثم البريسيين » ، والبريسيون ، هم الزراع والعمال وغيرهم ممن لا سطوة لهم .

ولهذا المبدأ الجليل كان الإسلام حريصاً على حماية حريات الضعفاء وخصوصا حرية التدين وما كان قتال المسلمين إلا لحماية هذه الحرية ، فما قاتل المشركين إلا لأنهم فتنوا المؤمنين فى دينهم ، وما قاتل الروم إلا لأنهم قتلوا الذين آمنوا من أهل الشام ، ووازن بين هذا المبدأ وما عليه الدول الآن .

محمد أبو زهرة

مناقشات المؤتمر
عرض وتعليق

للأستاذ على العمارى

— ١ —

لعل أكثر أعمال المؤتمر فائدة . وأولها على ما يعتلج فى نفوس المسلمين فى العالم الإسلامى ، هى هذه المناقشات التى دارت حول الأبحاث التى ألقاها أعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

ذلك أن هذه الأبحاث وقف على أعضاء المجمع ، وليس من حق غيرهم أن يتقدم ببحث لهذا المؤتمر ، أما المناقشة فإن لكل عضو فى المؤتمر الإسلامى الكبير أن يعلق على أى موضوع بما يعن له .

ولذلك فلا نبعد إذا قلنا إن هذه المناقشات أعطتنا صورة صحيحة إلى حد كبير لما يشغل بال المسلمين فى شتى أقطارهم ، كما أعطتنا بجانب الأبحاث - آراء علمية ناضجة ، وأفكارا إصلاحية مخلصة .

ورغبة منا فى أن نعطى القارئ صورة تقريبية لما دار فى المؤتمر من ناحية ولما يهم المسلمين من ناحية أخرى رأينا أن نعرض لأهم ما دار فى هذه المناقشات :

كان أول بحث ألقى فى المؤتمر بحث فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ على عبد الرحمن من كبار علماء السودان حول «عوامل انتشار الإسلام» .

وقد دار حول هذا البحث من المناقشات ما يشعر بأن موضوعه هو أهم ما يشغل المسلمين ، وأهم ما يشغل مجمع البحوث ، بل لقد قال فضيلة الشيخ فرج السنهورى إن هذا الموضوع هو صميم عمل المجمع .

وكثير من المناقشات تناول جزئيات جانبية فى الموضوع ، ومع ذلك فالمناقشة التى تناولت الموضوع الأصلى كان لها مع إجابات فضيلة الأستاذ صاحب البحث من الفائدة ما لعله لا يقل أهمية عن البحث ذاته .

تكلم بعض الأعضاء عن الإسلام فى إفريقيا السوداء ، فذكر أن المسلمين هناك يواجهون مشاكل كثيرة ، وعداوة زرقاء من المسيحية والأحمدية ، والقديانية ، والبهائية ، وأتباع أغاخان ، وعلاوة على

الفقر والمرض ، وقال إن على أعضاء المؤتمر أن يجدوا حلولا لنشر الإسلام فى هذه المناطق من العالم .

وتحدث أحد علماء العراق عن الإسلام فى الأرجنتين ، وقال إن هناك نحو مليون ونصف مسلم ، وإنه بقى داعية هناك نحو عشر سنوات ، ووجد نفوس المسلمين شديدة التمسك بالإسلام غير أنه يخشى على أبناء هؤلاء من التبشير فإنه يحاول أن يميل بهم عن دين آبائهم ، وإذا لم يتداركهم العالم الإسلامى فيرسل إليهم الدعاة ، وتؤلف كتب فى الموضوعات التى تشغل أذهانهم مثل رأى الإسلام فى المسيح عليه السلام وفى السيدة مريم - لأن المبشرين يوهمون المسلمين بأن الإسلام يحط من قدرهما وفى الطلاق وتعدد الزوجات ... وما إلى ذلك ، ثم ترسل هذه الكتب لتوزع هناك، يقول إذا لم يفعل العالم الإسلامى ذلك فإنه فى شك كبير أن تبقى ذرية هؤلاء المسلمين على الإسلام .

وأشار متحدث من الشرق الأقصى إلى أن تلك الجهات تواجه موجة مضادة من الأديان الأخرى ، وإنها محتاجة إلى دعاة ، وإلى إرشاد وتعليم ، وأن أعداء الإسلام يعيبون الإسلام بأن فيه تعدد الزوجات ، وفيه الاسترقاق ، كما ذكر أن بعض أعداء الإسلام فى أوربا وفى آسيا يوهمون الناس أن الإسلام حرم لحم الخنزير لأن المسلمين يعبدون الخنزير ، كما يحرم الهنود - مثلا - أكل لحم البقر لأنهم يعبدونها .

وأبرز تعليق على هـذا الموضوع كان من الدكتور إسحاق الحسينى إذ قال: إننا يجب أن نبدأ من حيث انتهى المبشرون ، فننشىء معاهد خاصة لتدريس الأديان ، فى البلاد الإفريقية والآسيوية وأشار إلى أن القدوة الحسنة أهم عامل فى نشر الإسلام وقد أفاض فضيلة الأستاذ الباحث فى بسط هذا الموضوع وقال أولا إنه يوافق الدكتور الحسينى موافقة تامة فى أننا يجب أن نبدأ من حيث ابتدأ المبشرون ، وذكر أن له بعض التجربة ، وأنه زار بعض بلاد أواسط إفريقيا ، وعاش زمنا فى جنوب السودان ، ورأى طرائق المبشرين وأساليبهم وقال إن المبشرين يأتون من أوربا وأمريكا حيث الحياة الصاخبة، والمتع الميسرة، ثم يمكثون وسط الزنوج فى الغابات مددا تتراوح بين ست وعشر سنوات لا يملون ولا يسأمون وقال إن السر فى ذلك أنهم يعدون فى بلادهم لهذا العمل فيراضون على العزلة وعلى الابتعاد عن أضواء الحياة ، ثم إن المبشرين ينشئون المدارس فى المناطق الإسلامية ويتظاهرون بأنهم لا يتعرضـون فيها للمسائل الدينية وهدفهم من ذلك أن يخرجوا متعلمين مسلمين يشعرون بأن لهذه المدارس فضلا عليهم

حتى إذاما سارت إليهم أو إلى بعضهم مقاليد الأمور فى بلادهم هادنوا التبشير وغضوا الطرف عن أخطارة .

وينشىء المبشرون كذلك المدارس والمستشفيات فى المناطق الوثنية ، ويأخذون الأطفال ويلقنونهم مبادىء المسيحية ، ويترفقون حتى يعطوا آباءهم هذه المبادىء لا رغبة فى تحويلهم إلى المسيحية فحسب ، بل تمهيدا لأن يجد الطفل الذى يتربى فى مدرسة تبشيرية جوا ملائما فى المنزل فترسخ مبادىء المسيحية فى نفسه فترى أن المبشرين عالجوا المرضى ، وعلموا الجاهلين ، وخالطوا أهل البلاد وعاملوهم معاملة رقيقة، وكانت بأيديهم إمكانيات عظيمة أعانتهم على أن يؤدوا رسالتهم على أكمل وجه .

ثم قال يجب أن نبدأ فى مهمتنا الإسلامية بالمنظمات الشعبية ، وأن نحث الحكومات الإسلامية على أن تمدهذه المنظمات بالمعونات وأن تفسح لها المجال لكى تؤدى رسالتها . كما ينبغى أن تعتمد هذه المنظمات ـ أولا على أبناء البلاد التى يراد نشر الإسلام فيها ، فإنهم أعرف بأبناء عمومتهم ، وأصبر على أداء الرسالة ، ثم تستعين بالرواد الأوائل الذين نزحوا إلى هذه البلاد ، وكونوا لهم صلات خاصة بأهلها ثم يأتى بعد ذلك دور الدعاة الذين يوفدون لهذه الغاية ، وعلى أن يكون الداعية مؤمنا برسالته متحمسا لها ، وأن يكون قدوة حسنة ، ومثلا طيبا .

أما العقبة الكبرى وهى الناحية المالية فيجب أن تساعد فى تيسيرها الحكومات الإسلامية ، والهيئات التى تعنى بنشر الإسلام .

ثم قال فضيلته إن هذا يتعلق بنشر الإسلام بين الوثنيين ، أما نشره بين الأوربيين والأمريكيين ومن إليهم فيحتاج إلى وسائل أخرى ، ذلك فإن هؤلاء يعرفون . ويعقلون ، ولكنهم يجهلون الإسلام ، فهم لا يحتاجون إلا إلى إيضاح الدعوة ، والتعريف بها .

أما خدمة الإسلام بين المسلمين أنفسهم فتكون بالعمل على الرجوع بهم إلى جوهر الإسلام ، وعلى المجمع أن يهتم بهذه الناحية فيضع الكتب والنشرات ، ويستعين بوسائل الإعلام الأخرى .

وعاد فأكد أننا أقدر من المبشرين بالمسيحية على التبشير بالإسلام ، ذلك أنهم يجيئون من أقصى الأرض ، ونحن حين نذهب إلى جنوب السودان مثلا إنما نلتقى بأبناء جلدتنا ، وهم يأنسون إلينا لأننا نشبههم ، ومن اليسير علينا أن نتعلم فى زمن وجيز لغاتهم المحلية ، ومصداق ذلك أن من زار مناطق التبشير ، وقد زرتها يتأكد أن المسيحية لا تجد تجاوبا صحيحا ، ولا تلق أرضنا خصبة ، فإذا صدقت نياتنا ، ووجدنا العون على أن ننشىء المستشفيات ،

والمدارس الصغيرة ، والصناعات الخفيفة استطعنا أن ندخل أكبر عدد من هؤلاء فى الإسلام فى زمن قد لا يطول كثيرا

• • •

وتأتى بعد هذه النقطة فى الأهمية النقطة التى أثارها الدكتور عبد الحليم محمود عضو المجمع وعميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فإنه علق على كلمة الأستاذ الشيخ على عبد الرحمن التى يقول فيها إن من عوامل انتشار الإسلام مرونته بحيث يشمل جميع الأسس القانونية اللازمة لإقامة مجتمع فاضل ، وأن يضع القواعد العامة التى تكفل صيانة حقوق الأفراد والجماعات ، فقال الدكتور عبد الحليم بعد أن ذكر أن المحاضرة جمعت الموضوع من أطرافه فى أسلوب جميل ، وفكرة واضحة ، وأن كل هذا يتناسب مع المركز الذى يحتله الشيخ على فى العالم الإسلامى ، قال إن التطور أمر غريب فالإسلام لا تطور فيه ، الإنسانية لم تتطور عقليا ، العقل الإنسانى باعتباره مجرد عقل لم يتطور ، نعم تطورات المادة ، ليست هناك حقيقة قابلة للتطور ، ليس هناك مرونة فى فى التشريع ، يجب أن تنفى فكرة التطور من العالم الإسلامى باعتبار التشريع ، وباعتبار العقل ، وباعتبار الأخلاق وهنا انتقلت المناقشة عن الموضوع الأصيل إلى كلمة الدكتور عبد الحليم ، فقال الأستاذ نديم الجسر مفتى لبنان

وعضو المجمع : أستغرب أن يقول الدكتور محمود أن الدين لا يقبل المرونة ، والحقائق لا تقبل التعليل فنحن نعتقد ان دين الإسلام يرتكز على عمود واحد هو العقل ، وكل حقيقة تناقض مع العقل تناقضا صحيحا ظاهرا نحن مأمورون بتركها .

نعم الآيات البينات لا تقبل التحوير لسيما مع العقل ، أما إذا عرضت قضايا فى الدين أو فى المجتمع أو فى السياسة فإننا نحتاج إلى الرأى ، وختم كلمته بأن سلطان العقل أقوى من سلطان النص .

وقال الدكتور مهدى علام : لولا المرونة فى فهم الإسلام لما استطعنا أن نجلس هنا بهذا الزى (الإفرنجى) ثم ذكر حديثاً قال عنه إنه دستور فى المرونة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (من وجد منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) .

وقال أحد الأعضاء : إذا فقد الإسلام مرونته فقد فقد عنصر خلوده ، وأهم خصائصه وهو صلاحيته لكل زمان ومكان ، ولا أفهم للاجتهاد معنى إلا المرونة فى حدود معينة ، وقد أظهر علماء المسلمين من المرونة ما كان له أثر كبير فى انتشار الإسلام ، وسيادته ، وأقترح أن يفسح المؤتمر صدره للتحقيق فى مسألة المرونة .

وتكلم أحد أعضاء المؤتمر - وهو مسلم انجليزى - فقال : إن مسايرة العصر كلمة خطيرة ، فالعصر هو الشيطان ، وإن نتيجة ذلك ترك السنة ، وترك الحضارة الإسلامية ، وقد سألته فى أثناء الاستراحة عن بيان أوفى لمقصوده قال : إن علينا أن نكيف حياتنا بالروح الإسلامية ، ثم نتطلب من الإسلام حلولا لما يعرض لنا فى هذه الحياة ، وليس علينا أن نخضع لصور الحياة المختلفة التى خلقتها المجتمعات ثم نلتمس من الإسلام أن يسايرها ، ثم قال إنه يشكر الدكتور عبد الحليم محمود ، وذكر أن كل مسلم لا يشك فى مرونة الإسلام فى حدود معينة ، لكن ينبغى أن نعرف أن المبالغة فى المرونة هى الخطر الأكبر.

وعاد الدكتور عبد الحليم محمود للموضوع فقال : إنه مسرور لفتح المناقشة فى هذا الموضوع ، وإن من المعروف أن للإسلام ثلاثة جوانب : العقيدة ، وهذه باتفاق لا تطور فيها ، والأخلاق ومعنى المرونة فيها أن الصدق - مثلا - يكون فضيلة فى زمن دون زمن ، والتشريع - وهو موضوع المنازعة - وهو عبارة عن قرآن وسنة ، وإجماع وقياس ، وإدراج حكم جزئى تحت قاعدة كلية أصلية لا يخرجها عن أن تستمر قاعدة ، والدين قد أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير.

وانتهى النقاش حول هذه النقطة باقتراح يطلب إلى الدكتور محمود أن يعد بحثا فى هذا الموضوع .

ولكن الأستاذ المحاضر الأصلى عاد فقال إنه دهش لقول الدكتور عبد الحليم محمود كما دهش لقول الدكتور حزين إن الإسلام لا يعرف دعوة المحترفين ثم قال : إننا إذا استبعدنا هذين يجب أن ينفض الجمع لأنه لا يمكن أن يؤدى أية وظيفة بعد ذلك وأنه قصد من المرونة أننا نستطيع أن نرجع إلى الإسلام كثيراً من المعاملات التى تحدث فى عصرنا أو فى أى عصر قادم ، فنستخلص منه ما يناسب التصرفات المستحدثة .

وجاء دور تعدد الزوجات ، فكان من الطريف أن علق عليه بعض العلماء من البلاد الآسيوية الشقيقة ، فقال إن التعدد هو الأصل وإنه فى القرآن غير مشروط بشرط ، فى حين شرط زواج الواحدة بخوف عدم العدل ، وذلك فى قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، وقال إن الأنبياء والصحابة كان أكثرهم متزوجا بأكثر من واحدة .

ولم يرق لهذا العالم أن يقال إن التعدد ضرورة ، وأنه كالجرعة من الدواء ، وقال إن ذلك مالأة للذين يعيبون الإسلام بهذا التعدد ، وهو فى حقيقته ليس بعيب ، بل هو أمر مباح ككل الأمور المباحة ، وفيه خير كثير .

ودارت مناقشة حول الاسترقاق فى الإسلام تناولت أكثر ما هو معروف فى هذا الموضوع ، ولكن الدكتور عبدالحليم محمود اعترض على أن يبرر الرق فى الإسلام بأنه كان متفشياً فى الأمم السابقة ، وقال إن لقائل أن يقول إن الخطأ لا يبرر الخطأ ، ورد الشيخ على بأنه إنما ذكر ذلك ليبين أن الرق كان أمراً متمكنا فى النفوس فلم يكن من الخير أن يلغى طفرة ، ففتح الإسلام بابا واحدا ضيقاً لدخول الرق منه ، فى حين أنه فتح أبوابا كثيرة واسعة لخروج الأرقاء إلى الحرية كما أحسن الإسلام معاملة الرقيق ، وذكر فى ذلك بعض الآيات وبعض الأحاديث وبعض الوقائع .

وعلق عالم شرقى فقال إن الذين يعيبون الاسترقاق فى الإسلام لا يفهمون . ذلك أن رجلا دعوته إلى دينى ـ وهو الدين الحق ـ فرفع على سيفه يريد أن يقتلنى فرفعت عليه سيفى وكان يمكننى أن أقتله ، ولكننى بدل أن أقتله مننت عليه بالحياة أفيكون أمراً عظيما أن استرقه وقد أبقيت عليه حياته ؟

وتحدث الأمير غالب عن مأساة عمان والجنوب العربى ، وتسلط الاستعمار هناك وتحدث رئيس الوفد الفلسطينى عن مأساة فلسطين ، ودعا كل منهما إلى أن يهتم المسلمون فى جميع أقطارهم بهذه المشاكل الخطيرة . فإن فى بقاء الاستعمار فى أى مكان ، وفى بقاء اليهود فى فلسطين خطراً على الإسلام نفسه .

ولم يفت المؤتمرون أن يعلقوا على مسائل علمية فى نقد بعض الألفاظ ، أو بعض الشروح والتفاسير ، أو أن يشيروا من ناحية الشكل إلى الاستطراد ، أو التقصير فى الشرح أو فى إهمال بعض الجوانب .

وكان من أبرز ذلك ما قاله الشيخ السايس معلقا على شرح الأستاذ الشيخ على عبدالرحمن لقول النبى صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريبا) وهذا نص ما جاء فى البحث «غير أنه ـ يريد الإسلام ـ من حيث العمق ظل يخبو ضوءه حينا ، ويشرق وجهه أحيانا وسيظل على هـــذه الحال حتى يعود غريبا كما بدأ ، وحينذاك « فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس » .

وإذا كان بعض المحققين من العلماء قد فسروا هـذا الحديث بأن الإسلام قد بدأ

غريبا ، ضعيف الأثر ، خافت الصوت ، قليل النصراء ، وسيعود بعد قوته إلى حالته الأولى غريبا ، ضعيف الأثر ، خافت الصوت قليل النصراء ، ويميل أولئك العلماء تبعاً لهذا التفسير إلى جعل رواية الحديث القائلة فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس مشيرين إلى الثناء على تلك القلة من المخلصين الذين سيحافظون على قوة إيمانهم حينما تفسد عقائد الكافة من المسلمين ، إذا كان بعض العلماء قد فسروا الحديث على هذا النحو ، فإني أميل إلى ما ذهب إليه المتفائلون من العلماء الذين يقولون إن الإسلام فى أول عهده قفز قفزة قوية تخطت على جميع الصعاب وتخطت كل الحواجز والأشواك ، وارتفع مناره كعمود الصبح فى مدة وجيزة ، فعمت أنواره كل الأجزاء المعمورة من الأرض فى ذلك الزمان ، وأخذ بيد تابعيه ، فاخترق بهم الصفوف حتى احتلوا مكان الزعامة فى الأمم وتولوا قيادة الشعوب وتسلموا أزمة الأمور وسيعود الإسلام بعد ضعفه ، وخفوت صوته وتكاثر أعدائه الحاقدين من المغضوب عليهم ... سيعود إلى قوته السابقة ، فتعلو كلمته ، ويقوى ساعده .

قال الشيخ السايس : أرى أن هذا الرأى لا يتفق مع المعنى اللغوى لكلمة (غريب) فهى من الغربة أو من الغرابة ، فالتفسير لا يتفق مع المادة .

وقد رد الشيخ على بأنه يختار التفسير الثانى للكلمة ، وأن الغريب من الغرابة ، ومعنى الغرابة الدهشة والذهول اللذين أصابا الأمم المعاصرة حينذاك من قفزة الإسلام ، وأن هذا الفهم تؤيده الرواية الأولى للحديث وهى فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس .

فهؤلاء لا يكونون إلا مع قوة الإسلام ، وأنه يرى بشائر هذه القوة فى استعداد المسلمين لاسترداد مركزهم السليب فى كل مكان ، وأن تلك القفزة الأولى للإسلام هى الآن على الأبواب ، وأنه يرجو أن يكون فى أعضاء الجمع من كبار العلماء الطليعة التى تتقدم صفوف أولئك (الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس) .

على العمارى

مناقشات المؤتمر
عرض وتعليق
للأستاذ على العمارى

— ٢ —

فى مبدأ هذه الجلسة ألقى الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ، ورئيس المؤتمر كلمة موجزة أثنى فيها على طريقة المناقشة التى انتهجها أعضاء المؤتمر فى الجلسة الماضية ، وشكرهم على هذه الطريقة المثلى التى هم أحق بها وأهلها ، فهم علماء المسلمين ، وقادة الرأى فيهم ، وهى الطريقة الإسلامية الصحيحة ، فقد أبدى كل منهم رأيه بصراحة ، وإخلاص وفهم عميق لرسالة المؤتمر ، وبشعور بالغ بالمهمة الملقاة على عاتقه ، وفى الوقت ذاته كان كل متحدث — مع اعتزازه برأيه — يحترم آراء الآخرين.

ثم بدأت المناقشة حول الاجتهاد : ماضيه وحاضره) وقد تحدث فى هذا الموضوع عالمان جليلان ، أولهما الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر السابق وعضو المجمع ، وثانيهما الشيخ الفاضل بن عاشور مدير جامعة الزيتونة وعضو المجمع وانتهيا منه إلى أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا

وقد دارت المناقشة فى الموضوعات الآتية.

١ — جدل فقهى حول الاجتهاد :

وابتدأ الحديث أحد أعضاء المؤتمر فوجه أسئلة تضمنت الاستفسار عمن اشترط الشروط المتفق عليها لتحقيق الاجتهاد ، وهل لمن اشترطوها مستند؟ وما هو ؟ وهل اتفاق الأصوليين غير المجتهدين يعتبر حجة فى الدين؟

وهل الأئمة الأربعة أو أحدهم اشترطوا تلك الشروط فى الاجتهاد ؟ ثم قال : إن الشافعى قال : لا تقلدونى فى كل ما أقول و انظر لنفسك. وإن الشوكانى قال : بوجوب الاجتهاد .

ثم تكلم الدكتور عبد الحليم محمود فقال : لا يسعنى إلا شكر الأستاذين الفاضلين ، غير أنى أريد إضافة كلمات ، الاجتهاد ليس اختراعا ، ولا مجال للرأى الشخصى فيه . إذا قال مجتهد هذا رأيى فمجرد التعبير يزيل الثقة به ، الاجتهاد هو المحاولة المستميتة الجاهدة لتوضيح رأى الإسلام ، أو لكشف ما عساه يكون رأى الإسلام ، ليس هناك مجال لما يمكن أن يسمى رأيا شخصيا . الاجتهاد اتباع ، وأمر الرسول عام مطلق : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

قام بعد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة فقال إنه

وإن لم يكن أحد الباحثين إلا أنه باعتباره عضوا فى المجمع يرى أن من حقه أن يرد على ما يوجه إلى البحوث التى يتقدم بها الأعضاء ، وتحدث عن الأسئلة التى وجهت حول شروط الاجتهاد ، وذكر أن السائل يقول: إن الشافعى قال بالاجتهاد من غير شروط ، وإن الشوكانى دعا إلى الاتباع وهو غير التقليد وأحب أولا أن أقول حقيقة مرة ، هى أن الشوكانى رحمه الله وعفا عنه ، قال إن اتباع الأئمة شرك ، بل قال إن اتباع الصحابة شرك ، ولذلك فسأدع كلامه ، ولا أعول عليه .

أما عن شروط الاجتهاد فقد ذكرها الإمام الشافعى عند الكلام فى القياس ، وقد ذكر فى الرسالة . أن الاجتهاد هو القياس ، ومما ذكره من شروط : العلم بالقرآن ،

وبالسنة، وباللغة وباختلاف الأئمة. ومن أهم شروط الاجتهاد ، النية ، الحسنة وهذه الشروط هى التى تمليها الطبيعة الإسلامية أو المنطق الإسلامى، فهل يسوغ أن يجتهد الرجل دون أن يعرف هذه الأمور ؟ الشافعى وأبو حنيفة قررا أن المجتهد أو صاحب القياس لا بد أن يعرف اختلاف الفقهاء والصحابة ، ومن كلام أبى حنيفة : أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس .

ونحن فى اجتهادنا لا نقطع السلسلة الفقهية بل نضيف إليها بعض الحلقات فهل يصح أن نضيف إلى السلسلة دون أن نعرفها ؟ .

ثم علق على كلام الدكتور عبد الحليم فقال : إن ورع الدكتور يمنعه إذا توصل إلى أمر جديد فى الدين أن يقول : هذا رأيى بل عليه أن يقول هذا رأى الإسلام ، وأنا أقول : إن ورعى يمنعنى — إذا توصلت إلى مثل هذا الأمر — أن أقول : هذا رأى الإسلام بل ينبغى أن أقول : هذا رأيى ؛ لأنى حين أقول هذا رأى الإسلام أحمل الإسلام خطئى وقد كان ابن مسعود — رضى الله عنه — وهو إمام من أئمة المجتهدين إذا وصل إلى حل مسألة يقول فيها هذا رأيى ، ولكن سيدنا عمر ينهى الناس أن يقولوا هذا هو الإسلام أو هذا هو القرآن .

وقال : إن له ملاحظة على بحث الشيخ نور وملاحظتين على بحث الشيخ ابن عاشور ، أما الأولى فهى حول اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم فى شئون الدنيا ، فإن الباحث لم يحرر الفرق بين شئون الدين وشئون الدنيا ، ويرى أن المراد بشئون الدين ما يتكون منه حكم كلى يسير عليه الناس ، أو ما يكون تطبيقا لحكم شرعى ، وأن النبى قد يخطئ فى شئون الدين لما يدل عليه قوله : (إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض

فأقضى بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) .

أما عمل النبي في شئون الدنيا فإني لا أسمي ذلك اجتهادا . والحديث المشهور (أنتم أعلم بشئون دنياكم) يروى ناقصا لغرض سيء ، ويجب أن نرويه كاملا ، وهو ما كان من أمور دينكم فإلى ، وما كان من أمور دنياكم فأنتم أعلم به .

والنبي قد اجتهد في بعض الأحكام .

ثم قال : ومن الغريب أني وجدت بعض كبار المشايخ يقول : إن اجتهاد النبي ليس بحجة وإنه من الانحراف ألا نعتبره حجة .

قلت لعل ملحظ هذا القائل أن النبي إن لم يقر على اجتهاده امتنع العمل به ، وإن أقر كانت الحجة هي الوحي لا اجتهاده صلى الله عليه وسلم .

وأما الثانية فهي عن قول الشيخ ابن عاشور : إن الطوفي سبق إلى القول بأن الشريعة مبنية على مصالح العباد فالحق أن الغزالي سبق الطوفي في هذا ، والطوفي مخطيء كل الخطأ حين يقول إذا ثبتت المصلحة المقطوع بها ينسخ بها النص المقطوع به .

وأما الثالثة فهي قول الباحث : إن من علم الأصول القواعد ، والحق أن الأصول غير القواعد ، فهذه ضبط للأحكام التي وصفت بالفروع ، وهي ليست من الأصول ، فهما مختلفان من حيث المنطق ومن حيث الزمن .

ثم وقف الدكتور عبدالحليم فقال : إنهما قضيتان بمعنى واحد : الاجتهاد كشف وليس اختراعا ، الاجتهاد اتباع وليس ابتداعا ، وشرح ما أراده بكلمة . ليس هذا رأيي . فقال منتاها : أني أحاول جاهدا أن أخضع رأيي للنصوص ، وألا أقحم شخصي عليها ، ثم قال : ليس في الدين جديد ولا تجديد ، وكل ما نعمله إما كشف لما كان عليه الرسول ، وإما محاولة لإدخال حادثة جزئية تحت قاعدة كلية ، ومرد هذا عندي إلى قول الله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم» وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) ، وهذه العبارة الأخيرة لها مدلولها العظيم فيما نحن بصدده .

وأما حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين أرسله الرسول إلى اليمن ، وسأله بماذا يحكم ، فقال بكتاب الله ، ثم بسنة رسول الله ثم أجتهد رأيي فهو حديث لا يفهمه كثير من الناس ؛ ذلك أن معاذاً أرسل إلى اليمن في وقت لم يكن الدين قد كمل فيه ، وإذن فليس في الحديث دليل ولا شبه دليل فيما يتعلق بالرأي أو الفكرة ، ثم ختم كلامه قائلا في صرامة : ليس في الدين رأي شخصي باعتباره رأيا شخصيا .

ثم قام الشيخ الفاضل بن عاشور ، وقال : إن فضيلة الشيخ نور قد اعتبر بحثى مكملا لبحثه ، وإنه لذلك فوضنى فى الرد على ما ورد من ملاحظات على البحثين ، وقال إنه سعيد بهذا التقدير وهذه الثقة . ثم قال : إن كل المناقشات التى دارت حول البحثين تشتمل على أمر واحد هو استحقاقها الشكر .

أما ما قاله الدكتور عبد الحليم فهو أمر قد جاء به البحثان ، واتجهت نحوه جميع المناقشات فالرأى الشخصى الذى لا يستند إلى دليل لا يقره أحد ، وإنما الرأى طريق للكشف ، وهو لابد أن يرجع إلى موارد الأدلة ، وليس فى المسلمين من يقول: إن الاجتهاد أمر مطلق لإرادة الشهوات ، وليس من يقول : إن النصوص تقتضى الحكم بدون استنباط ، وإذن فالخلاف لفظى .

وللمجتهد أن يقول : هذا حكم الله ، وله أن يقول : هذا رأيى ، أى فى تحصيل حكم الدليل ، والإمام مالك يورد كثيراً فى الموطأ قوله : هذا هو ما نرى .

أما إجماع الأصوليين فلا مجال له فى الدين ، وإنما المهم هو إجماع المجتهدين . ثم بين أن الأحكام الشرعية على مراتب ، فمنها المعلوم من الدين بالضرورة ، ومنها الحكم المجمع عليه ، وهذان لا مجال للاجتهاد فيهما ، ومنها ما كان محل خلاف فهو مجال للترجيح ، وما هو غير منصوص عليه أصلا فهو الذى يكون موضوعا للاجتهاد والحكم .

ومن أفعال النبى ما يكون جبليا ، وهذا ليس موضوعا للاتباع ، نعم كان ابن عمر يتحرى ألا يسير فى المدينة إلا فى السكك التى مشى فيها رسول الله ، ولكن هذا كان للتبرك لا للاتباع ، وفعل النبى إذا كان يرجع إلى التعبد فإنه يكون حجة على المشروعية ، وتعليق التكليف الدينى بأمور الدنيا على معنى أنه قد يشمل الإباحة .

٢ — باب الاجتهاد لم يغلق أبدا :

وهذا ما انتهى إليه الباحثان الفاضلان ، وقد أيده بعض أعضاء المؤتمر فقال مندوب المغرب : إن عندنا مجموعة فى اثنى عشر مجلداً فيها فتاوى الأندلس وإفريقيا والمغرب ، وفيها الكثير الطيب من الاستنباط للنوازل الحادثة .

وأعاد مندوب الجزائر إلى الأذهان الحديث الذى يتضمن أن الله يرسل كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، وأخذ يذكر المجددين فقال : إن عمر بن عبد العزيز كان صاحب المائة الأولى ، لأنه توفى سنة ١٠١ هـ وإن الشافعى كان صاحب المائة الثانية لأنه توفى سنة ٢٠٤ هـ .

وأن الغزالى كان مجدد المائة الخامسة ... وهكذا .

ثم ذكر ما ورد فى الكتب من النعى على التقليد والمقلدين ، من مثل قولهم : التقليد لا يثمر علما ، والمقلد لا يسمى عالما إلا على سبيل المجاز . والاجتهاد مرادف للعلم ، والتقليد مرادف للجهل والعامية ، ثم قال : حتى المتأخرون يقولون : التقليد والاتباع والعامية أمور مترادفة ، وقد أجمع المسلمون الأولون على وجوب الاجتهاد ، وما أجمع عليه المسلمون لا يصح خرقه .

ويقصر مندوب يوغوسلافيا الاجتهاد على السلف فيقول : إن السلف أدركوا حقيقة كونهم ورثة الأنبياء ، فنظروا إلى الحياة ومشاكلها ، وإن القرآن والسنة ، وكلما جدت مشكلة من أى نوع اجتهدوا واستنبطوا من أصول الإسلام حلا لها ، وبذلك اتسع الفقه الإسلامى ، ولكن مع الأسف الشديد بل العمق أن المسلمين لم يسايروا تطور الحياة ، وقد تعصبوا للمذاهب خاصة ذلك دون النظر فى القرآن والسنة .

وبذلك استولى الجمود والتقليد وانعدمت الأصالة ، واستولت الخرافات والبدع ، ووجد الاستعمار بيئات صالحة لبث سمومه ضد الإسلام والمسلمين ، وقد تضافرت العوامل الداخلية ، والخارجية ضد الإسلام للقضاء عليه ، لكنه ثبت أمام كل المحاولات .

٣ - الاجتهاد الجماعى :

وقد برزت فى المناقشات فكرة الاجتهاد الجماعى ، فقد قال مندوب الأردن : إن شروط الاجتهاد ربما لا يتفق تحققها فى شخص واحد ، وقد يتيسر تحققها فى عدد من الأشخاص يشكلون بمجهودهم مجتهدا ، فأرجو أن يتوصل المجمع إلى فكرة الاجتهاد الجماعى ، والسير عليها . وإذا أقرت الفكرة فستكون أساسا لمنع مدعى الاجتهاد ، ونجاحها يتوقف إلى حد بعيد على تمثيل أكبر عدد ممكن من الأقطار الإسلامية ، وتكون هذه المجموعة مرجعا أعلى تتولى نقد الاجتهاد الفردى أو إقراره ، وأيد هذا الاقتراح الشيخ على عبد الرحمن مندوب السودان ، وقال : إن تحقق هذه الشروط صعب . ولاسيما (صدق النية) فهو أمر لا يمكن التحقق منه بسهولة ، ولا يمكن ضبطه وسيحدث الاختلاف فى الحكم على تحقق الشروط قطعا ، وإن فى المجموعة التى تحدث شخصا معنويا ما يحقق ذلك ، وما يبعد سوء النية كما أيده علماء آخرون منهم . الشيخ الفاضل بن عاشور والسيد عبد الغفور باهر مندوب أفغانستان .

٤ - مهمة المجمع :

بدا فى كل مناقشات أعضاء المؤتمر اعتزازهم بمجمع البحوث الإسلامية ، وآمالهم الكبيرة

فيه ، وقد قال مندوب يوغسلافيا . المجمع حادث تاريخي خطير ، له من الخطورة وسيكون له من النتائج ما لا يمكن تقديره في هذه اللحظة . إنه سيرجع مجد المسلمين ، وقال : إن للمجمع مهمة أخرى غير البحث والدرس ، وهي جمع شمل المسلمين ، وتوحيد كلمتهم وتحقيق الوحدة الإسلامية .

والحقيقة المرة أن المسلمين افترقوا فرقا مختلفة ، دينية وحزبية ، وضعفت بينهم الروابط الإسلامية حتى غدوا لا يعرف بعضهم بعضاً فمن الواجب أن يربط المجمع الأجزاء المتفرقة من العالم الإسلامي برباط واحـــد .

وعلى المجمع أن يضع الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الجديد ، حتى لا يضطر الساسة إلى استيراد النظم والقوانين من الخارج .

وإذا كان قد انتهى الاستعمار العسكري والاقتصادي فلا يزال الاستعمار الفكري قائما وهو أخطر من كل استعمار ، وعلى المجمع أن يطهر أذهان المسلمين من هذا الاستعمار .

إن معظم ما سمعناه يدور حول ما قام به العلماء السابقون . وهو شيء جليل ، ولكن كنت أحب أن أسمع ما يجب علينا أن نقوم به أمام مشاكلنا المتعددة ، كنت أود أن أسمع جديدا في الاجتهاد ، أما حكم الإسلام في الاجتهاد وشروطه ، وأنواعه فكل ذلك مدون في الكتب يمكن الرجوع إليه ، ومن الغريب أننا تحدثنا في الاجتهاد بطريق التقليد ، فهل آن الوقت لأن نقوم برسالتنا ، علينا أن نبدأ من حيث انتهى السابقون .

وقال الشيخ ناجي أبوشعبان مندوب فلسطين : لسنا في حاجة إلى القول ، وإنما نحن في حاجه إلى العمل ، ولقد أخذنا في المقدمات وقتا طويلا ، وهذا يؤخر الوصول إلى الهدف ، مثلا كلمة (المرونة) أخذت وقتا لا داعي له ، إن عمل المجمع تنفيذ القرارات ووظيفة المؤتمرين هنا هي حل المشاكل الدينية ، وكيفية البحث ليست من هذه المشاكل .

وقال الشيخ حسن مدثر قاضي قضاة السودان سابقا : المهم الآن أن نعرف الأمور المستحدثة التي يعرضها المؤتمر لنرى رأى الدين فيها .

وقال مندوب تونس الأستاذ كمال التازي : الاجتهاد فرض كفاية ، ولكن لم يقم به أحد - يريد في عصرنا الحاضر - فهل سبب ذلك توانى الهمم أو عدم توفر شروط الاجتهاد ؟ .

أرى أن على المجمع أن يبحث الأسباب التي قعدت بعلماء المسلمين عن القيام بهذا الغرض عليه أن يتبنى موضوع الاجتهاد ، ويكون له لجنة من كبار العلماء حتى يوجد المجتهد .

وقد علق رئيس الجلسة على بعض ما قيل فقال : إن هذا المجمع يسمى مجمع البحوث الإسلامية ، فمهمته الأولى البحوث الإسلامية ، ومنها بل من أهمها الاجتهاد .

وقال الأستاذ سعيد العريان : أسأل لماذا اجتمعنا هنا ؟ لماذا أنشىء مجمع البحوث ؟ ما الدوافع التى حملت الشارع على إنشاء المجمع ؟

أبان القانون بوضوح حاجة المسلمين ، كل المسلمين إلى الرأى الجديد نلغى وجودنا إذا أنكرنا حق المسلمين أن يتدبروا وجودهم ، ومشاكلهم ، ويلحقوا كل ذلك بنصوص الإسلام نصاً وروحا .

٥ — مركز الشريعة الإسلامية :

وقد بدا بوضوح اتجاه كل أعضاء المؤتمر إلى إحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية فى دساتير البلاد الإسلامية ، وقد مر قريبا ما قاله مندوب يوغوسلافيا من أن على المجمع أن يضع الأسس التى يقوم عليها بناء المجتمع الجديد .

وممن تكلموا فى هذه المسألة الأستاذ الدكتور إبراهيم اللبان ، وقد قال : النقطة الهامة هى مركز الشريعة الإسلامية ، والاجتهاد فرع منه ، وقد كان هدف الاستعمار الأول هو تعطيل الشريعة ، وقد حقق هذا الهدف فى كثير من البلاد ، بوضع قوانين وضعية موضع الشريعة الإسلامية .

وبعض الناس يقولون إن التشريع الوضعى خير من الشريعة الإسلامية ، ويجب القضاء على هذه الفكرة ، فينبغى أن تؤلف لجان ونخرج لنا قوانين إسلامية ، وحينئذ تكون الطريق معبدة لوضع الشريعة الإسلامية فى وضعها الصحيح .

وطالب مندوب الجزائر بوضع دستور مختصر ذى مواد مرقمة مبسطة منتزعة من الفقه الإسلامى وتطبع وتوزع على العالم الإسلامى خصوصا ما يتعلق بالنظم الاقتصادية .

وأيد ذلك مندوب (موريتانيا) وزاد بأن الحكومات إذا وافقت فنكون سعداء لأننا نرى بلادنا تسير على هدى الإسلام ، وإذ لم توافق فقد قمنا بواجبنا .

وقال مندوب تونس : إن الأزمة الحقيقية هى أزمة التشريع . إن قوانين البلاد الإسلامية مستوردة من الخارج ، فهل فتح باب الاجتهاد يحل هذه المشكلة ، إن واحداً من علماء المسلمين لم يجرأ أن يضع قوانين ونظما مستمدة من روح الإسلام لحل هذه المشكلة .

وهكذا ظهرت هذه العزيمة واضحة ، وربما كانت من الأهداف الأولى لمجمع البحوث الإسلامية ، ونرجو أن تجد طريقها إلى التنفيذ فى أقرب وقت ؟

علي العماري

«العالم الاسلامى فى المؤتمر»

إعداد الأستاذين :

علي العماري و محمد عمر

فى القاهرة كعبة الثقافة الإسلامية ، وقبلة أنظار العالم الإسلامى ، ومناط الرجاء فى وحدة المسلمين وبعث مجد الإسلام. وفى أجمل مكان من الضفة الشرقية لنيلها الخالد . انعقد أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية وقد مثل دول العالم الإسلامى فى هذا المؤتمر علماء أجلاء لأكثر من اثنتين وأربعين دولة آسيوية وإفريقية وأوربية . برزت فى كلمات هؤلاء العلماء ومناقشاتهم أثناء انعقاد جلساته صور معبرة عن أحوال الإسلام والمسلمين فى بلادهم .

ونحن نأمل أن ننقل إلى القارىء الكريم طرفا من هذه الصور فى خلاصة موجزة لبعض السكلمات التى ألقيت من بعض الصفوة وقادة الفكر فى بلاد الإسلام . إذ أن تجلية أحوال المسلمين والتعرف على مشاكل المجتمعات الإسلامية من أجل دراسة هذه المشاكل ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها يعتبر جانبا مهما من جوانب رسالة المجمع . عبر عنه أحد السادة من أعضاء الوفود بقوله : « إن التعريف بالوطن الإسلامى جزء مهم من أعمال المؤتمر » .

السنغال

خلاصة ما قاله مندوبها :

يوجد فى العالم الإسلامى فراغ يجب أن يسده المجمع ، فالمبشرون قد استطاعوا بنشاطهم المزود بكل الإمكانيات وضعنا فى موقف الدفاع وتجميدنا فى هذا الموقف . وهم يتلمسون المطاعن على الإسلام حتى ننشغل بها عن الأعمال الإيجابية فعلينا ألا نلتفت لمزاعمهم . فهم يثيرون الغبار على تشريع الإسلام الرق ، مثلا ، ولا داعى أن نرد على ذلك فالمسلمون عاشوا فترة من حياتهم يسترقون أسرى الحرب وليس ذلك عيبا يؤخذ على الإسلام فالرق فى عصر الفتوحات الإسلامية كان من الخطط الحربية التى لا غبار عليها .

ونحن نعلق على هذا المأخذ الذى يتذرع به هؤلاء المضللون الذين يلبسون مسوح التبشير للطعن على الإسلام . بأن الرق الذى شرع فى الإسلام وفتح الإسلام فيه الأبواب العديدة للرقيق على مصاريعها يخرج من أيها شاء بأبسط الوسائل وأيسرها . هذا الرق فى أسوأ صوره ، خير من الحرية فى قيودها البغيضة التى يفرضها الرجل الأبيض على عبيد الأرض والمصانع والمناجم من الملونين .

هذه القيود التى تسلبهم أبسط مبادئ الحرية والمساواة » .

ثم قال إن الجزء الأكبر من أفريقيا شديد الرغبة فى الانسجام والتعاون مع بقية أجزاء العالم الإسلامى ليقوى ساعد المسلمين به ويشتد فى مواجهة سبل المبشرين الذين يستعينون بالصهيونية فى محاربة الإسلام والكيد له . ومن أمثلة ذلك ما حدث فى بعض دور التعليم فقد سأل أحد الأساتذة تلاميذه « هل نحن فى حاجة إلى الإسلام فى القرن العشرين ؟ » ولم ينتظر جوابا بل استطرد قائلا : « إن الحياة تتطلب أن يكون الإنسان حرا والإسلام يحيل على القدر فيحد من حرية الإنسان » وبالبحث ظهر أن هذا الأستاذ صهيونى .

« ونعلق على هذا الحادث وأشباهه بأن جهود الصهيونية فى محاربة الإسلام معروفة وأقربها ما أثبته التحقيق فى ثورة جنوب السودان من تحريك أصابع الصهيونية القائمين بها فقد كان قائد هذه الثورة يتلقى تدريباته فى إسرائيل » .

كينيا

خلاصة كلمة مندوبها :

إن هناك قوى شريرة تتجمع لتحطيم الإسلام وإن من واجبنا كسفراء لهذا الدين أن نقف أمام هذه القوى الشريرة ونعمل يداً واحدة على دفعها بل تحطيمها . وهذا لا يكون إلا بالوحدة الإسلامية وإذاً فهى أسمى الغايات .

لقد قيل لنا إن الإسلام متخلف عن ركب الحضارة وإنه يقعد بأهله عن السير فى طريقها . ولكنا رأينا هنا كيف استطاعت مصر المسلمة أن تحول الصحارى إلى جنات خضراء ، فإذا كنا نؤمن بالقرآن فعلينا أن نعمل به . فنحن تواجهنا مشاكل عديدة فى حياتنا ويجب حل هذه المشاكل على ضوء تعاليم الإسلام .

والغالبية العظمى من شعبنا لا يؤمنون بدين أى دين ، وقد فشلت المسيحية فشلا ذريعاً فى نشر دعوتها فى بلادنا . حتى أولئك الذين يزعمون أنهم مسيحيون لم يتعمق الدين المسيحى فى نفوسهم ، وإذا فعلينا أن ننشط فى نشر دعوة الإسلام من أجل زيادة عدد المسلمين فى العالم وتعميق هذا الدين فى نفوس المسلمين .

سيراليون

مما قاله مندوبها :

من واجب كل مسلم أن يتحدث بصراحة فليس من شأن هذا المؤتمر الدعاية السياسية ولا من شأنه أن يكون موضعاً للتنافس بين أعضاء الوفود فى تعداد مفاخرهم ومفاخر بلادهم ولا ينبغى أن يكون للحكومات المختلفة أى تأثير على المؤتمر وتوجيهه

ونحن أبناء إفريقيا الغربية حضرنا إلى هنا ومعنا آمال المسلمين هناك، ومن وراءنا القلوب تنتظر فى لهفة ماترجع به.

وإنى لأقولها صريحة: الإسلام فى بلادنا وفى بلاد كثيرة فى حاجة ملحة إلى ما يقويه ويعينه على بث دعوته ونشرها، وأجدر من يقومون بذلك هم العرب. فكلنا نجلهم لأننا نعتقد أنهم عشيرة النبى، وأن القرآن نزل بلغتهم.

ثم نعى على القديانية وحذر من الشيوعية وعاب مسلك كثير من مشايخ الطرق المجافى الدين والأخلاق لتكالب بعضهم على جمع المال بطرق غير مشروعة، وذكر أنه حضر إلى البلاد شيخ تيجانى جمع ما يربى على ٤٠ ألف ليرة وذهب بها إلى غير وجهة، وحض على تطهير المجتمع الإسلامى من أمثال هؤلاء الذين يجلبون على الإسلام والمسلمين العار والنكال.

وكان مما قاله مندوب إفريقيا السيد/ إدريس العلوى: إننا نواجه مشاكل كثيرة منها المسيحية والأحمدية والفقر وما يرد من الدول الأمريكية، وإنى أطلب من المؤتمر العمل على إيجاد حلول لدرء أخطار تلك المشاكل والعمل على نشر دعوة الإسلام فى هذه المناطق البعيدة من العالم.

غيـــانا

مما قاله مندوبها: السيد/ عبد الغنى شاكر:

جاء الإسلام إلى بلادنا عام ١٨٤٥ عن طريق الجالية الهندية. ومنذ ذلك التاريخ لم يأت مبشرون بهذا الدين. فالدعاة لهذا الدين المثقفون بثقافته يكاد وجودهم أن يكون معدوماً من ديارنا، كما أن الكتب المؤلفة بالانجليزية عن الإســـلام، هذه الكتب نادرة؛ ولذلك فالمسلمون فى بلادنا يواجهون خطراً كبيراً على عقيدتهم من المبشرين المسيحيين لقلة حظ هؤلاء المسلمين من الثقافة الإسلامية ويبدو ازدياد عجز المسلمين عن حصولهم على حظهم من هذه الثقافة يكون خطر هؤلاء المبشرين ولذلك فنحن فى حاجة إلى مثقفين مسلمين مزودين بكل الإمكانيات من قبل المجمع ليقوموا على تدريس مواد الدين واللغة العربية؛ لأن التعاليم الإسلامية وإن كانت تدرس عندنا فى المدارس الابتدائية وتنفق عليها مئات الألوف من الدولارات. إلا أنها دراسة سطحية لا تؤدى إلى التعمق فى هذا الدين. ولذلك فحاجتنا ملحة إلى البعثات الإسلامية ليؤدى المبعوثون دورهم فى حمل رسالة الإسلام، ونشرها فى ديارنا التى تعتبر من أكثر بقاع العالم استعداداً لتقبل مبادىء الإسلام، نظراً لأن الناس هناك لا يستجيبون

فى هذه الأيام لدعوة التبشير بالدين المسيحى رغم ما يبذل فى سبيلها من جهود وأموال لاعتقادهم بأن هذا الدين مستورد من أمريكا وانجلترا. وغدوا يتطلعون إلى الإسلام الأمر الذى دفع بكثير ممن اعتنقوا المسيحية إلى التحول إلى الإسلام ؛ لأن الإسلام دين عقل يدعو إلى التحرر.

ويمكن لدعوة الإسلام أن تشق طريقها فى بلادنا بنجاح عظيم عن طريق الإذاعة والتعليم فى المدارس وإصــدار الكتب والنشرات الدينية. وإمكانياتنا العلمية والمادية لا تمكننا من أداء ذلك على ما ينبغى ولذلك فنحن فى حاجة إلى مديد المساعدة. ونأمل أن يتحقق قريبا رؤية هؤلاء المبشرين المسلمين المجيدين للغة الانجليزية ليتمكنوا من أداء رسالتهم فى يسر. ثم ذكر فى ختام كلمته ما يقوم به غلام أحمد فى هذه البلاد من قيادة جماعة من المأجورين والمضللين لتشويه معالم العقيدة الصحيحة.

الصومال

يجمل ما قاله مندوبها السيد/ الأستاذ إبراهيم حاجى محمود فى تصوير مشكلة المشاكل التى يعانى منها الصوماليون فى هذه الأيام : إن الهجوم الحبشى على حدود الصومال لا يعد نزاعاً على الحدود كما يذاع وإنما دافعه الحقيقى هو عصبية الأحباش الدينية ضــد مسلمى الصومال البالغ عددهم نحوا من ستة ملايين ونصف مليون مسلم يشن عليهم الأحباش حربا صليبية يلقى فيها كثير من المسلمين فى قراهم الآمنة حتفه بقنابل الجيش الحبشى الغادرة.

ولقد ظهر فى العدوان الحبشى الأخير مدى التعاون بين الأحباش وإسرائيل فى العمل على تحطيم هذه الجمهورية الإسلامية ١٠٠٪ جمهورية الصومال الفتية الناشئة ومن الأدلة على ذلك العثور على طيارين من اليهود فى بقايا الطائرات الحبشية المحطمة ومما يؤسف له أن تجارى حكومة كينيا الحبشة فى موقفها من الصومال منساقة مع العصبية الدينية ومتجاهلة ما يوجبه عليها قانون الوحدة الإفريقية.

ولذلك فإنى أعلن هنا أن واجب المسلمين يدعوهم إلى الوقوف فى جانب مسلمى الصومال ومساندتهم فى رد العدوان الآثم عن حدودهم. واسترداد الجزء السليب من وطنهم الذى يسكنه شعب مسلم ثائر لا يرضى بغير حريته بديلا.

نيجــــريا

مما قاله مندوبها : إنى أعتقد أن الإسلام سينتصر فى آخر الأمر مهما كانت الصعوبات

التى تعترض طريقه ومهما يلاقى من الإجحاف على يد من ينتسبون إليه أو غيرهم ممن يدينون بغيره أو من لا دين لهم .

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » . فهو دين الفطرة الإنسانية تعاقب الرسل على تدعيم أسسه وإرساء قواعده . وواجبنا أن نعمل لأنفسنا ولديننا . فالله شاهد على عملنا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

علينا أن نعيش حياة المسلمين فى ظل تعاليم الإسلام إذا أردنا أن نكون أعزاء أقوياء فى هذه الحياة ولا ينبغى أن ننظر فقط إلى الآخرين .

المبشرون الغرباء يأتون إلى وطننا ويسلكون شتى الطرق متذرعين بالوسائل التى يريدون بها التمكن من تحويل أبنائنا إلى النصرانية . هذا هو ما يحدث فى بلادى . فعلى المسلمين أن ينشطوا التبشير بتعاليم الإسلام فى هذه البلاد . وأن تتابع أمواجهم التبشيرية فى أفواج متلاحقة لتعليم أبنائنا فى أفريقيا مبادئ الدين الإسلامى وتبصيرهم بالمقومات الخلقية التى تزخر بها مبادئ هذا الدين ، وإننا ـ معشر المسلمين ـ لا نبذل جهودا كافية فى دراسة التوراة والإنجيل لنقف على ما فيهما .

وجهلنا بالأمور المتصلة بالتوراة والإنجيل يؤدى بنا إلى عدم معرفة كثير مما أشار إليه القرآن الكريم .

وإذا كان الإسلام هو دين الحنيفية الثابتة وكتابه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن كثيرا من بنى الإنسان يجهلون ذلك وعلينا ـ معاشر المسلمين ـ تجلية هذه الحقيقة لهؤلاء . فدين الله الحق واحد « ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك » .

جنوب إفريقيا

ذكر ممثلها فى المؤتمر السيد / عمر خبيرى أن المسلمين فى بلاده صامدون لما يلاقونه من ألوان العسف والقهر مستلهمين من عقيدتهم روح النضال والتمسك بالحق . فلم تستطع التيارات المعادية للإسلام تحويل المسلمين عن دينهم أو فتنتهم فيه إذ بجنوب إفريقيا قيادات إسلامية تؤدى واجبها بكل ما تملك من طاقة ، منها المجلس القضائى الذى عنه تصدر مجلة أسبوعية إسلامية تقوم بدور كبير فى الدفاع عن قضايا المسلمين . ومنها جمعية الشباب الإسلامية التى تقف بجهوداتها العظيمة سداً منيعاً فى وجه التيارات المعادية للإسلام من المبشرين ومن أصحاب المذاهب المنحرفة . هذا الجهد المشكور الذى يجعلنى أقوى على القول بأن الأمر قد استقر لأهل السنة والجماعة فى بلادنا وكان مما قاله : إن

آمال المسلمين الذين يعيشون فى بلاد غير إسلامية تتجه إلى هذا المؤتمر خاصة . ترجو منه الخير الكثير للإسلام والمسلمين . وإذا كان المسلمون فى بقاع الأرض ينشدون الوحدة الإسلامية . فإن ذلك سيظل ضربا من الوهم ما لم تتخلص الدول الإسلامية من السيطرة الاستعمارية .

وإن مشاكل الاقتصاد من أهم ما يشغل بال المسلمين . فعلينا أن نعمل على تحرير النظام الاقتصادى فى المجتمع الإسلامى ليقوم على أساس من تعاليم الإسلام ، الدين الصالح لكل زمان ومكان .

توجو

وقد ذكر مندوبها فى كلمته الأخطار التى تهدد عقيدة الطفولة الإسلامية . المتمثلة فى لجوء بعض المسلمين إلى تثقيف أبنائهم فى المدارس المسيحية هذه المدارس التى كثيراً ما تكون من مهمتها غير الظاهرة فتنة هؤلاء الأطفال بما تتخذه من الوسائل الملتوية لتحويل هؤلاء الصغار بل والشباب منهم عن عقيدتهم الإسلامية .

ومن أجل هذا يجب أن ننزل إلى المعركة ونحن مسلمون بسلاح الثقافة حتى نتمكن من الانتصار على المسيحية فى هذا الميدان وفى غيره من ميادين التبشير التى تمكن للعقيدة من نفوس المسلمين وتضىء الطريق أمام غير المسلمين ليأخذوا طريقهم إلى اعتناق هذا الدين . ثم تساءل قائلا لماذا لا تدرس الانجليزية والعربية والفرنسية لنتمكن من الإلمام بكل الثقافات ؟ ؟

ثم قال : وعندنا رابطة مسلمى توجو تعمل جهدها على توصيل الثقافة لكل مسلمى البلاد . كما تعمل على تنفيذ قرارات المجلس الأعلى القائم على شئون الثقافة الإسلامية . ثم ذكر أن مسلمى توجو على استعداد لتقبل قرارات مؤتمر المجمع من أجل صالح الإسلام والعمل على تطبيقها . وآمل فى المجمع أن يبذل من الجهود ما يصل به إلى حل لمشاكل العالم الإسلامى فى نطاق تعاليم دينه .

تونس

طلب مندوبها السيد كمال التازى من المجمع توجيه عناية خاصة إلى :

دراسة المشاكل التى تعترض التشريع الإسلامى فى العصر الحاضر دراسة وافية .

فقد رأى من غالب أعضاء المؤتمر استجابة الدول بفتح باب الاجتهاد بعد الإعداد له إعداداً كافيا . ولا شك أن هذا شىء خير . إذ ليس من الحق فى شىء بل ليس من مصلحة المسلمين عزل الدين عن الحياة وقصره فقط على الأحوال الشخصية والعادات . ولذا يجب التوجه أولا إلى ميدان الاقتصاد حيث إن معاملات كثيرة لا تخضع للتشريع

الإسلامى . فابتعاد المسلمين عن مبادئ الإسلام فى ميدان التعامل الاقتصادى يضع فى أذهان الأجيال القادمة أن الإسلام غير صالح للعصر الحاضر .

ثم نادى بأنه ينبغى أن تكون لنا عزيمة أسلافنا من العلماء فى فهم تعاليم الإسلام التى لا تضيق بالحلول لمشاكل العصر وذكر أن عالما قيروانيا عظيما اتخذ كلبا للحراسة فلما قيل له إن الإمام مالكا كره اتخاذ كلب الحراسة قال : يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا : لو كان مالك فى زماننا لاتخذ أمام داره أسداً ضارياً

العراق

قال ممثل النجف الأشرف البلد العلمى الشيعى بعد أن بلغ تحية علمائه إلى أعضاء المؤتمر :

إن من واجب المجمع وضع دستور إسلامى ، ونحن طالبنا بهذا كثيراً بعد أن جربنا كثيراً مبادئ غير إسلامية مستوردة فماذا استفدنا منها ؟ !

فقد تخلت عنا السعادة يوم تخلينا عن تعاليم الإسلام . والذى نحتاج إليه لاسترداد هذه السعادة هو وضع دستور إسلامى منتزع من واقع تعاليم الإسلام. فلم يعد لهذه المؤتمرات من فائدة إذا لم نخرج منها بعمل إيجابى ، ولم يعد كافياً أن نقول ونكثر من القول ، بل علينا أن نقول ونعمل بما نقول .

وفى اعتقادى أن كلمة « شيعة » لم يعد لها ما يبررها . فقد كان ذلك عند ما فرقتنا الأهواء والأحزاب والتعصب البغيض ، أما الآن فلا داعى لترديد مثل هذه الكلمات .

وقال مندوب الكاظمية السيد/ محمد الخالصى:

يجب أن نكون عند مستوى مسئولياتنا هدفنا العمل الإيجابى من أجل أن تكون السيادة للإسلام وتعاليمه ، فالحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق ، كما جاء فى آياته البينات من سورة المائدة .

سيلان

قال مندوبها السيد / عبد العزيز :

يوجد فى سيلان ٧٠٠ ألف مسلم يكونون ٧ ٪ من عدد سكانها ، ونحن من أقدم المجموعات التى تعيش فى سيلان من نسل مسلمى العرب الذين عاشوا فى القرن السادس الهجرى والذين ظل سهمهم فى صعود إلى أن أصيب بضربة قوية على يد الاستعمار الذى حاول بكل الوسائل عزلنا عن العالم الإسلامى ، ويقول: إن مسلمى سيلان قد استفادوا كثيراً من زعماء مصر المسلمين الذين نفاهم الاستعمار إلى بلادنا ، وعلى رأس هؤلاء الزعيم المصرى الخالد الذكر أحمد عرابى الأزهرى الثقافة ، والذى كان فى الفترة التى قضاها بيننا إماما لنا يبصرنا بأمور ديننا ويوجهنا فى أمور دنيانا

فكان لنا المرشد والناصح الأمين ، فقد كنا نشفق من تعلم الانجليزية فشجعنا على تعلمها ، ومن طريقه عرفنا الأزهر .

ونحن - المسلمين - نعمل الآن بتقدم وشجاعة لنلعب دورنا الهام فى النهوض بجزيرة سيلان لأن ديننا الإسلام هو الدين الحق ، الدين العظيم الذى استطاع أن يمدنا بالقوة التى مكنتنا من مجابهة الاستعمار بفضل تعاليمه القويمة التى كشف لنا الأزهر عن سناها الهادى إلى طريق الحق .

* * *

ولعل المتحدث اقتصر على التنويه بمجهودات الزعيم أحمد عرابى كرمز لإخوانه من المصريين الذين نفاهم الاستعمار إلى هذه البلاد النائية ليوقف نشاطهم ويثبط عزيمة الثوار ضد هؤلاء المستعمرين ، وما درى الاستعمار وأصحابه أن الإسلام لا يعرف له وطنا ، فوطنه العالم كله ، والمسلم أين حل يكون منزله وطنه يؤدى فيه رسالة الإسلام إلى أهله ، والمرحوم سامى البارودى مكث فى منفاه سبعة عشر عاما يقوم بواجبه الدينى والوطنى . فكان هذا النفى له ولإخوانه من الزعماء خيراً لدينهم ووطنهم من حيث أراد الاستعمار بهم الضرر والتنكيل .

اليابان

مما أفاض به مندوبها فى وصف حال التدين فى بلاده قوله :

« إن اليابان بأسرها أصبحت تتطلع إلى دين جديد . وأنها تحللت من البوذية . ومن الممكن بمجهود مخلص تحويل اليابان إلى الإسلام » .

الفيلبين

ذكر مندوبها : أن ببلاده نحو ثلاثة ملايين من المسلمين من عدد السكان البالغ عددهم ثمانية وعشرين مليون نسمة منهم أربعة وعشرون مليونا مسيحى كاثوليكى وأن اللغة السائدة هناك هى اللغة الانجليزية ورغم بعد موقع هذه البلد عن حدود العالم الإسلامى بنحو ٦٠٠ ميل من حدود شرق آسيا . فقد زحف إليها الإسلام فى القرن الرابع عشر عن طريق أحد العلماء المشاهير . وفى القرن السادس عشر وصلت إليها أول بعثة عربية إسلامية بعد أن كان الإسلام قد بذر بذوره فى هذه البلاد ونما حتى وصل إلى الطبقة الحاكمة .

ولقد حاول الاستعمار الأسبانى جاهدا تحويل هؤلاء المسلمين إلى مسيحيين كاثوليك ولكن المسلمين ثبتوا على دينهم وجاهدوا جهادا عنيفا فى سبيل المحافظة على هذا الدين وبذلك استطاع الإسلام أن يبقى رغم كثرة الكاثوليك

ومحاولاتهم المتكررة للضغط على المسلمين . وفى نهاية القرن التاسع عشر خرج الأسبان على أثر اشتباك الأمريكان معهم وغدت أمريكا هى الحاكمة وناهض المسلمون الحكم الأمريكى ، وبالرغم من أنهم كانوا يعيشون فى جهات متفرقة من البلاد فقد ظلت هذه المقاومة عشر سنوات . وقد حاول الأمريكان من جانبهم إبعاد المسلمين عن دينهم بواسطة الدعايات المضللة التى تأثر بها المسلمون زمنا نظرا لتفشى الأمية بينهم إذ ذاك وادعاء هؤلاء أنهم لم يجيئوا مبشرين بل قدموا لتنظيم هذه البلاد والنهوض بها .

وعندما نالت الفلبين استقلالها فى سنة ١٩٤٦ كان المسلمون يعتبرون من المجتمعات المتخلفة . وكانت معلوماتهم من الإسلام سطحية نظرا لبعدهم عن الوطن الإسلامى . وعلى أثر هذا الاستقلال قدم إليها المبشرون بالإسلام من الهنود المسلمين فكانوا سببا فى تقوية المسلمين بها وزيادة عددهم ويقظتهم والآن يوجد بالجمهورية العربية المتحدة مائة طالب فلبينى ينهلون من الثقافة الإسلامية والعربية .

ثم قال فى ختام حديثه : نحن نود دعاة مسلمين للتبشير بالدين الإسلامى فى بلادنا ، وتبصير المسلمين فيها بأمور دينهم .

الباكستان

تقدم مندوبها بشكره للأزهر على دعوته علماء المسلمين لدراسة مشاكل العالم الإسلامى ومحاولة إيجاد الحلول لهذه المشاكل التى يرى أنها لا تحل إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام لاستنباط هذه الحلول ثم أخبر وفود المؤتمر بأن البرلمان الباكستانى قرر وضع دستور تحكم به الباكستان تستمد أصوله من تعاليم الإسلام . ثم توجه بالدعوة إلى شعوب العالم الإسلامى من فوق منبر المؤتمر إلى التأسى بالباكستان فى هذه الخطوة المباركة وذكر أن الحكومات لا يصح أن تسمى حكومات إسلامية إلا إذا عملت هذه الحكومات بتعاليم الإسلام فالله يقول فى كتابه الكريم : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فإذا كان المسلمون مسلمين بذلك ، فلا صلاح لهم إذا إلا برجوعهم إلى تعاليم الإسلام . وبذلك تتفق جميع الشعوب الإسلامية فى حكمها بقانون واحد هو قانون الإسلام فدينهم واحد ورسولهم واحد .

وعندئذ تظهر حاجة العالم الإسلامى الشديدة إلى هذا المجمع الذى يجب أن تمثل فيه جميع الدول الإسلامية ، ليضع القرارات والقوانين التى تبلغ إلى جميع الدول الإسلامية ، ويكون من مهمته الرد على الاعتراضات والطعون التى يوجهها أعداء الإسلام إليه ممثلة فى تشريعه

للطلاق وتعدد الزوجات وما إلى ذلك من الطعون التى يظهر لكل ذى بصيرة فيها وجه البطلان . كما تكون من مهمته بحث مسائل الربا وغيرها من أمهات المشاكل التى تسود العالم الإسلامى .

ثم نادى بوجوب حمل المسلمين صفا واحدا لحل مشكلة فلسطين ونوه بأن الباكستان على أتم الاستعداد لبذل الدم والمال فى سبيل تحريرها وتطهيرها من رجس الصهيونية . كما ناشد الدول الإسلامية مساهمتها فى حل مشكلة كشمير البلد المسلم .

إندونيسيا

كان مما قاله السيد / محمود يونس ممثل إندونيسيا :

اسمحوا لى بإلقاء كلمة صغيرة . فقد قرأت قانون إنشاء مجمع البحوث الإسلامية . رقم ١٠٣ وفى المادة ١٥ منه أنه الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وهو المهيمن على تجلية الثقافة الإسلامية ونشرها وإذاً يكون هذا المجمع وحيدا فى موضوعه وحيدا فى غرضه . وهو الأول من نوعه فى بلاد الإسلام جميعها فهو يعد الإسلام مناط الربط بين بلاد الإسلام جميعها .

ومن مهامه الأساسية التقريب بين المذاهب الإسلامية . وتجلية الثقافة الإسلامية والسير بدعوتها فى أحسن طريق تحقيقا لقول الله فى كتابه الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » فالدعوة الإسلام واجب حتمى وكتمان ما فى كتاب الله يستحق الإنسان عليه اللعنة .

والمبشرون يشتغلون ليل نهار غير مبالين بالعقبات التى تعترض سبيل دعوتهم ولهم جمعيات كبيرة تزودهم بالأموال الكثيرة التى لا تقف عند حد . فعلى المسلمين ألا يكونوا أقل من هؤلاء جهدا فى نشر دعوة الإسلام وتعاليمه السمحة .

ثم حمد الله على إنشاء هذا المجمع الذى يعد من الهيئات الإسلامية الكبرى فى مهمتها وتبعاتها الثقيلة وهو يرجو له التوفيق فى هذه المهمة ليتمكن من إحياء التراث الإسلامى ونشر الثقافة الإسلامية بكل وسائل الإعلام والنشر . وخاصة إرسال البعوث التى تقوم بنشر هذه الثقافة .

وفى النهاية أعلن مناصرة إندونيسيا لقضية فلسطين بكل ما تملك وأنهـا لن تعترف بإسرائيل . وستقف مع العرب باذلة جهدها ومالها ودمها فى سبيل نصرة قضية فلسطين العادلة .

يوغوسلافيا

من كلام مندوبها فى المؤتمر :

نحن نعيش فى منطقة بعيدة عن أرض

الإسلام ، ويهمنا أن نحيا بالإسلام لا أن نتعبد به فحسب ، وإذا فعل المجمع أن يتجه إلى دراسة نظام الحياة الراهنة وأن يجد حلا للمشاكل التى تشكاثف سحبها فى سماء حياة المسلمين ، فليس هناك ما يدعو إلى الخوف من مسايرة الزمن ، فمن المقرر أن التطور من سنن الحياة والمعنى الذى أقصده من مسايرة الزمن ، هو المحاولة الجادة لصبغ حياة المسلمين بصبغة إسلامية .

• • •

انجلترا

فى كلمة قصيرة عبر مندوبها السيد أبو بكر سراج الدين عن مشاعره ومشاعر إخوانه المسلمين هناك نحو العالم الإسلامى والآمال التى يرقب تحقيقها فى لهفة للنهوض بالجماعة الإسلامية ، كان منها قوله :

أيها العرب : أنتم فى دار الإسلام هنا تفعلون ما تشاءون ، ونحن فى ديارنا البعيدة ننتظر منكم الكثير من الأعمال فى النهوض بدعوة الإسلام والأخذ بيد المسلمين ، فلا تخيبوا آمالنا .

إن التجديد فى الدين هو عبارة عن إحياء وتعميق الشعور بهذا الدين ، وإرجاع الناس إلى أصوله .

• • •

هولندا

قال ممثلها السيد / رضا مصطفى :

إنى أمثل بلدا صغيرا سكانه من المسلمين لا يتجاوزون ألفا ومائتى مسلم تقريبا ،

وذكر فى كلمته أنه حضر إلى القاهرة فى سنة ١٩١٩ وكان شديد الإعجاب بالأزهر وجامعته واعتذر فيها عن التحدث بلغة غير عربية لأنه لا يجيد التحدث بها وإن كان يجد لذة فى الاستماع عند ما تطرق أذنيه أصوات تتحدث بالعربية ، وقال : إنه قد حضر إلى القاهرة بعد مضى أربعين عاما تقريبا يملؤه السرور بالعودة إلى نفس المكان ، القاهرة العظيمة ، وبدعوة من أزهرها العتيد .

ثم أخبر فى كلمته عن وجـــود جمعية فى هولندا تحت اسم « جمعية أصدقاء المسلمين » ومن أهدافها نشر الإسلام فى ربوع هولندا وقد حصلت على كثير من التقدم فى هذا الاتجاه فى السنوات العشرة الأخيرة ولذلك فهو يأمل فى اعتناق كثير من الناس هناك للدين الإسلامى إذا ما وجد الدعاة له المؤهلون للتبشير بدعوته .

وفى نهاية كلمته توجه بالرجاء إلى الله أن يكلل أعمال المجمع بالنجاح حتى يكون لإنتاجه المدى البعيد فى نشر دعوة الإسلام وتخليص تعاليمه من الشوائب التى كدرت صفاء هذه التعاليم .

مع أعضاء الوفود

للاستاذ سعد عمر

وإتماما للصورة السابقة نتبع ما تقدم ببعض الأحاديث التى جرت مع بعض أعضاء الوفود خارج قاعة المؤتمر .

موريتانيا

مع : الشيخ محمد سالم بن محمد على بن عبد الودود . رئيس المحاكم الابتدائية للفقه الإسلامى التى تقوم بالفصل فى قضايا الأحوال الشخصية والقضايا المدنية التى يكون الخصوم فيها من أهل البلاد . أما قضايا الجرائم وقضايا الحقوق المدنية التى يكون طرفا النزاع فيها من الأجانب . فيفصل فيها نوع من المحاكم يعرف بمحاكم القانون الوضعى والشيخ محمد سالم ثقافته عربية إسلامية تلقاها على والده ثم سافر إلى تونس فى دورتين تدريبيتين على أعمال المحاكم . وله إنتاج علمى فى فروع القانون العام المطبوع بالطابع الإسلامى والقانون الإدارى . كما أن له تحقيقا فى بعض المسائل الفقهية والشرعية والقانونية .

أجاب عن سؤال بشأن عدد سكان الجمهورية الموريتانية ونسبة المسلمين بينهم ، ووصول الدعوة الإسلامية إلى هذه البلاد .

بأن الدعوة الإسلامية وصلت إليها فى القرن الرابع الهجرى عن طريق القيروان وأن عدد سكانها الآن مليونان ونصف تقريبا كلهم مسلمون إذ لا يوجد بها من غير المسلمين إلا بعض الأجانب الذين تدفع إلى وجودهم الحاجة إلى المساعدات الفنية فى بعض المصالح . ويذكر أن موريتانيا تمتاز عن غيرها من بلدان العالم الإسلامى بأنه لا يوجد فيها يهودى واحد . والغالبية العظمى من السكان يتكلمون العربية والقليل عاميتهم زنجية ، أما لغة الصلاة للجميع فهى العربية الفصحى .

والمساجد منتشرة فى المدن والقرى . وربما تعددت المساجد فى المدينة أو القرية الواحدة ولكن الجمعة بها لا تتعدد . هذه المساجد منها ما هو قديم يغلب عليه الطابع العرفى ومنها ما هو حديث يغلب عليه الطابع العصرى فيما يحيط به من الشوارع الفسيحة المغروسة بالأشجار على الجانبين .

والتعليم فى البلاد نوعان من المدارس : أهلى يقوم بتحفيظ القرآن والمواد الأخرى دون تقيد بنظام معين وهذا النوع منتشر

فى كل القرى تقريبا . وآخر معدنى تشرف عليه الحكومة . وكان هذا النوع فى عهد الاحتلال مصبوغا بالصبغة الفرنسية . تطور فى عهد الاستقلال الذى حصلت عليه البلاد فى سنة ١٩٦١ فدخلته العلوم الدينية والعربية . ويعتبر المعهد الدينى بالجمهورية الموريتانيه من أهم دور التعليم بها . توليه الدولة عناية فائقة . والأزهر به الآن مبعوثان يؤديان واجبهما على أكمل وجه .

والثقافة الإسلامية كانت تصل إلى هذه البلاد عن طريق الكتب والمطبوعات الدينية التى تجلب من القاهرة والبلدان الأخرى . ونجد فى كل بيت غالبا مكتبة تحوى كتب الدين تاريخ الإسلام والمؤلفات المحلية القديمة التى توارثها السلف عن الخلف ومعظمها من المخطوطات وهو يرى لبعث النهضة الدينية فى بلاده أن تكثر الحكومة من إرسال البعوث التبحر فى علوم الدين واستقدام المعلمين إلى البلاد لنشر الثقافة الدينية المستنيرة. حتى يمكن القضاء على الخرافات التى تشوب عقائد كثير من الناس ومقاومة بعض الانحراف فى سلوك من تشيعوا لثقافة الغرب وهم قلة فدن طريق هؤلاء المعلمين بتعاليم الدين وأخلاقه الصحيحة يمكن أن نشق طريق الدعوة فى وسط الأحراش والغابات لإنقاذ من ضللتهم ثقافة الغرب اللادينية أو من خالط عقائدهم الخرافات التى لا تمت إلى تعاليم الإسلام بسبب .

وأجاب عن سؤال بشأن انفعال الموريتانيين بالأحداث التى تجرى فى العالم العربى وعما يراه لتقوية رابطتهم بالأمة العربية .

بأن كل ما يجرى فى العالم العربى له أثره وصداه الذى يهز أوتار قلوب الموريتانيين فهم ينفعلون بأحداثه إلى درجة أنهم يعيشون فيها ، وخاصة ما يتعلق منها بالجمهورية العربية فهم يقرضون الشعر فى المناسبات السارة والأحداث المؤلمة ، التى جرت وتجرى فى العالم العربى : مثل حرب السويس ، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ووقوع كارثة الانفصال ، ونجاح مؤتمر الملوك العرب ، ولكى تزداد الروابط قوة بينهم وبين شعوب الأمة العربية ، لابد من البعوث المتصلة التى تستقدم إلى الجمهورية العربية وغيرها من الدول العربية المستنيرة حتى ينهل الموريتانيون من مناهلها العذبة ، ويذكر أن الخطوة الأولى فى هذا الطريق بدأت بزيارة السيد / محمد النبوى المهندس لموريتانيا على رأس وفد يمثل سائر المصالح المختلفة ، واتفاقه على إرسال موريتانيا لعدد كبير من أبنائها إلى الجمهورية العربية ليتثقفوا بالثقافة العربية والإسلامية فى شتى فروعها المختلفة ، وهو يذكر أن الطلاب الموريتانيون الآن يتحرقون

شوقا لتلبية أول إشارة لهم بالقدوم إلى هنا ، وليكونوا النواة لحل أعباء النهضة فى بلادهم التى بدأت حكوماتها فى استغلال ما تزخر به أرضها من الثروات فى الظاهر والباطن بتعاقدها مع بعض الشركات لاستخراج هذه الثروات ، والتى من أهما النحاس والبترول والثروة الحيوانية وغيرها .

وهو يرقب للمؤتمر نجاحه فى مهمته الجليلة حتى يكون له فعاليته فى توحيد صفوف العرب والمسلمين ، وحتى يمكنه حل مشكلات الحياة التى يعانى منها المجتمع الإسلامى ، حلا تقوم أسسه على تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

الصومال

مع : ـ الأستاذ إبراهيم حاجى محمود . مدير القسم العربى بوزارة الاستعلامات الصومالية ومن أهل منطقة أوجادين المتنازع عليها بين الصومال والحبشة .

ولقد درس بالأزهر وحصل على عالية اللغة العربية فى سنة ١٩٢٦ ، ثم دبلوم كلية التربية بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٧ وله نشاط سياسى ودينى واسع المدى ، فهو الآن رئيس حزب نصر الله الصومالى الثورى الذى يعمل بكل قواه للتخلص من الاحتلال فى هذه المنطقة هذا الاحتلال الذى يلبس على جسده ثوب الاحتلال الحبشى بينما العنصر اليهودى يخبوء تحت هذه الثياب .

وقد قام هـذا الحزب بثورته فى أوائل سنة ١٩٦٣ وهى ماضية فى طريق النصر للتخلص من الاستعمار وأذنابه نهائيا كما أنه عضو فى لجنة الدستور التى تستخلص مواده من الفقه الإسلامى

وله مؤلفات كثيرة ـ منها ـ الصومالية بلغة القرآن . عبارة عن كتابة اللهجة الصومالية بلغة عربية . ومنها ـ كفاح الحياة ـ وكتاب التعليم فى الصومال ـ وكتاب منهجى فى النظم القانونية للمرافعات الشرعية . كما أنه يحاضر فى المعهد الجامعى بمقديشو فى مادة اللغة العربية .

وقد أجاب عن سؤال بشأن التطورات التى لاحظها فى حياة المجتمع المصرى فى المدة التى غاب فيها عن القاهرة بأن التطور الذى رآه من الوهلة الأولى يعتبر تطوراً ثوريا شاملا لكل مرافق الحياة فى هذه البلاد بل شاملا للإنسان العربى نفسه فى كيانه ووجوده .

كما أجاب عن سؤال بشأن عدد المسلمين بالصومال والجمعيات الدينية الإسلامية بها ومدى نشاطها ونشاط الجمعيات التبشيرية الأخرى . بأن نسبة المسلمين فى الصومال تكاد تكون ١٠٠ ٪ . إذ لا يوجد إلا عدد من غير المسلمين ضئيل يقيم فى جيبوتى له كنيسة فى مقديشو تشرف على نواحى النشاط الكنسى الكاثوليكى فى إفريقيا . .

ويوجد من الجمعيات الإسلامية بالصومال جمعية حماة الدين الإسلامى . والرابطة الإسلامية . ولها نشاط واسع المدى . كما لرجال الدعوة الدينية من مبعوثى الأزهر نشاط غير محدود وله أثر عظيم فى تبصير المسلمين بأمور دينهم . وإضاءة طريق الخير والمعرفة لهم .

أما النشاط التبشيرى هناك فقد أصبح منحصراً داخل حدود كنيسة مقديشو بل داخل جدرانها . أما خارج بنائها فقد قضى عليه نهائياً على إثر مقتل المبشر الأمريكى إذ منعت الحكومة أى نشاط للتبشير المسيحى فى هذه البلاد التى نص فى دستورها على أن الفقه الإسلامى هو الذى تستخلص من قواعده أسس التشريع فى البلاد .

وأمل السيد إبراهيم حاشى فى المجمع أن يكون نواة لجامعة إسلامية كبرى أعضاؤها من كل أقطار الإسلام . وأن يصبح له أثره فى توجيه المجتمع الإسلامى توجيهاً دينياً صحيحاً ليستعيد الإسلام والمسلمون سالف مجدهم وعزهم . وأن تحظى قرارات هذا المجتمع بالاحترام حتى يكون لها أثرها فى سلوك الحكومات الإسلامية . كما يرجو أن يعمل المجمع على تقوية التبشير بالدين الإسلامى فيرسل الدعاة إلى المناطق النائية مزودين بكل الإمكانيات التى تعينهم على أداء هذه الرسالة على أكمل وجه . حتى يتمكنوا بعملهم هذا من صد تيار التبشير والإلحاد الذى يمده المستعمرون بكل الإمكانيات .

وفى نهاية حديثه توجه إلى المولى بالدعاء رجاء أن يكلأ هذا الغرس الناشئ برعايته فيمده بروح من عنده حتى يقوى على النهوض بتبعة مهمته الثقيلة على خير وجه .

السودان

مع : فضيلة الشيخ حسن مدثر قاضى قضاة السودان السابق والذى مارس هذه الوظيفة من سنة ١٩٥٢ إلى أن أحيل إلى التقاعد فى سنة ١٩٥٨ .

وقد أجاب سيادته عن الأسئلة التى وجهت إليه بشأن مذكرته التى تقدم بها إلى البرلمان السودانى لوضع دستور الحكم فى السودان على أساس من مبادئ الشريعة الإسلامية بما يأتى :

كان الحافز له على وضع هذه المذكرة ما يراه ويراه غيره من الناس من أن السودان بلد يقوم نظام جماعته على العادات العربية والنظم والتقاليد الإسلامية وأكثر سكانه يدينون بالإسلام . وإذا فالضرورة والواجب يحتمان فى بلد كهذا أن تكون الأسس العامة لدستوره قائمة على قواعد الاسلام وأن تكون القوانين التى يحكم بها المجتمع الاسلامى فى نطاق دستور إسلامى لايتعارض العمل بها مع مبادئ

الإسلام الذى قام عليها نظام هذا المجتمع . وأنه كرجل يمارس القضاء يؤسفه ويسوءه أن تحكم بلاده بقوانين مخالفة لشريعة الإسلام ومبادئه العامة سنها المستعمرون ؛ لا لتحمى عقائد هذا المجتمع وتقاليده كما هو المفروض فى قوانين كل دستور بل شروطها القضاء على هذه العقائد وتلك التقاليد . وقد زال الاستعمار وأصبح أمر الأمة السودانية بيدها وهى أمة إسلامية بحكم الكثرة المطلقة للمسلمين فيها . وإذا فلا عذرلها فى عدم إلغاء تلك القوانين الدخليه والرجوع إلى الإسلام لوضع دستور إسلامى فيه من القوانين ما يحمى عقيدة هذه الأمة وآدابها العامه وعاداتها العربية الأصيلة .

وقد انتهيت من وضع هذه المذكرة فى ربيع الثانى سنة ١٢٧٦ هـ الموافق نوفمبر سنة ١٩٥٦ : تقدمت بها إلى الوزراء ولجنة الدستور فور الانتهاء من إعدادها ووزعتها على أعضاء البرلمان السودانى لحظيت بالتأييد المطلق من معظم أعضاء المجلس إذ أيدها أكثر من مائة وستين عضوا من أعضاء البرلمان ، إلا أن المشروع لم يتم نظرا لحل المجلس على إثر قيام الثورة السودانية والعمل بالدستور المؤقت الذى تحكم به البلاد فى فترة الانتقال .

وكنت أرى الخطوط العامة للدستور الإسلامى الذى يمنح المجتمع المسلم العدالة الاجتماعية ، والحرية ويحل مشاكل هذا المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تعانى منها الإنسانية فى هذه الأيام الكثير ، واضحة فى المبادئ العامة للإسلام كمبدأ الأخوة والمساواة التى قررها القرآن وأكدتها سنة الرسول وكمبدأ الشورى الذى يرتكز عليه الحكم الديمقراطى فى الأمم المتمدينة ، وكضمان الحريات الأساسية : حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية العقيدة ، وتقرير مبدأ العدالة ، ومبدأ التعاون والتضامن الاجتماعى ، ومبدأ تكافؤ الفرص ، وصيانة حرمة التملك والاقتصاد ، إلى غير ذلك ، مما يدل فى وضوح على أن الإسلام ليس دين عقيدة وعبادة فقط وإنما هو عقيدة ونظام ودولة .

وفى نهاية حديثه تمنى للمؤتمر كل نجاح وتوفيق فى مهمته المقدسة ، رجاء إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل المجتمع الإسلامى فى ضوء تعاليم الدين الإسلامى المجيد .

* * *

العراق

مع : فضيلة الشيخ كمال الدين الطائى : سكرتير جمعية الآداب الإسلامية ببغداد ،

ومدرس بمدرسة الحضرة القادرية « الشيخ عبد القادر الجيلانى » وإمام وخطيب جامع المردية ، وصاحب مجلة الكفاح التى بدأ ظهورها فى سنة ١٩٣٠ ، واحتجبت عن الظهور كلية فى عهد عبد الكريم قاسم ١٩٦٠ وكان اسمها يتغير أحيانا تبعا لتغير الظروف السياسية فى مدة ظهورها .

له مؤلفات ومباحث دينية . منها :

١ — مباحث قرآنية ، وهو عبارة عن موجز لبعض الدراسات التى تختص بالقرآن

٢ — كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر .

٣ — أحاديث التفسير التى ألقيت فى الإذاعة وغيرها من المنتديات الدينية .

سئل عن رأيه فى مجلة الأزهر فأجاب بأنه يشترك فيها منذ إنشائها وتصله تباعا وقال : إنها مجلة سائرة تخدم ناحية معينة هى الثقافة العربية والإسلامية . ومديرها الأستاذ الزيات من الإخوان الأعزاء على العراقيين وهو ينصح بأن تعنى بنشر أخبار العالم الإسلامى كافة كما ينصح المشرفين على تحريرها بأن يعملوا على العودة بها إلى المستوى العلمى الرفيع الذى كان طابع هذه المجلة منذ زمن بعيد .

وأجاب سيادته عن سؤال بشأن موضوع البحث الذى سيتقدم به إلى المؤتمر فى دورته الأولى بأنه حضر إلى القاهرة ظهر اليوم ولم يعرف بموضوع البحث من قبل ، وهو يرى أن تكون الموضوعات التى يتقدم بها الباحثون فى هذه الدورة شاملة لكل المشاكل التى تجابه المجتمع الإنسانى فى حياته الحاضرة سواء أكان ذلك من الناحية الاجتماعية كمشكلة الانحلال الخلقى فى المجتمعات الإسلامية ، ومشكلة تعدد الزوجات ومشكلة الطلاق أو من الناحية الاقتصادية كمعاملات البنوك ، وصندوق التوفير ، والتأمين على الحياة ، والأوراق المالية ، وغير ذلك من المشاكل .

إندونيسيا

مع : السيد / البروفسور إبراهيم حسين : عميد كلية الشريعة بجامعتى فلبن ، وجامبى بسومطرة الجنوبية وسومطرة الجنوبية الغربية .

سئل سيادته عن الوسائل التى تمكن الدعوة الإسلامية من صد التيارت التبشيرية التى أخذ نشاطها يزداد فى هذا البلد الإسلامى فى العصر الحاضر فأجاب بأن هذه الوسائل تتلخص فى الآتى : —

أولا : — يجب العمل على عودة الطلاب الأندونسيين الذين أتموا دراستهم هنا بالأزهر ليؤدوا رسالتهم فى تعميق الإسلام فى نفوس المسلمين ونشر دعوته فى صفوف البقية الباقية

غير المسلمة ، وهو يرجو مساعدة الجمهورية لهؤلاء الطلاب بدفع نفقات سفرهم وتزويدهم بالكتب الإسلامية التى تساعدهم على أداء مهمتهم فى نشر الثقافة الإسلامية والتمكين لها فى هذه البلاد .

ثانيا : أن تقوم البلاد العربية الإسلامية وخاصة الجمهورية العربية بإنشاء مراكز إسلامية لها فى أنحاء متفرقة من إندونسيا لتقوم هذه المراكز على الدعوة الإسلامية ورعاية شئونها بحيث يتبعها معاهد الوعظ والإرشاد ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ويكون لها مستشفيات وملاجىء الأيتام بحيث لا تقل هذه المراكز الإسلامية فى مستواها عن الجمعيات التبشيرية التى أخذت تغزو البلاد بدعوتها التبشيرية من أقصى البلاد إلى أقصاها حتى يكون لهذه المراكز فعاليتها فى صد تيار التبشير الذى يجتاح هذه البلاد .

ثالثا : الإكثار من البعوث الإسلامية لنشر دعوة الإسلام والعمل على تكوين جمعيات إسلامية تبشيرية فى المدن والقرى لمقاومة النشاط التبشيرى الذى تقوم به جمعيات التبشير الأخرى على أن تستخدم الجمعيات الإسلامية كل الوسائل التى تمكنها من أداء رسالتها على الوجه الأكمل .

هذا ما يراه سيادته لتمكين الدعوة الإسلامية من أداء رسالتها فى هذه البلاد وهو يرجو من المعنيين بشئون هذه الدعوة فى مختلف البلاد الإسلامية . العمل السريع الجاد المخلص . والله لا يضيع أجر العاملين .

الارجنتين

مع فضيلة الشيخ ساطع أحمد رفيق الجيلى .

وهو من أصل عربى إذ ينتمى لعشيرة بنى جميلة السعدنانية بالعراق . ولد بها ودرس المرحلة الابتدائية والثانوية بمدارسها .

وبجانب هذه الدراسة قد درس العلوم العربية والشرعية والفلسفية على أستاذ الجيل فضيلة الشيخ أمجد الزهاوى وغيره من علماء العراق وفى سنة ١٩٤٩ حضر ضمن بعثة الأوقاف العراقية إلى القاهرة فدرس فى كلية الشريعة بالأزهر وحصل على الشهادة العالية منها ثم على العالمية مع إجازة التدريس من تخصص التدريس . وعاد بعد ذلك فى سنة ١٩٥٤ إلى بغداد حيث مكث بها فترة وجيزة رحل بعدها إلى أمريكا الجنوبية .

ويقول الأستاذ ساطع الجيلى أنه بعد هجرته تجول فى معظم ولايات أمريكا اللاتينية متفقدا شئون المسلمين فى هذه الولايات ودارسا لأحوالهم فكان من الأمور التى لفتت نظره حال الطفولة الإسلامية فى هذه البلاد التى توشك على الفناء مما دفعه على التفكير فى خطة لإنقاذها وتعريفها

بأمور دينها فلما استقر به المقام فى قرطبة بالأرجنتين سنة ١٩٥٦ كان أول عمل قام به هو :

تأسيس معهد للتربية الإسلامية لتدريس اللغة العربية قراءة وكتابة ومحاكاة . مع تحفيظ القرآن الكريم وتجويده . وتدريس مبادىء الإسلام وأحكام الشريعة ، والتاريخ الإسلامى والسيرة النبوية الشريفة . عدا المواد التثقيفية الأخرى . وبالمعهد الآن مائة وأربعة وعشرون تلميذاً وتلميذة يدرسون باللغة الأسبانية كل المواد إلا ما يرتبط منها باللغة العربية والقرآن الكريم .

والمال اللازم للإنفاق منه على هذا المعهد يقوم على تبرعات المسلمين هناك وهذه التبرعات لما لم تكن وافية بسد نفقات الأغراض التى أنشىء من أجلها المعهد والتوسع فيها بمرور الزمن فإنه قام بإصدار جريدة أسبوعية تحت اسم « صوت الإسلام » نصفها إسبانى ونصفها تطبع بالرنيو لعدم وجود مطبعة عربية . توزع هذه الجريدة فى كل أنحاء أمريكا اللاتينية وقد وصل آخر الأعداد التى طبع منها فى الأسبوع الأخير إلى ٧٣٠٠ نسخة نفدت كلها عقب ظهور الجريدة .

كما تفرع عن المعهد جمعية تحمل اسم الشبيبة الإسلامية يجتمع أعضاؤها يوم الأحد من كل أسبوع لمناقشة القضايا الإسلامية فى هذه البلاد وما يجب عمله لها .

وأهم المناطق التى بها مسلمون فى أمريكا اللاتينية الأرجنتين - فنزويلا - البرازيل ، ثم بوليفيا وأرجواى والمكسيك . ثم عدد ضئيل فى شيلى . وعدد المسلمين فى أمريكا اللاتينية حوالى المليون ونصف منهم ٥٥٠ فى الأرجنتين وحدها .

والشعب الأرجنتينى ميـله شديد إلى الإسلام ولا سيما الشباب المثقف فقد دخل فى الإسلام منهم حوالى ثمانية عشر شابا . أحدهم « سيف الدين درك والتر موسغ » الذى أسلم على الرغم من معارضة والده له . وعلى الرغم من تهديد هذا الوالد المليونير له بالحرمان من ثروته الطائلة .

ولقد استطاع هذا الشاب المؤمن المكافح أن يؤثر على والدته فأسلمت كما قام بتأسيس معهد لدراسة الإسلام فى جامعة نيو مكسيكو تحت اسم « معهد نور الإسلام » وهو شاب مثقف ثقافة عالية ويتكلم عدة لغات منها الألمانية . وأعظم أمنية له أن يكون له حظ وافر من الثقافة الأزهرية التى تؤهله لأن يكون مبشراً إسلامياً كبيراً .

ويقول الشيخ ساطع إن الحرية مكفولة للمسلمين فى أمريكا يمارسون فى ظلها أمورهم التعبدية بل الحكومات اللاتينية تحميهم

وتحمى عقائدهم ولهم مساجدهم التى يؤدون فيها صلاتهم . وفى سان باولو بالبرازيل مسجد البرازيل الشهير الذى أنشأته « الجمعية الخيرية الإسلامية » وهى القائمة على شئونه . ولكن يصعب تنشئة الأطفال بهذا المقر الدينى بسبب بعد مساكن آبائهم عن هذا المسجد الذى يعتبر المركز الثقافى الإسلامى للمسلمين فى هذه البلاد . ويقول إن أكثر مسلمى البرازيل من مهاجرى لبنـــان من سهل البقاع وهم رغم حداثة عهدهم بالهجرة إلا أنهم أغنياء كرام . وعدد المسلمين بالبرازيل نحو ١٨٠ ألف مسلم موزعين فى أنحاء البرازيل .

وهو يرى أن أهم مشاكل المسلمين فى أمريكا اللاتينية عموماً هو جهل كثير من المسلمين هناك بأبسط أمور العقيدة الإسلامية مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى موافقتهم على زواج الشابات المسلمات من غير المسلمين . بل بعض هؤلاء المسلمات ضللها يهودى وخدعها وتزوج منها . وإزاء هذه الحادثة وأشباهها فإنه أرسل استغاثة فى سنة ١٩٥٨ إلى رؤساء وملوك الدول الإسلامية وقادتها تحت عنوان « استغاثة الذرية الإسلامية فى أمريكا الجنوبية » رجاهم جميعاً فى هذه الاستغاثة مد يد العون والمساعدة لانتشال هذه الذرية من الفناء .

وخير وسيلة لذلك كما يراها الشيخ ساطع هى إعداد المدرسين الأكفاء لتعليم هـؤلاء اللغة العربية والدين وإرسالهم إلى هذه البلاد ولـكى تنجح الدعوة الإسلامية والتبشير بها فى هذه البقاع لا بد من الاستئناس بآراء الخبيرين من المسلمين هناك بوسائل نشر الدعوة الإسلامية لخبرتهم العملية وممارستهم السابقة التى وضعت أيديهم على أنجع الوسائل لنجاح هذه الدعوة .

وأمنيته لمجمع البحوث التوفيق والسداد . وإمداد الله له بكل القوى التى تمكنه من حمل تبعة أعباء مهمته الثقيلة . حتى يؤدى رسالته على خير وجه . فى جمع كلمة المسلمين . وحل مشاكلهم وإحياء تراثهم الإسلامى الخالد .

اليابان

مع : السيد / عبد الكريم ساتيو الأستاذ جامعة تاكوشوك . والذى يقطن فى كوتيباسى طوكيو .

يذكر السيد الأستاذ أنه من أهل جزيرة فى اليابان عدد سكانها ٢١١ كلهم مسلمون . وكان إسلامهم من ثلاثة أعوام فقط على يد أحد التجار الباكستانيين . الذى التقى بالأستاذ عبد الكريم رلمس من مخالطته له صدقه فى الحديث . والدقة فى الأمانة . وحسن معاملته للناس . وقد لاحظه وهو يصلى ويحافظ على أداء الصلاة فى أوقاتها . فسأله عما يعرف

من تعاليم دينه : الإسلام ، فأجاب بالقليل الذى يعرفه منها لأنه غير واسع الثقافة والمعلومات عن الدين الإسلامى . ورغم هذا القليل الذى حدثه به من هذه التعاليم السمحة . فقد أعجب بها وأسلم هو أولا ثم دعا الآخرين إلى الإسلام فأسلمت طائفة منهم وكانت الطائفة التى تسلم تدعو غيرها إلى الإسلام بعد أن تأخذ نفسها بالصفات التى يتصف بها هذا الباكستانى المسلم . وبذلك كانوا قدوة حسنة تجتذب الآخرين إلى الإسلام حتى أسلم كل من بالجزيرة رجالا ونساء وصبية وفتيانا .

وهؤلاء المسلمون الحديثو العهد بالإسلام يحفظون بعض آيات القرآن الكريم ، ولكنهم لا يفهمون لها معنى وإنما يرددونها على حد تعبيره كالببغاوات . ولذلك فحاجتهم ماسة إلى شخص واسع الثقافة بالدين الإسلامى يرشدهم إلى تعاليمه السمحة ويعمق أثر الإيمان فى نفوسهم . ويعدهم لحمل دعوة الإسلام فى اليابان كلها ، إذ اليابانيون بوجه عام لا دين لهم ، وهم أكثر تقبلا لدعوة الإسلام من غيرها لأن الإسلام دين الفطرة ، إذا وجد الإنسان الكفء للقيام بهذه الدعوة وهو يبدى أسفه لعدم وجود هذا الداعية للآن فى بلاد اليابان .

ويذكر أن دعوة التبشير بالدين المسيحى فى بلاد اليابان لا تلقى بها نجاحا واسعا رغم ما يبذله المبشرون هناك .

ولما سئل عن قضية فلسطين ومدى ما يعرفه اليابانيون عن مشكلة اللاجئين العرب وشعورهم نحو هؤلاء اللاجئين .

أجاب بأنه كان يعتقد حتى قدم إلى هنا أن الإسرائيليين جزء من الشعب العربى ظلمهم إخوانهم وعاداهم المصريون خاصة ، نظراً لما يقوم به اليهود من دعاية قوية تطمس معالم الحقيقة ، والتى يسلكون فيها كثيراً من الطرق الملتوية ، والشعب اليابانى كله على هذا النسق الذى كان يعتقده السيد/ عبد الكريم قبل قدومه إلى هنا تضلله الدعاية اليهودية ويؤازرها النفوذ الأمريكى فى هذه البلاد والحقيقة قد تكشفت له بعد أن حل بأرض الجمهورية العربية وسمع بحقيقة المشكلة ورأى ظلم الصهيونية والمؤازرين لها بجسها عند ما رأى هؤلاء اللاجئين المشردين عند زيارته لقطاع غزة ، ولذلك فهو يرى أن تنشط الدعاية العربية والإسلامية فى كشف تضليل اليهود وتعريف العالم كله بمشكلة فلسطين هذا البلد الذى حول الصهاينة والمستعمرون أهله الأصليين إلى شعب من المشردين اللاجئين .

وهو كفرد مسلم يهيب بكل المسلمين وخاصة العرب منهم الوقوف صفا واحدا لنصرة هذه القضية العادلة حتى يعود الحق لأصحابه بطرد هذه الفئة الباغية من اليهود وعودة البلاد لأصحابها الحقيقيين .

توصيات المؤتمر

إن علماء الإسلام الذين قدموا إلى القاهرة من شتى بلاد العالم للمشاركة فى أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر يحمدون الله سبحانه وتعالى أن هيأ لهم هذا اللقاء المبارك فى رحاب الأزهر الشريف وبدعوة من مشيخته الموقرة . ليتدارسوا الأمور التى تتعلق بالدعوة الإسلامية وليبحثوا المسائل التى تهم المسلمين فى جميع الأقطار والأوطان، وليدعموا أواصر الأخوة والمودة بينهم وليوحدوا جهودهم لنشر الثقافة الإسلامية حتى تواصل رسالتها فى الحركة الفكرية الإنسانية .

وإنهم ليتقدمون بصادق التحية والتقدير إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة لرعايته الكريمة لهذا المؤتمر وتفضله بإيفاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية لافتتاحه .

كما يتقدم أعضاء المؤتمر بالشكر إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، وشعبها الكريم وإلى السيد الدكتور وزير الأوقاف وشئون الأزهر لما أحاطوهم به خلال انعقاد المؤتمر من حفاوة وتكريم .

ويعرب المؤتمر عن ترحيبه واعتزازه بإنشاء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لدعم الأخوة الإسلامية ولتوطيد أواصر التعاون بين علماء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ولنشر الثقافة الإسلامية والقيام بالدعوة إلى سبيل الله فى جميع البلاد والأقطار امتثالا لقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » وقوله « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ويسجل المؤتمر تقديره البالغ للتجاوب الكامل الذى تلقى به علماء المسلمين وقادة الرأى فيهم دعوة الأزهر إلى هذا المؤتمر الجليل . مما يؤكد يقظة العالم الإسلامى وحرصه على التعاون لإحياء مجد الإسلام بتوضيح مبادئه وتجلية تعاليمه ونشر مفاهيمه ليسهم برسالته السمحة فى إنقاذ البشرية من عوامل الشر والانحراف وليقودها إلى الأمن والسلام .

كما يسجل المؤتمر تقديره الخطوة التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة للنهوض

بالأزهر ويرى فيها خطوة على الطريق الصحيح لإعداد رجل الدين المزود بالعلم وبالخبرة الفنية والعملية التى تمكنه من أداء رسالته الدينية والإنسانية .

ويعرب المؤتمر عن سروره البالغ أن صاحب اجتماعه الأول وضع الحجر الأساسى للمبنى الجديد لكل من دار القرآن وجامعة الأزهر ويسجل بمزيد من الغبطة ما أتيح لأعضائه من فرصة المشاركة فى هذين الاحتفالين ويرجو أن يتحقق بإنشائهما مزيد من الخير للإسلام والمسلمين .

ويوصى المؤتمر بأن يخص مجمع البحوث الإسلامية المسائل الآتية بمزيد من العناية والبحث فى المرحلة التالية من دورة انعقاده الحالية وفى أعماله المقبلة :

أولا : وضع خطـــة إيجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادىء الإسلامية التى تدعو الى العزة والحرية والكرامة ، وتمكن المسلمين من مواجهة قضاياهم ، وتهيئهم لرد أى عدوان على حقوقهم فى أى قطر من الأقطار . فالمسلمون أمة واحدة وهم متضامنون بوحى من دينهم وإيمانهم فى حمل مسئولية العمل لصالح الأمة الإسلامية .

ثانياً : تعريف المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بخطر قيام إسرائيل على الإسلام والمسلمين ، ودعوتهم إلى مؤازرة شعب فلسطين فى حقه فى العودة الى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجباً دينياً مقدساً .

ثالثاً : وضع خطة حكيمة للدعوة الى سبيل الله ومقاومة التحديات التى تواجه الإسلام ودحض الشبهات التى تثار حوله .

رابعاً : تشخيص مواطن الضعف فى المجتمعات الإسلامية والعمل على علاجها .

خامساً : العمل على إصـــدار الفتاوى والأحكام المستمدة من أصول الإسـلام وتعاليمه فى المشكلات التى جدت وتجد فى حياة المسلمين حتى تسير نهضتهم على هدى من دينهم الحنيف .

سادساً : اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الإسلامية جميعاً باللغة العربية لغة القرآن ، عناية تيسر لهم الوقوف المباشر على ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية وما وصل اليه أئمة الدين .

سابعاً : العمل على دعم الروابط بين المسلمين وتوثيق صلاتهم بمجمع البحوث الإسلامية الذى أنشىء ليكون ملتقى لقادة الفكر الإسلامى لينهض بمهمة التوجيه فى نشر الدعوة وإعداد الدعاة الذين يستطيعون النهوض بواجبهم الدينى الكبير .

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

والله ولى التوفيق .

كلمة الختـام

للأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى
رئيس المؤتمـر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

أيها الإخوة الكرام :

نحمد الله سبحانه وتعالى إليكم ، فقد هيأ لنا الأسباب التى مكنتنا من دعوتكم للاشتراك فى المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية .

وستتم إن شاء الله بهذا الاجتماع الفترة الأولى من انعقاد المؤتمر ، الذى يواصل جلساته إن شاء الله بالسادة العلماء من أعضاء المجمع حتى يتم عمله فى هذه الدورة .

وإن مشيخة الأزهر لتقدم إليكم جميعاً خالص الشكر وعظيم التقدير : فقد رأينا منكم الاستجابة الكريمة الطيبة لتلبية دعوة المشيخة لحضور هذا المؤتمر حيث أقبلتم هنا الإقبال المحمود على المساهمة فى حمل الأمانة وأداء الرسالة - رسالة الأزهـر وهى رسالة الإسلام - ولا عجب فأنتم علماء الإسلام وفقهاؤه وقادة الرأى بين المسلمين ، ولقد كان من الظواهر الطيبة الكريمة أن بالغ حرصكم على المساهمة فى هذا الواجب الإسلامى إلى درجة أن تغلبت إرادتكم القوية ووثبتكم فى تلبية الدعوة على كل العوائق والظروف ، فحرصتم على الحضور ولو فى آخر لحظة .

وإن اجتماعنا فى هذا المؤتمر - أيها الإخوة الأفاضل - لهو بداية خير وبركة للإسلام والمسلمين ، فقد التقينا لقاء الإخوة المتعاونين فى سبيل البر والتقوى ، وساهمنا جميعا فى البحث والمناقشة وبدأنا الطريق الذى ينبغى أن نسير فيه قدما لنجد الحل لمشكلاتنا وقضايانا من مبادئ الإسلام وعلى هدى من تعاليمه السمحة التى ينبغى علينا أن نحمل مشعلها الوضاء ونسير فى الطليعة حتى نهدى البشرية إلى الخير والسلام .

ستعودون أيها الإخوة إلى بلادكم سالمين بإذن الله بعد أن أكدنا الروابط ووثقنا الصلات التى تجمع بين كافة المسلمين وخاصة بين علمائهم وذوى الرأى منهم الذين يدركون ويقدرون المسئولية الملقاة على عواتقهم تجاه ديننا وتجاه أمتنا .

وإن مجمع البحوث الإسلامية ليرجو منكم جميعاً أيها الإخوة العلماء أن تؤازروه ببحوثكم وآرائكم واقتراحاتكم وأن تدعموا صلاتكم به ؛ فالمجمع - شأنه شأن الأزهر - لكم جميعاً وبكم جميعاً ، ومسئوليته أمانة فى أعناقكم جميعا . . ويد الله مع الجماعة .

وإن هذه البداية المباركة الطيبة لمؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية التى التقيتم فيها جميعا باسم الله وعلى بركة الله لتبشر بأن المجمع سيحقق إن شاء الله الآمال المعقودة عليه فى تجديد الثقافة الإسلامية ، وتنشيطها ، وتنقيتها من الشوائب والفضول ، لتبعث من جديد تأثيرها وفاعليتها فى الحركة الفكرية الإسلامية .

وإننا لنتجه بالشكر أيضاً إلى جميع الإخوة الذين ساهموا معنا فى إنجاح هذا المؤتمر . . . سواء أكان ذلك ببحوثهم التى قدموها ، أو بآرائهم واقتراحاتهم التى أبدوها ، أو بمناقشاتهم القيمة التى فتحت الأبواب المغلقة ، وهدت إلى الطريق المستقيم وسوف نستفيد من ذلك كله ، ونصل إلى وضع الخطط المناسبة وإيجاد الحلول اللازمة لما يعرض لنا معشر المسلمين فى الحياة من مشكلات وصعاب . . . وسيخرج المجمع فى النهاية إن شاء الله كتاب المؤتمر الذى يضم جميع الأعمال التى تمت فى هذه الدورة ، وسوف نوافى حضراتكم بهذا الكتاب فور صدوره .

ومن بشائر الخير ودلائل التوفيق أن تتم الفترة الأولى من انعقاد المؤتمر فى هذه الليلة المباركة التى صدر فيها الإعلان الدستورى فى الجمهورية العربية المتحدة وهو ينص على أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية .

وفى ختام هذه الكلمة أرجو أن أتقدم باسم حضراتكم وباسمى إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر بخالص الشكر وعظيم التقدير لما أحاط به سيادته المؤتمر وأعضاءه من رعاية وتكريم .

حفظ الله السيد الرئيس ورعاه ، وأبقاه ناصراً للإسلام والمسلمين ، وعاملا فى جمع كلمة الأمة الإسلامية والأخذ بيدها إلى الطريق السوى المستقيم حتى يتبوأ المسلمون مكانتهم العزيزة الكريمة بين الأمم والشعوب .

والله يبارك جهودكم وجهادكم أيها الإخوة علماء الإسلام ، ويهديكم ويهدينا سواء السبيل ؟

دكتور محمد عبد الله ماضى
وكيل الأزهر

بيان
المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الدين عند الله الإسلام »

والإسلام عقيدة وشريعة : عقيدة تحكم صلة الإنسان بربه وشريعة تنتظم سلوك الناس أفرادا ومجتمعات ودولا .

وإذا كان الإسلام هو الدين عند الله إلى آخر الدهر ، كان لا بد أن تواجه شريعته كل حاجات الناس أفرادا وجماعات ، وتنظم جميع صور العلاقات الإنسانية فى المجتمع الإسلامى .

وأساس الشريعة هو الكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما ، لمواجهة الصور الإنسانية التى تتعاقب على البشر بتعاقب الأزمنة .

وقد اجتهد أئمة الفقه الإسلامى فى فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما ما وسعهم الجهد ، وكانوا من دقة الفهم ونقاء النفس وسعة الأفق بحيث وضعوا قواعد وأصولا للأحكام تعد تراثا إنسانيا ومرجعا عاما لكل المشتغلين بالفقه والقانون فى كل المجتمعات وفى كل العصور ، وصار للفقه الإسلامى أثر واضح فى تشريعات المشترعين من كل أمم الأرض ، وارتقت به الحضارة الإنسانية إلى آفاق بعيدة المدى . . .

ولكن هذه الانطلاقة الواثبة لم تلبث أن تراخت ، حين تكالب الاستعمار على المسلمين بصور من العدوان نالتهم بالأذى فى أنفسهم وفى أموالهم وفى أرضهم وفى العلاقات التى تربط بين بعضهم وبعض فصنامهم ذلك أكثر من كل ما عداه من شئون دنياهم وآخرتهم ، والتزم كل منهم ثغره للدفاع عن مقدساته ، فوقفوا مكانهم لا يكادون يتقدمون خطوة إلى أمام ، والحياة من حولهم ماضية فى طريقها إلى ما أراد الله .

ومضت القرون وهم وقوف فى مكانهم ذاك يكافحون بدرجات متفاوتة وصور مختلفة لرد ذلك العدوان والتخلص من آثاره ، وتعاقبت أجيالهم على الكفاح للخلاص من عدوهم ، حتى صار انتصارهم فى معركته هو الغاية ، كل الغاية ، لا يكادون يذكرون وراء ذلك غاية ...

فلما انتهى كفاحهم بالنصر بعد قرون وقفوا يجيلون النظر فيما حولهم من صور الحياة وألوان السلوك وأنواع المعاملة ، فوقعت أعينهم على فنون من الحضارة وصور من النشاط وألوان من المعاملة لا عهد لهم

ببعضها فيما يعرفون ، فنهم من أنكر ذلك كله ورآه بدعة يضل بها المسلم عن سبيل الله ، ومنهم من ولغ فيه ولوغ الظمآن فى ماء آسن لا يبالى أن يكون ما يشربه طيبا أو خبيثا ، ومنهم من توقف ليسأل نفسه أو ليسأل غيره الرأى فى حلال ذلك وحرامه ، ومنهم من تجرأ على الفتوى لنفسه أو لغيره ، بأهلية للإفتاء أو بغير أهلية ، وانبهم الأمر على الكثرة الغالبة من المسلمين فوقفوا حيارى لا يدرون ما يأخذون من ذلك وما يدعون ، ولعل بعضهم قد حاول مخرجا من حيرته ، بإيهام نفسه عن اقتناع أو عن غير اقتناع ، بأن الدين عبادة وحسب ، وأن للعلاقات الإنسانية قوانين أخرى يضعها الناس ، وهو خطأ كبير يوشك — إن عم — أن يوصل القطيعة بين الشريعة الإسـلامية والمجتمع .

ولكن الله — سبحانه — قد جعل الإسلام دين الناس إلى آخر الدهر لصلاح دنياهم وآخرتهم ، ومن ثمة كان فى كل جيل من المسلمين — برغم جلبة الحوادث وتزاحم الأخطار — علماء أخيار ذوو رأى وبصيرة يفقهون كتاب الله وسنة رسول الله ، فيعرضون عليهما كل ما يجد من الأحداث والصور فى حياة الناس ليروا فيه رأى الإسلام فيحلوا ما أحل الله ويحرموا ما حرم ويعدلوا المعوج من سلوك الناس ويقيموا المائل ، تصديقا وطاعة لقول الله :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

هؤلاء الأمة هم برهان لهذا الدين السمح الخالد المتجدد بقوته الذاتية وعلى أساسه الأزلى الثابت لمواجهة كل حاجات الإنسانية المتطورة إلى كمالها .

ولتجميع هؤلاء الصفوة على صعيد واحد ليروا رأى الإسلام فيما يهم المسلمين من شئون دنياهم وآخرتهم ، كان إنشاء مجمع البحوث الإسلامية .

ليكون هذا المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ...

وليقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ...

وليعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ...

وليوسع نطاق العلم بالإسلام الصحيح لكل مستوى وفى كل بيئة ...

وليرى الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ...

وليحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ...

وليتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث ودراسات ...

وليرسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى ...

وليعاون فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا فى جامعة الأزهر .

وقد أتيحت لهذا المجمع فرصة ليرى صورة من المجتمع الإسلامى المعاصر باجتماع هذا المؤتمر الذى التقى فيه ممثلون لبضعة وأربعين بلداً تبادلوا الحديث عن شئون بلادهم ، وعرضوا الكثير من مشكلات المسلمين فى تلك البلاد ، وجلوا صورة لا ينقصها الوضوح عن أحوالهم فكان ذلك مثل عملية مسح واستبانة لابد أن يكون لها أثرها عند التصدى لعلاج مشكلات المجتمع الإسلامى المعاصر .

وقد انتهت المرحلة الأولى من ذلك المؤتمر بطائفة من التوصيات تكون جزءاً من خطة العمل للمجمع فى مستقبل نشاطه .

وقد استأنف المؤتمر مرحلة أخرى بأعضاء المجمع خاصة ، فعكف على دراسة الصورة التى تكشفت لأعضائه من الأحاديث والآراء والتوصيات التى عبر عنها ممثلو البلاد الإسلامية الذين حضروا المرحلة الأولى للمؤتمر .

وقد استشعر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية مسئولياتهم الكاملة لمواجهة المشكلات التى تجلت فى الصورة المذكورة ، وانتهت مداولاتهم ودراساتهم إلى إمكان تصنيف أهم المشكلات التى تواجه المجتمع الإسلامى المعاصر تحت أربعة عناصر رئيسية هى :

— مقاومة العدو المشترك للإسلام والمسلمين .

— وتجريد الإسلام عما علق به من الفضول والشوائب .

— وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على أساس إسلامى سليم .

— والعمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو أسباب التقاطع بينهم وإزالة أسباب الخلافات المذهبية .

ذلك لأن :

١ — أعداء الإسلام يحاولون بكل ما يملكون من وسيلة أن يزعزعوا العقيدة الإسلامية فى قلوب المسلمين لصرفهم عن روح الدين وبلبلة أفكارهم بما يتيح لهم السيطرة عليهم واستذلالهم .

٢ — وأن معارك القرون قد خلفت غباراً كثيفاً ستر الرؤية الواضحة لكثير من مبادئ الإسلام وشوه بعضها وألصق بها شوائب يبرأ منها الإسلام .

٣ — وأن الحياة الاجتماعية للمسلمين وما تعتمد عليه من فنون الاقتصاد

والمعاملات المالية ، قد ملأت قلوب المسلمين بالقلق وأوقفت كثيراً منهم على حافة الإثم ، بسبب التطور السريع البعيد المدى فى اقتصاديات العالم .

ومما لا شك فيه أن التعاون الاجتماعى يقتضى إبداء رأى الإسلام واضحا سليما فى هذه المشاكل لتعود إلى القلوب طمأنينتها ويثبت إيمانها بدينها ، وصلاحه للحياة الحديثة المتجددة .

٤ — ومن نافلة القول إن : تقاطع المسلمين واستمرار الخلافات المذهبية بينهم قد أحدثا فى المجتمع الإسلامى فرقة نكرت وجوه بعضهم فى نظر بعض ، وغلفت بالشك والريبة قلوب بعضهم بالنسبة لبعض ، فظهروا أمما والإسلام يوحدهم أمة ويربط بينهم بأخوة ويريدهم جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

وبناء على هذا قرر المؤتمر ما يأتى :

أولا : أن الاستعمار وأعوانه — سواء فى البلاد التى لم تزل ترزح تحت نيره أو فى البلاد التى جلا عنها مخلفا آثاره — هو الخطر الأول الذى يجب على المسلمين أفرادا وجماعات ودولا أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة حتى يتم تحرير المسلم قلبا وضميرا ، ووطنا ومعرفة ، وأن كل تقصير فى مقاومة ذلك العدو هو عصيان لله تعالى وإثم كبير ، لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالملايين من المسلمين . فهو جهاد متعلق بحق الله وحق الملايين لا بذات الآثم .

وأن الصهيونية التى يحاول الاستعمار بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة أن يخلف بها أهدافه تحت ستار جديد ، هى داء استعمارى خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره فى حياة المسلمين وتستمر سيطرته عليهم ، ومن ثمة كانت مجاهدتها فرضا كذلك على كل مسلم حيثما كان وكل تخلف عن ذلك عصيان لله تعالى وإثم كبير .

ثانيا : يقرر المؤتمر أن الكتاب الكريم والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان للأحكام الشرعية ، وأن الاجتهاد لاستنباط الأحكام منهما حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة ، وكان اجتهاده فى محل الاجتهاد .

وأن السبيل لمرعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة ، هى أن يتخير من أحكام المذاهب الفقهية ما يفى بذلك ، فإن لم يكن فى أحكامها ما يفى به فالاجتهاد الجماعى المذهبى ، فإن لم يف كان الاجتهاد الجماعى المطلق .

وينظم المجمع وسائل الوصول إلى الاجتهاد الجماعى بنوعيه ليؤخذ به عند الحاجة .

ثالثا : يقرر المؤتمر :

(ا) أن موضوع الزكاة والموارد المالية فى الإسلام وطرق الاستثمار — وعلاقتها

بالأفراد والمجتمعات وحقوق الملكية العامة والخاصة هي موضوعات الساعة لأنها ملتقى شعبتين من شعب الشريعة الإسلامية ، وهما العبادة والسلوك الاجتماعي ، ومن أجل ذلك يقرر المؤتمر أن تكون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع في دورته المقبلة .

(ب) ويقرر المؤتمر بعد الدراسة المستفيضة لموضوع الملكية أن حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التي قررتها الشريعة الإسلامية وكفلت حمايتها ، كما قررت ما يجب في الأموال الخاصة من الحقوق المختلفة وأن من حق أولياء الأمر في كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذي يكفل درء المفاسد البينة وتحقيق المصالح الراجحة ، وأن أموال المظالم وسائر الأموال الخبيثة والأموال التي تمكنت فيها الشبهة ـ على من هي في أيديهم أن يردوها إلى أهلها أو يدفعوها إلى الدولة ، فإن لم يفعلوا صادرها أولياء الأمر ليجعلوها في مواضعها ، وأن لأولياء الأمر أن يفرضوا من الضرائب على الأموال الخاصة ما يفي بتحقيق المصالح العامة ، وأن المال الطيب الذي أدى ما عليه من الحقوق المشروعة إذا احتاجت المصلحة العامة إلى شيء منه أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه ، وأن تقدير المصلحة وما تقتضيه هو من حق أولياء الأمر ، وعلى المسلمين أن يسدوا إليهم النصيحة إن رأوا في تقديرهم غير ما يرون .

رابعاً : يقرر المؤتمر أن واقع المجتمع الإسلامي المعاصر يفرض على المجمع أن يلتمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين في شتى بلادهم ليجمعهم كلمة ، ويوحدهم رأياً ، وينظمهم صفاً ، يتعاونون آحاداً وجماعات على البر والتقوى ، ويتعاضدون في العمل لما فيه خيرهم وخير الإنسانية من غير إقليمية ولا مذهبية ولا تنازع .

كما يقرر أن استكمال المجمع لأجهزته الكفيلة بنشر رسالة الإسلام وتجلية حقائقه والدفاع عن مثله ، وتخطيط الوسائل لهذه الواجبات وتمويلها ورسم مناهجها والإعداد لها ـ أمر ضروري تجب المبادرة له لينهض المجمع بمسئولياته الكثيرة التي يفرضها واقع المجتمع الإسلامي المعاصر .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ».

ENGLISH SECTION

EDITED

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

AND

IBRAHIM MOHAMED EL-ASSIL

English Section

CONTENTS

1. Cairo Conference of Muslim Scholars
by A. H. Al-Zayyat 1

2. The First International Conference of the Islamic Researches Academy
by A. M. Mohiaddin Alwaye 4

3. Inaugural Session :

a) Speech by Hussein El-Shafi . . . , . . . 9

b) Speech by Dr. Md. Al-Bahay 12

c) Speech by Dr. Md. Abdullah Madi 17

d) Speech by Shaikh Ibrahim Nayas 19

e) Speech by Dr. Mahmud Hubb Allah 21

4. Meetings & Discussions
by Ibrahim Mohamed El-Assil 24

5. Philosophy of Freedom In Islam
by Shaikh Nadim Al-Jisr 26

6. Ijtihad by Shaikh Nur Al-Hasan 28

7. The Arabs and the Spread of Islam
by Dr. Soliman Huzayyin 30

8. Statement & Resolutions of the Conference 33

subjects for discussions at the next session of the Academy.

b) After exhaustive study of the subject of ownership the conference resolves that private ownership is one of the rights granted by the shariah as it has also allowed rights of others in private property.

The conference further resolves that the ruler in every country has the right to curtail freedom of ownership to the extent necessary to avoid evils and to ensure the interests of the country; that the wealth acquired wrongly and through illicit means, and wealth of doubtful ownership should be returned to the owner or to the state, and in case it is not done, the state should forfeit all such wealth in order to restore it to the owner ; that the ruler has the right to impose such tax on the private wealth as may be necessary for the public good; that the state has the right to take away any part of the private property in lien of compensation when such acquisicn becomes neeassary in the public interest ; that the determination of what public interest is the right of the ruler, and that the Muslims have a right to suggest to the ruler what they deem right.

iv) The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all the countries so that they may form a united front cooperating individually and collectively in virtue and piety and working together for their own good and the good of humanity.

As it also resolves that the Academy should as early as possible equip itself with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence, and the planning necessary for carrying out these duties as also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life.

"Hold fast to the cable of Allah and do not be devided. Remember the favour of Allah on you : You were enemies and he united your hearts and you became brethren with the favour Allah."

separation which estranged Muslims from their own brethren and filled their hearts with suspicion Thus they appear to be different nations in spite of the fact that Islam has united them.

Based on this the Conference has resolved as follows :

i) Colonialism along with its supporters — both in lands which Continue to be under its yoke and in lands from which it has departed leaving behind its effects — constitutes the first danger which Muslims must individually and collectively resist with continous efforts till the heart, the conscience, the country and the learning of the Muslims are liberated. Any dereliction of this duty is disobedience to Allah and a great sin because it ensules the enemy to harm millions of Muslims. It is, therefore, a struggle relating to the sight of Allah and the right of millions of Muslims not confined to the right of the sinner alone.

Zionism under which colonialism seeks to cover its aims after the destruction of all its overt means, is a malicious disease with the help of which Colonialism aims at continuing its sway over the Muslims. To struggle against Zionism is, therefore, the duty of every Muslim wherever he may be, and its avoidance is disobedience of Allah and a great sin.

ii) The Conference resolves that the Book of Allah and the Apostolic Practice are the basic sources of Islamic legislations and the use of personal interpretations to deduce laws from these sources is the right of all those who possess the qualifications of a mujtahid.

To solve modern problems principles should be sought from the legal schools. By no principles are found in them collective ijtihad should be exercised within the framework of the existing legal schools. Should this also prove fruitless,independent collective ijtihad should be exercised.

The Academy will fecilitate the exercise of ijtihad in both these kinds whenever the need arises.

iii) The Conference resolves :

a) that the problems of Zakat, the sources of wealth in Islam, the ways of investment, the relation of wealth to individuals and societies and the rights of ownership, these are pressing problems because in them meet two sections of the shariah, viz., worship and social behaviour. The conference, therefore, resolves that these problems be the

between Al-Azhar and the Muslim world and to co-operate with Al-Azhar in directing higher Islamic studies.

The conference in which representatives of more than forty countries participated and exchanged views on various problems facing Muslims in their countries, provided for the Academy an opportunity to have a glimpse of contemporary Muslim Society.

The first stage of the Conference made Certain recommendations which will form part of the plan for the future activities of the Academy. The second stage of the conference confined to the members of the Academy only studied the papers, the views and the recommendations of the representatives of Muslim countries who participated in the conference. The study revealed that the important problems facing the Muslims at present can be grouped under the following foar heads :

i) to resist the common enemy of Islam and the Muslims.

ii) to purge Islam from accretions and encrustations,

iii) to regulate social and economic relations amongst Muslims on sound Islamic lines.

iv) and to work for the unity of the Muslims, and for ending differences based on legal interpretations.

This is because :

i) the enemies of Islam are trying with all the potentialities at their disposal to weaken the faith in the heart of the Muslims in order to wean them away from the spirit of Islam and to confuse their thought - all this to enslave them and rule over them.

ii) the conflicts of centuries have left a thick layer of dust on many of the principles of Islam, thus obstructing a clear view of these principles, and disfiguring others with encrustations from which Islam is free.

iii) modern social life involving various economic trowsactions filled the Muslims with anxiety and pushed them to the brink of sin on account of quick and far-reaching developments in the economic field.

Needless to say that social cooperation demands sound and clear views of Islam on these problems so that Muslims might rest assured of Islam's validity in the changing Conditions of life.

iv) and finally disunity of Muslims and the continuous existance of legal differences created a

of them regarded these as innovations that would mislead the Muslims from the path of Allah, some rushed into this new life as one dying of thirst would rush to drink dirty water, some others tarried to ask Themselves or to enquire from others which of these new forms of life were lawful and which unlawful, and yet some others dared to issue fatwas for themselves as well as for others whether they had the necessary qualification or not, The majority of the Muslims stood confused. Some tried to get out of this confusion by suggesting to themselves, with or without conviction, that religion consisted only of worship and that there were rules other than religions to regulate human relations. This is a serious mistake, and if it becomes common, it will totally estrange Shariah from Muslim Society.

But since Allah has appointed Islam to be the religion of the people till the end of the world for their welfare in this world and the hereafter, the raises in every generation scholars with learning and insight who understand the Book of Allah and the Sunna ; they seen the guidance of thes two sources in determining what is right and wrong in modern life, and they rectify what is wrong in human behaviour. This confirms the word of Allah wich says : " Let there be a section from you who call (others) to good, enjoin what is right and prohibite what is wrong : they alone are the successful ".

This section constitutes the proof of this everlasting faith which renews itself from within to face all the varying needs of evolving humanity.

The Academy of Islamic Researches was founded to bring together on one platform this distinguished section so that they might find out the views of Islam regarding problems that concern the Muslims in this world and the hereafter.

The Academy was established to serve as the highest body for Islamic researches which undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and works towards the reorientation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while fecilitating knowledge of and acquaintance with it on all levels and in all climes. It also aims at findig solutions for legal and social problems pertaining to faith, to take up the task of calling to the path of Allah with wisdom and goodly admonition, to follow up all the studies and researches published about Islam and its heritage, to plan exchanges of deputation

STATEMENT

ISSUED BY

The First Conference of Academy of Islamic Researches

In the Name of Allah, The Merciful, the Compassionate.

"Verily Religion with Allah is Islam."

Islam consists of faith and legislation; faith to regulate Man's relation with his Lord and legislation to regulate human behaviour in the capacity of an individual, a society and a nation.

Since Islam is the only religion acceptable to Allah, it is imperative that its legislation should take into consideration all the needs of the people, individually and Collectively, and should regulate all kinds of human relations in the Muslim society.

The basis of legislation is the Book and the Sunna and the correct understanding of both. Scholars of Muslim Jurisprudence strove hard to understand the Qur'an and the Sunna, and to deduce rules from them. Their understanding was so precise, their hearts so sincere, and their vision so broad that the principles they formulated are considered a valuable human legacy and an authority for the study of law and jnrisprudence in all societies and in all ages. Further, the Muslim jurisprudence has greatly influenced legislations of all the nations of the world, and has contributed to the advancement of human civilization.

This activity, however, was short-lived. Its speed was stowed down by Colonialism. The affliction caused by colonialism engaged the minds of the Muslims more than any problem of this world or the hereafter, and every one held fast to a fortress defending his sacred belongings. Thus they stood where they were without stepping one step forward while life around them was going ahead.

Thus they stood for centuries struggling, in many ways and with varying degrees of success, against this agression. Finally, when victory came to them after centuries, they watched life around them in its varigated forms and found some of them to be quite new to them. Some

b) Remains of ancient cities and abandoned capitals, as well as changes in caravan routes in what has become dry areas in both the Syrian desert and the region of Hadhramut and Yemen. The change in the altitude of a succession of capital cities over the Yemen plateau is another indication.

c) Historical documents left by both Graeco-Roman and early Arab writers. From these documents one may infer the slow and gradual onset of aridity in both Southern and Northern Arabia.

The final conclusion the author reaches is the fact that the Arab movement of spread had its origins in t e face of increasing aridity in the few centuries preceding the appearance of Islam. It was also moulded by the effect of the geographical environment and the geographical situation. In its origins the Arab movement was to be similar to the earlier movements of exponsion by the nomads.

The arid regions during oscillations of climate. Like previous movements of expansion it should have been more prompt and vigorous, and should have led to destruction in the neighbouring and perhaps far areas. It may be noticed that the power of both the Persian and the Roman empires has helped contain the nomads of the Pre-Islamic era within their increasingly drying deserts. This retarded Arab emigration, though it did not prevent turmoil and local wars within Arabia itself. When differences between Persians and Romans weakened both giants, the Arabs had their chance to carry their new mission to the outside world. At this time, however, Islam did not only unify Arab community; but is also bestowed upon the Arabs new spiritual values, new moral ideals and new norms of behaviour. The old turmoil and disintegration of the Pre-Islamic era soon gave way to unity of aim and action. The new heavenly guidance, as well as the new outlook gave the Arab movement and its leadership an entirely new philosophy of thought and action It was the spread of a mission and not the conquest of new lands. With the Qur'an in their right hand the Arabs spread west, east and south east both by land and by sea. The rôle of the "merchant-missionary" from Arabia was a particularly significant feature in the spread of the new creed from what became the geographical lighthouse in the heart of the old world. Thus, in the unique movement of the spread of Islam both natural, historical and spiritual factors gave their contribution to make the movement of the Islamic spread from Arabia what it was and what it remained to be until our present day.

forward a new, and rather unusual approach namely the geographical aspect of this movement of spread. In other words, we should like here to outline the contribution that could be made through the study of what may be called the "spiritual geography" of the Arab movement of spread at the dawn of Islam. This, we hope, should help us appreciate more closely the complementary nature of the natural, the human and the spiritual factors affecting that movement of spread.

The main points we shall bring forward in more detail in our communication are as follows :

1) The effect of the "geographical situation" upon the movement of spread both locally and universally. The fact that the mission was revealed in the liking region of Hidjaz helped in the process of unification of the Islamic community of the Arabs and in the spread of the new creed. Also the geographic situation of Arabia itself in the heart of the old world and the easy access from it to the outside world in all directions both by land and by sea have greatly facilitated the movement of spread.

2) The natural geographical environment of Arabia has also had its lasting effect upon this movement of spread both from the social and political points of view. By this natural environment we mean the land, the climate, the flora and the fauna of the region. Selected exampless and illustrations of the effect of this environment will be given in our communication.

3) The author will also attempt to give what he hopes to be a new interpretation of the Arab Movement just before and at the dawn of Islam, in the light of a hypothesis of climatic change at that time. It is claimed that this change took place gradually from about the middle of the third century A.D., until it reached its climax in the sixth century. It was an oscillation of climate leading towards more pronounced aridity. The change was not great in extent; but being already a desert or semi-desert country, any drop in the amount of rainfall, however small, led to desiccation and to the need for emigration and spread. The indications upon which the author builds up this hypothesis of a phase of aridity are as follows :

a) Indications from antiquities from the early centuries of the Christian era, such as cisterns and other antiquities both in Yemen and in North East Africa. The lowering of the level of underground water in wells from the early Roman period in Jordan also points out in that direction.

THE ARABS AND THE SPREAD OF ISLAM

(A Comparison between Natural, Human and Spiritual Factors)

RESUME OF COMMUNICATION

by
DR. SULIMAN HUZAYYIN
(Member of the Academy and Rector of Assiut University)

The spread of Islam from Arabia represents a unique phenomenon in history. It can be distinguished from other movements of spread by the following features :

1) Its immense widespread along a belt extending from the Atlantic to India and over to the Pacific.

2) Its dual nature of being both terrestial and maritime, this latter feature being represented especially in East Africa and the Island World of South East Asia.

3) Its far reaching effects in both the racial, social and cultural spheres.

4) Its spiritual mission with its deep, far-reaching and permanent effect.

5) Its vitality and continuity which were represented in the relatively recent outlayers of Muslim communities reaching the Americas.

Through these characteristics this unique human phenomenon of spread proved its effectiveness both as a "creed" and as a "movement". It continued over many centuries, thus proving again its vitality. This latter feature may perhaps be noticed in the cultural and spiritual, rather than the political history of the Arabs and Islam. The Arabic language, for example, has been used as a living language for over sixteen centuries. In that respect, it can perhaps be matched only by the Chinese language, though this latter never attained the universality or the spirituality of the Arabic language. The spiritual aspect of the spread of Islam was further characterised by the fact that it was always coupled by solidarity of Islamic thought, inspite o differences in environments.

The movement of spread of Islam has attracted the attention of students and researchers of all ages. Most of their attention, however, was directed towards the political, social or spiritual aspects of the history of Islam. It is the aim of this humble communication to put

all through the ages. Further, Divine Wisdom requires thata humanity should not be left without a teacher to guide them regarding matters of this world and the hereafter and to provide them with solutions to the varigated problems that will continue to arise as long as as the heavens last. It has been agreed upon by all that ijtihad is a "sectional duty" (fard kifaya) and that it is not confined to any particular age. It is the duty of the scholars, therefore, to acquire the qualifications for ijtihad to enable them to discharge the duty. Those who have studied the Qur'an, the Sunna, the ijma and qiyas and have a good knowledge of the Arabic language to enable them to understand the sources, and are well-versed in the principles of deducing laws, ought to exercise ijtihad. If one of more of such scholars dischage this duty, others are absolved of the responsibility; but if none of them takes up the task, all will be sinners.

Those who hold that mujtahids are found in every age, and those who hold an opposite view are not actually far a part from each other. The difference lies only in the type of mujtahid each group has in mind. Those who deny the appearance of mujtahids in every age mean by a mujtahid an independent doctor of law who bases his deductions on principles he himself has formulated. As for those who profess the appearance of mujtahids in every age, they mean by a mujtahid one of the following :

i) an independent doctor who bases his deductions on the principles formulated by his imam.

ii) a limited doctor, i.e., one who knows the rules deduced by his imam and prefers one to the other in the light of arguments.

iii) a doctor who knows which of the deductions his own imam has preferred and issues fatwas accordingly.

In support of his view that "the gate of ijtihad is open till the end of the world" the author finally cites quotations from eminent scholars such as Al-Izz bin Abd Al-Salam, Imam Abu Shamah, Shaikh Muhammad Bakhit etc.

Ijtihad: its past and Present

BY

SHAIKH MOHAMMED NUR AL-HASAN

In Chapter One the author explains the word Ijtihad etymologically and defines it as a technical term. He then dafines the term mujtahid and discusses the different connotations of the word.

In Chepter Two he discusses the qualifications of a mujtahid, those qualifications that are agreed upon by all the jurists as well as those regarding which opinions differ. He prefers the view held by the majority of jurists that a mujtahid should get by heart the Quran. He does not, however, hold that a mujtahid should memorize all the hadith, as their scientific codification has greatly fecilitated reference work.

In Chapter Three he enumerates the various types of ijtihad, viz., wajib, mandub and haram. The last type of ijtihad consists of an opinion which contradicts a clear text or the consensus of the scholars.

In Chapter Four he discusses the basis of success or failure of a mujtahid. He holds, as the majority of jurists have held, that each problem has only one particular solution. He who gets at it has succeeded in his ijtihad, and he who misses it has failed.

In Chapter Five he speaks about the age of ijtihad. He is sure that it started during the time of the Prophet himself. Opinions differ as to the validity of the Companions' ijtihad. Some jurists claim validity for their ijtihad whether it was exercised in the presence of the Prophet or in his absence while others hold only such of their ijtihad valid as was exercised in the Prophet's absence.

In Chapter Seven, which is the last, the author dwells at length on the validity of mujthids appearing in every age. In support of his view he argues as follows:

The appearance of a mujtahid in every age is a religious necessity, for being the final dispensation, Islam is expected to guide the people

Dealing with the solutions to these problems that Islam can offer, the author says that there is nothing in the ethical teachings of Islam or any other heavenly faith that sound minds will reject.

Speaking about woman's freedom he says that Islam has given her freedom to marry whom she likes, to demand divorce from her husband when such a step becomes necessary, freedom to spend her wealth as she wills and the freedom to work. He then describes how the Eastern woman till recently was deprived of these freedoms which Islam has granted her in the interest of a happy family life. Regarding divorce, polygamy and birth control he has the following to say. Divorce has been deviced to avoid the evil effects of an unhappy marriage; health and family reasons justify polygamy; and birth control should be viewed in the light of Islam's idea of individual freedom.

Speaking about racial segregation he says that Islam has declared equality of all human beings. Save virtue Islam recognizes no basis for superiority.

Regarding the problem of unbelief, he says that the only way of calling people to faith is through study and discussion without the use of force or compelsion. (There is no compelsion in faith; the right has now become evident from the wrong).

Discussing the problem of land ownership, he says Islam follows a via media avoiding the extremities of total abolision of ownership as enunciated by Communism and of unlimited ownership as enun ciated by Western Capitalism. In support of this view the author quotes from Ghazali's al-Mustasfa. Ghazali says :

" When hands are empty of wealth and there is no money to maintain the army, and there is fear of the enemy entering the land of Islam or fear of disturbance from miscreants, it is permitted to the imam to impose on the rich a tax to maintain the army. For we all know that when two evils are found at one and the same time, the law permits us to end the greater evil with the help of the lesser one. And what every rich man pays will be less than what he will have to spend to defend himself were there no government to maintain order and to cut at the root of evil."

Philosophy of Freedom in Islam

by

SHAIKH NADIM AL-JISR
Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

At the outset the author mentions two reasons that led him to choose this topic. Firstly, the impressions that non-Muslims have of Islam by watching Muslims as they are. The life that the Muslims lead is, in certain respect, far away from the noble principles of Islam. Secondly, The author thinks that any call for reformation shonld be based on freedom of thought.

Difficulties in human society are a result of the constant conflict between the individual's desire to enjoy complete freedom and the society's desire to check this freedom in the interest of social life. The most important problems that Society faces to day are the followiong : ethical and social anarchy, racial segregation, faith in God versus atheism and limited ownevship versus unlimited ownership.

---

achieved by the following important factors :

1) Creation of concord among Muslim nation.
2) Exchange of cultural delegations.
3) Agreement on a common language.
4) Commercial and economic co-operation.
5) Creation of a forum of scholars from various countries to engage in ijtihad.

Shaikh Hussain Salyan Jose of Yugoslavia commented on the apprehension of the delegates regarding Islam's adapting itself to the changing times. He said that he saw no need for apprehension, for evolution was one of the Divine laws. Islam's keeping pace with the time did not mean blindly following the materialistic society and rejection of spiritual values, but it meant casting life into the Islamic mould and the creation of a new soceity based on the principles of Islam. He added that humanity which was precariously poised on the brink of a nuclear war could only be saved by Islam.

These are only a few of the many opinions that were expressed by the delegates. The one thing that is evident from these discussions is the need for the Muslims to unite, to consult each other and to gather round the principles of Islam " holding fast to Allah's cable ".

to carry out this task is a reinforcement to al-Azhar which for centuries has remained the hope of Muslims everywhere. Though Allah has blessed Egypt with al-Azhar, it is in fact the property of all the Muslims. Seekers of light and learning repaire to it from every part and students from all the countries where Muslims are found gather under its roof - a true representaion, indeed, of the unity of the Muslim world. This high position that al-Azhar occupies played a great part in attracting Muslim scholars to this historic conference. The discussions that the scholars carried on and the papers that they read in the many sessions of the conference not only point to the great intsrest of the scholars in the problems that face us, but also give us a true picture of these problems. We wish, therefore, to refer briefly to some of the discussions and publish summaries of some of the important papers :

The first paper read in the conference dealt with the factors that helped the spread of Islam. From the discussions that followed it was clear that it was the most important problem that has been engaging Muslim minds as it was also the foremost object of the Academy. As one of the delegates put it, "It was the core of the Academy's activities". The discussions regarding various details of the problem and the replies given by the author of the paper proved to be of great value, no less valuable than the paper itsef. One of the delegates spoke on Islam in Africa and referred to the difficulties that the Muslim face there, and to the hostile attitude of Christianity, Ahmadism. Qadianism and Bahaism. He called upon the delegates to find out effective means of spreading Islam in this region.

Shaikh Mustapha Kamal al-Tazi of Tunis emphasized the need to study the problems that arise in our daily life, especially in the economic field and to explain Islam's view vis-a-vis these problems. This would prove to the coming generations that Islam is suited to all times and climes. Some of the problems that he referred to are : tax versus Zakat, unification of the lunar calendar, utilization of the animals sacrificed on the occasion af the hajj etc. Shaikh Abd al-Karim Saito of Japan called for the starting of missionary movement in Japan. The Pakistani delegate, Shaikh Ghulam Ghauth said that Muslim unity could be

(Cont. P. 26)

The Academy of Islamic Researches :

Meetings and Discussions

By

IBRAHIM MOHAMED EL-ASSIL

SUB - EDITOR

On March 7, 1964 History was eagerly watching Cairo, the seat of al-Azhar to witness an epoch-making event in the history of Islam and its fallowers. For on that day was held, under the auspices of the Academy of Islamic Researches, the first international Conference of Muslim scholars. Religious dignitaries from every nook and corner of the Muslim world responded to the historic invitation to attend the Conference which represented the unity of Islam in the real sense of the word. After the Arab Summit which was held at the beginning of this year and which unified the Arabs, came the internatioal conference of Muslim scholars to unify the Muslims, to look into their needs, to solve problems of the day that face them and to find out the most effective means of spreading the message of Islam. Muslim unity which was the hope of every Muslim has now almost become a reality just as Aarb unity itself has materialized. Both these unities are interdependent : for in the might of the Arabs is the might of Islam, and their weakness is tantamount to the defeat of Islam. This explains why Muslims everywhere evinced so keen an interest in both the Conferences.

I am not far from the truth when I say that the International Islamic Conference has created a confidence in the heart of every Muslim who is looking forward to a bright future for the Muslim Nation.

The conference has emphasized the importance and the utility of Academy of Islamic Researches. It is a forum for the Muslim Community to which Muslims will turn for solution to the various religious problems that face them at present. The Academy that has been created

The programme of the conference has been drawnup as follows: The members and the delegates will take part during the first two weeks in meetings, parties and visits to various places to see the progress the United Arab Republic is making. During the next two weeks the members of the Academy will hold meetings. The conference will then turn into committees for study and discussion. The members will also draw up programmes for the meeting of the Academy which according to its constitution, should be held at least once every month.

Thus you see, Gentlemen, that we, the members of the Academy, have been charged with a great responsibility. The eyes of Muslims are, therefore, directed towards us, expecting to hear our verdict in many of the problems that they meet in their daily life and have become part of their life. In the same way, on our efforts rests the future of the coming generations who may find themselves fettered with the bonds of sweeping materialism and fatal individualism.

As long as we have strength of will and sincerity of purpose, the problem is not difficult, and God willing, we shall achieve what we aim at ("Verily Allah does not change the state of a people unless they themselves change it.") and the hopes of the Muslims to live with honour in this world and the hereafter shall become a reality as a result of your efforts. "Say: Work; Allah and His Apostle and the believers shal soon see what you do; you will certainly be returned to the Knower of the unseen and the seen and He shall inform you as to what you did."

And Allah's is the guidance.

Peace and blessings of Allah be on you.

to prevail in the society, to spread the understanding of religion and to widen the scops of Islamic culture in such a way that it becomes an open book to be read by people in every walk of life.

Brethren,

I shall present before you a brief account of the Academy and its growth and the task that we hope to achieve. The Academy was to instituted by Law No. 103/ 1961 to be the highest body for research, It will work to revitalize Islamic culture, to cleanse it from unwelcome foreign elements, and to bring it back to its pristine purity. It will express its views on juristic and social problems connected with the dogma. It will call the people towards the Path of Allah with wisdom and goodly admonition. The Academy has also been charged with the task of studying all that is published about Islam and the researches carried out by non-Muslims to benefit from what is good and to refute what is wrong etc.

Later on laws were passed appointing twenty-seven members of the Academy and laying down qualifications of the members, then modifying certain clauses of the original law. The Ministry also passed laws relieving certain members of their other duties to devote all their time exclusively for the Academy.

Allah willed to take away two of the members to His proximity before they could meet us in this assembly. One is Ustadh Ibrahim Mustapha who contributed sincere efforts to the language of the Qur'an and the other is the Grand Shaikh Mahmud Shaltut, the former Rector of Al-Azhar. All of us know his intrepretations in the field of fiqh. May Allah shower His choicest blessings on both of them and rank them with the righteous and the martyrs ! Allah certainly does not waste the reward of those who do good.

The General Secretariat of the Academy pooled its humble resources since a long time in preparation for this conference and presented some vital issues from which members could choose topics for study. These proposals were acceptable to the members and exhaustive discussions on these topics have reached us. These papers will be presented to the members for study during the last two weeks of this session of the Academy, and during the first two weeks of the session such of the papers wil be read as have been translated and scrutinized. As many of the papers reached us during the last few days the Secretariat could not look into all of them.

Speech

by Dr. MAHMUD HUBB ALLA

General Secretary of the Islamic Researches Academy.

In the name of Allah, the Merciful, the compassionate, and by the grace of God, His help and guidance, and under the auspices of Al-Azhar - Azhar of Islam and the Muslims - meet today a distinguished group of Muslim thinkers and scholars in the Shariah and law to attend the first session of the Islamic Researches Academy which just now is a tender plant or a newly built edifice whose age does not exceed more than two years. But it has come into being to work, to live and to grow from strength to strength and it will do so as it is surrounded by the United Arab Republic, and by you and the world of Islam, and because it is a result of necessity and the dreams of every Muslim.

The Muslims, as you see, are in need of a forum in whose sound researches the world will see the truth of Islam as they really are, free from all foreign elements, offering solutions to contemporary problems, and rectifying the concepte of life in its various aspects of thought, faith and intuition both for the individual as well as the society. " On that day shall the Muslime rejoice in Allah's succour."

In our assembling here today, inspite of the many difficulties and hardships which most of you have suffered, is a clear indications of your sincerty and determination to carry out with cooperation a new plan for a success that will, God willing, leave far-reaching effects in the life of our glorious nation.

Brethren,

We meet today in response to the call of Allah and to the call of our religious duty. The meeting is also an expression of our will to live with honour and glory that befit us and befit the heavenly message we preach which calls the people towards the unity of the Creator and the glorification of mankind. "Verily We have honoured the sons of Adam, and have carried them on land and sea and have provided them with goodly food and have preferred them to many of what we have created."

Today we have met to discuss together ways and means to exalt the word of truth, to cause goodness

people ". Our religion at the present time is surrounded by grave dangers with bitter enmies lying in wait for it. In addition to this are the evil effects left by the unbelieving western colonialism in the form of unwholesome educational set-up, fatal modes of life, removal of the divine Shariah and introduction of foreign laws in most of our countries. This is a conflict in which we must mobilize all our forces and resources, and the first weapon that will ensure succour and victory in this battle is our return to Islam in its true element, based upon the Book of Allah, the heavenly revelation which is inacessable to falsehood from any direction, and based on the Sunnah of the noble Prophet - (Allah raises the status of those that believe and of those that have been given knowledge). This is the weapon that will outdo the atomic bombs and destructive rockets.

Gentlemen:

Let us salute this happy opportunity that will soon provide to scholars and thinkers from the farthest east to the farthest west an occasion to meet and discuss fresh ways and means of disseminating the message of Islam. For Allah raises in each century people who rejuvenate this religion and it is not difficult for Him to make us from them. Let us, therefore, evince in this Conference the interest that it deserves and let us not forget to maintain an academic spirit in all our deliberations. When we arrive at sound academic conclusions we shall make them known to every country in the world which has been attacked by heathenism, or spoilt by orientalists, or Shaken by spiritual deviation or estroyed by materialism or hit by mental stagnation, especially in the puzzled Europe and in the unknown corners of Africa which are eagerly waiting for light to dawn upon them. "And Allah shall certainly help those who help Him and Allah is mighty and powerful".

I shall not end my speech without expressing our thanks to the blessed AL-AZHAR and its thoughtful Minister for their mighty efforts to raise the banner of Islam and to spread its teaching in all parts of the world specially in the reign of the zealous Muslim President Gamal Abdul Nasser.

May Allah guide all of us to do what is good for Islam and its followers and make this conference a grand success and render it the opening of a new era in the life of Islamic mission. And this is not diffuciult for Allah

Peace be with you.

SPEECH

BY

SHAIKH AL-ISLAM AL-HAJJ IBRAHIM NAYAS *OF SENEGAL*

On behalf of the delegates to the First Conference of the Academy of Islamic Researches on March 7th 1964

Praise be to Allah to the Lord of the Worlds, and blessings and salutation be upon the Seal of the Prophets and the Leader of the Apostles.

Your Excellency the Vice-President, Honourable Minister for Waqfs and Al-AZHAR and Gentlemen :

I deem it a great honour to have been given this unique opportunity to speak on behalf of the Muslim Delegates on the occasion of the inauguration of the first Conference of the Islamic Researches Academy. These delegates on whose behalf I stand to speak are a distinguished group of Muslim scholars, dignitaries and thinkers who have sincerely devoted their lives for the noble cause of Truth and the service of Islam.

Gentlemen :

We, the delegates assembled here in this place are indeed proud of having accepted the invitation extended to us by AL-AZAHAR to attend this really great Conference. It is great in its noble objectives, great in its heroic delegates, great in its venue, great in its timing and great in its far-sighted leadership. For this place is the most suitable venue for this noble task as here on this soil stands the age-old AL-AZHAR which is rightly considered the bastion of Islamic Shariah since many centuries, and the time likewise is the most suitable one on account of good feelings created by feelings created by the Arab summit in the hearts of people from the Atlantic Ocean to the Arabian Gulf. The creation of better relations between the Arab Brethren is indeed a great achievement which we all bless, for no two persons differ on the importance of the Arabs and the Arabic language in the spread of Islam.

Gentlemen :

The eyes of Muslims all over the world are directed towards us with hopes. Let us, therefore, realise the great responsibility that has been placed on our shoulders. We, the scholars of the Muslim Nation are heirs of the Prophets and " the best Community raised for the

awarding degrees, after which they part with their Institution. The relationship has strengthened the ties between Al Azhar and all the Islamic peoples through those graduates who return to their native lands being spiritually and faithfully attached to Al-Azhar where they have acquired what will shed light on the right path. They return to their native lands with "Their light between their hands and in their right ones; and they said: O Lord, complete our light."

Al-Azhar has become the rightful custodian of the Islamic heritage, It has afforded its students the opportunity to delve deep into studies, the Arabic language as the various human sciences at large.

Although Al-Azhar, during certain periods of its history, was afflicted with some of what befell the intellectual movement, as a whole, particularly during the foreign occupation of Egypt, could yet manage to guard Islamic Heritage and protect the Arabic language — the language of the Qura'n — against the intrusion of the foreign tongue. Al-Azhar could, therefore, manage to keep its door wide open for all learners wishing to study Arabic and Islamic Sciences till the occupation was over and the intellectual movement was once again revived. Al-Azhar, then, resumed its function and effectiveness in this respect, thus, bearing to all people the message of Knowledge and Faith.

To help Al-Azhar fulfil its mission and adapt itself to the needs of modern times Law No. 103 was issued in 1961 with the aim of re-organizing Al-Azhar. Thanks to the government of the Revolution Al-Azhar has become: The Supreme Islamic Organisation that preserves the Heritage of Islam, makes a clear study of it, propagates it and stands as the true bearer of the Islamic Message to all peoples pointing out the Truth about Islam and its influence in the progress of humanity, and maintaining security and satisfaction for the people in this world and hereafter.

Gentlemen, the Learned Men of Islam and the Leaders of Islamic Thought:

Your meeting at this first Congress of the Academy of Islamic Researches is an outcome of the law of the Evolution of Al-Azhar.

This Congress is also a manifestation of the Unity of Islam and the Muslims.

" This, your Nation, is but one Nation. And I am your Lord; worship me."

Brothers, the Learned Men of Islam:

May God bless you, guard your efforts, help you achieve righteousness, and guide you along the right path.

May God's peace, mercy and blessings be upon you.

The speech

Ddelivered by Dr. MOHAMED ABDULLA MADI
Vice-Rector of Al Azhar and President
of the Congress of the Academy of
Islamic Researches

Praise be to God who has caused us to rally round the Truth and guided us to the honour of having Faith in Him; and may God's peace and blessings be upon our Holy Prophet whom God sent to be a bearer of good tidings and a warner, and one who calls to God's grace by His leave, and a lamp spreading light.

It is in the name of God, the Merciful the Compassionate that we inaugurate the first Congress of The Academy of Islamic Researches. And in the name of Al-Azhar, I greet and welcome you and pray to God Almighty, that He shall bless your efforts and lead your conference to success and guide you on the path of righteousness.

As a matter of fact, Al-Azhar, that has undertaken to carry out the message of Islam over a thousand years, thus propagating Islamic culture throughout the world, has the Privilege of having convened this congress.

Gentelmen :

Al-Azhar has always been of you and for you. Since its inception in the Fourth Century, it has adopted a general Islamic attitude; It has never stood, for any particular group or sect, but has stood, according to God's will, as an Institution for the study of Islamic Law and the Religious Sciencesin all their various branches.

Besides, Al-Azhar has not been for Egypt alone, but has belonged to the Islamic World at large. From all countries and lands Muslims flock to it to acquire knowledge and study Religious Sciences. Then they go back to their countries to awaken religious consciousness amongst their compatriots, therefore having the principles of Truth realized in and through them.

The relationship of Al Azhar with its guest students who come to it from various parts of the Islamic World is not confined to instruction or

Al-Azhar to preform its role in guiding the Arab Nation and the Islamic world.

Gentlemen,

You will witness these glories during your stay here. You will participate in realising the development of Al-Azhar through helping to solve the questions and issues that will face you - the problems of Muslims at large.

The decisions and opinions you are going to take will undoubtedly have deep effect on the millions who watch the news of this conference, as they usually do, with their eyes turned towards Cairo and Al-Azhar just in the same way as they will turn after few days, to Mecca, the First House set up for the worship of Allah.

We implore God to crown your efforts with success, guide the leaders of Islamic and Arab Nations to the path of righteousness and always support our guide and leader, President Gamal Abdel-Nasser.

Wassalamu alaikum
warahmatu Allah.

evidence of the afore-mentioned phenomenon. Emperialism has endeavoured in Algeria, in particular, and in every other Islamic land, in general, to separate the Arabs of Algeria from their religion and to cause this strong support of history and belief to collapse. It had derived different arts and followed, for one hundred and thirty years, different methods to achieve its aim. Nevertheless, the Algerian Revolution has broken up as an outlet for the Algerian's belief in Islam and Arabism. Its main support, in its hard struggle, was its belief in a a fight for the Word of God. When its success was achieved and its affairs settled, its constitution declared, in its first articles, that Islam is the official religion and that Arabic, the language of the State.

But the formation of the Islamic Researches Academy in this way and in the choice of its members from among the leaders and pioneers of Islamic thought and from among the keen observers of the conditions of present life, with its events and problems, increases our hope in overcoming the diffculties which research work and study face, assuring the Muslims about their religion, explaining its value in human life and showing that Islam, though the desert was its birthplace, is meant for Man and Human virtuous qualities in every age and place : the age of the camel as well as age of the machine.

I firmly believe that had not a revolution taken place in the United Arab Republic, had not this revolution aimed at creating a society that has a history and glorious past in struggle, a society that has undertaken the message of ideals and the preservation of the Holy Qur'an as a religion and creed, and had not President Gamal Abdel-Nasser been the pioneer planner of this Revolution, this society would have neither emerged in its present form nor the potentialities that enabled it to cooeperate with others for the sake of the Arab Nation, the Islamic world and God's sake would have been possible.

The era wherein the tunnels of the High Dam are dug among rocks and desert to be made serviceable to man instead of being an enemy to him, this era which has eradicated, once and for all, colonialism from its domination over the Suez Canal, the vein of the entire Arab Nation as well the Islamic world, adds up a new glory to the list another important achivement the reorganisation of Al-Azhar - in a way that enables graduates and member to participate in life and prepares

among its members, new figures representing different cultures and various attitudes of knowledge but, added to this, it aims at the revival of the traditional teachings of the formers and the pavement of the way for the renewal of the attitude of brilliant Islamic Ulama and jurisprudents in coming to agreement about any case problem.

If some other Ulama, representing Non-Arab Islamic countries, do not witness to-day's Conference as members, the following conference, if God wills, will include them after the necessary steps have been taken.

The Conference of the Islamic Researches Academy, in its present session, will face many difficulties, cases, events and developments which have appeared for the first time or precipitated in the lives of the Islamic communities after the jurisprudents have stopped to give their opinion and satisfied themselves by adhering to one of the creeds prevalent or by trying to come to a compromise concerning varying creeds. The conference will face such difficulties and cases and it is bound to deal with them by research and study to select the clear Islamic opinion. This will help to the return anew of the relation between the lives of the Muslims in their practical passage under the protection of the principles of Islam so as to guide man correctly towards the clear direction which will guard his life, protect him from the elements of weakness, help him to overcome obstacles, save him from idleness and urge him to work and production.

These difficulties and cases which face the conference in its present session from a hard and serious job. It is hard because it will have to study and give original solutions to them, because the gap of time between the time of stagnation in the Islamic thougt and its jurisprudence and the present has been so great. And because of this big gap it has been believed that nothing better could be achieved.

It is serious because the opinion which will be fromed and will explain the aim of Islam will have a wide and deep effect on the souls. The Muslims at present are quite a considerable number which cannot be ignored. The more they are forced to deviate from Islam through shaking their belief and understanding of this religion by dfferent means and different intellectual tendencies. the more they yearn to stick to its principles and to apply them in their lives.

The Algerian Revolution, in its break and success, is a clear

befallen the Muslims in their unity as well as in their jurisprudence and outlook for life.

This Law does not mean that Al-Azhar would deviate from its message or the history of this message in science, knowledge, jurisprudence and preaching. It is meant to enable Al-Azhar to fulfil its message in an effective way so as to help its penetrating rays to reach the life of millions of Muslims in their unity, friendship, and apprehension of the Islamic values and applying them in their private and general lives.

By the reorganization of Al-Azhar the Law does not mean to make Al-Azhar mimic any other educational or scientific institution inside or outside it. It means to renew the status of the Muslims in the days of glory and greatness when they surpassed everybody else in their faculties for learning whether in the subjects of the Qur'an and the Hadith or in Arabic, intellectual and human sciences or in physics and mathematics. The Law means to restore to the Arabs and Muslims the age of intellectual patronage and scientific leadership in no less a way than what had been known of the Muslims in their relations with others and supplying them with the leading free thought and the scientific method.

It is not strange in the intellectual history of Al-Azhar to have an age of leadership in research and study in all the previous spheres, and to have among its men Ulama who have excelled in other fields of knowledge, just as they have excelled in the sciences of the Qur'an or Sunnah or the Arabic language.

One of the most important interests of the Law is to reform this body, which is in charge of research and devotion to original deep studies, to supply the Muslims with opinions about the problems which face them and which the necessities of life has put forward and made it urgent for them to know what their Islam advises, what relieves their souls and what supplies their capacities in life, to urge them towards effective work and the preservance of their dignity and superiority.

If this law has enacted that the formation of the Islamic Researehes Academy should include research Savants graduated from Al-Azhar, research Savants from theUniversities, higher institutes of the Republic and other research Savants, well-known in the Arab and Islamic world for their broad outlook, deep thought and original opinion, the Law does not express a mere desire to have,

Speech

by

DR. MUHAMMAD AL-BAHAY

Mr. President,

Dear Members and Guests of the Academy.

In the Name of God, the Merciful, the Beneficent.

You are welcome here, in the Capital of the United Arab Republic.

We welcome you on the occasion of the meeting of the first Islamic Researches Academy Conference after the issue of Law No. 103 for 1961 concerning the reorganization of Al-Azhar.

Before starting my speech, I would like to ask you to join us in invoking the Almighty God to bless the eminent Shiekh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar.

He really deserves to be remembered in this conference by us for all the good he has done and for the effort he has given to organize the body which is in charge of Islamic researches and which gives opinion about the problems concerning Muslims; an opinion derived from the Qur'an, the verified Sunnah and the opinion of the mature jurisprudents who are honest in their belief and jurisprudence, the three of them being the reference and criterion.

This body meets to-day in the form of a conference for the Islamic Researches Academy.

Gentlemen,

When the United Arab Republic reconsidered the organization of Al-Azhar and its institutions and issued Law No. 103 for 1961, the following institutions were formed:

Al-Azhar University, Islamic Researches Academy, General Department for Al-Azhar Institutes, the High Council for Al-Azhar and its General Secretariat. By so doing, the United Arab Republic aims at prompting life and movement anew in the activity of preaching and Islamic and Arabic Studies. It aims also at the resumption of building up the glories of the Muslims, after reviving the religious, scientific and human heritage and at clarifying this heritage from the blemishes caused by the weakness that had

Today Islam is facing many strong challenges which aim at doing away with Islam. Had it not been for Allah's promise contained in His words: " We have revealed the Reminder and We shall protect it, " the position of Islam would have been different from what it is today. But realisation of Allah's promise rests on our faith in the Book and our effort to preserve it.

The role of the Scholars, therefore, in preserving Islam and the Book of Allah is indeed great. Muslims expect them to expound the truths of Islam and its teachings and to present them to the people in their pristine purity and to explain them to the people in clear terms and in an unbiased way. This exposition of the Scholars should be an expression of their faith, and it should create in the minds of the people a feeling that Islamic values are forces that will end the darknesses of fear, poverty and ignorance in every society that believe in them.

The Challenges that Islam faces today are not only external but also internal; not only challenges from colonialism and its tricks, but also challenges from atheism and deviation in undestanding and deviation in character. Colonialism not only challenged the Book of God and its values and its principles, distorting some of them and rejecting the others, mocking at some and doing away with other in name of science, but also challenged the unity of Muslims. It divided them into nations and sections and groups, and transformed their legal school into religions, their languages into barries, their land into distances, and their races into frontiers, all of which stood in the way of their physical as well as spiritual contact. Colonialism challenged the faith of the Muslims and their understanding of the Book of God, and created for every country an Islam, though "religion with Allah is Islam" since He revealed His message and sent messengers. Religion of Allah is therefore, one and His Qur'an is one which is in the clear Arabic tongue. Albeit colonialism did away with the Muslim Unity as it distorted the teachings of Islam and its principles.

If Muslims are to be "the best Community raised for the people" it is imperative that these barriers between them should end and it is also imperative that Muslims should return to the Book of God and to its language.

And as we have mentioned before it is for you the members of the Islamic Researches Academy to carry out this task.

May Allah guide you. Your deeds will never forsake you.

Peace and blessings of God, be on you.

an easy prey to its occupation and exploitation. To do this it sought the help of its supporters who could pave its way. In spite of all this, it was but natural that the will to change should be born and that it should revolt against this exploitation in accordance with the law of Allah " that Allah does not change the state of a people unless they change it themselves. "

Here in the United Arab Republic appeared the will and power of Allah and supported the will of the Revolution, i.e., the will to change, and this will has entered every walk of life. As a result colonialism was ended so that the Country might be free, and feudalism and capitalism were ended so that the country and the citizen might enjoy freedom. Social justice was then established by banishing claass's difference. A strong national army was created to defend the country and the citizen and to meet any interference in the carrying out of the perple's will to change.

Gentlemen :

Realising the value of Al-Azhar and the part it had played in the past, and the part it can play in our present society, not only in the United Arab Republic and the Arab Countries, but also in the whole wordl of Islam, the Revolution strove seriously to reorganize Al-Azhar and to render it fit to spread the message of Islam by thought, research, learing and deed in such a way that Islam covers all walks of human life.

Among the other institutions brought into being by the law of the Reorganization of Al-Azhar is the Islamic Reserches Academy. This Academy is meant to be the highest body for research. it will work to revitalize Islamic culture, to cleanse it from unwelcome foreign elements, and to bring it back to its pristine purity, It will make it known to the people in every walk of life, It will express its views on juristic and social problems connected with the dogma ; it will call the perple towards the Path of Allah with wisdom and goodly admonitions. The Academy has also been charged with the task of studying all that is published about Islam and the legacy of Islam and the researches carried out by non - Muslims to benefit from what is good in them and to refute and rectify what is wrong, The Academy will also help in directing higher studies at Al-Azhar for the students of Specialization and Alamiyyah, in supervising such studies and in holding examination in them.

Conditions that have been fixed for membership of the Academy will ensure envolment of persons best suited to carry out these tasks.

You are the first batch of scholars to be amongst the members of the Academy after its inception and on you - the Scholars of the United Arab Republic, the Arab Countries and the Muslim world - rests the responsibility of translating into action the objects of the Academy.

The Inaugural Session of the Conferenee

The Inaugural seesion of the Conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate. A large number of university professors, members of several cultural organizations and Arab and foreign press reporters were present. Mr. Hussein Shafi, Vice-President, Dr. Muhammad al-Bahay, Minister for Awqaf and al-Azhar, Mr. Salah al-Dosuqi Governor of Cairo, Dr. Muhammad Abdullah Madi deputy Grand Shaikh of al-Azhar and Mahmud Hubb Allah, secretary general of the Academy of Islamic Research, participated in the session. The deliberations Commenced with the recitation of the holy Quran. Mr. Hussein Shafi then delivered the inaugural addrese on behalf of President Gamal Abdul Nasser. Latter Dr. Muhammad al-Bahay, Dr. Muhammed Abdullah Madi Dr. Mahmud Hubballah, and Shaikh Ibrahim Nayas addressed the Conference. Shaikh Ibrahim Nayas spoke on behalf of the delegates participating in the Conference. The session ended, as it had begun, with the recitation of the holy Quran. At the end of the session Mr. Hussein Shafi Shook hands one after another, with the Delegates and welcomed them.

Following are the texts of the speeches delivered in the session:

SPEECH

BY Mr. HUSSEIN El-SHAFI

VICE - PRESIDENT

On the occasion of the first Conference of the Islamic Researches Academy in 7th March 1964.

As-Salamu Alaikum wa Rahmat Ullah :

In the name of Allah, the Compassionate, the Merciful. Praise be to Allah, the Lord of Worlds and peace and blessings be on the Leader of the Apostles !

Members of the Islamic Researches Academy, and guests of the United Arab Pepublic attending the first meeting of this Academy in the form of a Conference held under the auspices of the Al-Azhar after its reorganization, I welcome you all on behalf of President Gamal Abdul Nasser.

Gentlemen :

Colonialism has been lying in wait for the Muslim World to divide its strength so that it may fall

emigrants were facing. He further added that the Indian people considered the Palestine question a human problem for which an urgent reasonable solution must be sought.

From all this we can see how important this international conference was. The aims of the Conference have been briefly summarised in the following words by Dr. Muhammad Abdullah Madi, Deduty Grand Shaikh of Al-Azhar : " It is the greatest Conference of the Scholars of Islam who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving dogmatic and social problems, and this under the auspices of the Academy of Islamic Research which is the highest body for Islamic research and which undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and which comprises distinguished scholars of Islam representing all the schools of Islamic thought.

It remains to be seen how far the Academy succeeds in achieving these aims but there can be no two opinions about the importance of what it has actually achieved : it has given the Muslem scholars a forum to meet and an opportunity to share each other's views. This indeed is no mean achievement.

---

1 — Revenue and the right of state to Taxation in Islam.

2 — Arab and Muslim Expansion : a consideration of the natural and human factors.

3 — Land-owing by the individual and its benefits in Islam.

4 — The claim of the poor to the property of the rich.

5 — The system of ihtisab or 'Moral Control' in Islam and the right of the individual to the State.

6 — Ijtihad or Individual Interpretation : its past and present.

7 — International Relations in Islam.

In all one hundred and twenty delegates, all great scholars, representing forty - two countries attended the Conference. In addition to these, professors of AL - AZHAR, presidents of societies and Islamic centres all over the world were also present. The countries that participated in the Conference were as follows :

From ASIA : Iraq, Yemen, Kuwait, Oman, Afghanistan - Pakistan, Lebanon, Indonesia, India, Ceylon, Philippine, Malasia, Turkey, Jodran, Saudi Arabia, Soviet Union, Japan, Gaza and Bahrein.

From AFRICA: Libya, Tunis, Algeria, Sudan, Somalia, Nigeria, Mauritania, Senegal, Mali, Guinea, Sierra Leone, Togo, Union of South Africa, Uganda, Kenya and Maritius.

From Europe: Greece, Yugoslavia, Hungary, Holland and Britain.

From Amerca: Trinidad.

Before the Conference ended the delegates paid a visit to the Gaza Strip on an invitation from the Governor General who extended the invitation to the delegates on behalf of the sons of the Arab Palestine. During their visit the delegates held a meeting and issued a communiqué re - iterating that Palestine is An Arab country whose sons have been wrongfully driven out. The Communiqé called upon the Muslim World to take necessary steps for restoring the right of people of Palestine. It also thanked the Arab Kings and Heads of States for their support to the Palestine problem in the Arab Summit Conference. Of the non - Arab delegations, the Indian Delegation evinced special interest in the Palestine problem. Shaikh Maulana Muhammad Tayyib, the head of the Indian Delegation said in reply to a question that the partition of Palestine would be a heinous crime. He added that the Indian people were deeply concerned with the economic and social problems that the Palestinian Arab

and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

Secondly, AL-AZHAR had always remained an international seat of learning. It has welcomed in the past, as it does now, students from all parts of the world irrespective of race, colour, language and even religion. These students drawn from different countries and speaking different languages have always met in harmony and unity, studying, discussing and arguing in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

The Academy decided this year to hold under its auspices the first international conference of Muslim Scholars from all over the world.

On Shawal, 22, 1382 (March 6, 1964) the Conference Commenced in Cairo which, in addition to being the capital of the United Arab Republic, has been the centre of Islamic Culture and the bastion of Islamic heritage for many centuries; It was a dream come true, for it was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international character be held to realise the aspiration of sincere Muslims for the establishment of intellectual and cultural contact between the sons of the Islamic nation dwelling in the far corners of the world.

The Conference discussed papers prepared by members of the Academy, and dealing with various topics. These pepers, and those which the Academy will continue to prepare and publish will be of two types:

a) The first type deals with subjects, which, although not entirely new, need a new presentaion in the new social set up created by the Industrial Revolution. Researches carried out in this field will aim at knocking the rust off the minds enslaved to material welfare and lifting the screen from our eyes blinded by the glare of modern life.

b) The second type deals with problems created by modern inventions and scientific advancement. It is hoped that this Academy will provide solutions to many of these problems in the light of the Quran and the Sunna.

of the papers that were read and discussed in the Conference, the following deserve special mention :

this century, created a hiatus between Islam and the modern life. Those that clung to the old ways of life were denied acquaintance with modern thought, and on the other hand those that were brought up in the new tradition were totally ignorant of Islam and its glorious heritage. The need to bring about a harmony between Islam and to the modern life was never greater than it is now. It was AL-AZHAR that came forward to do this.

In 1961, under the auspices of AL - AZHAR was established an Academy of Islamic Research to serve as the highest body for Islamic research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and work on international level towards the rejuventation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It

also aims at following up all that is published loy Muslims and non-Muslims alike - about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong.

The Academy is an international body and comprises a select number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage. To help strengthen the unity of Islam and to bring out the academic character which has distinguished AL - AZHAR, all Muslim countries and all schools of Islamic thought are represented in the Academy. This is also to ensure that the views expressed and the resolutions adopted by the Academy may suit the different localities and the varying societies in the Muslim World.

It was in the fitness of things that AL - AZHAR should take up this task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought. For AL-AZHAR is "the first house that was built for knowledge", and since it was founded ten centuries ago it has kept the torch of Islamic sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance.

The fact that this great and glorious university was first housed in the mosque and remained so far many centuries is proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other

THE FIRST INTERNATIONAL CONFERENCE OF THE " ISLAMIC RESEARCHES ACADEMY "

by :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

Islam is not a religion in the sence in which it is used to denote christianity, Judaism, Buddism etc, but it is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Since its inception, thirteen hundred years ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. Great doctors of law known as mujtahids have flourished in the past and with their profound knowledge of the sources of legislation in Islam, viz. the Quran, the hadith, the qiyas and the ijma they have interpreted Islam in the light of the changing patterns of life in every age.

But unfortunately during the past few centuries of Muslim downfull, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars and divines - all this conspired to put an end to ijtihad. This and the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and technology that commenced from the dawn of

---

supplied to all the countries which know Islam or wish to know it.

As for the existing writings, the authentic from them will remain in libraries for study by research Scholars and specialists ; and the false and unauthentic from them will meet the fate which the unofficial Qur'an met at the hands of Uthman, for its existance is a constant danger to authenlic report and will misguide those that seek the truth.

If the Academy fulfils this task — and it can do it — then it will have cleansed the Shariah from the harmful innovations, and unwelcome encrustations, and will have made the religion of Islam a " well of guidance undefiled ". People drinking deep of it will create an idead society which will march on the straight path under the guidance of Truth, the protection of Science and the supervision of Conscience.

The second task before the Academy is the purging of the faith and practice of Islam from false and unauthentic traditions and teles that have come down from one generation to another, from customs and manners that have crept into our faith and practice from outside, and from beliefs that corrupt mysticism has injected into Muslim minds. During the centuries of Muslim downfall Islam was forced to Accept and absorb beliefs and practices which were far from being Islamic and sometimes were actually anti-Islamic. Thus entered into the framework of Islamic thinking the hatred of everything material. Monasticism became the dominant feature of Islam. Muslims were taught to look down upon worldly life. Islam was considered to be a bundle of beliefs that opens the gates of paradise.

The third task before the Academy is the problem of personal interpretation (ijtihad), This alone is the path that will lead to the goal that the Academy strives to attain viz. The reorientation of fiqh and the modernization of the Shariah. The message of Islam is for all times and climes. The living fiqh of Islam has to mould itself with the changing conditions in the social and the economic fields. We cannot therefore expect the early doctors to have fore-seen the modern problems and to have worked out their solutions.

The nearest and the easiest way for the Academy to reform the existing conditions would, therefore, be to study the legacy of Islam which comprises various elements and to codify it into three authoritative encyclopaediae : the first for the study of the Qur'an, the second for the study of Hadith and the third for the study of Fiqh. The Qur'an will here be explained in the light of authentic sayings and modern scientific knowledge. Due place will be given to the sound explanations of the later Scholars side by side with those of the early savants. The Hadith will be codified from the authentic collections of Hadith, and explained in the light of researches in the fields of History, Sociology, Ethics, and philosophy. Fiqh will be codified from the practice that has come down to us and from the sound interpretations of the legal Schools.

These three collections will form an authority for legal decisions and the basis for all fatwas. Summeries of these will then be bublished for study in education l institutions; and these along with the origionals will be translated into most of the Eastern languages and the most important western languages, and copies

(Cont. P. 4)

Azhar should be reorganized and broad-based. With this object in view the Revolution passed the new law for the reorientation of this great centre of Muslim learning. Among the other new institutions established by this Law, is the Islamic Researches Academy which brings together Muslim Scholars and savants from all the countries. This new forum will strive to liberate Muslim thought from blind following, to purge the sunna from spurious and unauthentic traditions, to modify the Sha iah within the framework of the Quran and the Sunna, to cleanse the faith from encrustations and harmful innovations and to present the faith of Islam to the peoples of the world in clear terms and on scientific lines. We hope that the Academy will give us its considered view on the three following issues, viz. Uniformity of belief, purging of the Shariah and permission to the use of personal interpretation. The lack of these factors has greatly distorted our religion, torn asunder our unity and hindered the progation of Islam.

The uniformity of belief fell a prey to political parties, and worldly gread till the number of schisms in Islam reached seventy-two. Each one of these Schisms tried to overcome the other, and to do so it sought to prove its validity with spurions and unauthentic traditions. But, however, all these schisms disappeared one by one before the end of the seventh century of the Hijrah, except the Zahiri School which held its sway in Spain and certain parts of Morocco. As for the legal Schools, they finally resolv d into four Schools of the Sunnites and some Schools of the Shiites. The differences among the various Schools of the Sunnites on the one hand, and the Sunnites and the Shiites on the other hand grew in intensity with the passage of time till finally they were estranged from each other so much that some Hanfite doctors held that a Shafii girl was not a kufu (suitable) for a Hanifite boy, and in the same way some Shiite doctors held that a Sunnit boy was not a Kufu for a Shii girl. Later these differences narrowed down and this attitude of hostility towards each other gave way to one of tolerance. It was then said that the followers of each School Should believe that their School was basically right though it might be wrong; and that the other Schools were basically wrong though they might be right. Recently doctors of the various Sunnite Schools have Shown signs of unity and rapproachment not only among the various Sunnite Schools but also between these, and the Shiites.

CAIRO CONFERENCE OF MUSLIM SCHOLARS

BY A. H. AL-ZAYYAT

EDITOR - IN - CHEIF

Just a few weeks ago ended the summit Conference of the Heads of Arab States, and has now commenced the Conference of Muslim Scholars. While the former conference discussed at the highest level issues relating to political unity, the latter will seek to pave the way for religious uniformity. In fact these two conferences compliment each other.

Both these Conferences are an echo of the Great Revolution that started on the banks of the Nile of Amr bin al-As, then moved to the banks of the Burdi of Khalid bin Walid and later to the banks of the Tigris of Sa'd; it echoed in the mountains of Yemen and its light shone on the shores of the Mediterranean bringing life to Algeria. It created hopes and kinddled courage. It connected the bonds that were broken. In short it awakened the Arabs to a new life of unity and a brilliant future.

A revolution cannot usrvive without a faith even as a body cannot live without a soul, and a ship cannot reach the goal without the guidance of the pole-star. The Revolution can certainly soften iron, grow fields on stones, harness the Nile, Manufacture rockets, spread Knowledge and provide amenities for the people, but without the moving force of faith can it stimulate hearts that are dying to a life of piety and responsibility ? The leaders of the Great Revolution were alive to this need : they were sure that the new revolutionary society would not live without religion. They also knew that religion would not keep pace with the changing times without the guidance of Azhar. When the educational needs of Azhar are complete and when it adapts itself to the new situation, it will usher in the East a free and original Renaissance that will reorientate the entire East, for when its culture, derived as it is from Revelation and the laws of Nature, will come into contact with the modern thought, they will react on each other, and this fusion of the ancient culture with modern thought will give birth to reorientation of religion as Allah wills it.

It was, therefore, necessary that

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء العاشر ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ ذو الحجة سنة ١٣٨٣ هـ ـ مايو ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وزير الدين والخير

بقلم : أحمد حسن الزيات

شاء العليم الخبير صاحب الدين وواهب الخير أن يتولى أمور الأوقاف وشئون الأزهر في مرحلة الانطلاق الثوري العالم الأديب أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء فكانت هذه الولاية توفيقا من فضل الله، وتحقيقا لأمل المسلمين، وتصديقاً للقول المأثور: لا يزال الناس بخير ما ولوا خيرهم أمرهم. والمهندس الشرباصي بإجماع الرأي متميز بالدين والعلم والخلق والكفاية، فليس عجيبا أن تعقد عليه الآمال في تعميم الخير في الأوقاف عن طريق العدالة، وتجديد الدين في الأزهر عن طريق الدراسة.

ولقد لقيته يوما من أيام الصيف الأسبق في مصيف بلطيم، وكنت قد عرفته من قبل بالسماع، والسماع بسراوة خلقه وسمو أدبه مستفيض، فلا يجرى ذكره على لسان مثقف إلا روى عن مجالسه ونوه بمواهبه وحدث عن أياديه.

راعني وأنا أحدثه سعة اطلاعه على الأدب وطول باعه في البلاغة، فقلت له: إن ما أصبته من علوم الهندسة، إنما جاءك عن طريق المدرسة، فمن أي طريق جاءك هذا الذوق الصافي لروائع الأدب، وهذا العلم الوافي ببدائع الفن؟ فقال في لهجة المتواضع

الكبير : جاءنى من نشأتى الأولى بين شباب الأزهر أيام الطلب ، فكنت آخذ فيما يأخذون من اللغة والأدب ، وأحمل نفسى على مجاراتهم فى الاطلاع والبحث ، حتى تحرك فى فطرتى النزوع إلى فقه الدين وعلم العربية .

وهذه النشأة وإن كانت كنشأة حافظ إبراهيم بين طلاب الجامع الأحمدى لا تكفى وحدها لتجعل من المهندس الشرباصى أديبا ولا من الضابط حافظ إبراهيم شاعرا ، وإنما كانت فى الرجلين تنبيها لملكة غافية ، وتوجيها لاستعداد موهوب ، وقد استمر أثر هذه النشأة فى حياة المهندس العاملة حتى وثق الصلة الفكرية بينه وبين العقيه الأديب الأستاذ الباقورى ، فكان لهما فى كل ليلة ندوة أدبية يندو إليها صفوة المفكرين والباحثين من رجال الأزهر وغيرهم ، فيتذاكرون فيها دقائق المسائل ورقائق الأحاديث وطرائف النوادر ، ثم ينصرفون عنها وفى أذهانهم أقباس من الهدى والنور تشع فى كل مجلس ، وتشيع فى كل عمل .

هذا الأدب الذى استفاده الشرباصى من مناشئ فطرته ، ومن طبائع نشأته ، قد استحال فى حياته العاملة أدبا فى نفسه يتخلقه ويعمل به ، وأدبا على لسانه يتذوقه ويتصرف فيه ، وأدبا على سمعه يعيه وينضح عليه . فكان بهذا الأدب النفسى واللغوى والفنى عظيما تتجلى عظمته أكثر ما تتجلى فى دماثته ، فأنت تتقلب منه فى مثل أعطاف النسيم لينا ورقة ، وفى مروءته ، فهو يشبع الفضل إشباعا هادئا فلا من ولا زهو ولا تكلف ، وفى تواضعه ، فأنت تحدثه حديث الصديق للصديق أو الند للند فلا تشعر أهو الوزير أم أنت .

* * *

إن للأزهر بفضل هذه الشمائل فى نائب رئيس الوزراء نواشئ من الأمل لن تكذب ، وبوادر من الظن لن تخطئ . وإن الأزهر فى مرحلة الانطلاق الثورى غاية لن يعوقه عنها تخلف من ماض ولا تعسف من حاضر ؛ فإن الثورة العامة لن تبلغ مداها البعيد إلا فى هداية العقيدة ورقابة الضمير ، ومن أجل ذلك رأت قيادتها تطوير منهجه وتصحيح مفهومه فسنت له القانون الجديد . والقانون ميت ما لم يحيه التنفيذ ، والتنفيذ باطل ما لم تحققه العدالة ، والعدالة التى يأمر بها الله ويرجوها المسلمون أن يبقى الأزهر كيانه وسلطانه ، ولن يبقى له هذا الكيان وذلك السلطان إلا إذا قام بنيانه الجديد على أركانه لا على أنقاضه . والأركان التى بنى عليها الأزهر العتيق هى تبليغ الرسالة العظمى ، وحماية اللغة الفصحى ، وتصحيح العقيدة العليا ، وتوجيه الأمة الكبرى ،

فإذا توسع فى ضروب العلم وأحاط بفنون المعرفة فذلك ليتسع أفقه فى فهم الرسالة ، ويبعد مداه فى نشر الدعوة . وتلك الأركان هى التى رسخت أصولها فى نفوس المسلمين تحت كل أفق فليس من الخير أن تنقض ولا أن تزعزع ، والأزهر بهذا المعنى زعامة روحية كسبها لمصر علماؤه الأخيار وأبناؤه الأبرار فى مدى عشرة قرون .

* * *

إن الجمع بين شئون الأزهر وأمور الأوقاف فى يد واحدة تصرفها على خطة مرسومة لغاية معلومة حسنة من حسنات الثورة . وهى سياسة يقتضيها منطق الأشياء ويؤيدها حكم الواقع ، فإن الأزهر يفقه فى الدين ويدعو إلى الخير بالدرس والنظر والاجتهاد والتعليم والتأليف والحجة ، وجهاز الأوقاف ينفذ ويطبق بالإمامة والخطابة والوعظ والإحسان والإيمان والعمل . فالتلاؤم فيهما واقع ، والتلازم بينهما قائم . فنى تولتهما يد مصرفة ورأى نضيج ونية صادقة وعزيمة نافذة انطلقا معاً فى الآفاق التى كشفها التحويل الثورى انطلاق النور المادى من بؤرة الشمس ، أو الروح السارى من كلمة الله ، فيتهيأ الإصلاح بالروح والمادة ، ويتحقق الكمال بالدين والدنيا ، وتكتمل الوسائل للنهوض والعمل .

وفى رأى المراقبين من رجال الأوقاف والأزهر أن الله قد حمل الشرباصى هذه الأمانة فى هذه المرحلة ، ليوفق بين قديم الجامع وجديد الجامعة ، وينسق الأمر بين كراسى الدرس ومنابر الدعوة ، وينظم الإحسان بين واقفيه ومستحقيه ، ويمهد السبيل للتعاون المثمر بين مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الأوقاف ليجمعا القلوب والشعوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة عن طريق التعارف والتآلف والتشاور ، ذلك لأن سلطان الدين أكمل وأشمل من سلطان السياسة وقوة الحكم ، فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس . ولكن ذاك ينبسط على كل مكان فيه لله ذكر ، ويهيمن على كل إنسان له فى الإسلام فكر . وعلماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم ينذروا أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينهوا المخطىء ، ويوجهوا الحائر ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق .

ولو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من

المؤتمرات التي تعقد العام بعد العام ، في الدولة بعد الدولة !

ولقد كان من سنة التحويل التي استنتها الثورة أن قضت على هذا الجمود بإنشاء مجمع البحوث ومؤتمره ، ودعم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وجهازه ، ليكون منهما للإسلام مؤتمران يجمعان زعماء الرأي في أهله ، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ويتفقوا على ما يجرى العمل عليه ، وينفوا عنه ما غشيه من أباطيل القرون وأضاليل النحل ، ويجلوه للناس كما كان صالحا للحياة ، حافزا على العمل ، كافلا للفوز ، ضامنا للوحدة .

ذلك بعض ما يرجوه كل عربي ويأمله كل مسلم من وزير الدين والخير ورجل الإصلاح والعمل ، وما ذلك على العامل الصادق بعزيز .

أحمد حسن الزيات

السد العـــــالى

احتفل في يوم الجمعة الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٦٤ بتحويل النيل عن مجراه الأصلي إلى قناة التحويل احتفالا تاريخيا لم تشهد له البلاد مثيلا حضره مع الرئيس جمال عبد الناصر القادة العرب ورئيس حكومة الاتحاد السوفيتي وممثلون من جميع أنحاء العالم .

وبذلك تكون قد تمت مرحلة هامة من مراحل تنفيذ هذا المشروع العظيم يمكن عندها حجز مياه إضافية أمام السد الجديد يستفاد منها في تحويل رى الحياض إلى رى دائم الأمر الذي يؤدى إلى التوسع الزراعي وهذه أولى ثمرات المشروع .

ومن المزايا الكبرى التي حققها مشروع السد العالى الكسب العالمي العظيم لشعب الجمهورية العـــربية المتحدة ، إذ تغلب بإرادته وإصراره على أعتى الدول الاستعمارية التي وقفت في وجه المشروع وكان الدرس المستفاد من وراء هذا أن بإمكان الدول الصغيرة التي حباها الله بالقيادة المخلصة والشعب المؤمن أن تحقق النصر الكامل على أقوى الدول ذات العتاد والسلاح والقوى البشرية الكبيرة ، وفي هذا يقول السيد الرئيس في إحدى خطبه : « إن السد العالى لن يبنى بالصخور ولكن بإرادة مصر وتصميم شعبها » .

ولعله من المناسب أن نشيد بالمعونة الصادقة التي قدمتها حكومة الاتحـــاد السوفيتي للمساهمة في إقامة المشروع الذي سيوفر بعد تمامه زيادة على ما ذكر طاقة كهربية هائلة تبلغ ١٠ مليار كيلوات ساعة سنويا كما سينتزع ما يقرب من مليوني فدان من أراضي الصحراء ويحولها إلى مزارع خضراء .

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

— ١ —

الطلاق فى اللغة :

هو فك القيد عن المقيد حسا أو معنى .

يقال : أطلقت البعير من قيده ، أى حللته عنه ، وأطلقت الأسير من إساره ، أى خليت سبيله ، والطليق أيضا : العبد الذى نال حريته فخرج بها من قيود الرق .

ويستعمل الطلاق أيضا فى معنى الترك والمفارقة ، فيقال : طلق البلاد ، أى فارقها ، وطلق القوم ، أى تركهم .

واستعماله فى إنهاء عقد الزوجية ملاحظ فيه كل من هذين المعنيين .

فالرجل يطلق زوجته ، أى يحلها من قيد الزواج ويفارقها ويتركها ، فهى طالق .

وقد سئل بعض العرب فقيل له : أطلقت امرأتك ؟ فقال : نعم والأرض من ورائها !

ويقال : رجل مطلاق ، أى كثير التطليق للنساء ، ومنه حديث على كرم الله وجهه : « إن الحسن مطلاق فلا تزوجوه » .

الطلاق فى اصطلاح الفقهاء :

والطلاق فى اصطلاح الفقهاء ينظر إلى هذا المعنى اللغوى مع إضافة بعض القيود : فهو « رفع القيد الثابت بالنكاح فى الحال أو المآل بلفظ مخصوص » .

فرفع هذا القيد فى الحال يكون بالطلاق البائن ، ورفعه فى المآل يكون بالطلاق الرجعى .

والمراد باللفظ المخصوص هو ما كان :

صريحا فى إفادة معنى الطلاق وحل العصمة مثل طلقتك ، أو أنت مطلقة أو أنت الطلاق .

أو كناية ، وهو ما يحتمل الطلاق وغيره ويترجح فيه معنى الطلاق بالقرائن ، أو بالنية كأن يقول لها : « أنت خلية » أو « برية » أو « مطلقة » بسكون الطاء من الإطلاق ، أو « حراء » .

والفرق بين « مطلقة » بتشديد اللام وفتح الطاء ، و « مطلقة » ـ بسكون الطاء : أن الأول من « طلق » وقد غلب استعماله فى حل العصمة ، فصار حقيقة عرفية ، أما الثانى فمن « أطلق » ويغلب استعماله فى الإطلاق من القيود الحسية ، فلا ينصرف إلى حل العصمة إلا بمرجح لذلك .

الطلاق فيما قبل الإسلام :

مبدأ الطلاق معروف ومسلم به إجمالا فى الأمم والشعوب قبل الإسلام .

فقد كان جائزا عند قدماء اليونان ، وكان للرجل أن يطلق المرأة ، وليس لها أن تطلب التطليق .

ودلت بعض العقود التى عثر عليها عند الجرمان على أن الطلاق كان جائزا عندهم إذا اتفق عليه الزوجان .

وأجاز قدماء الرومان الطلاق للزوج والزوجة كليهما ، ثم أدركته بعض التطورات التشريعية عندهم ، فألغى حق الزوجة فيه وقصر على الزوج ثم أعيد هذا الحق مرة أخرى للزوجة ، ثم جعل بالاتفاق بين الزوجين .

« والشريعة اليهودية تجيز الطلاق ، ولا تمنع الرجل من طلاق زوجته ولو بغير سبب سوى رغبته فى التزوج بأجمل منها ، إلا أنه لا يليق برجل من أهل الخير والمعروف أن يقدم على الفراق بدون سبب يستوجب الطلاق ، والأسباب التى يحل معها الطلاق هى الزنا والعقم وعيوب الخلقة أو الخلق .

بل أوجبوا على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات أن يفارقها ويتزوج بغيرها .

وإذا طلقت الزوجة ، ثم اقترنت بزوج آخر ، ثم طلقت منه أو مات عنها ، فلا يجوز للأول أن يتزوجها مرة ثانية ، وقد ورد فى سفر التثنية (إصحاح ٢٤ - ١ عدد ١ - إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شىء ، كتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته عدد ٢ فإن أبغضها الرجل الأخير كتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود ليأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست » .

٥ - أما الشريعة المسيحية فلا تجيز الطلاق إلا لعلة الزنا ، ومن نصوص إنجيل متى (الإصحاح الخامس) . عدد ٣١ : « وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا أقول لكم ، إن من طلق امرأته لا لعلة الزنا يجعلها تزنى ، ومن تزوج مطلقة فإنه يزنى » .

ويعللون هذا الحكم فى الشريعة المسيحية بأن الزواج سر مقدس من الأسرار الإلهية التى تتم مرتبطة بالطقوس الدينية تعبيرا عن ارادة الله ، فإذا كان انحلال الزوجية بإرادة أحد الزوجين أو باتفاقهما فقد غلبنا إرادتهما على الإرادة الإلهية .

ولقد ظهر لكثير من المشتغلين بشئون الأسرة أن هذا الحكم شديد ينبغى إعادة النظر فيه تيسيرا على الناس ، وبذلت بعض المحاولات للتوصل إلى نوع من هذا التيسير كأن يكون الاتفاق والتراضى بين الزوجين سببا من أسباب التطليق يعرض على سلطة فتجيزه أولا تجيزه ، ولكن هذا لم يستقر عليه الأمر بعد ، لأنه يصطدم بقواعد الشريعة المسيحية .

وهناك عادات وتقاليد وتشريعات وضعية غير هذا كله فى مختلف الشعوب قديما وحديثا تتفاوت قربا وبعدا فى شأن الطلاق بالنسبة

لما ذكرنا ، وليس من منهجنا فى هذا البحث أن نطيل ذكرها وبيان ما فيها من تفاصيل .

بيد أنه لابد من ذكر خلاصة لما كان عليه أمر الطلاق عند العرب فى الجاهلية لشدة ارتباط ذلك بما ورد نقدا له أو نهيا عنه فى مصدرى الشريعة الأساسيين وهما القرآن والسنة .

فقد كان الطلاق معروفا مسلما به عند العرب فى الجاهلية ، وكانت لهم فيه عادات وانحرافات.

منها : أن الطلاق لم يكن له حد ولا عدد معين فالرجل يطلق امرأته كما يشاء ، وفى أى وقت يشاء ، ولو تكرر ذلك عشرات المرات

فإن كان الطلاق لمغاضبة عارضة عاد الزوج بعد أن يسكن غضبه وتهدأ نفسه - فراجع زوجته قبل انقضاء عدتها واستقر معها ، وإن كان لمضارة المرأة ومكايدتها ، طلقها ثم أعادها قبل انقضاء عدتها ثم طلقها ثم أعادها ... وهكذا.

وكان النساء يلاقين من ذلك حرجا كبيرا فلا تعد المرأة نفسها مطلقة ولا متزوجة ولا تشعر بأن حياتها سعيدة أو شقية ، إنما هى فى يد الزوج يتحكم فيها كما يشاء دون أن يكون لها أى حق فى الاعتراض عليه ومحاولة وقفه عن طغيانه .

ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : «كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها ، ثم يفعل ذلك يضارها ويعضلها أى يمنعها بذلك من أن تتزوج من غيره إذا تم طلاقها منه .

وقد استمر هذا يحدث حتى أبطله الإسلام.

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : «كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلق وهى امرأته إذا راجعها وهى فى العدة ، وإن طلقها مائة أو أكثر ، حتى قال رجل لامرأته : والله لا أطلقك فتبينين منى ، ولا آويك أبدا قالت وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضى راجعتك ، فذهبت المرأة فدخلت على عائشة رضى الله عنها فأخبرتها بذلك ، فسكتت حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فلم يقل شيئاً حتى نزل قوله تعالى : «الطلاق مرتان : فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره »

وفى رواية مما روى به ذلك عنها : «قالت عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلا : من كان طلق ، ومن لم يكن طلق ، أى ساروا فى مستقبل أمرهم على ما شرعه الله تعالى من ذلك ، سواء منهم من كان قد سبق له الطلاق على غير هذا الحد ، ومن لم يكن طلق .

ومن انحرافات الجاهلية فى شأن الطلاق أيضا ، أن الرجل كان يطلق زوجته ثم يدعى أنه إنما طلقها لعبا ولهوا ولم يرد الطلاق -

ويدل على ذلك ما ورد فى أسباب النزول ، بما أخرجه ابن أبى عمر فى سنده ، عن أبى الدرداء قال : «كان الرجل يطلق، ثم يقول لعبت ، ويعتق ثم يقول : لعبت ، فأنزل الله تعالى قوله : «ولا تتخذوا آيات الله هزوا» .

ولقد أنف بعض النساء فى الجاهلية تحكم الأزواج فى زوجاتهن بأسلوب العضل والمضارة الذى ذكرناه ، فكن يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن ، إن شئن أقمن وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق، وذلك لقدرهن وشرفهن واعتزازهن بما لهن من كرامة ، ومن هؤلاء سلمى بنت عمرو ابن زيد الخزرجية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وعاتكة بنت مرة ، وغيرهن .

وكان لهؤلاء النساء وأمثالهن ممن جعلن أمرهن بأيديهن عادة طريفة إذا أردن تطليق أزواجهن ، وتلك هى تحويل باب الخباء ، فإن كان بابه قبل المشرق ، حولته المرأة قبل المغرب ، وإن كان بابه إلى جهة اليمن ، حولته إلى الشام ، فإذا عاد الرجل إلى الخباء فرأى ذلك ، علم أنها قد طلقته ، فرجع من فوره ولم يدخل .

وكان الجاهليون يعرفون أنواعا من الطلاق وهى :

١ — الطلاق المعروف ، ويكون بلفظ «أنت طالق، أو حبلك على غاربك، أو اذهبى، حيث شئت» ، أو «أنت مخلى كهذا البعير» .

٢ — الإيلاء وهو الحلف على ترك قربان المرأة مدة ، وغالبها عندهم سنة أو سنتان .

٣ — الظهار ، وهو تشبيه الرجل زوجته بمحرمة عليه ، حرمة تأبيد ، كأن يقول لها : «أنت على كأمى» ، أو «كظهر أمى» ، — ولما كثر التعبير الثانى فى هذا النوع سمى «ظهارا» .

٤ — الخلع وهو الطلاق فى نظير مال تبذله المرأة لزوجها ، أو فى نظير إعادة ما دفعه لها من مهر ، وقد رووا أن عامر بن الظرب زوج ابنته من ابن أخيه ، فلما دخل عليها نفرت منه ، فشكا إلى أبيها ، فقال له : لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك ، وقد خلعتها منك بما أعطيتها .

* * *

ويتبين مما ذكرنا أن العالم قبل الإسلام كان يتنازعه مبدءان :

أحدهما : عدم الاعتراف بمشروعية الطلاق إلا فى حالة واحدة ، هى حالة الزنا من أحد الزوجين .

الثانى : الاعتراف بمشروعية الطلاق ، على تفاوت فى تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التى يستعمل فيها هذا الحق ، والأسلوب الذى يكون به ، وأن هذا التفاوت قد وصل فى بعض المجتمعات إلى حد التعسف من قبل الزوج ، رغبة فى اضطهاد المرأة ، وإهدار كرامتها الإنسانية وحقوقها الزوجية ، بل إلى حد التلهى بالطلاق واتخاذه هزوا ولعبا

فماذا كان موقف الإسلام ؟ (يتبع)

محمد محمد المدنى

الموطأ للإمام مالك

للأستاذ الفاضل بن عاشور

تمهيد :

لئن كان القرآن الكريم ، نبع نهر الثقافة الإسلامية ، فإن تحت القرآن كتبا فصلت حكمته ، وأشاعت هديه ، ثبتت ما أحكم فيه ، وفصلت ما تشابه منه .

وإن الثقافة الإسلامية لم يبلغنا سيلها سلسالا عذبا فراتا ، إلا بعد ما امتزجت ولائذ تلك الكتب ، بأمهات الحكمة القرآنية فربتها وانقلبت بها كوثرا - وإن لم تكن بدونها ثمدا .

فهلم بنا نقف على تلك الكتب ، وقفات ترينا تكونها ، وتصرفها ، وصور ما ضمنت من معان تخريجية ، وتوجيهات تربوية ، هي التي تكاملت الثقافة الإسلامية بها بحيث لا ينفرد واحد منها بتكوين تلك الثقافة ولا تتقوم تلك الثقافة بالخلو عن واحد منها .

فإن الثقافة ليست المعرفة ، ولكنها كيفية نفسية تنطبع عليها المدارك والمعارف بحيث يكون إدراك كل ذي ثقافة لحقيقة من حقائق الوجود ، أو مطلب من مطالب المعرفة ، مختلفا في كيفيته ، عن إدراك ذي ثقافة أخرى ، فتختلف الثقافات ، ولا تختلف المعلومات ، ولذلك قيل : إن العلم لا وطن له ولا قومية ، أما الثقافة فهي بنت القوميات وربيبة الأوطان .

فالكتب التي نعتبرها ، روافد الثقافة الإسلامية ، لم يثبت لها هذا الاعتبار بجمعها معلومات عن الإسلام ، أو تقريرها أحكامه وآدابه ، ولكنها كتب ضمنت من الصور وجمعت من المثل ، وفصلت من الدقائق وقربت من الأذواق ، ما يتكون من مجموعه أثر نفسي ، يحصل من الاتصال بذلك الكتاب ترقى به النفس على صورة من الإدراك ، تتكامل أجزاؤها من بين ذلك الكتاب وأمثاله حتى تحصل فيها الكيفية التي يختلف بها إدراك المسلم للمعاني والحقائق ، عن إدراك غيره فتلك هي الثقافة الإسلامية ، وتلك روافدها .

الموطأ للإمام مالك :

حقا ، إنه ليس لنا ، معاشر المسلمين ، فيما للأمم من كتب ، إلا كتاب واحد وهو القرآن وإن الحرص على أن يبقى ذلك الكتاب لا ريب فيه ، ساميا عن أن يدنو غيره من منزلته ، لم يزل شأن الملة الإسلامية ، أخلافا عن أسلاف .

ثم إن من يذكر ما وقع فيه أهل الأديان المتقدمة من زيغ وباطل وضلال ، حين كتبوا الكتب المتضمنة غير الوحى الإلهى فتعبدوا بكلمتها واتخذوها صحف الملة ، ومرجع الدين ، وقدسوها وعكفوا عليها وألزموا الناس باتباعها ، ومن نفذت إلى روحه قوارع القرآن العظيم فى نعيه على هؤلاء فعلهم ، فاقشعر جلده من خشية الله أن يصيبه بما أصابهم ليشتد حذره من ذلك ، ويقوى حرصه على أن يباعد ما بينه وبين الشبه بهؤلاء الذين ورد فيهم مثل قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » .

كذلك مضى السلف الصالح لهذه الأمة الإسلامية ، على أن يحموا عقيدتهم من أن تتعلق بأثارة من علم مكتوب تنزل من عقيدتهم منزلة الشيء المخالط لكتاب الله تعالى ، أو المعقب له مثل ما وقع فى مخالط التوراة والإنجيل وعقب عليهما . من التلمود والمشنا بالنسبة إلى العهد القديم ، أو أعمال الرسل والرسائل بالنسبة إلى العهد الجديد .

ولما كتبت المصاحف ، كان الحرص قويا على أخذ الحيطة من أن يوضع مع كلام الله غيره ، مجموعا إليه بين دفتى مصحف واحد .

ومن ذلك ما يؤثر عن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، من أنه لم يرتض من سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فعله فى كتب القنوت والتشهد وغير ذلك فى مصحفه محاشاة للمصحف الكريم عن أن يشمل شيئا غير القرآن ، فإن عثمان وإن كان يعلم أن عبد الله بن مسعود لا يغلط فيعتبر من القرآن ما ليس منه ، وأن عبد الله لا يختلف مع عثمان فى ذلك فإن فيمن سيأتى به الزمان من الأخلاف ، من قد يغلط فى ذلك أو يبتدع فيه ، فيئول به غلطه أو ابتداعه إلى أن يختلط كلام الناس بكلام الله ، اختلاطا يلزم الأمة من أمر ذلك ما لا يلزمها فى دين الله ، كما وقع من الذين مضوا قبلنا ممن جعلهم الله عظة لنا .

وكذلك كلما جاءت الرغبة فى أن تجمع أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأعماله تحصن لرجال من القائمين بخلافته فى أمته من بعده ، كتابة ذلك ، قامت الخشية من الفتنة ، والحرج من البدعة ، ما نعا من إنجاز تلك الرغبة ، لاسيما إذا كانت الكتابة من الصحابة الذين جاء بتزكيتهم القرآن وأجمعت الأمة على أنهم قدوتها ، وأن أحدا من سواهم لا يبلغ مقامهم فى الدين ولا يدانيه .

فكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كلما خطر له خاطر كتابة الأحاديث

والسنن النبوية ، استشار واستخار ، ثم أحجم عن ذلك شاكا ، وأعرض عنه قاطعا بقول .

« ذكرت قوما من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتبا ، فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشىء » .

ولقد كان فى هذه الصرفة الإلهية ، قانون فاصل ناهيك به من فاصل ، بين القرآن العظيم الذى هو نبع نهر الثقافة الإسلامية ، وبين ما أتى بعده من روافد انصبت إلى ذلك النهر هو فاصل قرن كامل ، ينتظم ثلاثة أجيال من الأمة . الصحابة والذين يلونهم ، والذين يلونهم لم يكن فيه للدين من كتاب غير القرآن ، وكان مع ذلك انتشار الدين مطردا ، ودولته متسعة وفقهاؤه مجتهدين فى إقامة شريعته . وطريقة رسولهم الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فى تقرير احكام الدين والاجتهاد فيه ، موقرة فى نفوسهم لا يرجعون فيها إلى سفر ، ولا ينشرون لأجلها صحيفة .

وكانت أقوال الرسول وأعماله وتقريراته ، تصل إلى المجتهدين بطريق الرواية الفردية معرضة إلى ما تتعرض إليه الروايات والأخبار من تحر فى النقد ، وحاجة إلى الأخذ والترك ، والتعديل والتجريح حتى حصل من تتابع ذلك ، جيلا فجيلا ، شعور بأن ليس للفقه فى الدين مرجع ضرورى بعينه ، إلا ما تطابقت عليه الروايات تطابقا أحله بمحل المنقول بالتواتر ، أو ما تواردت عليه أقوال المجتهدين تواردا تدرج به فى سلم مراتب الاجماع ، بحيث أصبحت العلوم المستند إليها فى تقرير الأحكام الفقهية وليست جزئيات قطعية الأعيان فى ذاتها يرجع إليها كما يرجع إلى نصوص القوانين ، ولكنها خلاصات كلية نشأت من استقراء موارد التصرفات النبوية فى تطبيق أحكام الدين ، من باب الفقه ، وما الفقه إلا استنباط من مدارك الشريعة أو أصولها التى هى الدلائل الإجمالية المستمدة من كلام الوحى . والسنه فى ذلك مثل القرآن لأنها أيضا وحى يوحى . ولكن ليست السنة مادة تلقينية للفقيه يجد فيها الأحكام مفصلة تفصيلا جزئيا ، ولكنها مادة تخريجية يستنبط منها الفقيه الأحكام التى يكون هو واضعها فى مجالها بصورة جزئية فممارسة السنة ، إذن ، أمر ضرورى لا يتم للفقيه عمل بدونه ولكن السنة لا تقرر بذاتها الحكم الشرعى تقريرا مباشرا جزئيا . حتى ينضم إليها عمل الفقيه ، الذى هو النظر والفهم ، وتحقيق الصور بمتفقاتها ومفترقاتها ، ونقد طرق الرواية وتأويل المختلف منها بالجمع أو بالترجيح ، فممارسة الفقيه لجزئيات السنة تكون فيه أثرا هو أقرب إلى الآثار التوجيهية التربوية ، بحيث لا يمكن أن يعتمد تلك الجزئيات جميعها

ولكنه يتصرف بالملكة الحاصلة من جميعها فالصرفة الإلهية التي تأخر بأمرها تدوين السنة إلى منتصف القرن الثاني هي التي هيئت الأمة لإدراك مقام السنة من التشريع حتى لا يخيل إليها أن هناك كتابا لازما لتقرير أحكام الدين لزوم القرآن أو قريبا منه حين تدرك أن السنة لم تدون بالكتابة إلا بعد مضي الفقه أشواطا مستندا إليها متصرفا فيها وبعد أن استوى الناس بانقراض الصحابة فلم يبق فيهم إلا راد ومردود عليه فبذلك تكونت داعية تدوين السنة ناشئة من الفقه، بعد أن أمن الفقهاء من أن يكون في كتابة السنة في منتصف القرن الثاني ما كان يخشى من ذلك في أوائل القرن الأول، فلما قام الفقه، واستقرت المذاهب، وتأصلت حركة الاجتهاد جاء تصنيف السنة تصويرا لعمل الفقهاء وشد للأثر بالنظر، وتقريبا للناس من إدراك مقام الاجتهاد، ومخالطة عمل المجتهدين، إذ يريهم ما أخذوا به من السنن، وكيف تصرفوا في فهمه التصرف الذي أنتج لهم ما قرروا من الأحكام. ولذلك لم يزل الناس يجدون في كتب السنة الأولى تجاذب ناحيتين: يتركهم متسائلين عن أيتهما تغلب، ويمثل ذلك نظروا إلى أول هذه الأوضاع السنية وأقدمها وهو الموطأ فلم يزالوا يتساءلون هل الموطأ كتاب فقه أو هو كتاب حديث.

« ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ». بهذه الكلمة خط الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه منهجه في العلم، وعليها بنى صنيعه في كتابه الذي ابتدأنا به، في روافد الثقافة الإسلامية، كتاب الموطأ: فقد جمع هذا الكتاب قليلا من كثير، هو القليل الذي أثبته، وحدث به وأشاعه في الناس من الكثير الذي رواه وحفظه وكتبه، ثم تركه فلم يحدث به ولم يعتمده، وحال بينه وبين الناس وبذلك كان مالك لهذه الأمة إماما هاديا أراها كيف تخدم الفقه بالعلم وتجمع بين الأثر والنظر، وتقيم معيار النقد للأخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يختلط عليها من أمر دينها، ما ينافي عصمته، ويخل بأحكامه.

فلقد شاع الاهتمام بآثار النبي صلى الله عليه وسلم، قولا وفعلا وإقرارا شيوعا ملأ القرن الأول اهتماما بالأثر، وانصرافا إلى السنة وشاع الاهتمام بآثار الصحابة وأقوالهم وهديهم شيوعا وسع نطاق الأثر، وضخم ثروة السنة في ذلك القرن وكان من طبع هذا الشيوع بما قارنه من قصد إلى ترك التدوين وانصراف عن كتابة الحديث بل وتحذير منها لما شرحناه من أسباب ذلك، أن النقل الذكرى للآثار السنية قد تعرض إلى شيء كبير من

الاختلاط أحوج إلى تمحيص دقيق ونقد عميق، ولقد اهتم العلماء ببيان مداخل الاشتباه وعوامل الضعف وأسباب الوضع بما أغنى ويغنى وقارن كثرة تلك العوامل من موجبات الاختلاط حب بليغ فى نفوس الأمة الإسلامية لنبيها الأكرم وشغف بأخباره وآثاره على نحو ما قال سلطان العاشقين :

أسعد أخى وغنى بحديثه
وانثر على سمعى حلاه وشنف
لأرى بعين السمع شاهد حسنه
معنى فأتحفنى بذاك وشرف

وفى هذه العاطفة الكريمة ما يغطى على كثير من مداخل الخطأ فى الحديث منه . ويمهد سبلا لرواج أحاديث لم يتقنها ومواقع النقد حسن الظن ، وزيفها سوء القصد .

على أن فى المعارف المستخلصة من تأويل مختلف الحديث المختزنة فى قلوب أهل الفقه والرأى بما قذف الله فيها من أنوار ما هو كفيل بتخليص الزيف من الصحيح وتمييز الحق من الباطل وأنها حقا لطريقة مثلى ، ومنزع غريب تلك التى يتمكن بها فكر المستنير من تتبع جزئيات نظرية ظنية حتى يستخرج من استقرائها معارف يقينية ضرورية ثم يستمد من تلك المعارف التى صارت عنده ضرورية مقاييس نقدية سليمة ينعطف بها على نفس تلك الجزئيات التى استقرأها أولا فيتمكن من تقويم بعضها ، وتعديل بعض وإلغاء بعض آخر مستمصحا فى ذلك التقدير النقدى ، بما استقنار فى خلده من معرفة يقينية حاصلة من مجموع تلك الآثار ، وليست ماثلة فى جميعها .

ذلك هو المنوال الذى نسج مالك ابن أنس عليه موطأه ، وذلك هو المهج الذى وصفه وقربه للناس فوثقوا به ، وأقبلوا عليه ، وقوموا به علما إسلاميا جليلا : هو علم الحديث الذى ليس هو كما يظن الواهمون رواية المتون والاسانيد ولكنه البصر فى نقدها ، وطول الباع فى تناول الثابت منها وطرح الزيف المخالط لهـا ، وقديما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع » .

ومن هنا سلك المنوهون بكتاب الموطأ والمعرفون للناس بعظيم شأنه فى الدين مسلك المقارنة بين ما روى مالك وما خرج فيه وانتهجوا نهج التدليل على مكانته ببيان ما حذف منه بعد ما أثبت ، وما نقص بعد ما وفى فقد نقل القاضى أبو بكر بن العربى فى كتاب عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذى : أن مالكا روى مائة ألف حديث جمع منها فى الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل

يعرضها على الكتاب والسنة ويقارنها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة. ونقل القاضي عياض في المدارك أن مالكا وضع الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر ومات وهي ألف حديث ونيف يخلصها عاما بعد عام بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين.

وكان هذا العمل التمحيصي النقدي الذي أتاه مالك في الموطأ مبنيا على أن بيئة الفقه في المدينة قد حوت من مختلف الآثار ورسوخ السنن المتصلة ما يمكن القائم على فقه مجتهديها أن يجعل من مجموع المروي عنهم سندا لتصرفه في الأحاديث بالنقد والتمحيص وذلك مرجع مذهبه في الاحتجاج بعمل أهل المدينة احتجاجا يسمو منزلة على منزلة أخبار الآحاد لأنه ليس شيئا مأثورا عن واحد، وإنما هو معرفة مستنبطة من مجموع أشياء مأثورة عن كثيرين ففي الموطأ أثر نبوي، وفيه مدارك اجتهادية متلاقية بين الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم، وفيه سنن عملية مأثورة منقولة بطريق الاستفاضة عند أهل المدينة وفيه اجتهادات شخصية لمالك. فالآثار النبوية بعضها منقول بطريق الإسناد، وهي ستمائة حديث موصولة سلسلتها من مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أسماء الرواة واحدا عن واحد ذكر تعيين وهي التي اعتمدها جميع المحدثين، وزكوا أسانيدها وخرجوها عن مالك في كتبهم، ورويت عنه في صحيحي البخاري ومسلم.

ومنها أحاديث لم تتصل أسانيدها إما لعدم التصريح بسماعها من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الموقوفة. أو لعدم تعيين الصحابي الذي سمعها منه، وهي المرسلة وهذه الأحاديث الموقوفة والمرسلة التي في الموطأ، وإن لم يروها رجال الصحيح، بعد مالك عنه، لأنهم يختلفون معه في الاستدلال بالمرسل والموقوف، إلا أنهم رووها من طرق أخرى ليس فيها وقف ولا إرسال فثبتت من تلك الطرق عن غير مالك موافقة لما خرجها به مالك مرسلة أو موقوفة، فكان ذلك آية توثيق، وحجة تزكية زائدة لحديث مالك عند أهل الصحيح، بحيث أن كل ما ورد في الموطأ، مرسلا او موقوفا. قد ثبت مسنداً عند أهل الصحيح، إلا أربعة أحاديث معروفة. وأما المدارك الاجتهادية المتفق عليها فهي التي يقول مالك فيها «الأمر الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا» ويقول «الأمر المجتمع عليه عندنا». وأما السنن العملية المأثورة فهي التي يقول فيها: «الأمر عندنا». وأما اجتهاداته الشخصية فهي التي يقول فيها «في ما نرى والله أعلم».

وقد حمله جمعه لهذه الفنون من العلم على

اختلافها أن يسلك بينها مسلك الترجيح الذى لا يعتمد على سلامة الإسناد ، وثقة الرواة وإتقانهم فحسب ، بل يتعدى ذلك إلى النظر فى المعانى . والاجتهاد فى الأقيسة والاستحسانات ، حتى ينتهى به ذلك إلى أن يروى الأحاديث مسندة من أوثق السلاسل عنده ، وهى السلسلة المشهورة عند علماء الحديث بسلسلة الذهب ، مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ، فيخرج بها حديث « المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا » ثم يقول « وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به » . فيبقى الحديث المروى بمنزلة التعطيل مع كونه سليم الإسناد عملا بمقتضى المعارض له من سنة عملية مشهورة ، واجتهاد بالرأى . فعلى ذلك بنى الموطأ على الاختيار ، والنقد ، وشد الأثر بالنظر ، ومعارضة الأخبار والأقيسة والآثار والاجتهادات بعضها ببعض . فروى عنه الآثار من وافقه على عاملها ومعانيها ، ومن خالفه فى ذلك . فكان الرواة عنه من المخالفين له فى المعانى والمحامل ، مجردين للأحاديث مما اتصل بها من فقه ، أو مصرحين بالمخالفة فيه ، فهم مقتبسون من الكتاب اقتباسا لا آخذون بجملته ، لأنه فى جملته كتاب فقه لا كتاب حديث ، لم يقصد منه تبيين ما روى ، وإنما قصد منه تحقيق ما اجتهد ، وإسناد ما نظر ، فما مورد الأحاديث فيه إلا مورد الأدلة للفقه ، والمدارك للأحكام .

« للبحث بقية »

الفاضل بن عاشور

محاورة بين الحجاج وأعرابى زاهد

قال الأصمعى : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر غداؤه ، فقال : أطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيا فى شملة ، فأتوه به ، فقال له : هلم : قال له : دعانى من هو أكرم منك فأجبته قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه . قال فأفطر اليوم وصم غدا . قال : ويضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية . قال الحجاج : تالله ما رأيت كاليوم أخرجوه عنى .

نفحات القرآن

مقام النبوّة فوق سفاهة السّفهاء

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن .

(ب) قل أذن خير لكم يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم .

(ج) والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم .

١ — نرى للقرآن الكريم حملة مستمرة على النفاق والمنافقين .

وإذا شئت أن تتقصى معايب هؤلاء المسخوطين وجدت نفسك أمام ظلمات بعضها فوق بعض .

ووجدت من شنائعهم ما ينزل بهم عن المستوى الإنسانى ، بل ما يخرج بهم عن الآدمية المتعقلة .

كانوا لا يكفون عن سفه القول عامة ، ولا عن الغمز فى شخصية الرسول ولا أهله ولا أصحابه .

وكيفما استطاعوا فهم هدامون للإسلام قديما .

وعلى منهجهم يسير المنافقون المقلدون .

وطالما تكلمنا وتكلم أسلافنا ومعاصرونا عن المنافقين ، ومخازيهم فى الدين ، وفى المجتمع .

وفى الآيات التى معنا شىء من مساوئهم وهيهات أن تنتهى مساويهم إلى حد من الإسفاف .

٢ — كانوا فيما بينهم يتناولون الرسول بالغمزات والمطاعن ، فقال قائل منهم - يوما لا تتحدثوا بهذا لئلا يبلغ محمدا ما نقوله ، فيفعل بنا ما نكره .

فأجابه من أجاب : إذا عرف محمد : أنكرنا وحلفنا له على النفى ، ومحمد يصدقنا فيما نقول له دائما . لأنه أذن ، يعنى يسمع ، ويصدق دون تمييز بين صدق وكذب .

ولفظ الأذن مبالغة منهم فى وصف النبى بكثرة ما يسمعه ، حتى كأنه كله أذن للسمع .

والله تعالى يكشف لرسوله عن هذه النجوى المقوتة، ويلقنه الجواب الحاسم فى قوله :

(ب) قل : هو - الذى تتحدثون عنه فى نجواكم أذن حقا كما تصفونه ولكنه أذن خير لكم، يسمع من جانب الله ما يبلغكم ليهديكم به، ويطاولكم بحلمه، فيصدق ظاهراً ما تدعونه من الإيمان، ويقبل اعتذاركم حينما تعتذرون عن الجهاد، ويتيح لكم أن تجلسوا فى مجلسه، ولا يفضح أمركم ولا يعاملكم بما تستحقون من تنكيل..

وهذه مرونة الإسلام فى إمهالكم، وسياسته فى الدعوة إلى الإيمان كما أمر الله، حتى تكون منكم توبة وتصديق، أو يكون لله شأن فيكم.. وذلك كله خير لكم لو تعقلتم !!

والنبى أعز مكاناً مما تسفهون به ؛ فهو يؤمن بالله أصدق الإيمان، فلا يزيغ كما تزيغون، ولا يكذب على الله كما تكذبون.

وهو يؤمن ويصدق المؤمنين غيركم، ويستجيب لهم عن طمأنينة.. لأنهم آخذون بأدب الإسلام.. فلا يتناجون بالسوء، ولا يتعنتون فى سؤال، ولا يتحللون من تشريع.

وهذه تزكية للمؤمنين، وفيها تعريض واضح ببعض نقائص المنافقين، فوق ما سبقت له الآيات من حديث النجوى.

٣ - وفوق ما تقدم من تبرئة النبى، ووصفه برسوخ الإيمان، واطمئنانه إلى المؤمنين فهو رحمة من الله بالنسبة للمؤمنين ظاهراً، حيث يفسح صدره لهم، ويتغاضى عن أخذهم بما يستحقون.

وهو رحمة - كذلك - للمؤمنين الصادقين، حيث كان سبب هدايتهم.

غير أنه رحمة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة. ورحمة فى الدنيا فقط للمنافقين.

وإذا كان النفاق والسفه نقيصة منكرة، فهما مع الرسول أشد نكراً، ووضاعة.

وما يكون غمزاً فى الرسول من ناحية شخصه أو رسالته، أو أهله، أو أصحابه : فهو بالنسبة إلى جانب الله أقبح من كل قبيح، لأنه تكذيب صراح لكل ما جاء من جانب الله تزكية للرسول فى هذا..

ولن ينال محمداً شىء من هذا السفه : لأنه فى عصمة الله من شوائب النقص، وفى رعاية الله أن يعلق به شىء مما يقال على ألسنة السفهاء.

٤ - والله - تعالى - يتولى بجبروته جزاء السافهين على رسوله فيقول :

(ج) « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ».

أرأيت : أن الله يتوعد بالعذاب الأليم كل من يؤذى عبده ورسوله محمداً، وإن كان النبى فى نجوة من علوق الأذى به ؟ ؟

إن مقام النبوة لأكرم على الله أن يقربه إنسان بسوء. فالويل لمن يحاول الغمز فى هذا المقام، ولو بتلويح من منكر القول وزوره، ولو كان الغمز عن طريق غير مباشر: كأهله، وأصحابه.

٥ — وقد أفاض القرآن فى الثناء على رسول الله، وعلى أهله، وأصحابه: حتى لا يستهين إنسان بتوريط نفسه فى المساس بجانب النبى – صلى الله عليه وسلم – من أى ناحية تتصل به.

وصفه القرآن بمناقب ثلاث: فقال: «عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم. بالمؤمنين رءوف رحيم». فالنبى صلى الله عليه وسلم يشق عليه أن يقع الناس فى مخالفة شريعته الحقة... وهو حريص على تحقيق النفع للمؤمنين... وهو بالمؤمنين شديد الرفق، فلا يكلفهم ما يصعب عليهم ولا يختار لهم إلا الأيسر من الطاعات. وهو رحيم بهم، فلا يواجههم بمكروه، ولا يدع سبيلا لليأس إلى نفوسهم وإنما يهون عليهم، ويجنح إلى التيسير فى دينهم وفى دنياهم. ومن كانت هذه صفاته فلا يليق الغمز فيه، ولا الغض من شأن أهله أو أصحابه فهذا يؤذيه.

٦ — وقد كانت للمؤمنين – قديما – بعض هفوات لا يلحظونها إزاء الرسول، ولكن الله عليهم حكمها: حفاظا على الأدب مع الرسول حتى لا يناله الأذى منهم، ولو عن غير عمد وانظر إلى قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام، غير ناظرين إناه. ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق!.. إلى أن قال: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا، إن ذلكم كان عند الله عظيما».

فهذه آية تزجرهم عن هفوات لم يكونوا يفطنون لها، حتى لا يدخلوا بيت النبى إلا بإذن، فإذا دعاهم إلى الطعام، جاءوا على موعده دون مبادرة عن وقته كثيرا فإن ذلك مدعاة الانتظار.. وهو غير لائق، ومدعاة التطلع إلى ناحية الطعام، وقد يقع النظر على غير ما يراد أن يعرف من شئون البيت وفى الآية أمر بالانصراف بعد الطعام.. دون إطالة فى الحديث. فان كل ذلك كان يؤذى رسول الله، لما يجر إليه من المحذور. وخاصة فى تلك البيوت الضيقة التى لا تسمح بالمكث لغير أهلها والنبى كان يخجل أن يصارحهم بالانصراف، والله لا يستحى من مصارحة عباده بما هو حق، ويعلمنا ألا نتحرج من قول الحق.

٧ — وفى الآية نهى للمؤمنين عامة من التزوج بإحدى زوجاته ، بعد أن يفارقها الرسول : حيا أو ميتا . . فيقطع الله ، خواطر من كان يحدث نفسه بذلك من المسلمين قبل معرفة الحكم ، ويصرح الله فى القرآن بأن هذا الإيذاء يعتبر عند الله جرما عظيما .

وهل كان يليق بمسلم أن يستحوذ على من كانت حليلة لسيد الناس ، وخاتم رسله ؟ ؟ أو كان يليق بمن كانت فى حيازة الرسول أن تنزل عن مكانتها من معاشرة النبى إلى معاشرة من دونه منزلة ، وأبعد من مكانته إلى غير حد يحيط به الخيال ؟ ؟

ولقد رفع الله منزلة زوجات الرسول ، حتى اعتبرهن أمهات المؤمنين ، وليس فوق مكانة الأم سموا فى التقدير ، والصيانة ، والمهابة ، وواجب المحبة الخالصة .

كذلك كان من ثناء القرآن على رسول الله وعلى أهله « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » وكان الصحابة يحبونه أكثر من أنفسهم ، ويذودون عن شخصه بأجسامهم ، وأرواحهم ، بما يخافونه على حياته .

فإنه خير للجميع ، وأولى بالحياة من أى إنسان سواه .

وأما نفس الإنسان فتأمره بالسوء ، وتجنح به إلى الهوى ، وقلما يكون منها اتجاه إلى الخير إلا بمحاولة الأخذ بتشريع محمد عليه السلام . فكيف لا يكون النبى أجدر بحبنا له .

وإن كانت محبة الإنسان لنفسه أمراً فطريا فإن هذه الفطرة بحاجة إلى تهذيب وتثقيف ، حتى يعلم المرء ما له وما عليه فى جنب الله ، ورسوله .

٨ — وكما أشاد القرآن برسول الله ، وأهله : فقد أشاد بصحابته ، وبشر بعضهم بالجنة وهو على قيد الحياة . . وشهد لهم بالاستبسال فى مقاومة المشركين ، واعترف لهم برضوان الله عليهم لصدقهم فى بيعتهم النبى تحت الشجرة يوم الحديبية « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » .

كما أفاض فى الثناء على جهادهم معه ، ونصرهم له ، وبذلهم الأرواح ، والدماء ، وتضحيتهم بالأموال ، واحتمال فرقتهم للأهل ، والوطن فى تأييد النبى ، وإعلاء كلمة الله . .

وإلى جانب الآيات فى كتاب الله : أوصى النبى - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه ، وحضنا على الاقتداء بهم فى تدينهم ، وفى علمهم ؛ لأنهم الأمناء على تراث النبوة . . ولهم فى الفضل والتكريم ما يسمو بهم على الغمز فيهم ، أو التشكيك فى سياستهم ، وما كان منهم إلا متابعة للكتاب والسنة ، وما اجتهدوا بعد الكتاب والسنة إلا ليهتدوا إلى الحق

ما استطاعوا وإن يكن لبعضهم مواقف تتسع للنظر والتعليق : فهو اجتهادهم ، ولهم عذرهم.

وليس من صالح المسلمين قديماً ، ولا حديثاً أن نثير حول الصحابة خلافاً ، ولا أن نقحم أنفسنا في تلك المقامات التي رفع الله من شأنها وأسبغ عليها رضوانه.

٩ - وإن ناسا من خلق الله تجاوزوا قدرهم ، وتشيعوا لصحابي ، على صحابي ، وخرجوا عن أدب الإسلام ، وتمذهبوا بمذاهب فيها عصبية جامحة ، وفيها إسراف في الاختلاق ، حتى تجاوزوا توجيهات القرآن والسنة ، وانحرفوا كثيرا عن الصواب.

وحتى رفعوا بعض الصحابة إلى مقام فوق مقام الصحبة ، ونزلوا ببعض الصحابة إلى المقام الدون ...

والصحابة جميعا كالنجوم بشهادة النبي لهم ، ويجب أن نتقي الله فيهم كما أمر النبي بذلك . .

وعلينا أن نقتدي بهم ، فان الاقتداء بهم سبيل التقوى لله ، كما هو الأمر المنشود ...

١٠ - هذا التشيع وما يتصل به من أوضاع معقوتة ، وما تعلق بذلك من تهريج في الدين ، واختراع ما لا يستسيغه العقل من أباطيل الباطنية ، ونحوهم . كان ذلك كله شؤما على وحدة المسلمين ، وكان افتياتا على أصحاب محمد الذين أفنوا حياتهم في دعم الوحدة الدينية.

وما رضى واحد منهم لنفسه أن يشذ عن الجماعة : إلا باجتهاد لا يظنه خطأ ، ولا شذوذا.

تسربت هذه الجرأة في التشيع وامتدت عدواها إلى مسلمين معاصرين.

فأخذ بعضهم يسفه ويتحدث عن سنة محمد ، ويشكك فيها دون روية ، أو مهابة أو أثارة من علم يعتمد عليها.

فإذا سمعوا حديثا لا يفهمونه قالوا : غير معقول أن يكون هذا تشريعاً للمسلمين ؟ ؟

وإذا وجدوا صحابيا كثير الرواية عن رسول الله قالوا : هذا الصحابي متهم فيما يحدث به.

بل تطاول بعضهم فنشر في الناس كلاما ينفي فيه أن السنة كلها من عند الله ، ويقرر في جهالة أن الدين الإسلامي قرآن فقط . . وهكذا من إرجاف المرجفين ، فيما يتعلق بالنبي ، أو برسالته أو بأهله ، وأصحابه.

وكل ذلك إيذاء للرسول بوجه مباشر ، أو غير مباشر.

وإن وعد الله ، ووعيده لحق ، وصدق الله في قوله : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ».

عبد اللطيف السبكي

وحدة الوجود والفناء في الله وتناسخ الأرواح في عقائد الدين البرهمي

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تقوم العقيدة البرهمية الهندية المقررة في الأسفار المقدسة لهذا الدين وهي أسفار «الفيدا» وفي قوانين مانوا، المتحدة من هذه الأسفار على الدعائم الثلاث الآتية :

١ — وحدة الوجود : فالموجود بحق في نظر هذا الدين هو الله تعالى وحده (براهما) وليست هذه الكائنات الا مظاهر منه فقد صدرت عنه جميع هذه الموجودات، وسرت روحه في الجماد والنبات والحيوان .

وإلى هذا تشير أسفار الفيدا إذ تقول على لسان براهما : «إنني أنا الله نور الشمس، وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق، وصوت الرياح، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء، والأصل الأزلي لجميع الكائنات وحياة كل موجود، أنا الأول والآخر، أنا الحياة والموت لكل كائن». وتقول في موضع آخر : «إن الله واحد لأنه الجميع، (أي جميع الكائنات، فهي كلها مظاهر منه) فهو رب الأرباب، مالك العالمين، وخالق السموات والأرضين». وتبدو فكرة الوحدة واضحة كل الوضوح في سفر الفيدا نتا، وهو أحد شروح «الفيدا»، فيقرر هذا السفر في عبارة صريحة «أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد».

وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي سرت إلى التصوف الإسلامي ونظريات بعض فلاسفته وبخاصة ابن عربي الحاتمي والحلاج، وتفسر عندهم هذه الوحدة على طريقتين :

(إحداهما) أن ذات القديم كامنة في المحدثات متحدة بها، وهي كلها مظاهر لها، وهو القائم عليها، أي المقوم لوجودها، وبهذا يفسر بعضهم قول الحلاج إذ يقول مبينا حقيقة ذاته هو : «ما في الجبة إلا الله تعالى». وتفسير وحدة الوجود على هذا الوجه مطابق كل المطابقة لعقيدة البرهميين، ومشبه للاتحاد الذي تدعيه النصارى في المسيح .

(والأخرى) أن ذات القديم هي الموجودة وجودا حقيقيا، أما المخلوقات فلا وجود لها إلا في الحس، وهو وجود وهمي، ولا يريدون الوهم الذي هو قسيم العلم والظن والشك، وإنما يريدون أنها كلها عدم في الحقيقة، وجود

فى المدرك البشرى فقط، ولا وجود فى الحقيقة إلا لله تعالى. ويتفق هذا التفسير كذلك مع بعض النصوص الواردة فى هذا الصدد فى أسفار البرهميين.

٢ — تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح (الكارما) وتقرر العقيدة البرهمية أن أرواح الكائنات التى صدرت عن الموجود بذاته هو الله متجولة متناسخة، ينتقل بعضها إلى مواطن بعض، ويتقمص بعضها أجسام بعض، وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ أو تجوال الروح، فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة فى أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى جسد، سواء أكان من الإنسان أم من الحيوان، فى طريقها إلى هدفها الأخير (الذى سنبينه فى الدعامة الثالثة) ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن فى أية مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت فى مرحلة ما من مراحل وجوده، فما يصيب الإنسان مثلا من سعادة وآلام إنما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريرة عملها فى وجوده الحالى أو فى وجود سابق، حينما كانت روحه متقمصة كائنا آخر، فكل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته ونتيجته حتما. وهذه الثمرة لا بد أن تحدث فى دور من أدوار الميلاد المتكررة التى تنتقل فيها الروح، فإن لم تحدث فى الدور الذى حدث فيه العمل، فهى لا بد حادثة فى دور من الأدوار التالية له، ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة «كارما»، وإلى هذا يشير العلامة أبو الريحان البيرونى فى كتابه القيم الذى ألفه عن الهنود معتقداتهم وفلسفتهم وثقافتهم وجعل عنوانه هذا البيت من الشعر:

تحقيق ما للهند من مقولة
مقبولة فى العقل أو مرذولة

إذ يقول: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية (يقصد البرهمية). فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعد فى جملتها».

ويؤيد هذه القضية بنصوص من أسفارهم فيقول: «حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئا من صريح كلامهم فى هذا الباب... قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معا بموتى ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد فى الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التى عقباها موت البدن ثم العود، وقال له: وكيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية

الوجود ، لا عن ولادة ، ولا إلى تلف وعدم ، بل هي ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق . ، بمعنى قدم أى أصبح قديماً ، لا يصلح لاحتمال الروح ، نحو آخر ليس كذلك ، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق ، أى بلى ، فما غمك لنفس لا تبيد ؟! » .

وأما الطريقة التى يجرى بها هذا التناسخ فتتصل من بعض وجوهها بعقيدة البرهميين فى الجنة والنار . ويشرح البيرونى عقيدتهم هذه مبيناً اتصالها بمذهبهم فى التناسخ إذ يقول :

المجمع يسمى « لوك » . والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة . فيسمى العالم الأعلى « سفر لوك » ، وهو الجنة ؛ والعالم الأسفل « ناكلوك » ، أى مجمع الحيات وهو جهنم ، ويسمى أيضاً « نرلوك » ، وربما سموه « پاتال » ، أى أسفل الأرضين ؛ وأما الأوسط الذى نحن فيه فيسمى « مادلوك » و « مانش لوك » ، أى مجمع الناس . والأوسط للاكتساب ، والأعلى للثواب ؛ والأسفل للعقاب . وفى هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل . والكون فى كل واحدة منهما للروح مجردة عن البدن . والقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم « لوك » آخر ، يسمى « ترجكلوك » ، وهو النبات والحيوان غير الناطق : يتردد الروح فى أشخاصهما بالتناسخ إلى أن ينتقل إلى الإنس ، على تدريج من أدون المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة . وكونها فيه على أحد وجهين : إما لقصور مقدار المكافأة عن محلى الثواب والعقاب ؛ وإما لرجوعها من جهنم . فعندهم أن العائد إلى الدنيا ، من الجنة ، متأنس فى أول حياته . والعائد إليها من جهنم متردد فى النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان» .

أى إن أرواح الناس فى حياتهم الأولى تكون فى المنزلة الوسطى وهى منزلة العمل والكسب فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم إلى الجنة ، المنزلة العليا ، تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكماله ، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم ، المنزلة السفلى ، تستوفى فيها كذلك جزاء عملها مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها وبعد استيفاء جزاء عملها فى الجنة أو فى النار تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزلة الوسطى ، وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار إلى الحيوان والنبات ، ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاث السابق ذكرها ، تستغرقها فى بادئ الأمر الأرواح غير الآدمية لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو

إلى الجنة وعن الرسوب إلى النار ، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جنهم. وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان فى الحيوان والنبات تتجولان فى أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ إلى أن تنتقلا إلى الإنس على تدريج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة ، فتصبحا فى المنزلة الوسطى ... وهكذا دواليك . فالثواب والعقاب عندهم فى الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة من البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدد لا دائمين .

وقد انتقلت عقيدة البرهميين فى التناسخ إلى كثير من العقائد الدينية الأخرى ، وتركت رواسب فى « الفولكلور » فى كثير من الشعوب ، حتى الشعوب الإسلامية نفسها ، فكثير من عامة المصريين أنفسهم ، وخاصة فى الريف ، يعتقدون انتقال أرواح النائمين والموتى إلى بعض الحيوانات والحشرات .

٣ — رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله والفناء فى ذاته . تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود فى نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذى نشأت منه وهو الله .

والإنسان أحد هذه الكائنات ، فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله انفصلت عن الله إلى أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح ، ثم تعود فى النهاية إلى الله متى جاء الأجل ، كالقطرة من الماء العذب ، تصعد بخارا من البحر ، وترقى فى السماء ، وتنتقل من جهة إلى جهة ، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجرى فى الأنهار ، ثم ترجع فى نهاية مطافها إلى البحر الذى انفصلت عنه فى أول الأمر .

أو كالهواء الحبيس فى قدح مقلوب ـ حسب تشبيه أسفارهم نفسها ـ يظل منفصلا عن الهواء الخارجى وإن كان منه ، حتى يتحطم القدح ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان .

فمصير كل إنسان هو الاتصال بالله والرجوع إليه والفناء فيه . ومن ثم وجب أن يتجه كل إنسان ، فى أثناء حياته نفسها إلى غايته المقررة له ، وهى الفناء فى الله . وخير وسيلة لتحقيق هذا الفناء تتمثل فى إهمال مطالب الجسم وتعذيبه لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق ، والإعراض عن متع الحياة والتقشف ، ومداومة العبادة ، والإكثار من الصوم بوجه خاص لما يتضمنه من حرمان الجسم من حاجاته الضرورية .

وقد انتقلت هذه العقائد والنزعات إلى التصوف الإسلامى ونظريات رجاله ، وما يأخذ به الصوفية أنفسهم من التقشف وتعذيب الجسم والعزوف عن متع الحياة ولذائذها

بقية المنشور على الصفحة التالية

من أمجاد العلماء :

عالم مثالي يتحدى ابن طولون

للأستاذ محمد رجب البيومي

كان أحمد بن طولون استثناء واضحا بين أبناء جنسه . فعهدنا بجنود الأتراك منذ عهد المعتصم لا يفيئون إلى خلق فاضـــل ، أو يعتصمون بدين قويم ، فهم يربون تربية رياضية تقوم على الشجاعة والفروسية وتركن إلى أساليب الاحتيال والدهاء ، ومن يصل منهم إلى مكان القيادة فى القصر يوجه اهتمامه إلى المكيدة والائتمار ، وينظر إلى الخليفة العباسي كدمية صماء يحركها أنى أراد ، فإذا عن له أن يضع الأمر فى نصابه أو يتمسك ببعض حقوقه فى التولية والعزل ، والإدارة والحكم ، مهدت له الدسائس السود ، لتجعله بين عشية وضحاها فى غياهب السجون ! ثم يختار أمير ضئيل من بنى العباس ليصير دمية أخرى يتلاعب بها الأتراك كما يشاءون !

هكذا كان جنود الأتراك ! ولكن ابن طولون قدر له أن يشب على رياضاتهم الحربية فيلتقى معهم فى مضمار الصيال والعراك ثم ينفرد عنهم فى ثقافته الدينية فيدرس القرآن والحديث ويتأثر بما تهديه إليه روح الإسلام من إنصاف وعدالة وإيثار للخير والمعروف !

« بقية المنشور على الصفحة السابقة »

ومداومة العبادة والتهجد والإكثار من الصوم وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام نهيا صريحا عن هذه المناهج المتطرفة فى التدين ؛ فقال عليه السلام : « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » ، وفى الصحيحين عن أنس ابن مالك أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها (أى عدوها قليلة فى نظرهم) ؛ قالوا : أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ! قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال ثالث : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ ولكننى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

دكتور على عبد الواحد وافى

وقد ساعدت هذه الصفات النبيلة على تدعيم مكانته عند الناس ، فكان أبناء جنسه من الأتراك يثقون فى كرامته فلا يظنون فيه التآمر والإيقاع ، وإذا هم أحدهم بمكيدة ما تحاشى أن يلم بسرها رجل همام كابن طولون فيكون أداة لتحطيمها وعونا عليها لا لها ، أما أمراء العباسيين وخلفاؤهم فقد ركنوا إلى رجولته ، فحين خلع المستعين بالله وأبعد إلى منفاه أخ فى اصطحاب ابن طولون ليكون حارس غربته ورفيق وحشته !

فقام على حراسته مقاما كريما ، ثم جاءته إشارة شاذة من رؤسائه بالعمل على تدبير مصرعه ! فتعاظمه أن يكون غادراً بمن وثق فيه وأبى أن يخضع لما يريدون ! وكان أن اعتزل الحراسة ونيط بالمستعين سواه ليهدر دمه بعد سويعات ! وعاد ابن طولون إلى مقر الخلافة نظيف الخلق طاهر الضمير !

وقد تبسم له الحظ لبعض المصادفات السارة فاختير والياً على مصر من قبل سواه ، ولم يكن فى وهم أحد أن هذا الفتى التركى سيشذ عن ولاة الأقاليم فى عهد الخلافة العباسية ! فقد رأى أن ينهض على تحصيل الضرائب ، وسوق الأموال إلى عاصمة الحكم ! فإذا أحب أن ينال حظوة لدى الحاكمين ببغداد ضاعف الخراج وأجزل الهدايا من الفضة والنضار ، ليضمن بقاءه بضعة أعوام فى ولايته ! وإلا فهناك من يتطلع إلى مكانه وقد أخذ على عاتقه أن يجمع المال ما استطاع !

جاء ابن طولون إلى مصر وهو حرج الصدر ضائق النفس بما يقوم به أبناء جنسه فى قصور الخلفاء ! وقد عز عليه أن توكل لهم الأمور العليا فى سياسة الإسلام ثم لا يكونوا سادة كراماً يتقيدون بالمواثيق ! بل يتحولون إلى وحوش متنمرة تتصارع فى الظلام وقد يأكل بعضها بعضاً دون شمم أو إباء ! وهم بعد ليسوا بأفضل منه فى شىء حتى يصدر عن إرادتهم ! ولو كان الخليفة العباسى مسموع الكلمة نافذ السلطان لوجبت طاعته ولكنه عاثر مستسلم لمن يسومونه الذلة والهوان ! فلا عليه أن يتزحزح عن كابوسهم الثقيل فيمهد الأسباب إلى استقلاله وانفصاله !

وهو من الحرص والحذر بحيث يستطيع أن يرسم الخطة البعيدة لتصل إلى الغاية متى تتاح دون استعجال ... درس الحاكم أحوال الإقليم . وقد استطاع فى زمن يسير أن يهدىء الفتن ويسكن الثورات ، ثم عمل بدهائه على أن يجمع فى يده أمور البريد والخراج ، فلا تستطيع الرسائل المغرضة أن تشى به عن طريق التلصص والوشاية ، ثم ليجمع من المال ما يسد ببعضه أفواه الطامعين فى بغداد ، وينشىء الدولة الجديدة بالبعض الآخر ، وقد واتته الأقدار بما يريد ، فجد من الحوادث السياسية ما ساعده على إبعاد صاحب البريد

وطرد صاحب الخراج ! وأصبح بذلك رجل مصر دون منازع ، فاتجه إلى تكوين جيش عربي كبير وأسطول بحرى قاهر ، وامتلك من النفوذ ما أعانه على أن يخلع نقاب الحذر عن وجهه فيقف من بغداد موقف القرين !

لم تسكت الخلافة عن طموح ابن طولون ! فقد كان الموفق ولى العهد صاحب السلطة الفعلية ببغداد ، جمع حوله الأتراك بما بذل من إقطاعات ومناصب ووعود ، وصار موضع الأخذ والرد ، وأخوه المعتمد أمير المؤمنين لا يملك من الأمر سوى اللقب وحده ! وقد تعاظم الموفق أن يقدم ابن طولون على الاستقلال ، وفهم الرجل على غير حقيقته ، فظنه ضعيفا مغتراً لا يثبت لصدام ، وأرسل إليه خطابا يوحى بالتهوين والتحقير والاستعلاء ! ثم دعاه إلى تقديم الحساب والنهوض إلى بغداد فى رهبة وامتثال ! وقرأ ابن طولون كتاب الموفق وابتسم ! وكأنه أراد أن يغمزه من مكمن ضعفه ، فرد عليه بأن ولى العهد قد خلع الطاعة حين حاصر الخليفة الشرعى وسلب سلطانه ، فهو فى رأيه عاص ناشز مغتصب يتبوأ مركزاً يستلبه بالقوة لا بالحق ، وأولى به أن يذعن لأخيه بدل أن يطمح إلى مصر ! وليس له الحق فى بغداد ، فضلا عن التطاول إلى غيرها من الأصقاع ! وكان حتما أن تدور الحرب بين الرجلين ثم ينهزم الموفق فلا يبقى لديه سلاح غير الضجيج الصاخب ، فيعلن عصيان ابن طولون ، ويجاهر بلعنه على المنابر ، وخروجه على الدين !

ماذا يصنع ابن طولون وقد جاءته الأنباء أن اسمه يذكر مشيعاً باللعنات على منابر الجمع فى كثير من مساجد الإسلام ! لقد ساقه تفكيره إلى الدعوة إلى خلع الموفق من ولاية العهد والجهر بلعنه على منابر مصر والشام ! وأعد مؤتمراً من العلماء والوجهاء فأصدر قراره بخيانة الموفق ولعنه ! وظن ابن طولون ألا يشذ أحد فى ولايته عن رأيه ولكنه فوجىء بعالم خطير يعارض قرار الخلع ، ولا يجد لابن طولون حقا فى إصداره ذلكم هو القاضى الفقيه بكار بن قتيبة ! فقد استطاع أن يعلن رأيه المعارض دون أن يرهب أحداً ولو كان ابن طولون !

على أننا نقرأ ما دون من تاريخ هذا القاضى فنعجب لشعوره الدينى المرهف ، إذ رزق حساسية بالغة جعلته يتهول مواقع الزلل فى الأحكام ! كان نظام القضاء على عهده بدائيا يدخل المدعى فيعرض شكواه ويحضر شهوده ثم يستمع القاضى وينظر فإذا ارتاحت نفسه إلى حكم أصدره مستنداً إلى الدليل ، وتنتهى المسألة عند ذلك ، ولكن بكاراً كان يدون كل يوم جميع ما يصدر من أحكام ثم يتفرغ فى المساء إلى مراجعة أعماله ، ومحاسبة نفسه ليستدرك

ما فاته إن عن له بعض الرأى فيما كان ! وقد بلغ من تقديره لمركزه القضائى أن دموعه كانت تغلبه حين يشتبه الأمر عليه فيستعين بصلاة الليل ليلهمه الله السداد ، قال أحمد ابن سهل الهروى : كنت ألازم غريما لى إلى بعد العشاء الآخرة ، وكنت أسكن جوار بكار فانصرفت بعد العشاء إلى منزلى فإذا هو يقرأ بصوت عال « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » فوقفت أتسمع إلى تلاوته المعبرة طويلا ثم انصرفت فقمت فى السحر على أن أصير إلى منزل الغريم فإذا بكار يقرأ الآية ويبكى ، فعلمت أنه كان يقرؤها طول الليل !

هذه الحساسية البالغة كانت تجعله يحفظ للقضاء حرمته ويرى القاضى رجلا مثاليا يرتفع عن الميول والأهواء ويتخلق بأرقى ما سنه الإسلام من نبيل السجايا ورفيع الصفات ! قدم عليه قوم من أصحاب الحديث يروون عنه وكان محدثا إماما فى فنه يعرف مواضع الجرح والتعديل فى السند ووجوه الضعف والقوة فى المتن ، ويفيض فى ذلك بما ينبى عن رسوخ أصيل فيما يروى عن رسول الله - فسألهم القاضى من أى البلاد أنتم فقالوا من الرملة إحدى مدن فلسطين فسأل ما حال قاضيكم فقالوا : عفيف !! فضرب بكار كفا بكف وصاح إنا لله وإنا إليه راجعون أيقال قاض عفيف ، فسدت الدنيا ! وكأنه يرى العفة أمرا بدهيا مقررا لا ينص عليه فى جواب ! فإذا تميز بها بعض القضاة دون سواهم فقد حق البلاء ! ومن طرائفه فى ذلك أنه قال فى أحد مجالسه : ما حللت سراويلى على حلال قط ، يريد أنه لم يتزوج على الإطلاق فقال أحد الحاضرين ولا على حرام أيضا فصاح غاضبا : يا سبحان الله ! والحرام يذكر كأنه أمر يتوقع ! ! .

على أن تطرفه فى المحاسبة كان يلجئه إلى ما يشبه التزمت وهو بعد غير مستغرب من فقيه دقيق يستهول حرمة القضاء ويرى أن القاضى يذبح نفسه بغير سكين ، قدم عليه بمصر رجل من أهل البصرة كان رفيقه أيام الطلب بمساجد العلم هناك فأكرمه واحتفى به احتفاء عرفه الناس ثم احتيج إلى شهادة لديه فشهد عند القاضى مع رجل مصرى فتوقف عن الحكم وظن الناس أنه لا يقبل شهادة المصرى فسئل فى ذلك فكان عجيبا أن يقول : المصرى على عدالته ولكن السبب هو صديقه البصرى فقد أكل معه فى الصغر أرزا فى سمن وعسل فنفذ العسل من ناحية بكار ففتح من جهة صاحبه هذا حتى جرى العسل نحوه فقال البصرى متضاحكا : « أخرقتها لتغرق أهلها » فعلمت أنه يهزأ بالقرآن فى مثل هذا ، وبقى ذلك فى نفسى حتى رددت شهادته ! ! .

هذه طرائف تنبيء عن تحرزه المفرط الذى جاوز كل حد ! وطبيعى أنه لم يكن يختص به فريقا دون فريق فقد كان يلتزمه مع ابن طولون نفسه دون تحرج أو خشية : مات رجل وعليه دين الأمير فطلب عامل الخراج من أحمد بن طولون أن يأمر القاضى ببيع داره فأرسل ابن طولون إلى بكار فى ذلك فقال حتى يثبت عليه الدين فأثبتوه وسألوه البيع فقال حتى يثبت عندى أنه ملكه ، فأثبتوه وسألوه البيع ، فقال حتى يحلف من له الدين فجاء ابن طولون وحلف أمامه فقال بكار أما الآن فقد أمرت بالبيع .

وقد كان ابن طولون يعلم من مواقف القاضى الصريحة أنه لا يهابه فى شيء بل يجهر بالحق على رءوس الأشهاد لقد كان فى مجلسه ذات مرة فتخاصم رجلان فقال له احكم بينهما فنظر فى القضية وتوجهت اليمين على أحدهما فاستحلفه فلما فرغ قال له الخصم : استحلفه أيها القاضى برأس الأمير فصاح بكار غاضبا : ياهذا قد حلف بالله وهو أعظم من الأمير فقال بل استحلفه برأس الأمير فقال له بكار تحلف برأسه فقال الرجل لا ، فصاح القاضى ياعدو الله تحلف بالله خالق السموات والأرض وتمتنع أن تحلف برأس مخلوق مثلك ، وأخذ ينظر للأمير وهو يقلب كفا على كف ولا ندرى كيف أدرك ابن طولون إذ ذاك ضعف البشر وانهيارهم فابتسم للرجل وحظى عنده بعد ذاك ! !

إن رجلا مهيبا كبكار لا ينظر إلى الخلاف بين ابن طولون والموفق نظرة تتملق صاحب الأمر فى بلده بل نظر إليه من وجهة الحق كما يلوح فى نفسه ! فقد أدرك لفوره أن الحكم بخلع الموفق من ولاية العهد بعد أن أسندت إليه لا يرجع إلى ابن طولون وحده حتى يتصدون سائر رعايا الخلافة العباسية أمرا خطيرا كذلك الأمر ! وهو بعد ان يعقب غير فتنة مسلحة حمراء تقوم بين القاهرة وبغداد تسيل من ورائها أنهار الدماء وتتساقط آلاف الرقاب ! ! ثم إن خلع الموفق لن يغير من الأمر شيئا فسيخلفه إنسان على شاكلته ، وسينفتح مجال التآمر والدسائس لرؤساء القصر العباسى من جنود الأتراك وزعمائهم ؛ فإذا كانت مصلحة ابن طولون الشخصية تقتضى خلع الموفق فإن ما يعقبه من أهوال تشيب لها الرءوس يحتم على القاضى أن يجاهر بالمعارضة ؛ فليعلن ابن طولون استقلاله عن بغداد كما يشاء ، أما أن يحرض على التبعية الاسمية فى ظل خليفة دون ولى عهده فهذا ما تتسع له نوافذ الشر فيندلع اللهيب ويحترق الناس .

طمع الأمير فى آماله حين واجهه بكار بالرفض الصريح ! ووقع ابن طولون بين عاملين إما أن يرجع عن خلع الموفق فيثبت بذلك سيطرته الشرعية على حكمه ويصبح

فى نظر العامة عاصيا يجاهر بالثورة ويدعو إلى العناد! وإما أن يقتص من بكار على ورعه وتقواه! ونحن نفهم الآن أن أسطورة التبعية للخلافة العباسية بمنهجها الوراثى أبا عن جد لا تمت إلى الإسلام فلا على ابن طولون أن يشذ عليها دون أن يحتاج إلى سند من أمير المؤمنين! ولكن ما نفهمه الآن فى القرن العشرين من هذه المسألة لم يكن واضحا مفهوما لدى العامة من المسلمين حتى تغير الزمن وزالت غشاوة السيطرة الوراثية عن العيون فتبينت الحقائق كما يجب أن تكون وهذا ما لم يتيسر لابن طولون فى زمنه ولعله كذلك لم يكن واضحا بمعناه الصريح فى عمل بكار! ولقد كان من نتيجة هذا الموقف المتأزم بين القاضى وابن طولون أن غضب عليه غضبا شديدا، فضربه بعود من حديد وأمر بتمزيق ثيابه وسحب على وجهه مسلوب الجلباب ثم أودع السجن ومكث أياما فى مكان ضيق لا يستطيع أن يمد به رجليه ثم نقل إلى محبس آخر أكثر رحابة! ومما يذكر أن القاضى كان يحافظ على الصلاة سننا ونوافل فى محبسه وكان يلزم نفسه حين تأتى صلاة الجمعة كل أسبوع أن يغتسل، ويلبس ثيابه ويجىء إلى باب السجن فيرده السجان ويقول أعذرنى أيها القاضى فما أقدر على إخراجك فيصيح بكار متجها إلى السماء اللهم فاشهد لقد صنعت ما على! وقد طال محبس القاضى فطلب أصحاب الحديث إلى أحمد بن طولون أن يأذن لهم فى السماع منه فأذن لهم، فكان يحدثهم من طاق المحبس وهم من حوله يسمعون فيكتبون.

وإذا كان الموت نهاية كل حى فقد مرض ابن طولون مرضه الأخير، وأخذ يراجع أعماله فى لحظاته الحاسمة فكان شبح بكار فى سجنه يؤرقه ويأخذ عليه منافذ السماء والأرض فأمر بنقله إلى دار خاصة به وكأنه بذلك يكتفى بتحديد إقامته كما نقول فى عصرنا الحديث ثم هاجت نوازعه، فكتب إليه يستحله ويستغفره فجاء ورد بكار يقول: «أنا شيخ كبير وأنت عليل مدنف والملتقى قريب والحكم الله». فكان ابن طولون فى احتضاره يبكى ويردد هو شيخ كبير وأنا عليل والملتقى قريب والحكم الله!! ثم بلغ الكتاب أجله، فمات الوالى وأعقبه بكار بعد أربعين يوما من وفاته! وكان الملتقى قريبا كما حسب القاضى ووافقه الأمير!!

لقد قرأت تاريخ ابن طولون فأعجبت به، ولكن إعجابى ببكار يدفعنى أن أحنى رأسى لذكراه، وأن أستمطر رحمات السماء على بطل نزيه جاهد فصبر، وامتحن فشكر!..

وهكذا الرجال.

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

عناية الإسلام بتربية النّاشئين

للأستاذ عبد الرحيم فوده

لا شك أن هدف التربية السليمة هو إعداد الفرد جسميا وعقليا وخلقيا ليكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع ، وخلية حية فى جسم الأمة ، وتربية النشء لهذه الغاية واجب اجتماعى كبير يشترك فى تبعته والتعاون عليه كل بيت وكل مدرسة وكل جهاز من أجهزة الإعلام والتوجيه فى الدولة ، بل إن المؤمنين والمؤمنات بمقتضى إيمانهم كما يقول الله فيهم « بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » فهم - جميعهم - مطالبون بأن يتولى بعضهم بعضا بما يصلحه ويستقيم عليه أمره وتطيب به حياته .

ولا شك أن الأبناء والبنات بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم وجودهم الممتد ، وحياتهم المتجددة وعملهم الموصول ، ومستقبلهم المأمول ، وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وقال تبارك وتعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء » أما مكانتهم فى المجتمع فهم طور من أطواره ودور من أدواره ، وصوره من صوره فى مرحلة من مراحل حياته ، ثم إنهم إذا كانوا أطفال اليوم فهم رجال الغد . وبمقدار ما يبذل من العناية فى إعدادهم وإرشادهم . وتنمية مواهبهم وتزكية نفوسهم وتربية نوازع الخير فيهم يكون حظنا وحظ المجتمع فى المستقبل منهم بل إن ما يرجى منهم ويؤمل فيهم مع العناية بتربيتهم تربية صالحة وتوجيههم توجيها سليما يهون أمامه كل جهد ، ويسهل بجانبه كل صعب ، بل تعذب فى سبيله كل تضحية ، فهم كما قال الشاعر :

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض

وعملنا معهم ينبغى أن يكون على الصورة التى نلمحها من قوله تعالى : « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

فإن النشء بالنسبة إلينا كالشطء بالنسبة إلى الزرع ، يخرج من أصوله فراخا صغيرة فتؤازرها أصولها وتمدها بالماء والغذاء حتى تنموا وتغلظ وتمتد وتشتد . ثم تستوى على

سوقها ، وتزهر وتثمر ، فيكثر بها الخير ويعظم الرخاء .

ولا شك أن مرحلة الطفولة هي المرحلة الخصبة المناسبة لتربية الشخصية السوية وتوجيه الغرائز والميول . وتهذيب الأذواق والأخلاق ، فإن الطفل كما يقول علماء النفس كالعجينة اللينة ، يشكلها الإنسان كما يشاء ، أو كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، فهو قابل لكل ما ينقش عليه . ومائل لكل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له .

فالشر الذي ينشأ عن إهمال التربية لا يقع على الناشئين وحدهم ، وإنما يتعداهم إلى المربين من أهليهم وذويهم وأولى الأمر فيهم ، والجرائم التي تكدر صفو المجتمع ، وتعكر جو حياته إنما ترجع أولا وآخراً إلى سوء التربية ، أو إلى إهمال أمر الناشئين وتركهم مع قرناء السوء يخالطونهم ويتأثرون بهم وينهجون نهجهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » ، والتضييع كما يكون بالتقصير في توفير القوت للأطفال أو العيال يكون بالإهمال في تهذيبهم وتأديبهم وتهيئة الجو الصالح لهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم وينفع مجتمعهم ، ويفهم من قول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » . أن على كل مسئول أن يقي نفسه وأهله من السوء بحسن التربية وسلامة التوجيه والتزام أحكام الدين .

أما واجب المجتمع نحو الناشئين ممثلا في الدولة أو الحكومة وأولى الأمر فيمكن أن نلحظه أو نلحظ جانبا منه فيما كان يعمله عمر رضي الله عنه بإزاء تربية النشء ، فقد فرض لكل مولود لقيط مائة درهم من بيت المال كما فرض لكل مولود من زوجين ، ولم يأخذ الأبرياء من اللقطاء بظلم المجرمين من الرجال والنساء ، وكان ذلك استجابة لما يفهم من توجيه القرآن الكريم إذ يقـــول الله فيه : « فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم » ، أما اليتيم - وهو من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال - فشأن العناية به في الإسلام أشهر من أن يذكر ويكفي في الإشارة إليه أن نذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . . (وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما) . وقد قال الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكره بفضله في حال يتمه : « فأما اليتيم فلا تقهر » وقال الإمام محمد عبده في تفسيره لهذه الآية : ولو علم الناس ما في إهمال تربية

الأيتام من الفساد فى الأمة لقدروا عناية الله بأمرهم فى كتابه قدرها ، وليذلوا من سعيهم ومن مالهم فى إصلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وأنه هدف لنباله . لا يدرى متى يأخذه عن ولده فيتركه إما غنيا يأكل ماله الأوصياء . أو فقيراً يستذله الأدنياء . لتسابقوا إلى تقويم أمر اليتيم تسابقهم إلى اللذة والنعيم .

وتبدو عناية الإسلام بتربية النشء فيما أوجبه على الأم من رضاعة الطفل ، وما أوجبه على أبيه من النفقة عليه حتى يستطيع الكسب ، وما أوجبه لأمه من حق حضانته رعاية لصحته وتوفيرا لأسباب راحته ، هذا إلى ما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) . وقوله عليه السلام : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا) ، فإكرام الأولاد وإحسان أدبهم ، والرحمة بهم فى المكانة الأولى من اهتمام الإسلام ، وإذا كانت القدوة الحسنة والأسوة الطيبة أكبر مؤثر فى سلوكهم لأنهم فى هذه الفترة من حياتهم مولعون بالتقليد والمحاكاة . ظهر لنا مدى ما يجب أن يكون عليه الآباء والأمهات فى البيت . والمعلمون والمعلمات فى المدرسة ، كما يظهر . ما ينبغى أن تتوخاه أجهزة الإعلام فيما تعرضه من صور وأفلام ، وقصص وتمثيليات . وروايات وأغنيات . فإن لهذه الأجهزة تأثيراً خطيراً فى سلوك النشء ، وكيان الأسرة ، وحياة الأمة ، ولا شك أن المجتمع العربى والإسلامى . يستأنف حياة جديدة . ويستهدف قيما عالية يستعذب فى سبيلها الكفاح والعرق والأرق وبذل الأرواح ، وواجب المشرفين على هذه الأجهزة يتقاضاهم أن يتنبهوا لهذا الدور الخطير ، وأن يتعهدوه بما يزكيه ويقويه ويعينه على بلوغ أهدافه ، وأن يباعدوا بينه وبين عوامل الإغواء والإغراء والتحلل والتبذل ، وأن يذكروا قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، وقول الشاعر الحكيم :

ولا يبلغ البنيان يوما تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

عبد الرحيم فودة

حكم الله وحكم الفقيه

للأستاذ محمود الشرقاوى

كلما هممت بكتابة هذا البحث أو فكرت فى موضوعه ذكرت قصة من أيام الطفولة شهدتها فى بيتنا قبل دهر طويل .

كنا نقضى إجازة الصيف فى القرية ، وكان الناس يتوافدون على البيت يجلسون إلى أبى على « المصطبة » أو « المنظرة » ، يستمعون إلى ما يلقيه عليهم من حديث الفقه والدين ، ويسألونه فيما يريدون من فتيا ، وقد يشكون ما يلقون من تعب « الفلاحة » وشح الماء ويطلبون إليه « الدعوات الصالحة » لأولادهم ومحاصيلهم حتى يباركها الله . وكنت كثيراً ما أجلس وأسمع وأشارك بقلبى وعقلى .

ودخل فى إحدى الليالى رجل شيخ بعد أن انصرف الناس ، دخل مسرعا ملهوفا كأنما يفزعه شىء . فلما استقبله أبى قال يصيح : أنقذنى ياسيدى الشيخ وخذ بيدى وأنقذ بيتى من الخراب .

وكانت قصته ، كما حدث بها أبى ، أنه اختصم مع زوجه ، فلما غاضبته قال لها : « أنت طالق ثلاثا » وكان ذلك بالأمس . وتسامع الناس بذلك فأخذتهم الدهشة وعلاهم العجب : بعد هذا العمر الطويل وهذه العشرة الهنية ...

وذهب إلى « المأذون » فقال له : زوجتك طالق لا تحل لك حتى تتزوج آخر وتطلق منه واستنجد بغيره من « طلبة العلم » والعارفين فقالوا له مثل مقالة « المأذون » وكلهم قال له : هذا حكم الله ...

ثم صاح الفلاح الشيخ : ياسيدى الشيخ : بيتى «ينخرب» لو خرجت منه زوجتى وحياتى تنتهى إذا فارقتنى ، والموت خير لى من أن أراها تعيش يوما واحدا فى بيت رجل آخر .

وقال له أبى وهو يداعبه ويضحك : أحبها أيها الرجل العجوز ... ! فأسرع يجيب : نعم أحبها ، أحبها ، زوجتى وأم أولادى . « شوف لك طريقة ياسيدنا الشيخ .. ! » .

فقال له أبى : هون عليك ياشيخ حفنى عد إلى زوجتك فراجعها وأعدها لعصمتك كأنه طلاق واحد ، وكأن الرجل لم يصدق أن هذا « المشكل » ينتهى بهذه السهولة وهذا اليسر فصاح : صحيح ياسيدنا الشيخ ... وأجابه أبى : نعم صحيح وأنا أفتيك ، ولكن لا تعد لمثلها .

وخرج الشيخ حفنى مهرولا مسرورا وعاش بعد ذلك سنوات طويلة زوجا وأبا وجدا مبارك الذرية .

وبقيت دهرا طويلا أتعجب كيف أفتاه

أبى هــــذه الفتوى ، وكل العلماء فى البلدة وكذلك « المأذون » قالوا له إن : « حكم الله » هو طلاق زوجه حيث لا تعود له « حتى تنكح زوجا غيره » .. حتى عرفت بعد هذا الدهر الطويل أن ما أفتى به هؤلاء ليس وحده « حكم الله » بل هو حكم الفقهاء قال غيرهم بغيره ، ثم جاء « قانون الأحوال الشخصية » بعد ذلك فجعل القاضى ملزما بالحكم الذى قال به هؤلاء . والفتوى التى أفتاها أبى قبل ذلك بعشرين سنة للشيخ الريفى الملهوف الجازع .

وعرفت بعد هذا الدهر الطويل أن هــذا الحكم أيضا هو مــذهب الإمام ابن تيمية ، وأنه هو الذى كان يجرى عليه عمل الصدر الأول من المسلمين فى عهد أبى بكر وشطر من خلافة عمر ، ولا يحكم بغيره الآن فى مصر قاض .

ثم ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونحن نعالج فى ندوة « التليفزيون » مشكلة أسرة تريد أن تتحكم فى نسلها وتحتم عليها ظروفها الصحية وأوضاعها الاقتصادية أن تفعل ، وكلا الزوجين راض بذلك ملح فيه ، ولكن « العلماء » قالوا لهما عندما سألا عن « حكم الله » : إنه حــــرام ، وهى قصة ذكرتها فى مقال سابق [1] .

وخطورة الأمر هنا أن أكثر المفتين والعلماء إذا سألهم سائل عن « حــكم الله » كما اعتاد الناس أن يسألوا ، أفتوهم برأى عرفوه أو قرءوه لا يعرفــون غيره ، وقد يكون هذا الرأى أصبح لا يساير روح العصر ولا يحقق صوالح الناس ، وغيره ، مما قال به الأئمة والعلماء أيضا ، هو الذى يساير ويحقق الصوالح ولكن المفتين والعلماء لا يعرفونه ولا يجشمون أنفسهم أقل عناء فى البحث عنه أو التفكير فيه ، ويقف السائلون المستفتون حيارى ضيقة صدورهم أمام هــذا القرار الحاسم : « حــكم الله » كما سموا من وصفه .

ولكن الأمر كما نرى بعــد نهاية البحث مختلف جــدا .

* * *

ذلك أن العلماء من سلفنا كانوا يخشون الله ويهابون أمانة العلم ، وكانت هذه الخشية وهذه المهابة تجعلهم يتواضعون فى جــزمهم بالأحكام ، ويتهيبون القول بأن هذا أو ذاك « حــكم الله » مع جزمهم بصحته وصوابه حسبما يرون ويعتقدون مما أدى إليه اجتهادهم الخاص واستقام أمامهم دليله .

وفى ذلك يقول ابن القيم هذه الكلمة الرائعة فى حديثه عن الإفتاء وأدب المفتى : (لا يجوز للمفتى أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحــل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه مما نص الله ورسوله على إباحته

---

(١) مقال : تحديد النسل فى الإسلام : مجلة الأزهر عدد شهر رجب ١٣٨٣ هـ ديسمبر ١٩٦٣ م .

أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته وأما ما وجده في كتابه الذي تلقاه عمن قلده في دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به، ويغر الناس بذلك، ولا علم له بحكم الله ورسوله.

قال غير واحد من السلف: ليحذر أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، أو حرم كذا، فيقول الله له: كذبت، لم أحل كذا، ولم أحرمه. وثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (.. وإذا حاصرت حصناً فسألوك أن تنزلهم على حكم الله ورسوله فلا تنزلهم على حكم الله ورسوله. فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك[1]).

وفي ذلك يقول الإمام مالك أيضا: «لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن الغرائب. ولم يكن العلماء يقولون: هذا حلال وهذا حرام. ولكن أدركتهم يقولون: هذا مستحب وهذا مكروه.

فاجتهاد الفقيه والحكم الذي قال به هو رأيه هو وفهمه الخاص للشريعة، منسوب له لا إلى الله، هو حكمه، الذي أدركه من شريعة الله.

وقد ذكر عالم مستنير مجتهد مثلا لذلك فقال عن مجتهدين - أو أكثر - وصلا إلى حكمين مختلفين في مسألة واحدة: «فالمجتهدان مصيبان مثل رجلين قيل لكل واحد منهما أعط كل فقير وجدته درهما من مالى، قال: كيف أعرف أنه فقير.. قيل: إذا اجتهدت في تتبع قرائن الفقر حتى تبين لك فقره فأعطه، فاختلفا في رجل قال أحدهما هو فقير وقال الآخر، لا والمأخذان متقاربان يسوغ الأخذ بهما فكل منهما مصيب لأنه ما أدار الحكم إلا على من يقع في تحريه أنه فقير وقد وقع في تحريه ذلك من غير تقصير ظاهر»[1].

وكذلك يقول ابن القيم: «حضرت مجلسا فيه القضاة وغيرهم، فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر، فقلت له: صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به وألزم به الأمة.. قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله[2]».

وفي توضيح ذلك والاستدلال عليه، من الناحية الفقهية قال العلماء: «.. إن الاستفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين أن يستفتى هذا دائما ويستفتى هذا حينا بعد أن يكون مجمعا على ما ذكرناه كيف لا ولم نؤمن بفقيه أيا كان أنه أوحى الله

(١) إعلام الموقعين الجزء ٤ ص ١٧٥ «مطبعة دار السعادة» بالقاهرة ١٩٥٥، والحديث رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(١) شاه ولى الله الدهلوى رسالة «عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد» ص ٤ طبع حجر مجهول التاريخ والمكان.

(٢) إعلام الموقعين الجزء ٤.

إليه الفقه وفرض علينا طاعته وأنه معصوم ، فإن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا أنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله فلا يخلو قوله : إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة ، أو مستنبطا عنهما بنحو من الاستنباط ، أو عرف بالقرائن أن الحكم فى صورة ما منوط بعلة كذا واطمأن قلبه بتلك المعرفة فقاس غير المنصوص على المنصوص فكأنه يقول : ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا والمقيس مندرج فى هذا العموم . فهذا أيضاً معزو إلى النبى صلى الله عليه وسلم ولكن فى طريقه ظنون[(١)].

ومن هنا ، فقط ، نستطيع أن ندرك كيف نجد للشافعى مذهبين قديمه فى العراق وجديده فى مصر ، وأن نجد له ، فى مسألة واحدة ، رأيين مختلفين وفتويين متغايرتين ، رأى وفتوى فى المذهب القديم ورأى آخر وأخرى من الفتاوى فى مذهبه الجديد ولا نستطيع أن نقول عن أى منهما : إنه « حكم الله » ، لأننا لو قلنا ذلك ، جعلنا لشريعة الله حكمين مختلفين فى مسألة واحدة . وحاشا لشريعة الله أن يكون ذلك . وإنما نقول إن كلا الحكمين هو « حكم الفقيه » الشافعى الذى أدركه بفهمه من شريعة الله . والعلماء الفاقهون يجيزون لكل مسلم أن يعمل بما تستريح له نفسه من الرأيين - إذا كان من أهل الفهم لأحكام الشريعة . ويجيزون لغيره أن يقلد ويعمل بالرأى الذى يراه أيسر لنفسه محققاً لصوالحه بل إن منهم من يجيز لنا أن نبحث عن الأيسر فى كل مذهب فنعمل به ما دمنا مقتنعين بصحة دليله . ومنهم من يجعل ذلك مستحبا « تيسيراً للعوام »[(١)] إذا سأل منهم سائل أو استفتى .

« حكم الله » ، كلمة كبيرة وأمانة عظمى كان العلماء والأئمة الذين يعرفون ما هى الأمانة العظمى يتحرجون منها ويخشون الله أن يقولوها أو يحملوها . لذلك كان مالك يقول : « ما كان شىء أشد على من أسأل عن مسألة من الحرام والحلال ، لأن هذا هو القطع فى حكم الله . ولقد أدركنا أهل العلم فى بلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن المسألة كأنما الموت أشرف عليه » .

وقد كان « كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من مجتهدى السلف يتحاشون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية : حكم الله ، أو شرع الله . بل كان أعظمهم قدرا وأوسعهم علما يقول : هذا مبلغ علمى واجتهادى ، فإذا كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمنى ومن الشيطان »[(٢)] .

محمود الشرقاوى

(١) ص ٩ - من رسالة ولى الله الدهلوى .

(١) انظر ص ١٤ ، ١٦ ، ٢١ من رسالة الدهلوى .

(٢) الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى : ص ١٠٣ من كتابه « ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين » دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢ .

ابن قتيبة الناقد

للأستاذ على العمارى

— ٢ —

لا أدرى لماذا يسخر بعض الكتاب من نقادنا القدماء ، ولو نظروا إليهم بعين الإنصاف لوجدوا عندهم بعض ما يعيبونهم بالغفلة عنه .

جاء فى كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء) فى ترجمة (جران العود) . ويستملح قوله :

بان الأنيس فما للقلب معقول
ولا على الجيرة الغادين تعويل

يوم ارتحلت برحلى قبل برذعتى
والقلب مستوهل بالبين مشغول

ثم اغترزت على نضوى لأرفعه
إثر الحمول الغوادى وهو معقول

ويفهم من قوله (يستملح) أن أرباب الأذواق السليمة قبله ، وفى عصره يستملحون هذه الأبيات ، وقد سجل هو هذا الرأى ، ولم يعقب عليه بما يدل على أن هذه الأبيات مليحة عنده أيضاً .

وبدهى أن ملاحة هذه الأبيات لا ترجع إلى ما فيها من فكرة أو حكمة ، أو خلق حسن ، وإنما ترجع إلى هذه الصورة العجيبة الطريفة التى عبر بها الشاعر عن ذهوله ودهشته من فراق الأحبة ، فهو يضع الرحل قبل البرذعة ، ومن حق البرذعة أن توضع أولا ؛ لأنها تكون أسفل الرحل ، وهو يحط نفسه فوق جمله ليبعثه على المسير ، وينسى أنه لم يفك عقاله ، وخير ما يقال فى هذه الصورة إنها مليحة ، فهذه الكلمة تعبر تعبيراً دقيقا عما يحسه متذوق هذا الشعر .

بينما يثبت ابن قتيبة هذا فى كتابه يجىء ناقد حديث فيذكر بيتين من الشعر قريبين من هذه الأبيات ، ويبين ما فيهما من جمال لا يدرى ماذا يقول عنه ابن قتيبة ، ولنترك الناقد يتحدث عن فكرته ، لندع القارئ يتأمل ويعجب .

يقول الدكتور محمد مندور فى كتابه : (النقد المنهجى) : « وهذه نظرة الفقيه ابن قتيبة ، وهى بدورها نظرة ضيقة ؛ إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعانى الأخلاقية ، كما أنها ليست الأفكار ، وإن

من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فنى ، كما أن منه ما لا يعدو مجرد الرمز لحالة نفسية رمزاً بالغ الأثر ، قوى الإيحاء ، لأنه عميق الصدق على سذاجته ، ولعل خير الأمثلة على ذلك قول ذى الرمة الشاعر الدقيق الحس وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة وتفقدها فلم يجدها :

عشية مالى حيلة غير أننى
بلقط الحصى ، والخط فى الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده
بكفى ، والغربان فى الدار وقع

فأى معنى يريد ابن قتيبة من مثل هذه الصورة الجميلة الصادقة ؟ .

صورة شاعر أصابه الحزن بالذهول فجلس إلى الأرض منهمكا يائسا ، يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها اللب فأخذت تعبث بالرمال وفى الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو أسى ولوعة ، وهل أصدق من هذا وصفا ؟ وهل أقوى منه على إيحاء ؟ ثم من يدرينا ؟ لعل جماله فى خلوه من كل فكرة ، ولعل صدقه فى تناهى بساطته .

وهكذا يظهر لنا ما فى نظرة ابن قتيبة من ضيق عندما يتطلب معنى فى كل بيت من الشعر ، كما ظهر لنا فساد رأيه فى العلاقة بين اللفظ والمعنى .

أعتقد أن أى منصف يقرأ هذا الكلام وما نقلته عن ابن قتيبة لا يسعه إلا أن يحكم بمدى الظلم الذى يلحقه نقادنا المحدثون بنقادنا القدماء ، بل أعتقد أن الدكتور مندورا نفسه لو وقع نظره على حكم ابن قتيبة على الأبيات التى نقلنا عنه أنه كان يستملحها كما استملحها من قبله ، أقول لو وقع نظر الناقد على هذا الحكم لأعنى نفسه من السطور التى أراد بها أن يهون من شأن الرجل ، وأن يلزمه الحجة فى صورة بارعة خلت من (معنى) وهى جميلة حسنة .

فالصورة التى أشاد بها الدكتور هى نفس الصورة التى حكم لها ابن قتيبة بالملاحة ، صورة ذاهل لا يدرى ما يفعل ، وهو يقوم بأعمال تدل على شرود لبه ، واضطراب عقله غير أن صاحب ابن قتيبة دل عليها بوضع الرحل قبل البرذعة ، وبالوثوب على الجمل دون أن يفك عقاله ، وصاحب الدكتور مندور دل عليها بالخط على الرمل ، ثم محو الخط ، ثم إعادته ... وهكذا .

ومن يدرينا — بل هو ما نرجحه — لعل ابن قتيبة لو اطلع على بيتى ذى الرمة لاستحسنهما كما استحسن أبيات جران العود .

أليس الأمر كما قلت من أن نقادنا اعتمدوا على مقدمة ابن قتيبة وراحوا

يحاسبونه على ما ورد فيها ، وكان الواجب أن يقرءوا كل الكتاب بل أن يطالعوا كل كتبه الأخرى قبل أن يرموه بضيق النظر والسذاجة فى النقد إلى آخر ما رموه به من نقائص ؟ ! .

ثم نعود إلى مناقشة ابن قتيبة فيما أورده من شواهد فنقول :

لعل أبيات كثير : (ولما قضينا ...) أكثر الشواهد حظوة بنظر النقاد فيها ، فقد عرض لها أبو هلال العسكرى وكان رأيه فيها كرأى ابن قتيبة ، ثم عرض لها عبد القاهر الجرجانى ، فأبان ما فيها من صدق الشعور ، وجمال التعبير ، وروعة الخيال ، وهو يجرى على أصله الذى ظل يدافع عنه فى كل ما كتب فى البلاغة ، وهو أن جمال الكلام إنما يرجع إلى معناه ، فهو يذكر هذه الأبيات ويحللها ليثبت أن ثناء العلماء عليها من جهة ألفاظها ، ووصفها بالسلاسة لم يكن إلا لاستعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان ، وبعد أن مهد هذا التمهيد شرع فى تحليل الأبيات فقال : فأول محاسن هذه الأبيات التعبير عن قضاء المناسك كلها ثم التنبيه على طواف الوداع فى الشطر الثانى ثم وصل الرحيل بمسح الأركان ، والدلالة بلفظة الأطراف على الصفة التى يختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول ، أو على ما هو عادة المتظرفين من التلويح والإشارة ، وقد رأى أن ذلك ينبيء عن طيب النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاغتباط لألفة الأحباب ، وتنسم روائح الأحبة والأوطان .

أما الاستعارة اللطيفة التى أصابت موقعها فهى فى جعل سلاسة سير الإبل كالماء تسيل به الأباطح ، وذلك إخبار عن سرعة السير ووطاءة الظهر ، وفيه ما يزيد من نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ، والتعبير بأعناق المطى دون التعبير بالمطى يشير إلى أن السرعة والبطء يظهران غالبا فى أعناقها .

ثم يخلص عبد القاهر إلى رأيه وهو أنه لا توجد حسنة خاصة باللفظ حتى إن فضل الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو ذكرت بانفرادها فالحسن إذن فى النسج والتأليف وليست الألفاظ هى التى تحوز الفضيلة باجتماعها ، وإنما ذلك شأن المعانى .

ولا شك أن كثيرا من النقاد تأثروا بتحليل عبد القاهر لهذه الأبيات ، وأنحوا باللائمة على ابن قتيبة الذى لم يدرك ذلك التناسق التعبيرى الخاص ، وذلك الإيقاع الناشيء من

التناسق ، وتلك الصور التى يشعها التعبير كما يقول أحدهم (١) .

والحق أن الشيخ عبد القاهر حمل الأبيات أكثر مما تحتمل ، وأننا لو أخذنا بهذه الطريقة فى تحليل الشعر لم يعوزنا أن نلتمس لأضعف الشعر فضائل من هذا القبيل فكلمة « ظلال الألفاظ » التى يلجأ إليها بعض النقاد كلمة مرنة ، ولا يمكن معها الضبط والتحقيق .

والحق ـ كذلك ـ أن هذه الأبيات تروعنا فى سهولة ألفاظها ، وحسن مخارجها ، وأن المعنى الرائع الذى يقف عنده القارئ الحصيف لا يوجد فيها ، فالمتذوق للشعر قد يبهره معنى فيقف متأملا مفكرا معجبا كما نجده فى شعر ابن الرومى وأبى تمام وكثير من الشعراء وقل أن نجد شعرا جيدا ولا نجد فيه من مثل ما ذكره عبدالقاهر وليست هذه هى المعانى التى ينوه بها ابن قتيبة على حد ما تره بمعنى البيت :

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم

وليس من شك فى أن الأمر الذى دعا عبد القاهر أن يطيل فى استخراج معان لهذه الأبيات هو دفعه بشدة أن يكون حسن الكلام راجعا إلى لفظه ، كما أن من المسلم به أن فى الأبيات ألفاظا موحية كـكلمة (أطراف الأحاديث) ومثل كلمة ولم ينظر الغادى الذى هو رائح فهذه العبارة تدل على أن كل إنسان مشغول بنفسه عند الرحيل وهذا شأن من قضى وطره ، وأزمع العودة إلى أهله .

وبقدر ما أطال عبد القاهر فى استخراج معان من هذه الأبيات قصر ابن قتيبة كما قصر أبو هلال فى تحليلها ، وقد سلباها كل فضيلة غير فضيلة اللفظ ، فعندهما أنه لا طائل تحت هذه الأبيات ، ولا معنى فيها ، وهو ـ منها ـ وقوف عند المعنى الأول ، ولعل ما رآه عبد القاهر يجعلانه من محاسن الألفاظ وهو ـ فى الجملة ـ نظر غير سليم .

وأما أبيات جرير : (إن الذين غدوا بلبك غادروا . . البيتان) و (إن العيون التى فى طرفها حور . . البيتان) فقد علق بعض النقاد المحدثين على البيتين الأولين بأن فيهما خيالا بديعا ، وتصويرا رائعا ، وجمالا فى التعبير ، وصدقا فى الشعور وكل هذا حسن ، ويبدو من صنيع ابن قتيبة ـ وإن لم يصرح بذلك ـ أنه يحمل كل هذا من دلالات الألفاظ ، وقد قال عن هذين البيتين ـ كما سبق ـ إنهما من

(١) الأستاذ سيد قطب فى كتابه (النقد الأدبى) ص ٤٩ .

الشعر الذى حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك طائلا ، والحقيقة أن القصيدة كلها التى منها هذان البيتان رائعة النسج ، عذبة الألفاظ بديعة الخيال ، ولكن المعانى فيها نادرة .

وطبيعى أن كل كلام له معنى ، وإلا لكان خلقا من القول ، وكيف يمكن أن يتبادر إلى الذهن أن شعرا جميلا أو رديئا قد خلا من معنى يدل عليه ، غير أن المعنى الذى يقف عنده ناقد كابن قتيبة معنى خاص ، وهو الذى ينفيه عن مثل هذين البيتين .

وأبيات جرير تعجبنا وتروعنا ، وقد أعجبت الأوائل فكانوا يذكرونها فى معرض الإشادة بجرير وتفضيله ، قال بعض نقدة الشعر : رأيت أعرابيا فأعجبنى ظرفه ، فسألته : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ فقال الأعرابى : بيوت الشعر أربعة : فخر ، ومديح وهجاء ، ونسيب ، وفى كلها غلب جرير . قال فى الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

وفى المدح :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وفى النسيب :

إن العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وفى الهجاء :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وذكر بعضهم أن قول جرير (إن الذين غدوا . .) أغزل ما قالته العرب .

وأما بيت لبيد فقد ذهب فيه بعض النقاد والمحدثين مذهب ابن قتيبة ، فقال ، قول لبيد :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

يقول ابن قتيبة فى هذا البيت : إنه جيد المعنى ، وقصرت الألفاظ عنه فهو قليل الماء والرونق ، وعندى أن هذا البيت قد استأثر العقل به فكان جيد المعنى ، ولكن تعوزه العاطفة التى كانت تبعده عن أن يكون نظما لحكمة معروفة ، وتبعث فيه خيالا جميلا ، وأسلوبا موسيقيا ، ولعلك تشعر بحاجة إلى شىء من التأويل لتصل بين الشطرين صلة شعرية ملائمة [1] » .

ونحن حين نحكم الذوق المجرد عن التعليل نحس فى هذا البيت بما أحس به ابن قتيبة ، فهو فعلا قليل الماء والرونق .

---

(١) الأستاذ أحمد الشايب فى كتابه : (أصول النقد الأدبى) ص ١١٦ .

ولست مع الناقد الفاضل فى أن الوصل بين الشطرين صلة شعرية تحتاج إلى شيء من التأويل ، بل الأمر من الوضوح بحيث لا يحوج إلى شيء من الفكر المتأمل ، إلا إذا كان الناقد يفهم من هذا البيت معنى غير ما نفهم .

لبيد يريد أن يقول : إنه لا يصلح الإنسان شيء أجدى عليه من نفسه ، فهى التى تحسن عتابه ، وتوجهه إلى الخير ، وتنفيره من الشر ، ومع هذه الحقيقة الواضحة فإن الجليس الصالح يصلح الإنسان ، ولكن لا كنفسه ، وإن كان فيه بعض الغناء .

وأخيراً لعل ابن قتيبة أول من نبه من أصحاب الكتب المؤلفة إلى قصور أشعار العلماء وتخلفها ، وأنها ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة ، ثم ضرب مثلا مقنعا بشعر للخليل بن أحمد ، ولعله كذلك - كان منصفاً حين استثنى خلفا الأحمر ، وعده أجودهم طبعاً ، وأكثرهم شعراً ، وقد كان خلف كذلك ، فقد كان معلما للأصمعى ومعلما لأهل البصرة ، قال عنه الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعى ، ومع ذلك قال عنه بعض اللغويين : كان خلف يضع الشعر ، وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، وله ديوان شعر .

وحدث عنه الناقد الذواقة على بن عبد العزيز الجرجانى صاحب كتاب الوساطة ، فقال إنه كان مع حماد وابن دأب ينحلون القدماء شعرهم فيندمج فى أثناء شعر القدماء ، ويغيب فى أضعافه ، ويصعب على أهل العناية إفراده وينحصر .

وإذا كان خلف بهذه المنزلة كان شعره جيداً لأنه يشتبه على الناقد البصير فلا يفرق بينه وبين الشعر المطبوع .

وبعد قرون من وفاة ابن قتيبة جاء ابن خلدون فكان رأيه فى أشعار العلماء هو رأى ابن قتيبة غير أنه زاد فعلل ذلك بنوع المحفوظ ؛ لأنه يرى أن نوع المحفوظ له تأثير فى الملكة الأدبية ، والعلماء يعنون بحفظ القوانين العلمية ، وهى بعيدة عن الأساليب الأدبية فتكون ملكتهم قاصرة فى الأدب .

(وبعد) فإنه لم يكن ينبغى أن نطالب من ابن قتيبة أن يؤصل أصولا واسعة شاملة فى النقد ، فإن ذلك تكليف بما هو فوق الطاقة فى ذلك العصر ، وحسبنا أن الرجل فتح أبوابا واستعان بعلمه وذوقه وترك لنا مسائل أعانت النقاد بعده وأعانتنا ، وكانت حلقة لها قدرها فى مسير النقد الأدبى عند علماء العرب ، وكانت فصلا ممتعا من فصول (اللفظ والمعنى) .

على العمارى

تداخل المذاهب الفقهية

للدكتور علاء الدين شلبى

رأينا فيما سبق مدى ما بين المذهب الحنفى والمذهب المالكى من تداخل واتصال . ولعلنا لمسنا زوال التعصب للرأى بين كبار الأئمة المجتهدين ورأينا تقدير الامام مالك رأى أبى حنيفة وإن كان هو نفسه لا يأخذ به كما رأينا الدور الذى قام به محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة فى مزج المذهبين.

أما محمد بن إدريس الشافعى فله دور أوسع فى هذا التقريب فقد تتلمذ أولا على مالك وكان أستاذه يحبه ويجله وكان هو ميالا للتفاريع وتوليد الجزئيات ولم يكن مالك يحتمل مثل هذا الإلحاح من غير الشافعى من تلاميذه فكان هؤلاء يعزون إليه أن يسأل الإمام عما لا يجرءون عليه من الأسئلة التى لا يحبها الإمام وكثيرا ما كان الإمام يقول له أعراقى أنت أو أمن أهل الرأى أنت ؟ مستنكرا عليه هذا المذهب الجدلى ولكنه إذ فرغ من الدرس عليه وجهه إلى العراق ليغذى نزعة الرأى التى عنده بمنهج أبى حنيفة وفى مدرسته.

وقد تتلمذ الشافعى فى العراق على محمد بن الحسن إذ كانت رياسة المذهب قد انتهت إليه بعد أبى يوسف وبهذا يكون الشافعى قد عاد إلى صنوه فى التلمذة على مالك ، وقد كتب الشافعى هناك رسالته الأولى وحدد فيها مذهبه وهو مذهب وسط بين اتباع الأثر والاستنارة بالرأى ولكنه فى وسطيته أكثر ميلا للمالكية .

ونظرا لأن العلاقة بين الشافعى وأستاذه العراقى لم تكن على وفاق تام قامت بينهما عدة مناظرات ظهرت فيها روح الجدل العراقى كما ظهرت مقدرة الشافعى على تشقيق الكلام واستنباط الأحكام ولكن مكانة الأستاذ هناك وقوة نفوذه وكثرة أتباعه كانت من أسباب مضايقة الشافعى ولم تكن هذه الخصومة ترجع إلى مجرد الخلاف فى الرأى وطريقة الاجتهاد بل كان هناك عوامل أخرى وراء ذلك جعلت الشافعى يضيق بالعراق فرحل عنه بعد إقامة لم تطل أكثر من عامين .

كان الشافعى مثالا للإخلاص للعلم وكان إذا اقتنع برأى يهمه أن يجد له أنصارا وقد عرضت عليه بعض المناصب الكبرى فى العراق فأعرض عنها مخافة أن تشغله عن العلم ولعله كان يهمه أن يظل بالعراق فإنه بعد رحيله

عنه عاد إليه ثانيا ولكن لم يستقر مقامه به ولم يكن العراق ولا الحجاز مستعدين لقبول مذهبه وفي كلا الإقليمين مدارس أساتذته وتلاميذتهم ورواج فقهم ولهذا اتجه إلى مصر .

دخل الشافعي مصر سنة ١٩٨ﻫ وكانت كلها من أتباع المذهب المالكي وكان بنو عبد الحكم هم القائمين على هذه المدرسة . وقد تعجب أن الشافعي هم بالرحيل عن مصر لولا أن أواه بنو عبد الحكم فأنزلوه دارهم وتبرعوا له بالمال وجمعوا له من ذوى الثراء وأفسحوا له في المسجد بجانبهم وكان عبد الله بن عبد الحكم شيخ المذهب المالكي يجل علمه ويقدر اجتهاده والتف حول الشافعي طائفة من التلاميذ كانوا مالكيين قبل مقدمه وشجعه هذا كله على الإملاء والدرس والتأليف حتى أخرج في خمسة الأعوام التي أقامها بمصر ثروة طيبة من الفقه الإسلامي وأحدث تموجات تجديدية في الفكر المصري لعله هو أول من أدخلها عليه ولم تكن بين الشافعي وبين مالكية مصر مناظرات كالتي قامت بينه وبين محمد بن الحسن في العراق بل إن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كان صديقا حميما له وكان المتعصبون من المالكية يشكون لأبيه حضوره على الشافعي وملازمته له فكان يقول لهم إنه : شاب طموح يحب أن يطلع على الأفكار والآراء الأخرى ولكنه كان إذا خلي بابنه حثه على التزام الشافعي والاستفادة منه ومن العجيب أن محمدا هذا كان يطمع أن يخلف الشافعي على كرسيه ورياسة مذهبه وكان الناس يتوقعون ذلك لما بينهما من محبة ولما كان يبديه الشافعي من إجلال وتقدير لذكاء محمد هذا وعلمه ولكن الشافعي آثر البويطي برئاسة مذهبه من بعده فعاد محمد إلى حلقة المالكية ولم تقم بينه وبين البويطي منازعات .

اعتمد فقه الشافعي قليلا على الرأي وكثيرا على الأثر ولكنه في صوغه واحتجاجه يذهب مذهب العراقيين الجدلي وكتاب الأم بما فيه من اعتراضات ورد عليها وأسئلة وأجوبة يذكرنا بطريقة الزمخشري في كشافه وكلاهما من أثر المذهب العراقي في الجدل .

يتضح من هذا العرض السريع أن هذه المذاهب الثلاثة ذات صلة كبيرة بعضها ببعض وعلى حظ من الوفاق في الأصول ، أما المذهب الرابع مذهب الحنابلة فقد قام على الحديث وجانب الرأي وكان ابن حنبل من تلاميذ الشافعي ولم يترك كتبا فقهية تحدد مذهبه ولهذا يعده الشافعية من رجاله ويعده المحدثون من رجالهم وكل ما تركه هو فتاوى خالف فيها كلا من الشافعي ومالك ثم كان أتباعه هم الذين حددوا المذهب وألفوا فيه ولم يكثر أتباعه في هذا المذهب لتقيده بالحديث ونفوره من الرأي وهو على أي حال فرع من مذهب مالك والشافعي .

وقد أتاحت المقادير لهـذا المذهب فى العصور المتأخرة رجالا عملوا على نشره وفتحوا فيه باب الاجتهاد - فابن تيمية وابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغانى كل أولئك نشروا منحاه فى إجلال الحديث والأخذ به ونفروا من التقيد بأقوال الفقهاء أى كان لونهم وطريقتهم وهم فى الواقع نشروا مذهب الحديث ودعوا إلى الاقتداء بالسنة ومع ما هم عليه من محاربة البدع وتحريم كثير من الأشياء جعلوا الفقه الإسلامى فوق المذاهب وفرقوا بحق بين الشريعة وبين الفقه فالفقه اجتهاد أما الشريعة فهى ينبوع هذا الفقه ، ولكل قدير على الاجتهاد أن يجتهد ويفهم من النص غير ما يفهمه الآخرون وقد يعطى النص حكمين متباعدين ولكن لا بأس على أى من المجتهدين ما دام لهم سند من القرآن أو الحديث . وبهذا فتح الحنابلة باب الاجتهاد بعد أن أغلق زمنا طويلا وأعادوا إلى الفقه بعض المرونة وتشددهم الذى يعاب عليهم هو فى واقعه دعوة إلى التسامح لأنهم تشددوا فى تحريم التقليد وتقديس الأشخاص ودعوا إلى إعمال العقل والاتصال بالله مباشرة فى العبادة والاتصال بشرعه مباشرة عن طريق الشريعة لا عن طريق الفقه فزجوا بين المذاهب جميعا ولم يفرقوا بينهـــا .

ولا يشذ الفقه الشيعى وخصوصاً فقه الفاطميين عن هذا ، فالفقه الفاطمى أنضج فقه شيعى وهو يكاد أن يكون صورة من فقه المالكية وأكبر الظن أنه استفاد منه كثيراً فى مصر والمغرب ، أما فقه الشيعة الإمامية فإذا استثنينا بعض مخالفات فى العبادات وقوانين الأحوال الشخصية وهى الصور التى تخالف مذاهب السنيين نجد أن قوانين ومعاملات وأحكام البيع والرهن وما إليها تصلح للاتفاق مع المذاهب السنية ونحن نخرج من حسابنا كل الأفكار الباطنية فهى فى حقيقتها ليست إسلامية ، وقد كفانا كل من الغزالى وابن تيمية وابن حجر الرد عليهم فى هذا . ولكننا نقبل طريقة اجتهاد الشيعة وخصوصا ما نجده فى كتب داعى الدعاة الفاطمى كروافد الفقه الإسلامى ولنا أن نتقبل منها ما نتقبله ونرفض ما نرفضه ومنذ سنوات أدخل الأزهر فى منهجه درس الفقه الشيعى وهو طبعا يدرسه للثقافة والتاريخ لا للعبادة والعمل وهذا الدرس يطلع أبناءه على لون من التفكير يفيدهم فى منهجهم ويمدهم بزاد جديد ولكى تكون الدراسة الفقهية فى الأزهر والكليات التى تعنى بدرس الفقه الإسلامى دراسة موضوعية يجب أن تبحث أبوابه ومسائله الكبرى فى جميع المذاهب التى تناولته فإذا كانت جزئية من جزئياته محل

تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر كان لنا أن نأخذ منها ما يناسب حياتنا وليس الحتم أن يكون المناسب هو الإباحة بل قد يكون المنع هو المناسب وقد يكون المناسب غيره وقد قال عمر ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضى .

ونحن فى العصر الحديث عصر التوحد فى الاتجاهات المختلفة نرى أنه من المناسب أن نأخذ بمذهب فقهى واحد هو الفقه الإسلامى ولا داعى لأن يقسم الطلاب فى الأزهر والمسلمون فى الأقطار إلى شافعية وأحناف ومالكية وغيرهم فقد حالت هذه الطريقة دون اتحاد المسلمين على رأى واحد فى العبادة كما حالت بين طلاب الأزهر وبين الدراسة الموضوعية كما حجبت عنهم كتبا فى الفقه ما كان يليق أن تهمل من دراستهم . ـ فالدراسة المذهبية هى التى نحت كتب ابن حزم الظاهرى عن دراسة الأزهر وهى من غير شك أخصب ما كتبه وأكثر جدوى وما زلت آمل أن أرى كتاب المحلى ينقح ويصحح ويطبع بأيد أزهرية وأن يأخذ مكانه من دراسة الأزهريين ومراجعهم .

هذا المنهج الذى تحدثت عنه هو ما ينبغى (فيما أرى أن يكون أساس التطوير الجديد لدراسة الفقه الإسلامى) .

عماد الدين شلبى

نزل بأعرابى من بنى سعد أضياف فقام إلى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته فى نسوة فقالت لهن : أهذا بعلى ؟ فأخبر بذلك فقال :

تقول وصكت صدرها بيمينها
أبعلى هـذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجبى وتبينى
بلائى إذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه
وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشمت هـول ما
يهاب حمياه الألد المداعس
لعمر أبيك الخير إنى لخادم
لضيفى ، وإنى إن ركبت لفارس

رسالة المسجد فى نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصى

— ٢ —

جامعات عامة :

يسمى كثير من الباحثين المساجد بالجامعات العامة ، وذلك لعدم الاختصاص فيها ، ولتفتح أبوابها للجميع ، حتى حلا لبعض أن يلاحظ وجه الشبه اللفظى والمعنوى بين كلمتى « الجامع » و « الجامعة » ، وقد قالوا إن كلمة « الجامعة » لها مدلولات عدة ، منها المدلول اللغوى ، وهو المجموع — أى كل العدد — والعموم . ومنها المدلول الموجود لكلمة فى اللاتينية المتأخرة وهو الجماعة ، والشركة ، ومنها المدلول المفهوم من معنى مجموع الأساتذة والطلاب يجتمعون فى مكان لتدريس العلم وتلقيه فى الفروع العليا من المعرفة .

وأغلب هذه المدلولات موجود فى معنى « الجامع » ، فالجامع يضم الناس وهم العموم والمجموع والجامع فيه معنى الاجتماع والتلاقى والجامع تدرس فيه العلوم المختلفة الشريفة التى يحلق فيها الفكر كثيرا من الأحيان فى آفاق عالية سامية قد تبلغ أدق مسائل الفكر من أمور العقيدة والروح .

وإنا لنقرأ فى الجزء الأول من كتاب « مساجد ومعاهد » هذه العبارة : « المساجد الجامعة وإن كان الهدف من إنشائها هو أداء الفرائض ، إلا أنها ساعدت على التآلف والتعارف ، ونشر التعليم وإذاعته ، ونشر أوامر الدولة وقوانينها ، وكانت تتخذ محاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأقيم فيها بيت المال .

وكانت تعقد فيها الدروس ، كما أقيمت الكتاتيب لتحفيظ القرآن والتعليم الابتدائى فكانت بمثابة جامعة للطالب ، ينشأ فيها طفلا ويتخرج فيها عالما .

ونستطيع أن نلحظ النزعة العالمية فى مدرسة المسجد ، لأننا لا نشترط فى دخولها سنا معينة بل يدخلها الكبير والصغير ، والناشئ الفتى والشيخ الطاعن فى السن ، ولا نشترط فى دخولها غنى أو فقرا ، ولا حسبا ولا نسبا بل يدخلها الأبيض والأسود والغنى والمعدم وليس هناك اشتراط لمصروفات أو نفقات بل التعليم هنا بالمجان ، وهو مبذول لكل طالب يطلبه بلا تفرقة بين شخص وشخص ، وليس هناك من تمييز بين فرد وفرد فى المكان أو الزمان أو الإجابة أو غير ذلك من الأمور .

وإذا نظرنا إلى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام في صدر تاريخه نجد أنه كان مفتح الأبواب للجميع ، لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين نسب ونسب ، ولا بين مقام ومقام ، فأبو بكر القرشي ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو موسى الأشعري اليمني ، ومنقذ بن حبان البحريني ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وفيروز الديلمي ، الكل يتلاقون في رحاب المسجد ، فلا يحس أحدهم بفارق بينه وبين غيره ، والكل يجلسون في حلقة العلم الإسلامي يغترفون من مناهله ، كل حسب طاقته ومبلغ قدرته .

وجامعة المسجد مفتحة الأبواب للرجال والنساء على السواء ، فللمرأة الحق في السعي إلى المساجد ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« لا تمنعوا إماء الله بيوت الله » وللمرأة المسلمة أن تشهد الجماعات والجمع ، وأن تسمع الخطب والدروس والعظات ، وليس هذا فقط ، بل للمرأة أن تشارك في المناقشة ، ونحن نعرف كدليل على ذلك أن الفاروق عمر بن الخطاب أراد ذات يوم أن يضع حداً للمهور خشية مغالات الناس فيها ، فقامت امرأة من صف النساء في المسجد تقول :

إن هذا أمر ليس لك يا عمر ، وكيف تفعل ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً » ؟ .

وتدبر عمر فيما قالت المرأة ، فاستبان له صوابها ، فلم يستكبر عليه أن يرجع عن رأيه وقال قولته التي رواها التاريخ ووعاها سمع الزمان : أصابت امرأة وأخطأ عمر ! .

ومما يدلنا على أن المرأة كانت تأخذ حظها كاملاً من ثقافة المسجد وتوعيته أن النساء حينما رأين أن الرجال يتغلبون عليهن في أوقات الاجتماع المشتركة داخل المسجد ذهب وفد منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلن له : يا رسول الله ، لقد غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً نلقاك فيه واستجاب الرسول لهن وخصص يوماً يلقاهن فيه ! .

وفي تاريخ الإسلام كثيرات من النساء تألقن في سماء الثقافة والعلم والمعرفة ، وبلغن درجة التعليم والتدريس ، وكانت أغلب الدروس منهن تلقى في المساجد الجامعة التي أخذت روح الجامعات ، ففاض غيثها العلمي هنا وهناك ومن هؤلاء السيدة نفيسة بنت أبي محمد حسن التي يروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر سمع عليها الحديث ، وكانت وفاته سنة ثمان ومائتين للهجرة .

وأم المؤيد زينب بنت الشعري التي سمعت من الكثيرين ، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن

الفارسي ، والزمخشري المفسر صاحب : « الكشاف » وغيرهما ، وكان من تلاميذها ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وقد توفيت بنيسابور سنة خمس عشرة وستمائة.

وشهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبري البغدادية ، التي سمع عليها خلق كثير . واشتهر ذكرها وبعد صيتها ، وكان من تلاميذها الإمام المشهور ابن تيمية الحراني الذي سمع منها الحديث ، وتوفيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب ، التي أخذت العلم عن مولاها ثم فاقته وسبقته ، وكانت تحفظ الكامل للمبرد ، والنوادر للقالي وتشرحهما ، وقرأ عليها هذين الكتابين أبو داود سليمان ، وتوفيت عام أربعين وخمسمائة .

وفاطمة بنت علاء الدين محمد بن أحمد السمر قندي ، كانت فقيهة محدثة مدرسة زاهدة ، ذاعت مؤلفاتها ، وكان الملك العادل نور الدين يستشيرها ويستفتيها ويعضدها .

وفاطمة بنت جمال الدين سليمان الأنصاري الدمشقي. كانت عالمة محدثة ، وممن أخذ الحديث عنها الصفدي ، وكان لها مال كثير أنفقته في وجوه الخير ، وتوفيت سنة ثمان وسبعمائة .

وست الوزراء حفيدة وجيه الدين الحنبلي وبنت عمر بن أسعد بن المنجا ، كانت محدثة مشهورة ، أخذت صحيح البخاري ومسند الشافعي عن الزبيدي ، وروى عنها الحديث الأمير عون والقاضي كريم الدين وغيرهما .

وزينب بنت يحي بن عز الدين بن عبد السلام السلمي ، وهي حفيدة الإمام المشهور العز بن عبد السلام ، وتفردت برواية « الجامع الصغير » ، للطبراني ، وتوفيت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

وبنت الكمال زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية . قال عنها الذهبي : إنها تفردت بقدر حمل بعير من الأجزاء بالإجازة ، وتزاحم عليها الطلاب واستفادوا منها كثيرا ، وماتت سنة أربعين وسبعمائة . وأخذ الإجازة عنها ابن بطوطة الرحالة المشهور ووصفها بأنها رحلة الدنيا .

وصفية بنت أحمد بن أحمد المقدسية الصالحية ، سمعت من الكرماني وابن عبد الدائم صحيح مسلم وغيره ، وحدثت بصحيح مسلم وغيره وماتت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وجويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحسين ابن موسك بن موسى الهكاري ، سمعت من ابن الشحنة وست الوزراء وابن عمر الكردي وابن الطباع ، وقال عنها ابن حجر : « وسمع منها بعض مشايخنا وكثير من أقراننا » . وماتت سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة .

وزينب بنت عبدالله بن عبد الحليم الحنبلية التي كانت من نساء الحديث المشهورات .

وزينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية العالمة الفصيحة البليغة الفقيهة المحدثة، وكان من تلاميذها ابن حجر العسقلانى وكثيرون ، وأقبل على درسها الكثيرون .

وزينب بنت عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية كانت عالمة فاضلة مبرزة فى علوم السنة ، وأخذ عنها ابن حجر العسقلانى ، ولها رسائل فى الفقه والسنة ، وتوفيت سنة ثمانمائة .

وعائشة بنت على بن محمد بن عبد الغنى بن المنصور الدمشقية ، كانت عالمة بالنحو والصرف والبيان والعروض والحديث ، وفتحت حلقة للتدريس ، وانتفع الناس كثيراً بعلومها ومعارفها .

وعائشة بنت محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد ابن قدامة المقدسى . كانت سيدة المحدثين بدمشق على عهدها ، وروى عنها ابن حجر ، وقرأ عليها كتباً كثيرة ، وتوفيت سنة ست عشرة وثمانمائة .

وعائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباعونية الأديبة التقية ذات العلم والعمل ، صاحبة مؤلفات وأشعار ، وتوفيت سنة ثنتين وعشرين وتسعمائة .

وقد تحدث عن هؤلاء النساء ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » ، وابن كثير فى « البداية والنهاية » ، وابن حجر العسقلانى فى « الدرر الكامنة » ، وابن بطوطة فى رحلته وغيرهم ، كما يمكن العثور على أسماء عشرات من النساء اللاتى تألقن فى سماء العلم ، وكانت لهن صلاتهن بالمساجد .

ويذكر التاريخ أن الأزهر الشريف كان يعقد فيه مجلس من مجالس الحكمة التى أنشأها الفاطميون لدراسة الدعوة الفاطمية ، وكان يعقد فيه مجلس للنساء ، وفى صفحات تاريخ الأزهر الشريف ، والمعهد الأحمدى الدينى بطنطا ما يفيد وجود نساء تعلمن فى هذين المسجدين ونلن درجات علمية .

ومن الصبغة العامة للمسجد التى تجعل تأثيره الثقافى ذا ألوان أنه كان منبرا للأمور العامة ، فهذا مثلا عمرو بن العاص يقوم فى مسجده الجامع بالفسطاط ، فيشرح للناس ما يهمهم من أمور ، فيبدأ بالحمد لله والصلاة على رسول الله ، والحث على الزكاة وصلة الأرحام ، ثم يقول :

« يا معشر الناس ، إياكم وخلالا أربعا ، فإنها تدعو إلى التعب بعد الراحة وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى الذلة بعد العزة : إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقيل بعد القال ، فى غير درك ولا نوال .

ثم إنه لا بد من فراغ يئول إليه المرء فى توديع جسمه ، والتدبير لشأنه ، وتخليته بين نفسه وبين شهواتها ، ومن صار إلى ذلك

فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل، ولا يضيع في فراغه نصيب العلم من نفسه، فيحوز من الخير عاطلا، ومن حلال الله وحرامه غافلا.

يا معشر الناس، إنه قد تدلت الجوزاء وذكت الشعرى، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل الندى، وطاب المرعى، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل، وعلى الراعي أن يحسن رعيته. فحى لكم على بركة الله تعالى إلى ريفكم تنالوا من خيره ولبنه، وخرافه وصيده، وأربحوا خيلكم وسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنها جنتكم من عدوكم، وبها مغانمكم ونصركم.

واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً وإياكم والمومسات المعسولات، فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم، حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ستفتح عليكم من بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا، فإن لهم فيكم صهراً وذمة) فكفوا أيديكم، وعفوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، ولا أعلمن ما أتى رجل قد أسمن جسمه، وأهزل فرسه.

واعلموا أني معترض الخيل [1] كاعتراض الرجال، فمن أهزل فرسه من غير علة، حططت من فريضته قدر ذلك. واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية...

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ولم يا رسول الله؟ فقال: «لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة». فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم، فإذا يبس العود، وسخن الماء، وكثر الذباب، وحمض اللبن، وصوح البقل، وانقطع الورد من الشجر فحى إلى فسطاطكم على بركة الله.

ولا يرجع أحد منكم ذو عيال إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم».

وهـــذه الخطبة التي ألقاهـــا عمرو بمسجده في الفسطاط لا تقتصر كما نرى على التوجيه والتثقيف في شئون الدين والعبادة فحسب، بل تدخل في صميم أمور الحياة والتوجيه فيها، مما يدل على أن ساحة المسجد من طبيعتها أن تكون ميدان توعية ثقافية في كل شئون الدين والدنيا.

أحمد الشرباصي

(١) أي يقوم باستعراضها للتأكد من سلامتها وجودتها.

نظرات فى الأدب والتصوف :

المذهب الرّمزى فى أدب الصّوفيّة

للأستاذ محمّد ابراهيم الجيوشي

عرفنا فيما سبق أن الصوفية نهجوا فى الحياة منهجاً خاصاً ، واختلفت نظرتهم إليها عن نظرة غيرهم ممن يعاصرونهم على اختلاف القرون بهم ، ومع ذلك فقد شاركوا غيرهم فى كثير من الآراء والمشاكل التى عرضت لهم فى محيط حياتهم

والصوفية كغيرهم من الناس فى حاجة إلى التعبير عما يجول فى صدورهم . ويضطرب فى حنايا قلوبهم ، وإلى تصوير ما يدينون به من الآراء والمعتقدات فى قالب فنى جميل ، من مناجاة ووجد وعشق ، وما يتراءى لهم فى رياضاتهم ومجاهداتهم من لمحات إلهية ، وجذبات روحية ، وإلهامات قلبية ، سواء ما انفردوا به دون سواهم ، أو ما شاركوا فيه غيرهم من الآراء والنظريات .

وهم إلى جانب ذلك فصلوا القول فى السلوك والأخلاق وخفايا النفوس ، وشرح خلجاتها والتعمق إلى أسرارها والبحث عن دفائنها ، تحدثوا عن هذا كله حديث المدقق الفاحص مما يدل على خبرتهم الواسعة بالنفوس وأحوالها .

وقد تركوا فى هذا كله المقالات الضافية والبحوث القيمة والقصائد الجياد التى بلغت الذروة فى الجمال الفنى والتصوير البديع ، ونظراً لصعوبة المعانى التى يرمون إليها ، ووعورة الوصول إليها ، وعمق موضوعاتها لجئوا إلى الرمز والإشارة فى تعابيرهم ، واستعانوا بالصور والتشبيهات والأخيلة يتخذونها وسيلة للإبانة عن أغراضهم ، والكشف عن خلجات نفوسهم ، فهم الذين أوجدوا المذهب الرمزى فى الأدب العربى بلا منازع ، وهم دعاته والواضعون لأسسه والناهجون سبيله تشهد بذلك آثارهم من شعر ونثر .

وقد دعاهم إلى ذلك اللون من التعبير أنهم كانوا يعرضون لكثير من النظريات المعقدة ويدركون أنهم إذا صرحوا بها هاجوا الفقهاء ضدهم ، فكانوا يلجئون إلى الرمز

خشية بأسهم ، وإيثاراً للسلامة من شرهم ، وذراً للرماد فى العيون ، ومن السهل على من درس آثارهم الوصول إلى هذه النتيجة التى وصلنا إليها .

وقد ذهبوا فى الرمز مذاهب شتى : فمنهم من رمز بالخمر ، ومنهم من رمز بالحب ، وقال « نيكلسون » إن ذا النون المصرى هو أول من استعمل الرمزية « الباكوسية » التى أغرم بها شعراء الصوفية (١) ومن هذا نعرف أن الرمزية نشأت مع التصوف فى أول العهد به والصوفية أنفسهم قد أثر عنهم ما يفيد التجاءهم إلى الرمز لعمق المعانى التى يعبرون عنها ، وفى ذلك يقول ابن عربى: « ليس فى مستطاع أهل المعرفة إيصال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما فى هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لأولئك الذين أخذوا فى ممارستها » (٢) .

ولابن عربى أيضاً قصيدة يشير فيها إلى استعمال الرمز فى تعبيراته وكناياته أوردها فى ترجمان الأشواق وهى :

كل ما أذكره من طلل
أو ربوع أو مغان كلما
وكذا إن قلت ها أو قلت يا
وألا إن جاء فيه أو أما
وكذا إن قلت قد أنجد لى
قدر فى شعرنا أو أتهما
وكذا السحب إذا قلت بكت
وكذا الزهر إذا ما ابتسما
أو أنادى بحداة يمموا
بانة الحاجر أو ورق الحمى
أو بدور فى خدور أفلت
أو شموس أو نبات أنجما
أو بروق أو رعود أو صبا
أو رياح أو جنوب أو سما
أو طريق أو عقيق أو نقا
أو جبال أو تلال أو رما
أو خليل أو رحيل أو ربى
أو رياض أو غياض أو حمى
أو نساء طاعيات نهد
طالعات كشموس أو دمى
كل ما أذكره مما جرى
ذكره أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت
أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤاد من له
مثل مالى من شروط العلما
صفة قدسية علوية
أعلمت أن لصدق قدما

(١) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٨ ترجمة عفيفى .

(٢) التصوف الإسلامى العربى ص ١٤٦

فاصرف الخاطر عن ظاهرها
واطلب الباطن حتى تعلما

وقد نشأ عن هذا اللون من التعبير أن انفرد الصوفية بلغة خاصة بهم ، واصطلاحات لا تتعداهم ، وأساليب تحمل سمتهم دون غيرهم ، حتى لقد دعا ذلك بعضهم أن يؤلف في معاني هذه الاصطلاحات ، وآخر من عرفنا من هؤلاء الشيخ حسن رضوان « المصري » من صوفية هذا القرن .

وكان النثر والشعر مجالا فسيحا للصوفية حينما يسجلون رأيا أو يعبرون عن لمحة من لمحات القلب ، وإشراقة من إشراقات النفس فآثارهم موزعة بين كل منهما إلا أن النثر قد ذهب بالجم الغفير من ذلك النصيب ، والشعر الصوفي بالنسبة للنثر قليل ، وإن كان في الذروة من الجودة كما سنرى .

وكتب الصوفية حافلة بالنثر المنسوب إلى مشايخ الصوفية ، خاصة كتب التراجم منها مثل : حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، وطبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي ، ورسالة القشيري وما أثر عنهم من أحزاب وأوراد وحكم : كالشاذلي وابن عطاء الله السكندري وكثير سواهما .

وفي الشعراء أظهرهم ابن الفارض ، ومحي الدين بن عربي ، والنابلسي والسهروردي . هذا في دائرة الأدب العربي ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام : « إن الأدب الفارسي ويتبعه التركي والأردي قد ترجم عن فكر الصوفية ووجدانهم بالشعر لا بالنثر وبلغ شعراء الصوفية في هذا السبيل غاية لم يدركها شعراء أمة أخرى »[1] .

هذا مقدار ما بين الصوفية والأدب من صلات ، والمذهب الأدبي الذي آثروه في التعبير عن آرائهم وترجمة أفكارهم ، وتسجيل خواطرهم ولمحاتهم .

وبعد ، فما هو الأدب الصوفي ، وهل هناك بحق أدب يمكن أن يسمى الأدب الصوفي ، وإن كان فما هي مظاهر ذلك الأدب الذي نريد أن نتكلم عنه .

هذه أسئلة تدور بخاطرنا الآن ، وسنحاول أن نجعل من الفصول الآتية إن شاء الله إجابات عنها وإثباتا لها .

محمد ابراهيم الجيوشي

---

(١) التصوف وفريد الدين العطار ص ٤٢

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

— ٣ —

الهدف الأسمى للثقافة :

تنبع مقومات الثقافة فى الإسلام - كما تقدم - من طبيعة رسالته وجوهر عقيدته فالإسلام هو الدين الحق الذى أنزله الله على نبيه هدى ورحمة للعالمين ، ومن ثم ينبغى ألا توضع حدود فاصلة بين العلم والدين ، إذ أنهما نشآ من منبت واحد وهو التفكير ، وهما يبتغيان غرضا واحدا هو إسعاد البشرية روحيا وماديا . والسبيل إلى ذلك أن يكون العلم هادفا إلى بلوغ الغرض الأسمى لدعوة الهداية وهو تأمين الناس من شر مايلقون من أنفسهم ومن تقلب الأحداث ، وأن يكون رب العلم إيجابيا بناءاً فى سعيه إلى بث الحكمة والمعرفة بين الناس ، فلا يركن إلى الصوامع والأبراج العاجية ، وإنما يهبط إلى أرض الواقع ليشارك الناس حياتهم ويفيدهم بما حباه الله من ثراء فكرى . قال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . وقال عليه الصلاة والسلام (لا رهبانية فى الإسلام) .

العلم عطاء وتوجيه :

والمؤمن المثقف الحق هو الذى ينتفع الناس بعلمه ، ولا يبخل به ، ذلك أن العلم أخذ وعطاء ، والله تعالى يسبغ علمه على الصالحين من عباده ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المعلمين ورائدهم ، وقد قدم أروع المثل فى سبيل تعليم المؤمنين وتثقيفهم فواجب العلماء ألا يدخروا وسعا فى هذا السبيل ، وأن يجعلوا من أنفسهم مراكز إشعاع لنور العلم والمعرفة .

ومصداق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ، و (ساعة عالم متكئ على فراشه ينظر إلى علمه خير من عبادة العابد ستين يوما) .

ولكى تؤتى الثقافة ثمارها ينبغى أن يكون العمل الجماعى دستورها ، فلا ينفرد عالم به ، وإنما يشارك الآخرين فى تحصيل المعارف وكشف الجديد منها ، ذلك أحرى أن يوثق الأواصر ويدعم الروابط الفكرية بين أهل

العلم ويعود على المجتمع بالخير العميم نتيجة لحفز الهمم وشحذ الجهود وحشد الطاقات .

وثمة مقوم آخر للثقافة الإسلامية الصحيحة ينبثق من طابعها الإيجابي ، وهو الحركة والمرونة وانفساح الأفق ، فالإسلام دين الحرية يأبى الجمود فى العلم والثقافة ، ويحث على التحرر والانطلاق فى ظل الشريعة السمحة والمبادئ الخالدة .

النهضة الثقافية تحرر فى الرأى ونقد للذات :

ومن شأن هذا التحرر أن يخلق القيادات الرشيدة والخلايا الصالحة فى صفوف المجتمع فتزدهر الحضارة ويعم البشر بنتاجها الخصب ويعمر العالم بالقدرات الخلاقة والكفايات الموفورة وتتجدد الحياة ويطيب العيش فيها .

وعماد هذه النهضة الثقافية حرية الرأى والفكر فى إطار المثل العليا والتقاليد القويمة فى المجتمع الإسلامى ، فلا قيد على النقد الحر البناء ولا عقوبة على الخطأ اليسير مع حسن النية وكرم الطوية . وينبغى أن يبدأ الإنسان بنقد ذاته فلا يتعصب لقوله أو عمله ذلك أن العصمة لله وحده ، وإنما يكسب المرء من تجربة الخطأ فى حين أن الإصرار على الخطأ عن تعصب أو جهالة ينأى بصاحبه عن حظيرة المجتمع ، وقد يرديه فى موارد التهلكة .

والواقع أن القيادة الجماعية والنقد الذاتى كانا من أهم الضمانات التى أرساها الإسلام للنهوض بحركة الإحياء العلمى والثقافى ولكفالة التطوير الدائم للمجتمع . فالنقد الذاتى عملية موضوعية يواجه فيها الأفراد أنفسهم فيخلصون قلوبهم من نوازع الذاتية الفردية ويقهرون التطلعات والمطامع الشخصية ، وهى عملية تطهير مستمر للنفس تزيل ما يمكن أن يرسب فيها أثناء السعى فى ميادين الحياة ، والنقد الذاتى لا يتنافى مع الطموح الذى تحبذه الروح الإسلامية ، ولكنه ضد الانتهازية التى يقف دونها الإسلام مقلماً أظفارها .

والعلم عبادة ، فلا خير فى امرئ لا يلتزم بقدسية الفكر والمعرفة وإن حظا منهما بالنصيب الأوفى . وأوجب ما تستلزمه هذه القدسية الشجاعة والأمانة والدقة والبعد عن الغرض . ولقد قص الله علينا أحسن القصص فى كتابه الحكيم ، وبين فيه من المثل والعبر ما يهدى الناس إلى الآداب التى تصلح حياتهم وتحقق أمنهم ورفاهيتهم فيذكر القرآن فى سورة الكهف قصة موسى مع العبد الصالح ليرشد بها إلى ما ينبغى أن يكون عليه الإنسان فى طلب العلم من حسن التواضع والنأى عن الغرور واحتمال المشاق فى سبيله .

ويقول الرسول عليه السلام فى الحث على التزام الأمانة العلمية وتجنب التغرير والتمويه عن طريق التشاور بين أساتذة العلم ومريديه (تناصحوا فى العلم . فإن خيانة فى العلم أشد من خيانة فى المال) .

تلك هى المقومات الرئيسية للعلم والثقافة فى الإسلام وقد تطورت هذه المقومات بتواتر الأخذ بها وتدعيمها حتى أصبحت قيما علمية - وتقاليد ثقافية راسخة فى كل العصور الإسلامية الزاهرة ، فنتجت منها حضارته العظمى ، ونبغ من علماء المسلمين رواد وأبطال سموا فى الآفاق ينشرون نور العقيدة ويبشرون بمبادئها السامية ويرفعون ألوية ثقافتها الإنسانية الحقة أينما سلكوا أو أقاموا .

اللغة والثقافة من أركان الوحدة العربية :

ولقد كانت الثقافة الإسلامية وما زالت من المقومات الأساسية للقومية العربية ، وكانت وحدتها عاملا على دعم الوحدة العربية منذ أقدم العصور التاريخية ، إذ يرجع إلى الثقافة المشتركة فى العالم الإسلامى الفضل فى توحيده فى ظل الدولة الإسلامية ، ولقد اقترن ازدهار الدولة دائما بازدهار الثقافة ، وأصابها الوهن بالتقاعس عن نشر العلوم والثقافات بين أبنائها . ذلك أن وحدة الثقافة تؤدى إلى وحدة المشاعر والأفكار .

ولولا اللغة العربية التى سادت فى جميع أرجاء الوطن العربى على اختلاف العصور والدول ، لما أمكن للثقافة الإسلامية أن تنتشر هذا الانتشار الذى يعتبره المؤرخون من أبرز الظواهر فى تاريخ الإنسانية والذى يدل على خصوبة اللغة العربية وأصالتها وقدرتها على جمع شمل أهليها وتوحيدهم ، إذ كانت واسطة التفاهم بينهم وسبيلا إلى التقاء مشاعرهم .

وقد كانت اللغة العربية قبل الإسلام هى لغة الجزيرة العربية وبعض أطراف الشام والعراق ، فأصبحت فى ظله لغة سكان الوطن العربى من الخليج شرقا إلى المحيط غربا ومن جبال طوروس شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا .

وقد وحدت هذه اللغة الخالدة العرب فى جاهليتهم ، فلما نزل بها القرآن دعم تلك الوحدة على أساس من الدين الحق ، وأضفى قداسته عليها وتطور بها العلماء المسلمون حتى صارت لغة حضارة تساير الحياة والزمن . ومازال اللسان العربى المبين لم يتغير فى أصوله منذ أربعة عشر قرنا برغم ما أصيب به العرب والمسلمون من نكبة الاستعمار والحكم الدخيل .

ولقد حاولت الشعوبية قديما الانتقاص من اللغة العربية وقدرتها على حمل مشعل الثقافة والمعارف العلمية المتطورة . وكانت ترمى بذلك إلى هدم الثقافة والحضارة العربية لإخلاء السبيل لأعداء العرب والمسلمين كى يغزوا بلادهم بلغتهم وثقافتهم ، ولكن العرب تمسكوا بلغتهم وثقافتهم وصمدوا فى تحدى خصومهم إدراكا منهم أن اللغة العربية هى وعاء ثقافتهم الإسلامية ولسان دينهم ، وهى أبرز الأسس فى نشوء قوميتهم وتكوينها ، وانتصر الإسلام والعرب بانتصار لغتهم ، ولم يفلح الفرس والأتراك فى عصور العباسيين فى زعزعة اللغة العربية وإحلال الفارسية أو التركية محلها أو مساواتها بها .

ثم جاء الاستعمار الحديث فتبنى أسلوب الشعوبية القديمة فى محاولة القضاء على اللغة العربية متوسلا بذلك إلى القضاء على الحضارة العربية والقومية العربية التى هى ثمرة تلك الحضارة ، ولقد عمد الاستعمار إلى استخدام مختلف الأساليب من وعد ووعيد وترغيب وترهيب لتحقيق مقاصده العدوانية فافترى على لغة القرآن الأكاذيب ونسج المؤامرات واستمال إليه بعض الفئات مغررا بدعوى أن اللغات الأوربية تفرعت عن اللغة اللاتينية الأم ، ومن ثم نادوا باستبدال العامية بالعربية ، وهو زعم باطل لا يستند إلى أساس ، ذلك لأن الشعوب العربية تتكلم لهجات قريبة من اللغة الفصحى ، على حين أن اللغات التى تفرعت من اللغة اللاتينية خرجت عليها فى قواعدها وضمت أخلاطا من لغات مختلفة ، فالألمانية على سبيل المثال مزيج من اللغات الجرمانية واليونانية واللاتينية ، أما اللغة العربية فلم تدخل فى تركيبها لغات أجنبية .

وهكذا كانت اللغة العربية وعاء للثقافة فى الإسلام وديوانا لأمجاد المسلمين وأداة لحضارتهم وواسطة لنقل المعارف بين الشرق والغرب نظرا لتوسط الوطن العربى فى موقعه من العالم .

واستطاعت هذه اللغة الأصيلة أن تنهض بدورها التاريخى فى الثورة الثقافية التى أشعلها الإسلام فى ظلمات التاريخ فشعت أنوارها الغامرة تهدى البشرية إلى سواء السبيل وتحقق أمل الإنسان فى التحرر والوحدة والرخاء .

حسن فتح الباب

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

— ٥ —

نقد الدكتور شوقى ضيف وردنا عليه :

ولسنا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور شوقى ضيف فى ملحمة محرم من أنه « لا يكتب ملحمة كالملحمة التى كتب فيها هوميروس ، وإنما يكتب ، أو قل ينظم سيرة الرسول . وفرق بين نظم السير الشعر القصصى ، ذلك لأن الأول عمل آلى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ، ثم يحوله شعراً ، أو قل يحوله نظما ، وهو لذلك لا يعالج حربا ولا ملحمة بعينها ، وإنما يعالج سيرة بطولة فيها الحرب ، وفيها غير الحرب .

« والخلاصة أن إلياذة محرم ليست كما يظن حدثاً جديداً فى أدبنا ، بل هى عمل مسبوق ، وأن من الخطأ أن نسميها . أو يسميها صاحبها إلياذة وإنما هى مجموعة من القصائد فى سيرة الرسول وغزواته ، وهى أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر مثيرة ، ولا صور حية ناضرة ، فلا تقرؤها حتى تجد أنها زاخرة بالفتور وسرعان ما يملؤك السأم والملل ، وهى لذلك شىء بين الشعر الغنائى والشعر التعليمى الجاف الذى يسرد عليك مجموعة من المعارف فى أعداد وأرقام ، أما الشعر القصصى فليس فيها منه شىء ، لأنها تفقد أهم أركانه وهو الخيال القوى النافذ الذى يقص عليك الأسطورة أو الحادثة التاريخية ، فيجعلك تستشعر ، وتلمسها بكل تفاصيلها وجزئياتها لمسا قوياً ، حتى لكأنها تحفر فى ذهنك حفراً » .

فالدكتور ضيف يرى أن عمل محرم هذا لا يستحق أن يسمى ملحمة أو إلياذة . ويبنى هذا الرأى على أمور أهمها :

١ — أن الشاعر لم يزد على أن حول سيرة الرسول إلى « نظم » فيه خصائص الشعر التعليمى الذى يسرد مجموعة من المعارف فى أعداد وأرقام .

٢ — وأنه لم يعالج معركة بعينها ، وإنما تحدث عن عدة غزوات وحروب فى عدة قصائد ضم بعضها إلى بعض .. كما أنه لم يستغل حادث غزوة بدر ونزول الملائكة فيطلق العنان لخياله ويجيد التصوير .

٣ — فقدان هذا العمل أهم أركان الشعر القصصي وهو الخيال القوى النافذ الذى يصلح للأساطير .

ومن أجل ذلك فهو يحكم على « إلياذة محرم » كما يسميها صاحبها أو غيره بأنها لا ترتقى إلى مرتبة الشعر الغنائى ، بل هى شىء شبيه به ، وأن مافيها من آثار الغنائية ضعيف يبعث السأم والملل فى النفس إذ ليس فيها صور حية ناضرة تثير المشاعر . .

ولكننا الحقيقة والإنصاف نقول :

١ — إن « محرم » لم يعمل على تحويل السيرة النبوية إلى « نظم » أو « شعر تعليمى » وإنما هو صور سيرة الرسول تصويرا شعريا أدى معه إلى جانب العمل الفنى فى التصوير عرض الحقائق التاريخية فى أمانة ودقة وتفصيل مغن فى أسلوب أدبى لا تعليمى .

انظر مثلا إلى قوله فى مطلع الإلياذة :

املأ الأرض يا محمد نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا
رفيدة : علمى الناس الحنانا
وزيدى قومك العالين شأنا
خذى الجرحى إليك فأكرميهم
وطوفى حولهم آنا فآنا
وإن هجع النيام فلا تنامى
عن الصوت المردد حيث كانا
أعينى الساهرين على كلوم
تورقهم ، فتلك من أعانا

* * *

فيالك خيمة للصبر فيها
جلال لا يرام ولا يدانى
جلال الله ألقاه عليها
فجملها بروعته وزانا
رفيدة : جاهدى ودعى الهوينى
فما شرف الحياة لمن توانى
ورب مجاهد بلغ الثريا
وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هز الممالك فى علاها
فتى ما هز سيفا أو سنانا

الخ ...

هذا الروح الشعرى : بكل مقومات الشعر العربى الرصين هو طابع الإلياذة العام ، غير أن طبيعة الموضوع ، وطوله ، وكثرة المواقف ، وحرص الشاعر على التسجيل الشامل للسيرة النبوية . . كل ذلك قد اضطر الشاعر أن يضع عناوين كثيرة تسير مع تسلسل الحوادث حتى أن الرائى يخالها عناوين لكتاب تاريخ لا ديوان شعر ، وأحيانا تتقارب هذه العناوين فتزيد فى الإيهام ، ولكننا إذا قرأنا ما وراء هذه العناوين وجدنا ما يعد من أروع الشعر .

وقد رأينا فى النماذج السابقة ما يؤيد هذا الرأى ، وإليك نموذجا آخر عن شهداء بدر :

طف بالمصارع واستمع نجواها
والثم بأفياء الجنان ثراها
ضاع الشذا القدسى فى جنباتها
فانشق ، وصف المؤمنين شذاها
حلل يروع جلالها ، ومنازل
من نور رب العالمين سناها
حمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ
عزالهم من دونه أرجاها
شهداء بدر أنتم المثل الذى
بلغ المدى ، بعد المدى ، فتناهى
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا
ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الفداء ، فقد قضيتم حقه
وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه
فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم تر أمة
بلغت من المجد العريق مناها
أدنى الرجال من المهالك من إذا
عرضت منايا الخالدين أباها
وأجل من رفع الممالك مظهراً
بان من المهج السماح بناها

(فهل من الإنصاف أن نقول إن هذا « نظم » وليس شعرا ؟؟؟)

ولئن وجد فى بعض القصائد ما يشعر بالسرد التاريخى أحيانا ، فإن هذا لا يخرج الملحمة فى مجموعها عن كونها « شعرا » ، ولا يضعها بحال فى عداد « النظم » أو « الشعر التعليمى » .

وإذا نظرنا إلى عمل محرم فى إلياذته من حيث تصوير السيرة النبوية شعراً . ثم قارناه بعمل شوقى رحمه الله فى « أرجوزة العرب الكبرى » ، وجدنا البون شاسعا ولا سيما فى الجزء الخاص بالسيرة النبوية إذ غلبت طبيعة الموضوع على شوقى فكان فى عرضه ناظما .

وما لنا نذهب بعيداً ونتعسف كما تعسف الدكتور شوقى فى اعتباره إلياذة محرم « غنائية » ، وما بناه على عدم استكمال غنائيتها من تقليل قيمتها ؟

ومن قال بأن الملحمة ينبغى أن تكون غنائية ؟

نعم إن « الموضوعية » هى أهم خصائص الشعر القصصى ؟ استمع إلى أرسطو يتحدث عن « موضوعية » هوميروس فى الإلياذة :

« فالحق أن الشاعر يجب ألا يتكلم عن نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلا لأنه لو فعل غير ذلك لما كان محاكيا . أما سائر الشعراء فيزجون بأنفسهم فى كل موضع ولا يحاكون إلا قليلا ونادراً ، بينما هوميروس

يبدأ باستهلال موجز ثم يعرض على الفور رجلا أو امرأة أو أى شخص آخر يصور خلقه » .

ولا جدال فى أن « الشعر القصصى هو الذى يتحدث فيه الشاعر عن سواه وعن مظاهر الطبيعة ، والمجتمع البشرى بعاداته وتقاليده ، وأبطال الحروب من غير أن ينم عن شعوره إزاء كل ذلك » .

فإذا انفعل الشاعر وعبر عن ذاتية فى بعض أجزاء الملحمة ، فإن ذلك لا يقدح فى عمله ولا يخرجه عن شعر القصة ، فقد ورد فى إلياذة هوميروس بعض الشعر الغنائى كرثاء (أخيل) ووداع (هكتور) لزوجته وما شاكل هذا .

فماذا فعل أحمد محرم إلياذته فى غير هذا ؟ إن طبيعة موضوعه قد اضطرته أن يكون « موضوعيا » يعبر عن غيره لا عن نفسه ، وأحيانا كان ينفعل فيعبر عن إعجابه عندما كان يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أهله مثلا عندما كان يرثى شهداء بدر أو غيرهم .

ومن الطبيعى ألا يجنح محرم فى إلياذته الإسلامية إلى ما يطلبه الدكتور شوقى من الحديث عن الآلهة واشتراكهم فى الغزوات فإن ذلك ينافى العقيدة ، ولا يقره الإسلام . بل قد رأينا أفلاطون يستنكر ذلك من هوميروس نفسه !!!

وإذن فمن الإجحاف أن نوافق الدكتور شوقى على رأيه فى تقليل أهمية إلياذة محرم لأنها ليست موضوعية لها ، ولأنها لا تصور كل ما صوره هوميروس ...

٢ — ولقد عنى محرم بعرض السيرة النبوية كاملة بأسلوب « الشعر » ولو قد وقف عند غزوة واحدة مثلا واستبحر بخياله فى أحداثها .. لكان عارضاً لجزء من موضوع كامل ، قصد هو أن يعرضه جميعه ، وهذا الموضوع هو سلسلة متصلة الحلقات من صراع رهيب غير وجه التاريخ واشترك فيه أشخاص ، وكانت فيه مواقف بطولة تستحق التخليد ، ويتلخص هذا الصراع فى « إعلان دعوة ، ثم المناخصة عنها ، ثم انتصارها واستقرارها » ، فهو موضوع واحد فلا بد أن يعرض جميعه ما دام هدف الشاعر تيسير دراسته وتداوله ..

أما إنه لم ينظم قصيدة واحدة بقافية واحدة ووزن واحد كما فعل هوميروس فإن طبيعة الشعر العربى ، وقيود القافية ألا تسعف « محرم » ولا غيره بإنشاء أكثر من خمسة آلاف بيت على قافية واحـدة . . وتعدد الأوزان والقوافى لا يقدح فى عمل محرم ما دامت هناك وحدة وتسلسل فى تصوير الأحداث . .

ولم يغفل محرم حديث نزول الملائكة في غزوة بدر ، بل إنه صور وأجاد ولكن في حدود ما تسمح به العقيدة الإسلامية إذ لم يكن بوسعه أن يترك العنان للخيال فيذهب مذهب هوميروس — استمع إليه في ذلك :

الله أرسل في السماء كتيبة
تهفو كما هفت البروق اللمح
تهوى بجلجلة ، تلهب أعين
منها ، وتقذف بالعواصف أجنح
الخيل حمحمة تراع لهولها
صيد الفوارس ، والعناق القدح
« حيزوم » : أقدم ، إنما هي كرة
عجلى تهاذبك العناق فتمزح
« جبريل » يضرب ، والملائك حوله
صف ترض به الصفوف وترضح
تلك الحصون المائمات ، بمثلها
تذرى المعاقل والحصون وتذرح
القوم في أعناقهم وبنانهم
نار تريك الداء كيف يبرح
جفت جذور الجاهلية والتوى
هذا النبات الناضر المسترشح
طفق الثرى من حولها لما ارتوى
من ذوب مهجتهم ، يجف ويبلح
ومن الدم المسفوح رجس موبق
ومطهر يلد الحياة ويلقح

قل (يا أبا سفيان) غير ملوح
فالسيف يخطب ، والخطوب تصرح
بيض على بلق ، تساقط حولها
سود مدممة تساف وترمح

٣ — ولعل فيما عرضناه من نماذج الإلياذة ما يشهد باستيفاء عنصر الخيال — كما يعرفه الذوق العربي الإسلامي — مستمدا من المعلومات التاريخية الإسلامية ، موجها بعاطفة إسلامية خالصة ، مصوراً في تلك الصور البيانية الرائعة وما نحسب أن أحداً يحكم على إلياذة محرم بأنها خالية من الألوان البيانية ، وما نشأ منها من صور قوية حية مؤثرة ذات إيحاءات تبعث على النشاط النفساني والذهني معا لا أنها تدعو إلى السآمة والضجر ، خذ مثلا غير ما مر بك وغير ما يشيع في الإلياذة جميعا ... تصويره لفزع « بني لحيان » الذي أصابهم عندما هلوا بالغزو — بعد أن كانوا يتحدون من يحدثهم عن قوة محمد وصحبه :

بني لحيان : واعجبي لبأس
خبت جمراته بعد اشتعال
فررتم تتقون الموت زحفا
على القمم الشواهق والقلال
هو المسخ المبين ، فمن أسود
تصيد القانصين إلى وعال ؟ ؟

ثم اقرأ كذلك تصويره فى غزوة أحد لذلك الحوار العنيف الذى دار بين المبارزين من المسلمين والمشركين ، ثم وصف مقتل حمزة تجد فنانا بارعا فى دقة التصوير .

وكيفما كان الأمر فإن « ديوان مجد الإسلام » لمحرم أو « إلياذته » أو « ملحمته » كما تسمى لم تعرض بعد على بساط البحث أمام الأدباء والنقاد كما ينبغى فى مصر وغيرها من الأقطار العربية إذ أنه لم يطبع ، ولم تعمر به المكتبات لذلك ينبغى ألا نأخذ برأى هادم لقيمته .

وسوف تنصف الأيام ذلك الشاعر الذى وقف حياته على خدمة العروبة والإسلام .

وإذا أردنا أن نعرف قيمة هذه الإلياذة بالنسبة لتراثنا العقلى ، وجدنا أنها ذات قيمة كبرى من الوجهتين الأدبية والتاريخية .

فإنها من الوجهة الأدبية قد أضافت ذخرا ثمينا إلى الشعر العربى يعتبر أكبر عمل من نوعه فى شعر العصر الحديث ، وقيمتها من هذه الناحية لا تقتصر على عدد أبياتها ، بل لأنها فى موضوع واحـــد له أهميته بين موضوعات التاريخ الإسلامى إذ يعتبر رأسها جميعا وهو السيرة النبوية ، وقد جمعت أشتات هذا الموضوع ، وعرضته عرضا شائقا مغايرا لأسلوب النثر المألوف فى رواية مثل هـذا الموضوع .

وإذ قد عرفنا أن هـذه الإلياذة تضمنت تصويرا لمواقف حاسمة ، فيها ألوان البطولة والفـداء ، والصبر ، وتناولت شخصيات جديرة بالتخليد . فإن عرض هـذا اللون من الشعر على الشباب الإسـلامى يخلق فيه ذلك الروح الوثاب إلى المثل العليا والقيم الإنسانية الرفيعة .

أما من الوجهة التاريخية فإن هذه الإلياذة قد سجلت فترة ناضرة من حياة المسلمين خاصة ، وتاريخ الإنسانية بعامة . تلك الفترة التى اصطرعت فيها مبادئ الإيمان والتوحيد ورسم الخطوط الأساسية العامة للعدالة والرقى الاجتماعى ... مع الوثنية والفوضى الاجتماعية ... فصرعتها وغيرت مجرى التاريخ .

وبالنظر إلى تدقيق محـــرم فى تصوير الأحداث مفصلة إلى حد كبير ، مع حرصه على ذكرى ما يتعلق بالسيرة ، واعتماده فى كل ذلك على مرجع هام من مراجع التاريخ الإسلامى ، فإن هذه الإلياذة تعتبر مرجعا من مراجع السيرة النبوية العامة التى تكون مصدر تثقيف عام بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وعهده المبارك .

ونكتفى بما تقدم عن محرم والإلياذة ، راجين أن تتاح الفرص الكثيرة ، وتتهيأ الظروف لدراسة هذا الذخر الثمين .

دكتور سعد الدين الجيزاوى

من بحوث مجمع البحوث

نظام الحسبة فى الإسلام

للدكتور إسحاق موسى الحسينى

(بقيـــة)

بقيت مسألة يستلزم الإنصاف ذكرها ، لأن كتب الحسبة تكشفها ، هى التفنن فى الغش ، مع أن أوامر الله صريحة بمنعه . فكيف وقع ذلك فى مجتمع فاضل قام على ما بينا من قواعد دينية وخلقية من أسمى ما عرفته المجتمعات الإنسانية ؟

أيرجع ذلك إلى طبيعة المدن الكبيرة التى يكثر قاطنوها وينحدر إليها الغرباء بائعين ومشترين ؟ يقول الشيزرى فى ختام الفصل الذى عقده على غش العطارين : « ولا يتجاسر على عمله وبيعه إلا الغرباء الأعاجم ومن يدور فى خلال الدروب . فلا يهمل المحتسب الكشف عن ذلك كله ، وإشهار فاعله بالتعزير على ما تقدم » (١) .

أيرجع إلى أن العرب أصلا كانوا يزورون عن الصنائع ويكلونها إلى فئات معينة كالنور واليهود حتى أضحى أكثر أربابها من أهل الذمة (٢) .

أيرجع إلى الترف الذى استفحل فى المدن ودفع الناس إلى كسب المال حلالا أو حراما ؟

أيرجع إلى تفشى الرشى والتكسب بالحسبة بعد أن أعرض عنها السلطان ، وندب لها من هان (١) .

أيرجع إلى أن المحتسب صار ملتزما - فى بعض الأزمنة - يشترى الحسبة بالمال ويمارسها بالقهر والسلطان ، ويجمع الأموال بالحلال والحرام ويوم ذاك سكت عن الغش حتى استفحل ؟

أيرجع إلى تفشى المذاهب الهدامة حتى أصبح المجتمع الواحد مجتمعات متناحرة يغش بعضها بعضا ؟

أيرجع إلى آفات الطبيعة من أوبئة وقحط وما ترتب عليها من خزن التجار الأرزاق وبيعها بالغلاء ، وانتشار الجوع والفقر ؟

كل هذه الأسباب أو بعضها جائز . ولكن الحقيقة التى ينبغى أن تقال هى أن المؤمن الذى يعرف حق الله وحق الناس لا يغش ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غشنا ليس منا) .

يضاف إلى ذلك أن الغش يقل ويكثر

(١) نهاية الرتبة ص ٢٣ .
(٢) « « ص « .

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٤٥ .

باختلاف البيئات . فهو كثير فى المدن قليل فى القرى والبادية . وهو كثير عند أصحاب الحرف والصناعات وقليل عند المزارعين . وهو كثير فى المدن التى يطرقها الدخلاء والغرباء. قليل فى المدن النائية القليلة المسالك.

٥ — وأخيراً هل اقتبس المسلمون الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية ؟

دعا المستشرق Gustar von Grunebaum فى كتابه Medieval Islam (١) إلى عقد موازنة بين الحسبة فى الإسلام ، وكتاب (والى المدينة) البيزنطى (٢) .

The Pyzantine Book of Perfect الذى ينظم شئون الصناع والتجار فى القسطنطينية . ولا ندرى الحافز إلى ذلك ، أهو اعتقاده أن المسلمين اقتبسوا الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية أم ما وجده من وجوه الشبه بين عامل المحتسب المسلم ووالى المدينة البيزنطى من ناحية وبين كتب الحسبة التى ألفها المسلمون ، وكتاب والى المدينة البيزنطى من ناحية أخرى .

وقد قرأنا كل ما وصل إلينا من كتب الحسبة وقرأنا كتاب والى المدينة البيزنطى وانتهينا إلى ما يلى :

(١) ص ٤٠ ، ط شيكاغو ١٩٤٧ .

(٢) نقله إلى العربية ونشره الدكتور السيد الباز العرينى فى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، ج ١ ، مايو سنة ١٩٥٧ من ص ١٣٥ — ١٧٨ .

أولا : ألف كتاب والى المدينة البيزنطى فى القرن العاشر للميلاد ، والحسبة وإن تأخر التأليف فيها إلى أواخر القرن الثانى للهجرة أو أوائل القرن الثالث ، ترجع أصولها إلى نصوص فى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية ، وإلى سنة رسول الله وخلفائه ، منذ فجر الإسلام ، أى قبل كتاب والى المدينة بنحو قرنين ، وأصاب ابن بسام بقوله : « ونجم من ذلك علم خاص يدعى بعلم الاحتساب يبحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم التى لا يتم التمدن إلا بها ... »(١) .

ثانيا صدر كتاب والى المدينة بالعبارة التالية : « إن الله بعد أن خلق ما هو كائن من الأشياء وكفل للعالم الأمن والوفاق خط بإصبعه على الألواح القانون ، ونشره علنا حتى لا يتطاول الناس ، وقد اهتدوا به ، بعضهم على بعض ، ولا يطغى القوى على الضعيف ، بل ينبغى أن تسير كل الأشياء وفق ما هو مقدر لها من نظام »(٢) . والمعروف أن الإنجيل لم يحتو على قانون ، ولم يتدخل فى شئون الدولة ، إذ قرر أن ما لله لله ،

(١) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام المحتسب ، مجلة المشرق سنة ١٠ عدد ٢١ ص٩٦٢ سنة ١٩٠٧ .

(٢) ص ١٤٦ .

وما لقيصر لقيصر ، وما ذكر فى سفر التثنية من العهد القديم أضيق من أن يتسع للمعانى الواردة هنا ، والعبارة أشبه بما يعتقد به المسلمون من أن القرآن الكريم كتب فى اللوح المحفوظ .

ثالثا : معظم كتاب والى المدينة يدور على الجواهريين والصيارفة وتجار الملابس الحريرية وتجار المنسوجات الحريرية السورية وتجار الحرير الخام وغزالى الحرير ونساجيه وتجار المنسوجات الكتانية وتجار العطور والروائح ، وصناع الشمع وصناع الصابون من ص (١٥١ — ١٦٧) وصناع الجلود وباعة الخنازير ، وأرباب الحانات ، وقليل جدا منه يدور على باعة المواد الغذائية ص ١٦٧ ٢٦٨ - والجزارين ص ١٦٩ - ١٧٠ وباعة السمك ١٧١ - والخبازين - ١٧٢ ومفتشى سوق الماشية ص ١٧٤ - ١٧٦ - وأرباب الحرفة كالسباكين والمزخرفين والرخامين والطلائين ص ١٧٦ - ١٧٨ .

وعناية والى المدينة بالقسم الأول الأكثر يرجع إلى أن مواد تلك الصنائع متصلة بالإمبراطور والأمراء والإقطاعيين ورجال الكنيسة الذين كانوا يحرصون على توفرها فى الأسواق وعلى أن يكون بعضها بأيديهم والحسبة تعتمد فى الأكثر على حاجات الشعب كالغذاء والكساء وبناء المساجد والأسواق والولاة ورجال الدين الأمر الذى يدل على اختلاف كلى فى القصد والوسيلة .

رابعاً : يندر فى كتاب والى المدينة ذكر العبادات والأخلاق فى حين تعنى الحسبة بها أكبر عناية ، وتجعل حقوق الله فى مقدمة ما ينبغى أن ينظر فيه المحتسب وقد أجمع مؤلفو الحسبة على أنها من الأمور الدينية وأن الضابط فيها هو الشرع (١) .

خامسا : كتاب والى المدينة يضع قيودا على الأجانب واليهود والعبيد ، والحسبة على نقيض ذلك لا تجعل من هؤلاء فئات مقيدة وهى تطبق أحكام الشرع والعهد حتى اشتهر المسلمون بالتسامح ، واتخذ اليهود العالم الإسلامى ملجأ فى عصور الاضطهاد ومحاكم التفتيش ، واستأثروا ببعض الصنائع .

والخلاصة : أن الفروق جوهرية فى الهدف والأصول والفروع ، ولا مسوغ للقول أن الحسبة مقتبسة من البيزنطيين .

ولكن هل انطوى المسلمون على أنفسهم وحرموا الإفادة من الحضارات الإنسانية ؟ جميع القرائن تدل على أن الحكمة كانت ضالتهم ، والفائدة مطلبهم ، وأنهم كانوا كالطيور يلتقطون الحكمة والفائدة بعيون حادة البصر ويتجنبون الضار منها وسموم الحال.

---

(١) الأحكام السلطانية ، ٢٤٥ ونهاية الرتبة ص ١١٨ الخ .

وهذه القرائن موجودة فى كتب الحسبة نفسها .

١ — فالحرف والصناعات التى وجدوها مفيدة أذنوا بها فى بلادهم ، وتعلموها من أربابها ونبذوا ما لم يفدهم كالتنجيم والشعوذة (١) .

٢ — رووا فى كتبهم عن اليونان والفرس والهنود ونعتوا علماءهم بالحكماء (٢) .

٣ — ترجموا العلوم كالفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء .

٤ — لم يجدوا محذورا فى اقتباس عهد (بقراط) وهو وثنى (٣) .

ولذلك شهد المؤرخون أن الحضارة الإسلامية فتحت فتوحات باهرات فى مختلف النواحى ، وأنها كانت القنطرة التى عبرت عليها الحضارة الإغريقية القديمة إلى أوربا فأيقظتها من سباتها .

(١) معالم القربة لابن الأخوة ص ١٨٢ ونهاية الرتبة ص ٩٨ .

(٢) نهاية الرتبة ص ٩٨ ومعالم القربة ص ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٩ .

(٣) نهاية الرتبة ص ٩٨ وبقراط طبيب يونانى أطلق عليه أبو الطب ولد حوالى سنة ٤٦٠ قبل الميلاد . انظر طبقات الأطباء ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٢٤ - ٢٧ وحاشية نهاية الرتبة ص ٩٨ رقم ٢ .

ومن الثابت من الوثائق أن المملكة الصليبية فى بيت المقدس أخذت الحسبة وأعمالها من المسلمين حتى إنهم استعملوا لفظة « المحتسب » العربية فى كتاباتهم Mathessep (١) .

وفوق كل ذى علم عليم ...

ونخرج من هذا البحث بثلاث نتائج :

الأولى : الدعوة إلى بعث ما اندرس من الحسبة ، لاسيما « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » اتباعا لقول الرسول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، على أن يتولاها أصحاب العلم والكفاية . وذلك للقضاء على « السلبية » ومظاهر التفكك التى تبدو فى بعض المجتمعات الإسلامية .

الثانية : العناية بالتراث الإسلامى الذى يحتوى على جواهر فريدة والذى فرطنا فيه حتى خرج كثير منه من ديارنا .

الثالثة : العناية بتاريخ الإسلام والمسلمين والتأليف فيه بالعربية وباللغات الإسلامية والأوربية كما يفهمه الناس على وجهه الصحيح مصفى من الشوائب .

دكتور إسحق موسى الحسينى

(١) نشر الوثائق الدكتور السيد الباز العرينى بالفرنسية والعربية وألحقها بكتاب نهاية الرتبة ص ١٢٥ — ١٢٦ .

الملكية فى الاسلام

للأستـــاذ على الخفيف

— ١ —

التعريف بالملكية :

فى القاموس المحيط : ملكه ملكا ، مثلث الميم ، وملكة محـــركة ومملكة بضم اللام أو يثلث احتواه قادرا على الاستبداد به .

وكلمة الملكية على هـذا اسم صيغ من المـادة منسوبا إلى المصدر وهو الملك ويدل على معنى الاستئثار والاستبداد بما يتعلق به من الأشياء وذلك ما يلاحظ فيما انتهى إليه معنى الملك عند رجال الشرع والقانون إذ قد عرفوه بمـا لا يجافى هذا المعنى فعرفه الحاوى القدسى : بأنه الاختصاص الحاجز . أى الذى يخول صاحبه منع غيره وعرفه الكمال بن الهمام فى أول كتاب البيع من كتابه فتح القدير : بأنه القدرة على التصرف ابتداء إلا لمـانع ـ يريد أنه قدرة مبتدأة لا مستمدة من شخص آخر وعرفه القرافى فى كتابه الفروق : بأنه حكم شرعى قدر وجوده فى عين أو فى منفعة يقتضى تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو الاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك .

وعرفه صـدر الشريعة فى شرح الوقاية بأنه اتصال شرعى بين الإنسان وبين شىء يكون مطلقا تصرفه فيه وحاجزا عن تصرف الغير .

وقد تضمنت هذه التعريفات جميعها معنى الاختصاص والاستئثار فهو مصـــرح به فى بعضها ولازم لمـا يدل عليه بعضها الآخـر .

وهذا هو ما نجده فيما عرفه به رجال القانون إذ عـرفه بعضهم بأنه سلطة تمكن صاحبها من استعمال الشىء والإفادة منه بجميع الفوائد التى يمكن الحصول عليها على نحو مؤبد وقاصر على المالك (١) وعـــرفه آخـرون بأنه حق يعطى صاحبه سلطة على

(١) محاضرات فى القانون المدنى الفرنسى حـ ١ بند ٣٠٢ .

الشىء تجعل له فيه ولاية ومكنة وتخوله جميع وجوه الاستعمال والانتفاع والاستهلاك ما لم يلزم من ذلك ضرر بالغير [١] .

وعرفه آخرون بأنه الحق فى الانتفاع بالمال المملوك على وجه التأبيد والتصرف فيه بطريقة مطلقة دون من عـــداه من الناس [٢] .

ويرى فى بعض هذه التعريفات أن حق الملكية قد قيد بألا يترتب عليه إضرار بالغير وهذا ما انتهى إليه أخيراً نظر الفقه والقضاء إذ حدد فيه سلطان الملكية بعدم التجاوز إلى الإضرار بالغير وإن كان هـذا الضرر محل خلاف فى تقديره وتحديد ما يراعى منه ونتيجة ذلك ألا يعد من آثار الملكية ما يترتب عليه الإضرار بغير المالك عند استعماله ، ذلك ما انتهى إليه التطور فى معنى الملكية على مرور الزمن واختلاف البيئات والأعراف ووصول التشريع إلى ما وصل إليه من تبلور ونضج .

ولم يكن هذا المعنى هو ما كانت عليه الملكية فى بداية نشأتها إذ لم تكن إلا مجرد انتفاع تدعو إليه الحاجة ثم ينتهى بسدادها . ولم يكن لعنصر الحيازة والاختصاص داعية تدفع إليه فى بداية وجود الإنسان ونشأته ولم يكن له من هم يومئذ سوى سد حاجته إلى ما يطعمه يتناول منه ما يشبعه وربما لا يفكر فى ادخار شىء منه لانعدام التزاحم عليه يومئذ ، ولذا كانت العروض فى ذلك شائعة بين الناس فائضة عن حاجتهم وفيها فوق كفاياتهم وكانت بسبب ذلك مباحة فيما بينهم فكانت صلة الإنسان بها هى الإباحة التى انتهت بالتطور إلى أن صارت ملكية بالمعنى السابق وذلك بمدة من الزمن وبعد حدوث التزاحم وتعارض الرغبات مما دعا إلى الحيازة ودفع إلى الادخار والاختصاص ومن هذا يرى أن أمر الناس فى البداية كان يقوم على الإباحة ثم تطورت بمرور الزمن إلى أن صارت ملكية تقوم على الاستئثار والمنع وكان لها بعد ذلك حين وجدت الشرائع من القواعد والحدود والتهذيب والخصائص والآثار ما اختلف باختلاف الشعوب والشرائع والأعراف وكان هذا الاختلاف مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية والمعتقدات الدينية .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إن الملكية لم تكن إلا تطورا أخيرا للإباحة التى كانت لجميع الناس فى عهدهم الأول فى مجال الانتفاع بما سخر لهم فى هذا الكون مما يحويه سطح الأرض ولم تنقلب ملكا

---

(١) حقوق بغداد فى القانون الفرنسى للدكتور الناهى الأستاذ بكلية حقوق بغداد .

(٢) دكتور محمد صالح فى كتابه أصول الاقتصاد

بالمعنى المعروف إلا باستئثار القائم على الحيازة والمنع ولا يزال هذا الوضع الأول أو هذه الصورة الأولى للملكية ماثلة إلى الآن فى الانتفاع العام بالماء والكلأ والثمار وغيرها بما تحتوى به الفيافى والجبال والأنهار والبحار ومن هذا كانت النار من بين الإباحة والملك هو ما فى الملك من معنى الاستئثار والمنع .

وقد وجد هذا الاستئثار نتيجة لغريزة فطرية فى الإنسان هى حبه للاستئثار والحيازة فمن هذه الغريزة نشأت الملكية وتولدت فإن الإنسان الأول لم يكن ليسد حاجاته الضرورية إلا بوسيلة التناول والاحتياز وهو إذا ما احتاز تملك وإن كان تملكه يومئذ لا يعنى أمراً خلاف حيازته لما استولى عليه فى سبيل سد حاجته ، ولذا كان مجال الملكية يومئذ ضيقا لا يكاد يتجاوز ما يتصل بالإنسان اتصالا مباشرا فى سبيل انتفاعه الخاص كالطعام واللباس وآلة الدفاع ونحو ذلك ، ثم اتسع مجالها شيئا فشيئا بمرور الزمن إلى أن شملت سطح الأرض وما يحويه سطحها بل لقد تجاوزت فيما بعد المشاهد من الأشياء إلى الأمور المعنوية الاعتبارية كحقوق الاختراع والاكتشاف والتأليف مما يعرف بالملكية الأدبية والملكية الفنية .

وبناء على ما تقوم عليه الملكية من الاستئثار والتسلط يرى أنها حين نشأت ووجدت إنما نشأت وتعلقت بالفرد إذ هو الذى ابتدأ الحيازة لحاجته ، والاستئثار فى سبيل سد خلته من طعام ونحوه فنشأت بذلك الملكية الفردية التى تختص بفرد معين وكان ذلك فى زمن لم تتميز فيه الملكية الجماعية ولم تتبلور ، وبعد ذلك بمدة وجدت الملكية الجماعية وتميزت وذلك حين وجدت القبيلة وصار لها وجود تتميز فيه بالترابط والاستقلال والتعاون ، والتناصر ، ووحدة السكن والغرض والسعى للحصول على الرزق وتوفيره فظهرت بسبب ذلك ملكية القبيلة للأرض التى تقلهم وفيها نشئوا وفيها يسعون للمراعى التى ترعى فيها أنعامهم ، وملكيتها الأنعام التى ترعى فيها وذلك بجانب ملكية أفرادها لما هو من خصائص كل شخص من طعام وملبس وسلاح ونحوه . وبناء على ما كان لكل شخص من حق فى الانتفاع بما يجده أمامه حيث تدعوه حاجته إلى الانتفاع به على وجه من الوجوه وعلى ما انتهى إليه أمر الناس من إقرارهم مبدأ الاختصاص والاستئثار فيما تحوزه أيديهم بما يرون أنهم فى حاجة إليه وكان فى بداية أمره محلا لانتفاع الجميع وشيوع ذلك فيهم وانتشاره بينهم

نستطيع أن نقول إن إقرارهم هذا الوضع ليس إلا إقراراً لحق الملكية الفردية وإنه لم يكن إلا منحة منحها المجتمع بإقراره ونزل عنها لما رآه فيها من مصلحة ووفاء بالحاجة واتساق مع الرغبة ، وإنها قد أصبحت أساسا لقيام نظامهم الاقتصادى ، وقياما لحياتهم التى يعيشونها . وكانت الملكية الفردية بمراعاة هذا المعنى أقرب أن تكون خلافة يقوم بها الفرد مقام المجتمع ، وأنها ليست بالحق المطلق . وعلى ذلك يجب أن تؤسس حقوق المالك فيما يملك بحيث يكون الإنسان فيه مضطلعا بنيابة اجتماعية ، مطالبا بحقوقها متمتعا بحماية القانون فى نطاق حدودها ، فإذا ما تجاوزها حرم من تلك الحماية وهذه النظرة لا تخالف فى الواقع نظر الشريعة الإسلامية إلى الملكية الفردية بدليل ما قيدت به منها من قيود تهدف إلى عدم الإساءة فى استعمال حقوقها كما سيأتى بيان ذلك .

فى تاريخ الملكية :

الملكية ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تنفك عنه ولا تزايله حتى إنها لتعد لازمة من لوازم الحياة وبما فيها من معنى الاستئثار تلاحظ فى الحيوان يستولى على قرته فيذود عنه بقوته ويحرص على الاستقلال به ، وهى فى الإنسان أثر لغريزة من غرائزه هى غريزة حبه للحيازة والاستئثار ولما جبل عليه من ميل ورغبة فى الحياة لا تكون له إلا إذا طعم ولا تطيب له إلا إذا سكن فإذا تناول ما يقيته أو استقر فيما يسكنه فقد ملك قوته وسكنه كما يمتلك ما يدفع به عن نفسه من سلاح ونحوه .

وهذا بالنظر إلى الملكية الفردية ، أما الملكية الجماعية فهى مظهر من مظاهر وجود الجماعة واستقلالها وتميزها ، ولما كان الفرد أسبق وجودا من وجود الجماعة كانت الملكية الفردية سابقة فى الوجود على الملكية الجماعية فوجدت الملكية الفردية بوجود الإنسان أولا ثم وجدت بجانبها بعد ذلك الملكية الجماعية وذلك بعد أن نشأت الجماعة وتميزت بروابطها وصفاتها . وقد ظل الأمر على هذا بجميع العصور التاريخية والأزمان المتعاقبة لم تنفرد إحداهما عن الأخرى ، وغاية ما يلاحظ أن إحداهما قد تطغى فى وجودها على وجود الأخرى فتكون أكثر شمولا وأظهر وجودا وأحرى أن تمد القاعدة التى يقوم عليها اقتصاد المجتمع ونظامه المالى والاجتماعى .

كان ذلك عند قدماء اليونان وقدماء الرومان وفى إسرائيل وفى المصريين وغيرهم من الأمم وكانت ملكية الأرض عندهم هى مجال

تداول المال والثراء ، لأنها كانت فى تلك العهود قبل النهضة الصناعية وانتشار التجارة على وضع واسع أهم مصدر للثروة إن لم تكن يومئذ المصدر الوحيد لها وكان هذا التداول نتيجة طبيعية لحال تلك الأمم الاقتصادية والاجتماعية وتغـيرها بسبب ظروفها الاقتصادية المتطورة وما كان يطرأ على توزيع الثروة من تفاوت عظيم يؤدى إلى اكتنازها وتجمعها فى أيدى عدد قليل من أفرادها بينما يرى أكثر أفرادها فى فقر مدقع جعلهم فريسة لأطماع ذوى الثراء الواسع وشرههم فساموهم ذلا واستخدموهم آلات فاقدة الإرادة لتنفيذ أهوائهم ورغباتهم تحت تأثير عوزهم وحاجتهم .

الملكية فى بنى إسرائيل :

فى بنى إسرائيل وجدت الملكية بنوعيها فكان للشخص منهم ملكية خاصة تتناول حاجاته الشخصية وما يتصل بها من أدوات ، وكان لهم بجانبها ملكية جماعية تتمثل فى ملك الأرض ، وذلك حين استولوا على أرض الكنعانيين «أرض فلسطين» فقسموها بينهم على عدد قبائلهم فكان لكل قبيلة حظ معلوم يتناسب مع عدد أشخاصها وذلك وفقا لما شرع لهم ، كما جاء ذلك فى سفر العدد ـ وعلى ذلك كانت ملكية هذه الأرض ملكية جماعية ثم انتهت فى النهاية إلى ملكيات فردية تحت تأثير اختلاف الرغبات والقدرة على العمل والرغبة فى اختصاص كل بثمرة مجهوده ونشاطه ، وكذلك كانت ملكية الأنعام فيهم قبل دخولهم أرض كنعان ملكية جماعية أسرية لكل أسرة أنعامها وإن كانت مشوبة ببعض مظاهر الملكية الفردية ثم استحالت فيما بعد ذلك إلى ملكيات فردية لكل شخص أنعامه الخاصة به ، ويدل على ذلك أن الحديث الذى جاء فى العهد القديم عن أصحاب الأنعام ومنازعاتهم بشأن تلك الأنعام ، إنما كان حديثا عن أشخاص مالكين لها ممثلين لأنفسهم لا ممثلين لجماعات أو أسر .

أما ملكية المنقول من الأموال كالمتاع والنقود فقد كانت فيهم ملكية فردية كما يدل على ذلك ما جاء فى العهد القديم من قصص .

غير أن استقرار الأمور على هذا الوضع هيأ لهم الفرص العديدة لاستثمار الأموال ، وإنماء الثراء فطفقوا يعملون ويستثمرون ، ولاختلافهم فى القدرة على العمل والاستثمار والإحسان فيه وانتهاز الفرصة عند سنوحها تباينت ثرواتهم وعظم التفاوت بينهم واختل التوازن المالى بين طبقاتهم ، فاستعلى المثرون منهم على من هم أقل ثراء واستعبدوا الفقراء منهم فسلبوهم أموالهم وحقوقهم وظهر الإقطاع فيهم ، فاحتاز الأرض عدد محدود منهم

تكدست معظم الثروات فى أيديهم واختفت الملكيات الصغيرة ، وهوى أكثر أفراد الشعب إلى حضيض البؤس والشقاء مما دعا نبى الله أشعياء إلى أن يقول : ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ومن حقل إلى حقل حتى لا يكون موضع قدم لغيرهم وحتى يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد « الإصحاح الخامس » وكان ذلك سببا فى ظهور أفكار اشتراكية اعتنقتها فرقة الحسديين فى القرن الثانى قبل الميلاد فطفقت هذه الفرقة تندد بنظام الملكية الفردية وما لهذا النظام من آثار سيئة فى المجتمع وتدعو إلى الملكية الجماعية والتسوية بين الناس والتقشف فى المعيشة ، وجعلوا جميع ما فى حيازتهم من أرض ومنقولات وملابس وطعام ومتاع ملكا عاما شائعا يحفظون ما يزيد منه على حاجتهم فى مخازن عامة ويشرف على إدارته وشئونه وتوزيعه أناس يختارون لذلك بطريق الانتخاب ولم يتح لهذه الفرقة ولا لمبادئها الدوام فانقرضت بعد مدة من الزمان .

الملكية عند اليونان :

وكذلك كان حال الملكية عند اليونان فسارت سيرها فى إسرائيل وكانت الملكية عندهم من العوامل الهامة التى أثرت فى حياتهم السياسية وكانت ملكية الأرض عندهم فى بداية أمرها جماعية تختص بها القبائل ثم تحولت إلى ملكية أسرات كما يستفاد ذلك من الإلياذة ثم استحالت بعد ذلك إلى ملكيات فردية غير أنه قد أتى على إسبرطة بعد هذا التحول عهود كانت تلغى فيها الملكية الفرديه ويعاد توزيع الأرض بين الأسرات نتيجة لتضخم الثروات وصيرورة أكثر الأرض إلى فئة قليلة من السكان وسوء توزيع الثروة القومية وظهور الطبقات فى الأمة وسيادة الإقطاع مما أدى إلى اضطراب الأمور وثورات النفوس ، ودعا إلى معالجة هذه الحال وإصلاح هذا الفساد .

الملكية عند الرومان :

وعلى هذا الوضع أيضا كانت ملكية الأرض عند الرومان فكانت عندهم فى البداية ملكية جماعية وظلت الحال على ذلك ردحا طويلا من الزمن ثم بدأت تتجزأ إلى ملكيات فردية وما لبثت بعد ظهورها فى الوجود أن استخدمت فى التسابق على جمع المال وإنماء الثراء وشراء الأرض ولم يمض وقت طويل حتى وصلت ملكية الأرض إلى درجة

من التجمع فى إيدى أناس قليلين بينما اضطر غيرهم تحت تأثير فقرهم وشدة عوزهم إلى العمل بالأجر الضئيل فى المزارع والحقول وكان من نتائج ذلك حدوث اضطراب وعصيان اقتضيا معالجة هذه الحال.

فى مصر :

أما فى مصر فقد كانت أيضا فى عهد الفراعنة ملكية جماعية إذ كان يعد الملك المالك الأول لجميع الأرض وما سواه من الرعية تابع له — غير أنه قد عثر على عقود يرجع تاريخها إلى حكم الأسرة الثانية عشرة ٣٠٦٤ ق.م تدل على اختصاص ورثة متوفى بما تركه من عقار وقد نص فيها على أن له حق التصرف فيها حسب إرادته .

الملكية عند العرب قبل ظهور الإسلام

لم يكن العرب قبل الإسلام أهل حضر جميعا ولا أهل بادية جميعا بل كان منهم من يسكن البادية ومنهم من يقيم فى الحواضر والقرى لا ينتقلون من نجع إلى آخر طلباً للماء والكلأ خلافا الأولين . وكانت الملكية الفردية موجودة فى الفريقين فكان كل فرد منهم يملك أمواله ومتاعه وسلاحه وخباءه وأنعامه ملكا خاصا وكان مع ذلك يتمتع فى ملكه هذا بحماية قبيلته فكان إليها جميعاً الدفاع عن أموال أفرادها وحمايتها عن تحدثه نفسه بالإغارة عليها لا يختص بذلك صاحب المال .

أما الملكية الجماعية فلم يكن لها فيما يبدو مجال فى هذا النوع من الأموال عند العرب وإن جاز أن تكون قد وجدت فى أنعامهم فى وقت من الأوقات ملكا للقبيلة جميعا على سبيل الشيوع وبخاصة إثر الإغارات التى كانوا يشنونها على غيرهم قبل أن يتقاسموا الغنائم التى يغنمونها فيما بينهم .

وكذلك كانت الملكية الفردية موجودة فى الأرض والمساكن بالنظر إلى الحضريين سكان الحواضر والقرى كمكة ويثرب ونحوهما فكانوا يملكون دورهم ملكا خاصا كما كان لهم من الأرض ما يقومون على زراعته وجنى محصوله للانتفاع به وفيما روى من الآثار عن يثرب وساكنيها من الأوس والخزرج واليهود وعن خيبر ومزارعها ونخيلها وعن مكة ودورها أدلة عديدة على وجود هذه الملكية فى الدور والأراضى والنخيل بما لا يدع مجالا للريبة فى ذلك فمن ذلك ما ورد أن أسامة بن زيد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم — حين قدم مكة — أتنزل فى دارك ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور . وما روى من أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر

إلى المدينة أشرك المهاجرين مع الأنصار فى دورهم ومنه كذلك ما يدل على أنه كان للأنصار مزارع تشغل حياتهم اليومية وما يدل على أن عثمان رضى الله عنه قد اشترى من يهودى بئر معونة لتكون للمسلمين جميعا وفوق ذلك جاء فى الكتاب العزيز من سورة الحشر حديث عن المهاجرين ودورهم وأموالهم فقيها : « للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا » ، كما جاء فى الأحزاب حديث عن بنى قريظة مما كانوا يملكون من حصون وديار وأموال وأرض ففيها : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها » . وأهل الكتاب فى الآية هم بنو قريظة الذين كانوا يسكنون فى يثرب والآية نزلت فى غزوة الأحزاب أما بالنسبة إلى أهل البادية فلم يكن لهم فيما يبدو ملكية خاصة فى الأرض والدور إذ كانوا يقيمون فى الأخبية ولا يستقرون فى أرض بل ينتقلون من أرض إلى أخرى طلبا للماء والكلأ ومن مرعى نضب ماؤه وجف كلؤه إلى حيث يجدون ذلك وافرا ويؤيد ذلك انه لم يعرف عنهم أنهم غزوا غيرهم فى سبيل الاستيلاء على أرضهم وإنما كانت غزواتهم للاستيلاء على الأنعام والأموال فيأخذونها ملكا لهم ثم يعودون بها إلى نجوعهم . كما كانوا يعرفون حمى الأرض وذلك بجعلها حرما يمنع غير حاميها من الرعى والإقامة وكان من هذا الحمى ما يجعل حمى للقبيلة تمنعه من غيرها من القبائل بقوتها ويكون الانتفاع به مشتركا بين جميع أفرادها كما كان منه ما يكون خاصا بسيد من ساداتها فيكون الانتفاع به مقصوراً على أنعامه دون أنعام غيره قرب أم بعد وذلك حين يرى الرجل العزيز فى القبيلة أن يتخذ حمى لنفسه فينزل منزلا مخصباً يراه منتجعاً صالحا فيوفى بكلب على جبل أو مرتفع به ثم يستعويه ويقف من أتباعه من يتسمع لصوته فحيث انتهى صوته بالعواء حماه من كل ناحية فيرعى مع العامة فيما سواه ويمنعه من غيره اختصاصا به ولم يكن هذا تملكا بل كان الغرض منه مجرد انتفاع مقصور على الحامى مدة موقوتة تتحدد بصلاحية المكان للرعى فإذا انتهت صلاحيته انتهت حمايته .

الملكية فى الإسلام :

ذلك كان الوضع فى جزيرة العرب أو الصورة العامة التى تمثل الوضع فيها فلا تجافيه ولا تبتعد عنه فلما ظهر فيها الإسلام والأمر على هذا الوضع لا تكاد تعرف

فيها ملكية الدور والأرض إلا بين أهل الحواضر والقرى والحوائط أقر القرآن ما للناس من هذه الملكية فأقر ملكيتهم لما في حيازتهم من أموال وملكيتهم لديارهم وأرضهم وقد ظهر هذا الإقرار في نسبتها إليهم في آيات عديدة مثل قوله تعالى: «فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا، لأكفرن عنهم سيئاتهم» «آل عمران ١٩٥» وقوله تعالى: «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» (الحشر ٢) وقوله: «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن» الأنعام ١٥٢ وقوله: «وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون» البقرة ٢٧٩. إلى غير ذلك من الآيات التي لا تدع مجالا للشك في دلالتها على إقرار تلك الملكية.

وكذلك جاءت السنة بما يدل على ذلك، وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أظفره الله ببني النضير أجلاهم عن ديارهم بما استقلت به ركابهم عدا السلاح، أما ما تركوه بعد ذلك من أرض ونخيل وأشجار ومال فقد كان مما أفاءالله على رسوله فكانت له خاصة يضعه حيث شاء فاستبقى منه ما يدر عليه نفقة السنة وقسم الباقي بين المهاجرين الأولين دون الأنصار عدا سهل بن ضيف وأبا دجانة لظهور فقرهما وشكايتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك على رأس ستة أشهر من وقعة بدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة على المسلمين بعد إخراج الخمس فجعل للفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهما، وحين فتح الله عليه خيبر سأله أهلها من اليهود أن يقرهم عليها على أن يكفوه عملها ولهم نصف الثمرة مما تنبته الأرض ويثمره الشجر والنخل، فقال صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا وعلى هذا عاملهم على أن يخرجهم منها متى شاء فكان صلى الله عليه وسلم يجعل ما يخرج منها نصفين نصفا لرسول الله والمسلمين ونصفا لمن ينزل منهم من الوفود والأمور ونوائب الناس، وكان للرسول في النصف الأول الخمس وباقيه لمن شهد فتحها الفارس منهم ثلاثة أسهم وللراجل سهم، وحين أجلاهم عمر رضي الله عنه لم يجعل لهم حظا في الأرض ولا في الثمر فكانت كلها للمسلمين، وتلا ذلك أن أرسل أهل فدك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من اليهود أن يصالحهم على النصف من أرضهم ونخلهم فأجابهم إلى ذلك فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها نفقته وما بقي كان في سبيل الله وفي أبناء السبيل ولم يزل أهلها بها إلى أن

أجلاهم عمر حين أجلى اليهود من جزيرة العرب ، فوجه إليهم من قوم نصف الأرض وما عليها بقيمة عدل فدفعها إليهم وأجلاهم إلى الشام .

وقد سألتها فاطمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من أبى بكر بناء على أن النبى صلى الله عليه وسلم قد منحها إياها فى حياته فأبى عليها ذلك إذا لم تقم حجة عليه ولم تنتقل إليها ميراثا لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة .

وفى هذه الآثار ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل لكل غاز مما شهد الفتح ملكية خاصة فيما شهد فتحه من الأرض . تطبيقا لقوله تعالى : « واعلموا إنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » . أما الأربعة الأخماس فكانت للقائمين بالسنة كما حدث ذلك فى أرض خيبر إذ كان لكل من شهد فتحها ثمرة سهمه منها ـ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصف فدك ملكا خالصا له إلى أن أجلى عمر أهلها عنها وأعطاهم عوضا عن نصفهم فيها فصارت كلها للمسلمين .

وفيما ورد عن صنيعه صلى الله عليه وسلم فى غنائم خيبر من تخصيص نصفها بما ينزل بالمسلمين من الوفود والأحداث إقرار للملكية الأرض ملكية جماعية إذ لم يكن ذلك النصف مملوكا لشخص معين وإنما كان ملكا لجماعة المسلمين تصرف غلته فى نوائبهم ووفودهم ومايتزل بهم من أمور فكان مصرفه مصرفا عاما فى شئون جماعية تخص المسلمين جميعا . وكان الأنصار فى زمنه صلى الله عليه وسلم أصحاب أرض وحقول يزرعونها ويكرونها كما روى عن رافع ابن خديج : كنا أكثر الأنصار حقلا فكنا نكرى الأرض . كما روى عن أسيد بن حضير : كان أحدنا إذا استغنى عن أرضه أو افتقر أعطاها بالنصف أو الثلث أو الربع إلى غير ذلك من الآثار . وإلى ذلك أيضا قال صلى الله عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهى له رواه الترمذى وهو يدل على أن الأرض الموات لا ملكية فيها لأحد وأنها تصير ملكا خاصا لمن أحياها .

« راجع الجزء الرابع من البداية والنهاية لابن كثير والجزء الخامس من نيل الأوطار صفحة (٢٣٠) إلى صفحة (٢٢٦) والأموال لأبى عبيد صفحة (٨) » .

« فدك قرية قريبة من خيبر » .

« يتبع »

على الخفيف

الإيمان والإسلام

للأستاذ عباس طه

اختلف العلماء في معنى الإيمان والإسلام اختلافا كثيراً ، وسبب ذلك يرجع إلى ما فهمته كل طائفة من ظواهر الأحاديث الصحيحة . فإن بعضها يدل على أن بعض الأعمال البدنية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وغير ذلك داخلة في معنى الإيمان ، وبعضها يدل على اتحاد الإسلام والإيمان ، وبعضها يدل على تغايرهما ، وبعضها يدل على أن الإيمان هو التصديق فقط بدون ذكر للأعمال ، إلى غير ذلك مما سنكشف عنه .

عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ثم ماذا؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور » رواه البخاري

ويتعلق بشرح هذا الحديث أمور أحدها : معنى الإيمان والإسلام وشرح معنى قوله : الجهاد في سبيل الله ثم شرح قوله حج مبرور .

إن الذين يريدون الوقوف على معنى الإيمان والإسلام يجب أن يفرقوا قبل كل شيء بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، والمعنى الشرعي الذي يوافق اصطلاح كل طائفة من الطوائف الآتي ذكرها .

فمعنى الإيمان في اللغة التصديق مطلقا سواء كان بالله ورسله أو بغير ذلك . فمن صدق بالله كان مؤمنا في اللغة كمن صدق بإله آخر أو بآلهة متعددة كما هو الحال في المشركين الذين يعبدون الأصنام . أما معناه في الاصطلاح فإليك بيانه على الترتيب الآتي :

الأول : اصطلاح جمهور المتكلمين من الأشاعرة ، قالوا : الإيمان : هو التصديق بالقلب . فمن صدق بقلبه بأن الله إله واحد ، وأن محمداً عبده ورسوله إلى الناس ، كان مؤمنا لا يخلد في النار يوم القيامة . وقد اتفق معظمهم على أن من صدق بالله ورسوله ثم أدركه الموت قبل أن ينطق بلسانه أو يعمل بجوارحه فإنه يكون مؤمناً بينه وبين الله تعالى وحجتهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » . فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » .

فهذا يدل على أن الذي يؤمن بالله ورسوله

لا بد أن يخرج من النار وإن كان قد يعذب على ما كسبه من عمل سيء. ولاسبيل إلى جعل الإيمان فى الحديث بمعنى العمل الزائد على التصديق كما هو رأى بعض الأئمة، لأن الحديث صريح فى أن المراد بالإيمان هو المتعلق بالقلب، وهو التصديق فحسب.

ولا منافاة بين هذا الحديث وبين ما أخرجه البخارى عن أنس وهو: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير) وفى بعض الروايات (وزن ذرة من إيمان).

وذلك لأن حديث أبى سعيد الخدرى الذى يحتج به الأشاعرة معناه أن التصديق كان فى الخروج من النار بدون أى عمل، وحديث أنس معناه أن التصديق - مهما كان وصفه - مع قوله لا إله إلا الله يكفيان فى الخروج من النار. وهو كذلك، فإنه إذا صح أن يخرج منها من كان فى قلبه ذرة من الإيمان وإن لم يقل لا إله إلا الله صح أن يخرج منها من آمن وقال لا إله إلا الله من باب أولى فلا تنافى بين الحديثين.

هذا حكم من آمن بالله ولم يتمكن من النطق بالشهادتين ثم مات، أما من آمن بقلبه وعاش مدة يستطيع أن ينطق فيها بالشهادتين وعلم بوجوب النطق بهما، فحكمه عند جمهور الأشاعرة كحكم الأول فى كونه غير مخلد فى النار، لأن المدار فى ذلك على الإيمان بالله ورسوله، وقد أورد على هذين الوجهين أن فرعون موسى مؤمن لأنه أقر بلسانه ولا بد أن يكون فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فى هذه الحالة مع أن المسلمين يجمعون على أنه ليس بمؤمن، نعم قال صاحب الفتوحات المكية: إن فرعون مؤمن بهذا القول، ولكن رأى صاحب الفتوحات المكية هذا لا يخرق الإجماع، والواقع أن سياق الآية لا يؤيد صاحب الفتوحات وأنصاره لأن الله سبحانه وتعالى لو علم منه الإيمان حقا لرد عليه ردا جميلا، ولكنه رد عليه بما يفيد أن إيمانه فى هذا الوقت لا يجد به نفعا، وكيف يصنع بقوله تعالى: «آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» بهذا يدل على أن إيمانه لم يكن فى الوقت الذى ينفع فيه الإيمان كما قال تعالى: «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن». والرأى السديد فى بيان هذا الوقت هو أن يتأكد الإنسان من موته ولم يبق له أى أمل فى الحياة، وقد ورد أن فرعون قال ذلك حين ألجمه الغرق وأصبح هالكا لا محالة على أن صاحب الفتوحات

المكية قرر أنه سيعذب بما كسبت يداه ولكنه لا يخلد فى النار إلى مالا نهاية وهذا مذهبه فى فرعون وغيره من الكافرين. فالواقع أنه لم يأت بجديد فى مسألة فرعون ، وذلك لأنه يرى أن الخلود والتأبيد الواردين فى القرآن معناهما طول المدة ، وقد وافقه على هذا الرأى ابن تيمية وابن القيم، واستدل ابن القيم على ذلك بأدلة كثيرة فى كتابه حادى الأرواح ، فمن أراد أن يعرفها فليرجع إليه.

ومن هذا فجمهور الأشاعرة الذين قرروا هذا لم يقولوا : إن مرتكب الجرائم التى نهى الله عنها لا يعذب عليها إذا مات ولم يتب ولكنهم يقولون إنه سيعذب على ما كسبت يداه ، والله يعفو عنه إذا شاء ذلك ، وما كان لأحد أن أن يقدم على جريمة من الجرائم وهو يعتقد أنه على حظ عظيم ، وأنه لا يدرى هل تغفر له هذه الجريمة ويكون داخلا فيمن يصح أن يشاء الله لهم المغفرة أولا فليس فى هذا الرأى تساهل فى الحث على أداء الواجبات الدينية والخلقية التى كلف الله بها العباد .

هذا وظاهر الأحاديث التى تقدمت يقتضى أن التصديق يزيد وينقص ، وهو كذلك ، ولكن التصديق يطلق على الاعتقاد الجازم الحاصل عن دليل يقينى لا شبهة فيه ، وهذا لا يحتمل الزيادة والنقص ، ويطلق على التصديق الحاصل بالتقليد ولا شبهة فى أن مثل هذا التصديق قابل للزيادة والنقص فإن الواقع المحس هو أن المصدقين متفاوتون فى استمساكهم باعتقادهم وإن تساووا فى اتصافهم به ، فترى اثنين من العقلاء يعتقدان عقيدة واحدة سرت إليهم من آبائهم أو من البيئة التى نشئوا فيها ولكن يمكن تشكيك أحدهما دون الآخر ، ويرجع ذلك إلى قوة اعتقاد أحدهما دون الآخر ، فدل ذلك على أن التصديق لا يلزم أن يكون على حالة واحدة ، فاعتقاد القلب الجازم الذى لا يرتكز إلى دليل يقينى قابل للقوة والضعف . وهذا هو رأى كثير من السلف منهم الإمام مالك والشافعى وأحمد بن حنبل ولهم على ذلك أدلة منها حديث أبى سعيد الخدرى وحديث أنس المذكورين ، ومنها قوله تعالى: «فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا». أما الإمام أبو حنيفة فقد نقل عنه أنه قال : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن كان قد يتفاوت بأمور زائدة عليه خارجة عنه ، فقد تكون أسباب الإيمان أكثر جلاء عند بعض الأفراد دون بعض ، فإذا ظهر السبب بنسبة واحدة كان التصديق متساويا عند الجميع، مثال ذلك الحكم بحدوث العالم ، فإنه بعد معرفة أدلته ودفع الشبه الواردة عليها يصبح كالحكم بأن الواحد نصف الاثنين . والأمر فى ذلك هين ، فإن الحنفية يسلمون بأن الإيمان

يقوى ويضعف لا بحسب ذاته ، بل بحسب الأدلة الخارجة عن ماهيته . ولكن هذا تكلف لا حاجة إليه ، فإن الظاهر يؤيد جمهور الفقها. والمحدثين الذين لا يشترطون فى الإيمان أن يكون بمعنى التصديق الجازم الحاصل عن دليل يقينى لا يحتمل التشكيك . هذا هو اصطلاح جمهور المتكلمين الأشعريين .

الرأى الثانى : للمعتزلة ، وهؤلاء قالوا : إذا تعدى الإيمان بالباء كما إذا قيل . آمن به ، فإن معناه يكون منحصراً فى التصديق الجازم أما إذا ورد الإيمان بدون تعدية بالباء فإن معناه يكون شاملا للاعتقاد والأعمال والإقرار باللسان ، وهل أعمال الجوارح والإقرار باللسان داخلان فى ماهية الإيمان الشرعى أو هما شرطان فى صحته ؟ الظاهر أنهم يقولون إنها جزء من حقيقة الإيمان ، وإن كان بعض شراح الحديث نقل أنهم يقولون إنها شرط لصحته .

وعلى كل حال فإن المعتزلة يقولون لا يتحقق الإيمان إلا إذا اشتمل على ثلاثة أمور : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والأعمال التى كلف بها العباد . فإذا ترك شيء من ذلك لم يكن العبد مؤمنا . وهل الأعمال التكليفية تشمل المندوبات أو هى مقصورة على الواجبات ؟ خلاف فيما بينهم . والمحققون منهم على أن المندوبات لا تدخل فى الإيمان .

وعلى كل حال فهم يجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يقال له مؤمن ، ويخلد فى النار إذا مات وهو مصر عليها وهو قول لا يلتقى مع كثير من نصوص الكتاب والسنة وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، فهل من العدل أن يعمل الإنسان صالحاً فى كل أدوار حياته ثم إذا ارتكب كبيرة مرة واحدة ومات حبط كل عمله ؟ إن هذا فاسد لاشك فيه . نعم يحبط الأعمال كلها الردة عن الدين ، فإذا ظل عاملا طول حياته ثم ارتد عن دينه ومات حبط عمله بنص القرآن ، ومن الغريب أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يقول : إن ترك المندوب يهدم الإيمان ، فمن فعل مكروهاً يخلد فى نار جهنم ، ومعنى ذلك أن معظم المسلمين يخلدون فى نار جهنم ، فإن المندوبات لا حد لها ، فإذا ترك الإنسان مندوباً ولم يفعل ما يكفره ثم مات يخلد فى النار . وهل يقول بهذا من به مسحة من تعقل ؟ .

الرأى الثالث : للخوارج وهؤلاء على رأى واصل بن عطاء فى هذا الموضوع فإنهم يقولون : إن الإيمان بالله معناه المعرفة بالله

وبكل ما وضعه الله عليها دليلا عقليا أو نقليا من الكتاب والسنة، ويتناول طاعة الله تعالى في جميع ما أمر به من فعل وترك صغيراً كان أو كبيراً، فمن ترك خصلة من هذه الخصال فإنه يكون من الكافرين، وهذا رأى واهن.

الرأى الرابع: للمرجئة، وهؤلاء كانوا مع المعتزلة على طرفى نقيض، فالمعتزلة أفرطوا، والمرجئة فرطوا، وقالوا إن كل الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة لاقيمة لها بعد الإيمان، فمن آمن بالله ورسوله فقد نجا ولو كان زانيا سارقا قاتلا. وهذا فساد فى الدين لا حد له.

ولعله قد سرى إلى هؤلاء من أن عقيدة الإيمان بالخلص تكفى فى النجاة. ولئن صح هذا كانت التكاليف الشرعية عبثاً، وكانت الأوامر الإلهية التى وردت فى كتاب الله وسنة رسوله لهواً ولعباً.

والرأى السديد الذى يقتضيه صريح الدين ويؤيده العقل: هو أن الناس مجزيون بأعمالهم من خير وشر، فمن عمل صالحا وهو مؤمن كان له على الله أن يدخله جنات النعيم، ومن عمل سوءاً وهو مؤمن فإنه يجزى عليه بالعذاب بقدر هذا العمل، والمؤمنون بالله ورسوله لا يخلدون فى نار جهنم وإن كانوا يعذبون عن أعمالهم، والكتاب والسنة يؤيدان ذلك فى كثير من المواضع، أبرزها قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره».

هذا أهم ما قيل فى الإيمان، ولا يخفى أن الحديث الذى معنا يدل على أن الإيمان غير أعمال الجوارح، لأن السائل سأل عن العمل مطلقا سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح، فأجابه الرسول الأعظم أفضل الأعمال عمل القلب وهو الإيمان، فأطلق الإيمان على عمل القلب.

أما الجهاد والحج فهما من الأعمال الظاهرة وهو دليل لمن يقول: إن الأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان.

أما الإسلام فمعناه لغة: التسليم وترك الاعتراض فيما لا يلائم: أما فى الشرع فإنه قد ورد على ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مرادف للإيمان، وثانيها أنه مغاير للإيمان ثالثها: أنه جزء من الإيمان داخل فيه.

مثال الأول قوله تعالى: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين». ومعنى الآية: فأخرجنا آل لوط المؤمنين من القرية التى كان يسكنها قومه فلم نجد فيها غيرهم، إذ لم يكن بين قوم لوط مؤمن سوى آل لوط ـ باستثناء امرأته ـ فسماهم الله أولا مؤمنين، وسماهم ثانياً مسلمين فدل ذلك على أن الإيمان والإسلام

(البقية على صفحة ١١٢١)

جنات واعظة

للأستاذ الحسينى محمد أبو فرحة

(١) المال عصب الحياة الدنيا وزينتها ووسيلتنا إلى ضرورياتها وكمالاتها ، وهو صنو البنين . وكلاهما يحرص الإنسان عليه . ويرى فيه سعادة نفسه . وطمأنينة قلبه . قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وقد قرنه الله بالبنين فى ثمان وثلاثين آية من آيات الكتاب الكريم . مقدما المال على البنين وفى ذلك إشارة إلى أن تعلق النفس بالمال أشد من تعلقها بالبنين .

والمال كان مصدر الصراع بين الأفراد والجماعات . فبسببه اقتتل الناس وتفرق الأحبة . وما كانوا ليقتتلوا ويتفرقوا فيقلبوا النعمة نقمة . ويجعلوا زينة الحياة سببا اشقائهم لو أنهم أنزلوه منزلته . وهى كونه وسيلتنا لسعادة الدارين . فلم يتخذوه صنما يعبد من دون الله ، ويتقربوا إليه بشتى الوسائل . غير مفرقين بين مشروع ومنكر . ولكنهم قد اتخذوه صنما . وتقربوا إليه بكل شىء : وعلى مذبحه أراق الأخ دم أخيه وقتل الأب بنيه . والابن أباه . وانتهكت الأعراض وديست الكرامات .

ويا عجبا أن يجعل وسيلة السعادة سببا الشقاء . ولكنه ضلال الإنسانية بسبب بعدها عن هدى السماء ، ورسالات الله .

فما قبحها الله على تنكب الطريق السوى وقد أرشدنا الله فى كتابه وسنة رسوله فى وضوح واضح إلى الطريق الصحيح للتعامل مع المال . اكتسابا وإنفاقا وادخاراً مصححا فى ذلك نظرة الناس إلى الأموال .

فلم يرض لهم أن يكونوا عبيد الدرهم والدينار ،كما لم يحب لهم أن يتنكروا لها ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) .

كما قال صلى الله عليه وسلم : (اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ،

---

(١) ملاحظة : هذا المقال والذى قبله ليسا من بحوث مجمع البحوث .

وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه) .

وفى ذلك حث واضح على اكتساب المال ليصلح الإنسان به من شأنه وليحسن به إلى غيره ، وفى الحديث الذى قبله تنفير من الإسراف فى حب المال إسرافا يحمل الإنسان ينتقل من كونه سيداً مالكا للمال ، إلى كونه عبدا له .

هذا وقد لفتت نظرى أربع قصص واقعية ، ثلاث فى القرآن الكريم ، وواحدة فى السنة النبوية حول المال ، وتصحيح النظر إليه ، والتعامل معه ، وذلك عن طريق القصة وأثرها فى النفس عظيم ، واتخذ موضوعا لها فى جميع القصص لون من المال بعينه يغلب على النفس حبه والميل إليه ، ذلك هو البساتين الغناء والحدائق الفيحاء ، والجنان النضرة .

* * *

القصة الأولى : يدور الحوار فيها بين رجلين ، أوتى أحدهما جنتين من أعناب ، محفوفتين بنخل وجعل بينهما زرع ، وفجر خلالها نهر « وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا» .

إذن فقد كفر الرجل ، بعد أن بطر وركن إلى ماله مفتخراً به ، وبغى وطغى وتجبر ، واعتز بماله وجاهه ، وجعل المال ، وهو نعمة من الله عليه سبباً لطغيانه وكفرانه .

وصدق فيه قوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

وهنا ينبرى له صاحبه مسفها رأيه أن جعل المال سبب الكفران والفخر . مذكراً له بنعمة الله عليه فى خلقه فى أطوار شتى . طورا بعد طور . حاثا له النظرة الصحيحة لنعمة المال . بنسبتها لله وشكره عليها ، والتبرى من حوله وقوته فى كسبه . فكم من باذل لا ينال ، ولو كان جهد الإنسان هو كل شىء لما تخلفت ثمرة عن عمل .

قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا » .

انتهى الحوار . ونحن الآن بإزاء رجل أوتى مالا : جنتين عظيمتين . فكفر بعد

أن بطر وافتخر وبغى وتكبر ، فماذا كان من شأنه بعد ذلك ، هنا موضع العظة والعبرة أهلك الله حديقتيه ، فلم يعد أكثر مالا ، وثاب الرجل إلى رشده بعد أن جرد من المال « يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً ، وبطل الجاه فلم يجد فئة تنصره من دون الله وما كان منتصراً ويصور الله ذلك أتم تصوير فى قوله سبحانه وتعالى : « وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ، ويقــول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً .

ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا » .

يا لله الناس ، ألا يعرف الإنسان ربه إلا أن تنزل به جائحة تعيده إلى رشده ، وتصلح من فكره ألا ما أجهل من يجعل نفسه عبد العصا . وبؤسا لإنسان يطغيه المال مهما كثر ، ويقف حائلا بينه وبين النظر الصحيح ، آمنت بالله ، ما شاء الله كان لا قوة على أمر إلا بالله ، تلك هى الجنة الأولى : وفيها دعوة لتصحيح النظر للمال بنسبته لله منعما به . وعدم اتخاذه وسيلة للمباهاة والفخر ، والتبرى من الحول والقوة فى جمع المال وتثميره وحفظه ، بل الأمر بيد الله وحده .

وأما القصة الثانية : فعن سبأ « جنتان عن يمين وشمال . كلــوا من رزق ربكم واشكروا له بــلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور .

صدق الله العظيم ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وهل طلب منهم كفاء ما أنعم به عليهم إلا أن يعرفوا له حقه ، ويؤدوا له شكره والشكر لله على نعمه سياج لها يحفظها من الهلاك ويزيد فيها « لئن شكرتم لأزيدنكم » ولكن القوم غلبت عليهم شقوتهم فأعرضوا فحقت عليهم كلمة الله « ولئن كفــرتم إن عذابى لشديد » .

وأى عذاب نزل بهم إنه السد الذى بنوه ليتحجزوا المياه خلفه لوقت حاجتهم ، وليحميهم من غائلة الغــرق قد تهدم بنيانه وتصدعت أركانه ، فأغرق مساكنهم وأتلف بساتينهم ، ثم أبدلهم الله من جنتيهم المغرقتين ما لا يسمن ولا يغنى من جوع وأسماه جنتين تهكما بهم وأى خير فى ثمر مر بشع وطرفاء لا ظل وثمر ، وسدر قليل النفع . ذلك جزاء كفرانهم وعدم شكرهم .

فإذا كان موطن العبرة فى القصة الأولى النهى من اتخاذ المال وسيلة للمباهاة والفخر والحث على عدم الركون إليه . والتبرى من الحول والقوة فى كسبه وحفظه ، فإن موطن العبرة هنا هو الحث على شكر الله على نعمة المال ، بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل ، وأداء حق الله فيها لأن ذلك هو تمام الشكر .

وأما القصة الثالثة : فخلاصتها أنه كان فيمن مضى رجل صالح يملك بستانا ، وكان ينادى الفقراء والمساكين وقت جنيه ، فلما مات الصالح قال بنوه إن فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، فإن المال قليل والعيال كثير . وأقسموا ليقطعنها فى وقت الصباح الباكر حتى لا يتبعهم المساكين ولم يقولوا إن شاء الله فجمعوا بذلك بين العزم على حرمان المساكين والاعتماد على حولهم وقوتهم فحسب .

وهنا نزل على جنتهم ليلا بلاء مخصوص أحاط بها من جميع جوانبها فأصبحت كأنها قطعت ثمارها ، بحيث لم يبق فيها شيء ، أو صارت كالليل فى اسودادها واحتراقها . ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى حديقتهم مستخفين عن أعين المساكين ، مصرين على جنى ثمر الحديقة وحرمان الفقراء منها . فلما رأوها هالهم ما رأوا ، وظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا طريقهم ، وأن الحديقة التى أمامهم ليست حديقتهم . ثم لما تأملوا فى أماراتها وجزموا بأنها حديقتهم أيقنوا بأنهم حرموا منها وهنا قال أعدلهم رأياً : ألم أقل لكم حين تشاوركم على حرمان الفقراء هلا تذكرون الله بالخير . وهنا . هنا فقط أدركوا خطئهم وعظيم جرمهم فتابوا وأنابوا .

قال تعالى « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين . ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » .

يا لله للمسلمين . فكم من بلاء نزل . وآفة حلت بزروعهم فى ضراوة العام بعد العام . وكم من جهد بذل لمكافحتها إن أفلح حينا .

خاب أحياناً . وهم فى كلتا الحالتين قد خسروا خسراناً مبيناً . أليسوا فى حال نجاح جهدهم فى مكافحة الآفة قد خسروا جهدهم الموجه لمكافحتها ، ومالهم المبذول ثمنا لمبيداتها .

والعلاج :

بذل ولا فخر . وشكر لله على ما أنعم به . شكر يدفع إلى صالح الأعمال . وكريم الفعال .

وأما القصة الرابعة : فيذكرها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . قصة واقعية عمن مضى قبلنا . قصة تكمن فيها أبلغ عظة وعبرة لقوم يتعظون ويعتبرون .

قصة يؤمر فيها ماء السماء بالتوجه إلى حديقة معينة لريها . ويسمع ذلك الأمر إنسان بأذن رأسه حتى تكون الموعظة أتم والعبرة أكمل . ويتابع ذلك الرجل هذا الماء المأمور . فإذا به يتجه لحديقة يعمل فيها صاحبها ، فيسأله الرجل عما يعمل فى حديقته فإذا به يتصدق بالثلث . ويطعم هو وعياله الثلث . ويرد فيها الثلث . ومما يلفت النظر فى ترتيب ما يعمله أنه ابتدأ بالصدقة قبل أن يذكر طعمته وطعمة عياله . وبذلك يكون الرجل قد قدم حق الله على حقه . وأعظم الصدقة ما بادر به صاحبه . قال تعالى : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

وهاهو حديثه صلى الله عليه وسلم المتضمن لهذه القصة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا رجل فى فلاة من الأرض . فسمع صوتا فى سحابة : اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة . فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء . فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته . فقال له ياعبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع فى السحابة . فقال له ياعبد الله : لم سألتنى عن اسمى . قال : سمعت فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت هذا . فإنى أنظر إلى ما يخرج منها . فأتصدق بثلثه . وآكل أنا وعيالى ثلثه وأرد فيه ثلثه » .

وموضع العظة هنا يكمن فى تصدق الرجل بالثلث . وابتدائه به . فسخر له ماء السماء تسخيراً أسمعه الله لذلك الرجل فى الفلاة ، يا قوم : إن الباب مفتوح على مصراعيه لمن أراد الولوج .

فأيما إنسان بذل من ماله للفقير والمسكين وغير ذلك من وجوه البر . طيبة بذلك نفسه . فسحب الخير فى سماء الله تنتظر الأمر بالتوجه . سمعه من سمعه . ولا ضير إن لم يسمعه بأذن رأسه أحد . قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا

عليهم بركات من السماء والأرض ، وبالتأمل فى القصص الأربعة نجد أن ثلاثا منها أهلكت. وواحدة منها فقط هى التى نجت من الهلاك . ولم تنج فحسب . بل سخر لها السحاب ذلك التسخير المثير .

والثلاث المهلكة وإن اتفقت فى الإهلاك . فقد اختلفت أسبابه فى كل منها .

فالأولى : أهلكت . بسبب الفخر بها . فخرا انتهى بصاحبها إلى البغى والكفر . والاعتماد على حوله وقوته . والثانية : أهلكت . بسبب عدم شكر الله عليها . بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل . والثالثة : أهلكت بسبب العزم على فكرة فاسدة . نعم بمجرد العزم عليها .

ألا وهى حرمان المساكين بما اعتادوا أخذه ، وأما الرابعة : فقد سخر لها السحاب وشملتها عناية الله ورعايته .

ذلك أن صاحبها كان نموذجا إسلاميا كاملا فى نظرته للمال . فهو قد أخرج الثلث صدقة مبتدئا به ، وإذا دققنا النظر نجده قد أخرج النصف ، لأنه رد الثلث فى الأرض بذرا وحرثا وخدمة . فكأنه شاطر الفقير ماله .

وذلك أكمل الشكر أن جادت نفسه . بنصف الثمر . فدل فعله على عقيدة سليمة ، وقلب ملىء بالإيمان مفعم بالشكر لله سبحانه والرجل مع ذلك بعيد كل البعد عن مواطن الفخر والمباهاة بماله ، وبعيد أيضاً عن المن والأذى . فهو لم يعمل على إذاعة صنيعه بين الناس . يلتمس بينهم جاها كاذبا ومجدا زائفا . لا بل كان ضنينا بسره حريصا على عدم إذاعته .

أنظر إليه لم يجب الرجل المستفسر عن سؤاله إلا بعد أن أخبره بالآية التى شاهدها ولكن السماء كانت حريصة على إذاعة سر الرجل ونشره بين الناس . درسا عمليا بليغا . فأسمعت صاحب الفلاة ما سمع . وأرته ما رأى .

* * *

مما يتقدم يتبين لنا أنه لا يكفى المسلم أن يجمع المال من حلال . وأن يؤدى حق الله فيه للفقير والمسكين . بل يلزمه مع ذلك ما هو أهم منه . ألا وهو تصحيح النظر إلى المال . بنسبته إلى الله منعما به . والتبرى من حوله وقوته فى كسبه وحفظه ودوام الشكر لله عليه . وأداء حق الفقير والمسكين . شاعراً بأنه بإنفاقه إنما يسدى لنفسه معروفا أى معروف . يتحبب لربه ويحفظ بذلك ماله من الجوائح تنزل به . لا أقول ثورة الفقير والمسكين عليه ، ثورة تزلزل كيانه وتذهب بثروته . بل أهم منها وأشد وأنكى غضب الله عليه ، غضبا يتمثل فى ثورة الطبيعة . صواعق ورعود وغرق

متفقان فى المعنى . وحرق ونضوب للماء . كما ورد فى قصصنا السابقة .

وعلى ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس ضربا من العبادة . يجد فيه سعادة نفسه وطمأنينة قلبه . فهو حين يعمل لكسبه يتوكل على الله توكلا يحمله يبذل الأسباب . ويفرغ الجهد لإتقان العمل .

ثم هو لا يتعامل مع الطبيعة . وإنما يتعامل مع رب الطبيعة . خالق السبب والمسبب . فهو جرئ مقدام نتيجة إيمانه بقوة مولاه وعظمته . ولا يعرف الجبن والخنوع والرضا بالدون والخوف من مظاهر الطبيعة . خوفا يقعده عن العمل . ويسلمه الكسل .

تلك هى أهم الفروق بين نظر الإسلام للمال ، ونظر غيره من النظم . وشتان ما بين النظرين ، وبعد ما بين المدبين . أسأله سبحانه أن يأخذ بنواصينا إلى هديه إنه سميع مجيب .

الحسينى محمد أبو فرحة
عضو بعثة الأزهر بالجمهورية الصومالية

(بقية المنشور على صفحة ١١١٤)

ومثال الثانى قوله تعالى «قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فإن معنى أسلمنا : أظهرنا الإسلام والخضوع وقلوبنا غير مصدقة ، فالإسلام هنا مغاير للإيمان .

ومثال الثالث : ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أى الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام . فقيل له أى الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم الإيمان . فدل ذلك على أن الإيمان داخل فى الإسلام وجزء منه

وأما الجهاد فى سبيل الله فهو فريضة من أهم الفرائض الدينية ، والعناية به ينبغى أن تكون فوق كل عناية ، وذلك لأنه يتوقف عليه عز الأمة وصيانة دينها وكرامتها ، ولقد كان المسلمون الأولون على شئ لا يحرصون فى الحياة الدنيا إلا على العزة والكرامة والمحافظة على دينهم بجميع الوسائل المشروعة ، وأولها الجهاد فى سبيل الله . ومقاومة المغيرين الذين يريدون أن يستذلوهم ويسلبوهم مجدهم وكرامتهم ويعبثوا بأخلاقهم ودينهم ، وإن لنا فى سيرة النبى الأعظم وأصحابه ومن حذا حذوهم من المؤمنين حقا أكبر العظات وأجل العبر .

وأما الحج المبرور : فهو من أجل وسائل التهذيب وأعظم قواعد الإسلام المبنية على ضرورة التعارف والاتحاد والتناصر والتواد ففى الحج خضوع لله عز وجل ، وذكر لعظمته التى لا تحدها العقول ، وفيه منافع للناس من تعارف وتواد وفيه ذكر لليوم الآخر .

عباس طه

نشأة الكون

بين الدين والعلم

للدكتور شريف محمد شريف

من الناس من يزعم أن الكون أزلى لا أول لوجوده إلا أن هذا الزعم لم يلق رواجاً فى أى عصر من العصور إذ أن فكرة خلق الكون كانت ولا تزال عقيدة السواد الأعظم من البشر ، وحديث الخلق فى ستة أيام معروف لدى كثير من شعوب الأرض.

ولقد تعرضت الأديان لفكرة خلق السموات والأرض بأوجه شتى ، بعضها موجز وبعضها مفصل ، وتجمع الأديان السماوية الكبرى على أن خلقهما استغرق ستة أيام ، فجاء بالقرآن الكريم قوله تعالى : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس » ، وقوله : « أأنتم أشد خلقاً أم السماء ، بناها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » .

ومن الآيات الموجزة فى خلق السموات والأرض فى ستة أيام قوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » ، ومن الآيات المفصلة قوله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » .

وفى هذا الشأن أيضاً ورد بالإصحاح الأول من سفر التكوين فى العهد القديم « التوراة » ما يأتى :

« فى البدء خلق الله السماوات والأرض ، كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهاراً ، والظلمة دعاها ليلا ، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً .

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء وكان صباح يوماً ثانياً .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضا ، ومجتمع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا ، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا كجنسه ، وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثاً .

وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا فى جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك ، فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليـــل ، ولتفصل بين النور والظلمة ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مسا. وكان صباح يوما رابعاً .

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء فخلق الله التنانين العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طائر ذى جناح كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملئى المياه فى البحار ، وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يوما خامساً .

وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك ، فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ، وجميع دبابات الأرض كأجناسها ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله نعمل الإنسان فيتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان ، ذكرا وأنثى خلقه ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض ، وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، وقال الله إنى قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء ،

وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما . وكان كذلك ، ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدا وكان مساء وكان صباح يوما سادساً .

على هذه الصورة أوضحت الأديان السماوية الكبرى كيفية خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وهنا ينبغى لنا أن نقف قليلا لنتدبر هذه الآيات ولنتفهم بعض النقاط على النحو الآتى :

أولا : كم كان يقدر طول اليوم حين خلق السماوات والأرض ؟ أهو يومنا الذى يتكون من نحو أربع وعشرين ساعة على وجه التقريب أو ثلاث وعشرين ساعة وست وخمسين دقيقة وأربع ثوان على وجه التحديد ؟ وذلك هو الوقت الذى تستغرقه الأرض الآن لتتم دورة كاملة لها حول محورها أمام الشمس ، أم أن اليوم الذى يعنيه الله تعالى يوم آخر له طول آخر لا يعلمه إلا هو ؟ لا سيما وأن الله يقول فى كتابه : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . ويقول أيضاً : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . ولقد ثبت فلكياً أن دورة الأرض التى يعبر عنها بالحركة اليومية لم تبلغ طولها الزمنى الحالى إلا عندما تم تكوين الأرض واستقر وضعها على ما هو عليه الآن ! فقد كانت الأرض - فى رأى علماء الفلك - عند بدء تكوينها قريبة من الشمس وصغيرة الحجم وكان اليوم الكامل حينذاك قصيراً جداً على الأرض حتى لقد بلغ فى مرحلة معينة أربع ساعات فقط ثم أخذ طول اليوم على الأرض يتزايد كلما بعدت الأرض فى فلكها عن الشمس وتزايد حجمها ، حتى أصبح اليوم بطوله الحالى ، فهل كانت الأيام الستة قصاراً جداً أم طوالا جداً أم كانت من طول أيامنا هذه ؟ وحتى أيامنا على الأرض يختلف فيها طول الليل والنهار على مدار السنة لأن محور الأرض ليس عموديا على مستوى فلكها بل يميل عنه بزاوية مقدارها ثلاثة وعشرون درجة ونصف درجة ، وقد أدى هذا إلى تغير وضع الأرض بالنسبة للشمس على مدار السنة ، فاختلف طول كل درجة من الليل والنهار .

وفيما يلى بيان بأطوال النهار حسب دوائر العرض :

درجة العرض	طول النهار
صفر°	١٢ ساعة
٦٣°	٢٠ ساعة
٦٧°	شهر
٩٠°	٦ شهور

وفى المناطق التى يبلغ فيها طول النهار شهراً فأكثر أى فى أطراف الأرض تظل

الشمس ظاهرة طول مدة ذلك النهار فلا شروق لها ولا غروب بل تدور حول المنطقة على الأفق .

ومهما يكن من اختلاف فى أطوال الليل والنهار فى مختلف أنحاء الأرض فإن السنة دائما اثنا عشر شهراً حتى ولو كان نصفها نهاراً ونصفها ليلا ، وقد أكدت ذلك أيضاً الآية الكريمة : « إن عدة الشهور عند الله اثنا شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » .

ومع ذلك فإن الزمن لفظ ذو معنى نسبي ، فقد رأينا أنه يختلف طولا من الليل والنهار على الأرض ، كما يختلف من كوكب إلى آخر فى مجموعتنا الشمسية ، وكذلك يختلف من نجم إلى نجم ، فنهار القمر مثلا يساوى أربعة عشر يوما بلياليها على الأرض ، وليله أربعة عشر يوما كذلك ، وسبب هذا أن القمر يتم دورته حول نفسه مرة واحدة كل ثمانية وعشرين يوما .

ولو أخذنا السنة مقياسا للمقارنة الزمنية فى مختلف الكواكب لرأينا عجبا ! ونمهد لبحث ذلك بتقديم السؤال الآتى : ما معنى السنة ؟ وبالبحث نجد أن السنة تعنى دورة واحدة للكوكب فى فلكه حول الكوكب أو النجم الذى هو تابع له ، فالسنة مثلا على الأرض ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ، وهذه هى المدة التى تستغرقها دورة الأرض مرة واحدة حول الشمس على بعد معين ثابت يقدر فى المتوسط بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، فلو أن هذا البعد زاد على ذلك أو نقص لزاد طول السنة أو نقص بمقداره ، ولذلك يمكن القول مثلا : إن سنة القمر ثمانية وعشرون يوما نصفها نهار ونصفها ليل ، وفيما يلى بيان بطول السنة فى كل كوكب بالمجموعة الشمسية هى مدة دورته مرة واحدة كاملة حول الشمس حسب بعده عنها :

الكوكب	طول السنة
عطارد	٨٨ يوما أرضيا
الزهرة	٢٢٥ يوما أرضيا
الأرض	سنة واحدة
المريخ	١٫٨٨ سنة أرضية
المشترى	١١٫٩ « «
زحل	٢٩٫٥ « «
أورانوس	٨٤ « «
نبتون	١٦٤٫٨ « «
بلوتو	٢٥٠ « «

هذا بالنسبة للكواكب السيارة فى المجموعة الشمسية التى هى بدورها تدور حول فلك

أو مدار أكبر وأعظم ، وبالطبع تبلغ السنة حينذاك آلافا بل ملايين من السنوات على الأرض ، أليس ذلك بحق مصداقا لقوله تعالى : « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

على هذا الأساس يمكن البحث فى طول اليوم حين خلق السماوات والأرض ، وأعتقد أن الوصول إلى رأى قاطع فى هذا الشأن جد عسير ، وأرى أنه لا بد لنا من التسليم بأنها ستة أيام من أيامنا الأرضية فى منطقتنا العربية حيث يبلغ طول كل منها أربعاً وعشرين ساعة على اعتبار أن هذه المنطقة مهبط الأديان السماوية الكبرى ، وأن الكتب المنزلة إنما تخاطب قاطنيها على أساس ترتيبى سليم مؤداه توجيه الفكر الإنسانى من المعلوم إلى المجهول ، والمعلوم فى هذه المنطقة أن طول اليوم أربع وعشرون ساعة ، وليس معنى هذا أن خلق السماوات والأرض كان بطيئا للغاية كما يبدو بالنسبة لنا أهل الأرض ومن وجهة نظرنا ، ولكن هذه المدة المحددة بستة أيام بالنسبة لمن هو خارج نطاق كوكبنا الأرضى ليست إلا لحظة خاطفة « كلمح البصر أو هو أقرب » ، ولا غرابة فى ذلك فقد استطاع رجل الفضاء الأول « يورى جاجارين » وهو يدور حول الأرض عن كثب أن يشهد يوما كاملا بنهاره وليله فى نحو الساعة ونصف الساعة بحساب زمننا الأرضى ! ! فكأن الأيام الستة لا تعادل فى رحلة « جاجارين » سوى تسع ساعات فقط ، وقد تثبت رحلات الفضاء فى الغد القريب أن الستة أيام بمثابة لحظة خاطفة ، وأن عملية الخلق الكونى على هذا الأساس سريعة جدا فيطابق ذلك قوله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » ، وقوله « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » .

ثانياً : أيهما أسبق خلقا ؟ الأرض أم السماء ؟

إن غالبية الآيات الخاصة بخلقهما تتضمن دائما سبقاً لخلق السماوات كما يبدو فى الآيات الآتية :

« إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا » . « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ، فإن قيل مثلا إن واو العطف فى هذه الآيات إنما هى لمطلق الجمع بحيث لا تفيد فى هذا الشأن ترتيباً فإنى أرد على ذلك بالآية الآتية التى صرحت تصريحا قاطعا بسبق خلق السماوات على الأرض وهى :

« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها » .

وبينما هذه الآيات جميعا تؤكد أن خلق السماوات أسبق من خلق الأرض نرى آيات أخرى تؤكد عكس ذلك أى أن الأرض خلقت أولا ثم خلقت السماوات ، من ذلك قول تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم » ، وقوله أيضا : « أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » . إذا تدبرنا هذه الآيات جميعا وقارنا بينها وبين الإصحاح الأول فى سفر التكوين بالتوراة لاتضح لنا أنه خلال يومين تم انفصال الأرض من السماء بقدرة الله ، ومعنى ذلك أن بدء خلقهما كان فى وقت واحد ليس فيه سبق ولا تأخير .

أما المرحلة التى تلت ذلك فهى إتمام الخلق لكل منهما ، ويبدو أن إتمام الخلق للأرض من حيث تثبيت الرواسى وتقدير الأقوات ومباركة ما فى الأرض بالإكثار ، كل ذلك كان سابقا — فيما يبدو — على إتمام خلق السموات من شتى أمورها وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الممثلة فى النيرات كالشمس والقمر وإن كانت آية سفر التكوين توضح خطوات متبادلة فى إتمام الخلق بين السماوات والأرض وعلى ذلك فلا تعارض بين الآيات فى ترتيب خلق السموات والأرض ، ولئن كانت إحدى الآيات قد ذكرت أن الأرض بعد ذلك — أى بعد إتمام خلق السموات — دحاها ، فإنى أعتقد أن لفظ « دحاها » معناه جعل الأرض كالدحية أى البيضة بمعنى أن الأرض ليست تامة الاستدارة بل هى منبعجة عند دائرة الاستواء ومفرطحة عند القطبين وذلك من تأثير الدوران حتى أن القطر القطبى ينقص عن القطر الاستوائى بنحو ثمانية وعشرين ميلا ، ومصداق ذلك قوله تعالى : « أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » .

ومع ذلك فقد قطعت الآية الآتية بالرأى فى الأسبقية بين خلق السماوات والأرض مؤكدة انفصالها فى وقت واحد لا سبق فيه لأحد الطرفين على الآخر : « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا

ففتقناهما » ، كما أن الآية التى ذكرت فى ظاهرها سبقاً لخلق الأرض على خلق السماء نصت على أن بدء خلقهما كان فى وقت واحد ، تدبر قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » .

ثالثاً : عدد السماوات والأرض :

فأما عن السماوات فقد جاء ذكرها فى بعض الآيات مفردة وفى بعضها جمعاً مبهم العدد بينما صرحت بعض الآيات بأن عددها سبع ، فلنتدبر هذه الآيات :

« الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء » ، « ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين » ، « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » ، « ويوم تشقق السماء بالغمام » ، « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمراً منيراً » ، « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » ، « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، « الله الذى خلق السماوات والارض ، وأنزل من السماء ماء » ، « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » ، « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش » ، « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ، « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن » ، « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » ، « فقضاهن سبع سموات فى يومين » ، « الذى خلق سبع سموات طباقا » ، « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجا » .

وأما الأرض فقد ورد ذكرها مفردة دائما فى الآيات إلا آية واحدة فيها تلميح بسبع أرضين وهى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » .

فهل السماوات سبع حقاً ؟ وهل الأرض مفردة أم سبع أيضاً ؟ إذا أنعمنا النظر فى الآيات السابقة لوجدنا أن الآيات التى ورد فيها لفظ السماء مفرداً تعنى بالسماء هذه السماء الدنيا التى هى أقرب شىء للأرض بدليل أن لفظ السماء فى هذه الآيات غالباً ما يقترن بما ذلك من سحاب وغمام وبروج ومصابيح إلهية للزينة ، بل إن آية منها حددت موضع هذه السماء المقصودة بقولها : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، أما بقية الآيات فقد ورد فيها لفظ السماء إما جمعاً مطلقاً وإما محدداً فى العدد بسبع .

وفى اعتقادى أن السماوات كثيرة العدد جداً وليست محددة بسبع ، فقد أثبت علم الفلك الحديث تعدداً كبيراً للمجموعات النجمية والكواكبية ، وأما الرقم سبعة فإما

أن القرآن جارى العرب فى اعتقادهم الفلكى بأن الأرض مركز الكون وأن الأثير المحيط بالأرض توجد فيه النجوم والكواكب السبعة المعروفة آنذاك وهى بترتيب بعدها عن الأرض : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل ، وأن هذا الأثير منقسم لكواكبه السبعة إلى كرات سبع طباق متماسة يحيط عاليها بسافلها فيختص كل كوكب بواحدة منها ثم تعلوها جميعاً كرة ثامنة فيها جميع الكواكب والنجوم الثابتة .

وإما أن القرآن جاراهم فى مدلول الرقم سبعة الذى يبدو أنه كان عند العرب يطلق على تعدد الأشياء بقصد الدلالة فقط على مجرد الكثرة دون أن يقصد به العدد ذاته حقيقة ، وجرياً على هذه العادة وردت بالقرآن آيات يدل الرقم « سبعة » فيها على مجرد الكثرة لا على العدد الحقيقى ، فمن ذلك قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » ، وقوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » ، وقوله : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

فهل يمكن للحبة عادة أن تنبت سبع سنابل ؟ أو هل لجهنم سبعة أبواب فقط ؟ ثم لماذا يحدد عدد المدد من البحار بسبعة ؟ أليس هذا دليلا على مجرد كثرة العدد ؟ وفى القرآن الكريم مواضع ذكرت بها أعداد لا أظن أنها تراد لذاتها بل هى للدلالة على الكثرة فقط ؛ من ذلك قوله تعالى « والملك على أرجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، وقوله « عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » .

هذا فيما يختص بعدد السماوات ، أما الأرض فأرى أيضاً أنها أرض واحدة وإن كان لها من الكواكب أشباه ونظائر ، ولئن نصت الآية على أن الله خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن فإنى أعتقد أن المقصود من ذلك أن الله خلق من نوع الأرض عددا كبيرا كما خلق من نوع السماء ، أو أن يكون المراد أن طريقة خلق الأرض كانت مماثلة لطريقة خلق السماوات كيفاً لا كماً ، وذلك بطريقة الفتق بعد الرتق كما تقضى بذلك النظرية السديمية .

هذا ما يقوله الدين فى نشأة الكون وخلق السماوات والأرض فماذا يقول العلم .

لقد ظهرت فى هذا المجال نظريات مختلفة أحدثها النظرية السديمية ولكن قبل عرضها يجمل الإلمام بشىء عن مدى معرفتنا بمادة تركيب الكون على ضوء التقدم العلمى الحديث .

ينتشر فى الفضاء الكونى غاز خفيف رقيق أشبه ما يكون بالدخان غير المرئى من خفته ، وحيث إن الغاز له خاصية الانتشار فهو دائما يملأ الفراغ وبناء على ذلك فالفضاء الكونى يملؤه هذا الغاز أو الدخان الأول ، وليس فى الحقيقة سوى الأيدروجين الذى أخذ يتكتل لأسباب ما فى مناطق فسيحة جداً تكون بجاميع ضخمة من السحب ، ثم تمخضت كل سحابة عن سديم برمته ، وتبارك الله إذ يقول : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » .

فالأيدروجين إذن هو المادة الأساسية التى بنى منها الكون ، ومن المعروف كيميائياً أن الأيدروجين هو أبسط أنواع المادة تركيباً وأهمها فى تكوين الماء ، وإذا تفجر غاز الأيدروجين فى سلسلة من التفاعلات الذرية تحت ظروف ملائمة تحول إلى الهليوم وانطلقت من ذلك طاقة كبيرة فى صورة إشعاعات ، وهذا هو ما يحدث فى الشمس والنجوم .

يمكن القول إذن أن الكون بدأ فى صورة غاز الأيدروجين ، أما العناصر الأخرى فقد تولدت بعد ذلك تحت ظروف خاصة .

أما عن كيفية نشأة النجوم فأولى الخطوات فى ذلك أن بعض الغاز المكون للنجرة ينقسم إلى مجاميع أو سحب تزداد داخلها الكثافة بفعل الجاذبية وتدور حول محاورها تبعاً لدورة المجرة ، ومن الدوران تتضاغف المجموعة تدريجيا وترتفع حرارتها من الداخل وتنتهى العملية بتولد نجم فى مركز التضاغط .

وقد يصل حجم الغاز المتضاعف إلى جزء من مليون جزء من حجمه الأصلى ، وهذا يبين كيف أن النجوم رغم وفرتها إنما تشغل جزءا ضئيلا جدا لا يكاد يذكر إذا قورن بحجم الفراغ الذى تولدت فيه ، وكيف أنها تبعا لذلك تستطيع التحرك فى الفضاء الكونى بحرية كاملة .

أما عن نشأة الأرض فقد ظهرت بشأنها عدة نظريات أحدثها ثلاث لعلماء الفلك وتتلخص فى الآتى :

١ ـ الأرض جزء من الشمس : يفترض أصحاب هذه النظرية اقتراب نجم غريب من الشمس فامتدت بفعل جاذبيته أجزاء خارجية منها وكونت انتفاخا كبيرا يزداد تضخما كلما ازداد الاقتراب به لأنه مر بسرعة هائلة ، وبعد ذلك أخذت الخيوط الغازية تتمزق إلى كتل تألفت منها الكواكب ، ثم فقدت هذه الكواكب منذ انفصالها عن أمها الشمس الطاقة التى تزود الأم بالحرارة ، وهكذا أخذت تبرد بالتدريج حتى أصبحت الغازات سوائل والسوائل أجساما صلبة كما نرى اليوم فى غالبية المجموعة الشمسية من الكواكب التى تحوى الأرض .

٢ ـ كان للشمس قرين : تفترض هذه النظرية أن الشمس كانت نجما مزدوجا ثم انفجر النجم المصاحب للشمس فتكونت من بقاياه هذه الكواكب التى تدور حول الشمس ، وعلى هذا الأساس فليست الأرض وأخواتها من الكواكب السيارة بنات الشمس بل ربيباتها .

٣ ـ غبار سديمى فى رحلة الشمس : هذه أحدث نظريات اليوم ومفادها أن الشمس قد عبرت فى وقت ما سحابة سديمة فعلقت بها طبقة من الغبار لم تلبث أن اكتسبت حرارة شديدة وقوية على الدوران ، ومن هذا الغبار الحار الدائر تكثفت الأرض والكواكب السيارة الأخرى .

هذه النظريات العلمية الحديثة التى تفسر نشأة الكون وخلق السماوات والأرض وهى جميعاً نظريات افتراضية متفاوتة ، ولعل المستقبل القريب والتقدم العلمى يطالعنا بنظريات أخرى فى هـــذا الشأن فى أبحاث الفضاء ، فلنرتقب ولنتدبر . فالعلم لا حدود له ، وفوق كل ذى علم عليم ؟

دكتور شريف محمد شريف

من خطبة لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقـــديم العمل ، وترك الأمل فإنه من فرط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمـــله ، أين التعب بالليل والنهار ، والمقتحم للجج البحار ، ومفاوز القفار ؟ يسير من وراء الجبال وعالج الرمال يصل الغدو بالرواح والمساء بالصباح ، فى طلب محقرات الأرباح ، هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزيته ، فصار ما جمع بورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا .

سيارة يخترعها أزهرى

للأستاذ أبو بكر ذكرى

وفى عام ١٩٢٤ على التقريب كنت قد اتممت دراستى الثانوية بنجاح . وكان نظام الأزهر إذ ذاك يقضى بأن تكون الدراسة ، فى القسم العالى ، فى نفس مبنى الأزهر بالقاهرة .

وتحتم على ككل طالب آخر مماثل لى أن ينتقل إلى القاهرة . ورحت أشعر بأسف عميق لفراق الإسكندرية ذات الشطآن الساحرة والطبيعة الرائعة والمياه التى تتلاقى على أمواجها الراقصة موجات بشرية من كل بلاد العالم .

وفى بدء العام الدراسى التالى كانت طرق المواصلات تقذف بالمئات منا إلى مدينة القاهرة لنتلاقى فى محيط واحد وأبناء جميع المعاهد الأزهرية من مختلف النواحى ونكون مجتمعا جديداً له طابعه الجديد .

ولست أنسى ما حييت حلاوة وسعادة النوم فى أروقة الأزهر نحو أسبوعين حتى يتيسر لنا الحصول على مسكن . إنها تجربة كانت تبدو لنا فرصة لم نمارسها من قبل . وكنا ليل نهار فى تلك التجربة أشبه بوفود فى جامعة الأمم تبدأ يومها وتختمه فى مشاهدة وجوه جديدة من أبناء الأمم الأخرى يبعث مرآها شتى المشاعر والأحاسيس .

وبعد أسبوعين تيسر لنا مسكن مجاور لتلال الدراسة الشاهقة لا يفصله عنها غير طريق ترب لا يزيد عرضه عن بضع خطوات .

كنا أربعة من الأصدقاء أشبه بالإخوة الأشقاء السعداء بوحدتهم وتعاونهم . ولا أستطيع الآن أن أتذكر الدافع الذى دفعنا إلى عادة الصعود على تلك التلال الترابية العالية كلما لطفت النسائم وخفت حرارة الشمس وألقت ذهب الأصيل على كل معالم القاهرة العظيمة الواسعة . كل ما أذكره أن ذلك كان قد صار عادة لنا لا يقطعنا عنها إلا شاغل ذو أهمية . وكنت فى نفسى أتمنى أن لو شجرت هذه التلال وكسيت بالحشائش الخضراء لتمنح المنطقة نصيبا من سحر الطبيعة وجمالها وتدرأ عنها

سحب الغبار الخانقة التي تثور أحيانا فتغطيها بحجاب كثيف من الأتربة الناعمة ... ومن عجب أن يتحقق بعض أمنيتي بعد قرابة أربعين عاما في عهد ثورتنا المجيدة لقد شجرت بعض تلك التلال وإن لم تأخذ الصبغة الكاملة للمتنزهات الأنيقة المبتكرة .

وكنت أتمنى أن لو أقيم بين أشجارها غرف عالية تجمع بين البساطة والجمال والهدوء تعطى لمن يطلبها من هواة الخلوة والفكر والتأمل لقاء أجور معتدلة فيقضون فيها أوقات فراغهم كما لو كانوا فوق قمم الجبال الخضراء الساحرة ، في أجمل مناطق السياحة العالمية .

أما عندما كانت أنظارنا تقع على مرتفعات جبل المقطم فقد كنا نجد لها جلالا ورهبة لا تخلو من الجمال رغم تجردها من كل دلائل الحياة . إنها صخور صلبة وعرة صماء لا تجد العين فوقها أثرا لأية خضرة ولا لأية حياة تتحرك إلا أن تكون الضباع والوحوش القابعة في مغاورها وشقوقها .

ولم تلبث نوازع النفس الطلعة أن دفعتنا إلى تلك القمم الصخرية الوعرة لنكتشف من أسرارها ما يمكن كشفه . . ولم أجد من زملائي موافقا سوى الأستاذ الشيخ محمد سرور مقلد المدرس الآن بمعهد الإسكندرية كنا نتسقف الطرق إليها لنرى هناك كيف ينسف العمال الكادحون كتل الصخور بالمتفجرات ثم يحطمونها لينقلوها إلى حيث تبنى بها بعض مبانى المدينة . وكم كان يروعنى أن أجد بين فتات هذه الصخور أصداف حيوانات بحرية مختلفة الأشكال مما لا يوجد إلا على سواحل البحار المالحة . وأعجب من ذلك أن نجد في صفحات تلك الأحجار الجبلية نماذج كاملة لبعض الأسماك المعروفة لنا والتي نأكلها حتى اليوم . هل كان البحر الأبيض هنا يوما ثم تراجع في ملايين السنين ؟

وكنا أحيانا - أنا وزميلي - نمضى في تسلق هذه القمم ونتشى بروعتها حتى يلوح لنا شبح حيوان ينفلت من جحره إلى حيث لا ندرى فننطلق ونحن بين النشوة والخوف من عواقب أمر لم يكن سبق لنا أن تعودنا مثله . وكنت عند النوم أحلم بخيالات ساحرة عن هذا العالم العجيب وأتمنى أن لو نقلت أتربة تلال الدراسة إلى أغوار هذه القمم ثم صعد إليها الماء وزرعت وأقيمت عليها معابد ساحرة في شكل مدينة أسطورية . . ومن العجب أن يتحقق هذا الحلم الخرافي وتؤسس مدينة المقطم كذلك ، وإن يكن ذلك بطريقة أقرب إلى الاستغلال المألوف منها إلى الابتكار والاختراع . وأنا وإن لم يتح لى مشاهدة

المشروع حتى الآن لكثرة شواغلى ، فقد سمعت ناسا يذكرون العقبات التى تحول دون بلوغه ما كان يرجى منه . وما تذليل تلك العقبات بمستصعب لو استخدم فيها الأسلوب الابتكارى على مستوى المخترعات .

وقد يقال وما علاقة هذه التلال والقمم بمشروع العربة بلا وقـــود وهى عنوان حديثنا ؟

والجواب أولا أن حديث العلم والاختراع كله ممتع لا نحب حرمان القارئ من فوائده وثانيا أن فكرة العربة أول ما علقت بخيالى إنما جاءتنى فوق هذه التلال ، كنت قد سمعت من المخترع الشعبي المرحوم الأستاذ إبراهيم مقلد من أهل ادمانية من مركز إيتاى البارود أنه يفكر فى عربة تجرى بدون أية قوة ميكانيكية على الإطلاق ، بمجرد ثقل من الأثقال المعدنية أو نحوها يوضع خلف محورها فيضغط على محور العجلتين الخلفيتين فتجرى بثقلها وبقائدها ، دون أية حركة من يديه ولا رجليه ودون أى وقود ... وصارحته إذ ذاك ، وأنا طفل وهو رجل ، باستحالة ذلك الاختراع ، وتوفى رحمه الله وهو لا يزال مقتنعا بفكرة تدل على غاية الطموح الذى هو خاصة المخترعين جميعا .

كنت قد أشرفت فوق حافة أحد هذه التلال فرأيت تحتى عمالا ينقلون منها الأتربة على عربات صغيرة ذات قضبان يسمونها (الترولى) وكم راعنى أن قائدها كان يجعلها تجرى به ويحملها جريا سريعا بوساطة عود من الخشب المتين متصل بنقطة فوق المحور الخلفى وبالضغط على طرف ذلك العود كانت العربة تنزلق إلى الأمام شيئا فشيئا ثم تجرى بسرعة مدهشة .

ومع أن هذه هى نظرية صديقى فى إطارها النظرى البحت فإنى لا أزال متمسكا باستحالتها لأنه يكل فى اختراعه قوة الضغط إلى ثقل من الجماد لا حس له ولا قصد ولا حركة أما فى هذا « الترولى » فإن عليه انسانا يضغط برجله خلف المحور ويتحيل لذلك حتى يتم انزلاق العربة أولا ، ثم تجـــرى بنظرية الاندفاع الذاتى .

وانتقلت من القاهـــرة إلى الريف ، ولا يزال خيال العربة وفكرتها فى رأسى بشكل غامض ، واتفق بعد ذلك بسنوات أن اشترينا فى طـــرف الصحراء أرضا للاستصلاح ، وكنت أذهب إليها أحيانا لأرى ما هى عليه .وكان ذهابى وعودتى دائما بواسطة عربة أجرة كبيرة بعشرين كيلو مترا

ذهابا ومثلهـا إيابا ... ورأيت أهل الجهة المساكين يتكبدون هذه المسافات فى أشد أيام الصيف والشتاء مشاة وحفاة فى كثير من الأوقات . من أجل دواء يشترية أو طفل يداويه أو قليل من الخضر يبيعه ليشترى سكرا أو شايا أو كيلة من الحب يطحنها وبعد ثلاثة أيام تمتد ثم يعود لنفس العذاب

ورحت أفكر فى فكرة عملية لجهاز مواصلات يستغنى عن « الموتور » الغالى الثمن ويمكن لأى رجل وامرأة ركوبه ليقيه من عوارض الجو القاتلة ويوفر زمنه فيكفيه ربع الساعة بدل الساعة ، على الأقل .

ورحت ألتمس لذلك كله طريقة تهدى إليه قواعد الطبيعة والميكانيكا ، وخصصت مكانا منعزلا لتجاربى وكلما دلت التجربة النموذجية المبسطة على إخفاق فكرة تحولت إلى غيرها .

وأخيرا تركزت فى رأسى فكرة استعمال الحدافة لتغنى عن « الموتور » . . إن الحدافة هى سر القوة الميكانيكية فى كل جهاز لتوليد الطاقة على أى شكل كان ذلك الجهاز . والمحرك الذى يعطى ألف حصان لو نزعت منه الحدافة لم يعط حتى عشرة أحصنة بل ربما توقف واختل .

ولا يستثنى من ذلك سوى الأجهزة التى تدار بالكهرباء أو بدفع الماء . فانها لا تحتاج إلى الحدافة . وإن كانت معها تكون أعظم جهدا وأكبر إنتاجا .

وسنفكم إن شاء الله مرة أخرى كيف أمكن نقل الحدافة من آلات الاحتراق إلى آلة (لا احتراقية) بلا قود إنها الفكرة التى لم يكن قد تنبه اليها عقل فى العالم فيما يختص بآلات المواصلات . والله نسأل أن يأخذ بيد العاملين لخير العروبة إلى ما فيه سعادتها وأن يوفق رائدها الفذ الرئيس جمال عبد الناصر بانى السد العالى . وإن طال الأجل فستدار هذه العربة الفردية الخاصة بكهرباء السد العالى فى جميع القرى على نمط جديد لم يتح لمفكر حتى اليوم والحمد لله أولا وآخرا وإلى اللقاء .

أبو بكر محمد ذكرى
الأستاذ المساعد فى كلية أصول الدين

العقاد فى الدراسات اللغوية

للدكتور كمال بشر

أظن أن الجانب اللغوى عند العقاد لم ينل ما نالته جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة ، ومن ثم كان دورنا فى هذا المجال شاقا عنيفا ، ومما يزيد فى هـذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان ، أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالاتجاه الفكرى العام عند الراحل الكريم نفسه .

فالمادة اللغوية التى خلفها لنا العقاد كثيرة منوعة ، تقتضى من الدارسين أناة وصبرا بالغين ، وتحتاج فى عرضها ومناقشتها إلى وقت أوسع وأفسح مما يحتمله هذا المقام ، وهـذه المادة - بالإضافة إلى ذلك - موزعة بين آثاره العديدة ، ومتناثرة هنا وهناك فى بطون تلك الآثار .

أما الاتجاه الفكرى عند العقاد فصعوبته توحده وتفرده ؛ فهو اتجاه أو - بالأحرى - منهج خاص بالرجل وحـده ، تلمس فيه بوضوح شخصيته وعقليته : شخصية قـوية لا تلين فى غير حق ، ولكنها دائما تعنف فى سبيل هذا الحق ، وعقلية جبارة تنفذ إلى أعماق النفوس والأشياء ، فتكشف عن أسرار لا يدرك مغزاها أو معناها المتعجلون السطحيون ، ومن ثم يسمون أعماله تارة بالصعوبة والتعقيد ، وتارة أخرى بالإغراق فى تحليل الجزئيات دون النظر فى الكليات ، أو دون القيام بعملية تجريد لهذه الجزئيات ، والوصول منها إلى قضايا كلية .

كل هذه الصعوبات قد وعيناها وتدبرناها منذ شرعنا فى التفكير فى هذا الموضوع ، غير أن هـذه الصعوبات لم تمنعنا مطلقا من تتبع أعمال الرجل ومحاولة تقويمه من وجهة النظر اللغوية الحديثة . وأظنه ليس من الإنصاف فى حق العقاد أو فى حق نفسى على سواء أن أدعى أننى آت الآن بدراسة تفصيلية أو شبه تفصيلية لآثاره اللغوية . إن الذى أستطيعه فى هذا المقام لا يعدو أن يكون تخطيطا لدراسة أشمل ، ولا يجاوز أن يكون رسماً لإطار عام لبحث أوسع وأكثر استيعاباً .

وعندنا أن قيم البحوث اللغوية تقاس بثلاثة مقاييس مجتمعة غير منفردة .

ما سجله فى كتابه « أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب» وبعض فصول كتابه الآخر « اللغة الشاعرة » . أما الاتجاه المعيارى فيتضح بوجه خاص فى مناقشة المشكلات الخاصة باللغة العربية . والسر فى ذلك واضح ، وهو أن العقاد فى هذا المجال يريد أن يقنع المنحرفين والمتعصبين ضد اللغة العربية بالدليل الهادى الواضح .

وإذا كان لنا أن نربط منهج العقاد بمناهج لغوية أخرى غربية أو شرقية ، انصرف الذهن إلى العالم اللغوى الجليل أوتو يسبرس Otto Jespersen . وليسبرسن منزلة خاصة ومكانة ممتازة لا ينكرها عليه أحد من اللغويين المحدثين . ذلك أن الرجل قد أسهم بنصيب كبير فى إرساء قواعد البحث اللغوى ، وإليه يرجع الفضل فى تقريب مبادىء هذا البحث وأسسه إلى أذهان الدارسين . على أن هناك فارقين كبيرين بين الرجلين . أولهما أن العقاد كان أسعد حظاً من صاحبه ، فقد نجح فى عمله ولم يخلط بين منهجه فى بحوثه ، وإنما أفرد لكل منهج بحوثا من لون خاص أما يسبرسن فكلنا يعلم أنه لم ينجح من هذا الخلط الذى يعد من أكبر عيوبه فى الدراسات اللغوية . أما الفرق الثانى بينهما فهو أن يسبرسن لغوى فقط ، أما صاحبنا فهو مفكر وباحث يضرب بفكره الكبير إلى أعماق العلوم الإنسانية كلها وعلى مستوى واحد من حيث الإخاء والدقة ، فبعد الفرق بينهما واستوى العقاد عملاقا على قمة الفكر الإنسانى الواسع العريض ، واكتفى يسبرسن ببضاعته اللغوية التى لا تمثل إلا جانباً واحــداً من جوانب الثقافة الإنسانية .

فإذا ما انتقلنا إلى المقياس الثانى من مقاييس الحكم على أعماله اللغوية (وهـو مجالات الدراسة) ، ألفينا العقاد يصول ويجول فى مجالات البحوث اللغوية الحديثة كلها .

لقد جرى العرف بيننا نحن اللغويين أن نقسم علم اللغة إلى الفروع التالية .

١) علم الأصوات . وهو نوعان أحدهما عام phonetics ، وثانيهما نسميه نحن بعلم الأصوات التنظيمى phonology .

٢) الصرف morphology .

٣) النحو ayntax .

٤) المعجم lexican .

٥) السيمانتيك semantics أو ما نسميه نحن بعلم المعنى [1] .

---

(١) عـلم المعنى يدرس معانى الكلمات والجمل والعبارات فى الكلام الحى المنطوق على مستوى اجتماعى صرف ، وهو فى ذلك يتفق مع المعجم فى شىء ويختلف عنه فى أشياء . كما أن علم المعنى يخالف ما يسمى بعلم المعانى عند علماء العربية ، فالأول أعم ، إذ الثانى يمثل جزءا من بحوث الأول عند بعض المدارس اللغوية ، أما عند البعض الآخر فهما علمان مختلفان ولكل منهما مجالاته الخاصة .

الكتب

تقديم وتعليق : محمد عبد الله السمان

---

١ — مركز المصحف في العالم الإسلامي

للأستاذ الشيخ محمد الغزالي

هذا عنوان كتاب جديد ظهر أخيراً للشيخ الغزالي ، نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، في أكثر من ثلثمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط .

أشار المؤلف في مقدمته إلى : أن الله يأبى أن يكون حبل صلته بخلقه لحظات هدوء أو سرحان ، أو مفاجأة في هذه البيوت التي أقيمت باسمه ، ثم ينطلق الناس بعدها في عرصات الأرض يحيون كيف يشتهون ، ويتعاملون بما يتواضعون عليه من قوانين وتقاليد . ثم ذكر : أننا نحن المسلمين نعتقد أن ما بين دفتي المصحف الشريف هو مراد الله من عباده ، وفي هذا المصحف صور رائعة للحق ، في العقيدة والخلق والعبادة والمعاملة تكفل للأمم معاشها هنا ، ومعادها هناك ، وليس لهذا المصحف بعد ذلك طابع إقليمي ، ولا نزعة خاصة ؛ لأن العالمية شائعة في آياته كلها شيوع الصفاء في وجه المرآة .

الكتاب يعرض موضوعات خمسة :

١ — المصحف للنفس والمجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن لا ضرورة هنا إلى الإشارة إلى شمول الإسلام واستيعابه بذكر شتى أحكامه ، ولا إلى القواعد والنصوص التي حفل بها وهو يبني عالماً تذوب فيه الفوارق الجنسية ، لأنه يريد أن يتناول الجانب المبادى ومسئولية الدولة عنه ، هذه الدولة لا تكون مسلمة يوم تكون إقامة الصلاة وإماتتها مثلا سواء في نظرها .

٢ — مصير الإسلام بين المجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن الإسلام ليس شكل دولة وبرنامج حكم . . وحسب ، إنه دين متعدد التعاليم متسع الميادين ، وشعبه التي تتفرع في الحياة تفرع القنوات في الأودية ، وصفها الرسول بأنها بضع وسبعون شعبة ، وهذا عدد ليس للإحصاء ، ولكنه لبيان استيعاب هذا الدين لمنازع النشاط الإنساني كله .

٣ — نحو تجديد الإسلام وتحرير أمته ويرى المؤلف أن تجديد الإسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الأصيلة ، وتجريد التراث السماوي من الشوائب العارضة وتمكين الأحرار العقلاء من اعتناقه عن إعجاب ورغبة

٤ - فى سلم النهوض ، ويرى المؤلف أن العودة بالمسلمين إلى الإسلام علما وعملا ، هى وظيفة المجددين لدين الله ، الناهضين بأمته كى تؤدى رسالتها الكبرى ، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول ، تستدعى - إلى جانب تنقية الإيمان من الشوائب - قيام حكام من طراز عاقل عادل ، تختارهم الأمة اختيارا حراً ، وتختارهم الأمة اختياراً حرا ، وتحاسبهم إذا شاءت حسابا مراً .

٥ - الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، وفى هذا الموضوع الأخير ، تعرض المؤلف لموقفه المعروف فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، وموقف الذين اتخذوا من موقفه وسيلة إلى النيل من الإسلام ودعاة الإسلام ، والشيخ الغزالى فى هذا الموضوع لم يدافع عن نفسه وإنما دافع عن وجهات نظر الإسلام ، ضد لفيف من المنحرفين .

وختم المؤلف بعد ذلك كتابه بكلمة موجزة أشار فيها إلى أن الجماهير المسلمة لم تنس دينها على كثرة المنسيات ولكن خصوم الإسلام لا تنتهى محاولاتهم لهدم الإسلام . وأدواتهم لبلوغ هذه الغاية كثيرة خفيها أكثر من جليها ، وما كرها أحقد من ظاهرها ، وعلى المسلمين فى القارات الخمس ، أن يلمسوا هذه الحقيقة . . .

الحق أن الكتاب ثورة فوق أنه دراسة طرقت كثيراً من المفاهيم الإسلامية ، كانت فى مسيس الحاجة إلى الدراسة والإثارة .

* * *

٢ — بعث الدين واحياء :

الأستاذ عبد المنعم النمر

وهذا الكتاب الجديد للمؤلف نشرته الدار القومية بالقاهرة ، وأراده دراسة تحليلية تهدف إلى بيان منهج الإسلام فى علاجه لمشاكل الحياة ، وإلى تقديم المبادئ والتعاليم الإسلامية صافية ، وإلى تصحيح أفكار بعض الناس عما علق بها من تنافر بين الدين والحياة ، وإلى أن الإسلام يعمل على إيجاد الأمة القوية العزيزة فى كل جانب من جوانب الحياة المادية والروحية على السواء .

فى المقدمة ذكر المؤلف أن الغرب عند ما اتجه منذ قرون إلى الاستيلاء على الشرق ولا سيما قلبه النابض - العالم الإسلامى - اتخذ وسيلتين للهجوم عليه ، هما الهجوم الفكرى والهجوم المسلح ، وكان يعلم - كما علمنا - أن الهجوم الفكرى أشد خطراً وفتكا وأبعد أثراً من الهجوم المسلح ، ولذا وجدناه يركز هجومه على معالم الإسلام ومبادئه ، وأتاحت له قوته المادية فى السيطرة وفى أدوات النشر والإذاعة أن يروج لباطله ويبث الشكوك فى حقائق الإسلام ،

وما جاء به من مبادئ قويمة توفر السعادة للمجتمع ، وكان لهذا أثره على عقول بعض المسلمين المثقفين ، وأحيانا على قادة الفكر والثقافة . فانساقوا فى تياره ورددوا اتهاماته وانصرفوا عن مبادئهم .

وإزاء هذا يرى المؤلف أن من الواجب بعث الروح الدينية فى النفوس ومما يساعدنا على هذا أن نعيد النظر فى بعض الأفكار الدخيلة على الإسلام ، والتى تعتبر أثراً من آثار الانحلال أو الانحراف أو الجمود الفكرى فى العصور السابقة ، فنعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التى نفرت منه بعض أهله ، ونقدم المبادئ والتعاليم والأفكار الإسلامية الصافية صفاء المنبع الذى نستمدها منه .

ونحن مع المؤلف أولا فى اتجاهه هذا ، فالغرب لم يسط على الإسلام بالسلاح الفكرى إلا بعد أن وضع أصابعه على منافذ الضعف فى الأفكار الدخيلة على الإسلام ، والمدونة فى كتب التراث التى منحناها صفة القداسة ، وشهرنا عصا الإرهاب فى وجه من يحاول المساس بها والتى لم يزل لها تأثيرها فى حياتنا ولكننا إذا حاولنا من جانب آخر أن نناقش الكتاب فى مجمله ، فلن نجد ارتباطا كاملا بين العنوان والأبحاث الداخلية فيه فبحوث الدين والدنيا ، والإسلام وزينة الحياة الدنيا ، كيف نفهم الإسلام ، سنة الله فى رقى الأمم ، هذه البحوث لها ارتباط وثيق بعنوان الكتاب ، أما بحوث : رمضان ونزول القرآن ، الصيام ، ذكرى بدر ، أعيادنا ، الحج ، بين الأمس واليوم ، الدعوة إلى الله بالحسنى ، الوعد الحق ، الهجرة ، فهذه كلها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب ، وإن كان كل منها يقوم دراسة مستفيضة جديرة بالاستيعاب ، ومع تقديرنا للمؤلف وهو عالم أديب ، وباحث مطلع ، وكاتب مستنير ، إلا أننا كنا نود أن يفرغ الجهد فيما يتصل بموضوع على جانب من الأهمية هو موضوع الدين والحياة .

* * *

٣ — العقائد الإسلامية :

للأستاذ الشيخ سيد سابق

أصدر هذا الكتاب المؤتمر الإسلامى بالقاهرة فى أكثر من ثلثمائة صفحة ، وكتب المؤلف مقدمة مسهبة له ، تناول فيها الإسلام إيمانا وعملا ، ومفهوم الإيمان ، ووحدة العقيدة وخلودها ، ومنهج الرسل فى الدعوة إلى الإيمان ، وآثار الانحراف عن منهج الرسل ثم ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان .

وقد ألمت فصول الكتاب بعد ذلك بالعقيدة وفروعها : معرفة الله ووسيلتها ، وميادين التفكير وغايته ، والمعرفة عن طريق الأسماء والصفات ، والتقليد كحجاب للعقل ، ثم اسم الله الأعظم ، كما ألمت بالذات الإلهية ، وكون إدراكها مستحيلا وبالطبيعة وتأكيدها

وجود الخالق وبالفطرة كدليل على وجوده سبحانه، ودليل على أن لا سند للإلحاد يعتمد به.

تعرض الكتاب لصفات الله ، فذكر من الصفات السلبية : الأول والآخر ، وليس كمثله شئ والوحدانية ومن الصفات الثبوتية : القدرة والإرادة ، والعلم والحياة والكلام ، والسمع والبصر ، وهذه الصفات الثبوتية هي صفات الذات . أما صفات الأفعال فصفة الخلق ، والرزق ، وعاب المؤلف الاختلاف في صفات الذات : هل هي عين الذات ، أي أن الله عالم بالذات وحي بالذات ، أو أنها صفات زائدة على الذات ، أي أنه عالم بعلم ، وحي بحياة ، وقادر بقدرة وهكذا واعتبر أن مثل هذا الاختلاف من الدخيل على الإسلام ومن البدع الطارئة على العقيدة ، ومن المنكرات التي يجب على المسلمين التنزه عنها فإن ذات الله أجل من أن تتناول على هذا النحو .

وعرض الكتاب لحقيقة الإيمان وثمرته والملائكة وحقيقة خلقهم وطبيعة أعمالهم والجن وحقيقة وجودهم ، والكتب السماوية المدونة وغير المدونة ، والرسل وأعمالهم الكبرى ، والآيات الخارقة التي أيدوا بها ، والروح مع الجسد وبعد الجسد ، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى ، والمهدى المنتظر والمسيح والدجال ، والبعث وشبهات منكريه ثم ختم المؤلف كتابه بفصل عن الجنة والنار والشفاعة للعصاة ، وبتعقيب موجز ذكر فيه أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسد واعوج ، ومن هنا كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل بها شخصيته ويحقق آدميته وإنسانيته

الحق أن الكتاب عرض شامل للعقائد الإسلامية لمجرد الإلمام السريع بها ، وموجز مجد للكتب الضخمة التي استوعبت هذه العقائد ، وقد خلا هذا الموجز من الإسفاف وتجرد عن الجدل الممل ، إلا أنه خلا أيضا من المناقشة الجادة لما أثاره علماء الكلام والمتصوفة في كثير من القضايا العقائدية المعقدة ، ولم يستوعب كثيراً من الرد على الشبهات التي أثارها المتربصون بالإسلام من المستشرقين والمنحرفين .

وإذا كان هناك مثار عجب في الكتاب فهو أن المؤلف عرض قضية المهدى المنتظر ، ومجئ المسيح الدجال ليثير الفتنة في الأرض ونزول عيسى ليقاوم هذه الفتنة ويقضى عليها في آخر الزمان . عرض المؤلف كل هذه القضايا ، وكأنها من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش مع أنها قضايا خلافية كأشراط كبرى للساعة ، وأمور عقيدية تحتاج إلى أدلة يقينية قطعية الدلالة والورود ، وليس في كتاب الله ولا في السنة المتواترة ما يؤيد ظهور المهدى ولا عبث الدجال ولا نزول عيسى آخر الزمان .

محمد عبد الله السمان

أنباء وآراء

صدى مؤتمر مجمع البحوث :

كان لانعقاد مؤتمر مجمع البحوث بالقاهرة صدى بعيد المدى فى أنحاء العالم الإسلامى ، وقد بعث كثير من الأعضاء بعد سفرهم برقيات ورسائل ننشر منها ما يلى :

من يوجوسلافيا

السيد/الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث الإسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإنه يطيب لى أن أتقدم إلى سيادتكم بعد العودة إلى بلادى بالشكر الجزيل على كل ما لاقيناه فى بلادكم من الحفاوة الكريمة والضيافة البالغة ، وعلى كل ما قوبلنا به من الإكرام والتعظيم من الأزهر الشريف ومن غيره من الهيئات والمؤسسات والجمعيات .

ولا شك أن تشرفنا بمقابلة الرئيس الجليل جمال عبد الناصر لمما سيبقى فى ذكرياتنا طول الدهر ، ومما لا ننساه أبدا .

ولقد استمعنا إلى البحوث القيمة وإلى المناقشات والتعليقات المفيدة التى كان الغرض منها إضاءة السبل التى تؤدى بالمسلمين إلى مستقبلهم الأفضل وإلى استرجاع ما كان للإسلام والمسلمين من المجد والعظمة وإلى خلق مجتمع جديد يقوم على المبادئ الإسلامية السامية .

والذى شاهدناه من حفل وضع حجر الأساس لدار القرآن ولجامعة الأزهر الجديدة ولوضع حجر الأساس لمدينة الأزهر فى غزة ومن زيارتنا لقطاع غزة والسد العالى فى أسوان ولمديرية التحرير .

كل ذلك أكد وعزز إيماننا بزعامة الجمهورية العربية المتحدة العالم الإسلامى وبأنها تقوم برسالة الإسلام خير قيام ، والفضل فى ذلك كله يرجع إلى بطل الإسلام والعروبة الرئيس جمال عبد الناصر نصره الله وأيده ذخرا للإسلام والمسلمين .

وأننى أحمد الله وأثنى عليه كل ثناء لما أتاح لى فرصة اشتراكى فى هذه الأعمال الجليلة التى لها أهمية تاريخية وستكون لها من النتائج ما لا يمكن تقديره فى هذه اللحظة

ومما سرنى غاية السرور ، وعلى وجه الخصوص ما رأيته من أن الأزهر أصبح فى يد رجال جمعوا بين الثقافتين : الثقافة

الإسلامية الصحيحة والثقافة العصرية ، وبهذا استطاعوا أن يدركوا حقيقة الفكرة الإسلامية وأن يقوموا بواجبهم في أداء رسالة الأزهر التي هي في الواقع رسالة الإسلام .

ويقيني أن مجمع البحوث الإسلامية سيلعب دوراً هاماً في حياة المسلمين وفي نهضتهم الحالية ، وندعو الله أن يوفق أعضاء المجمع في أداء مهمتهم العظيمة والشاقة .

وتفضلوا بقبول فائق احترامنا ؟

حسين سليمان جوزو

من الأستاذ العوضي الوكيل

السيد صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر .

أقدم أخلص تهانى على نجاح مؤتمر المسلمين ونأمل أن يحقق الله لكم منه ما أملتم فيه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

العوضي الوكيل

من البحرين :

حضرة الأجل السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر الشريف المحترم حفظه الله ورعاه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عنكم والدعاء لكم دمتم بحال جميل .

لقد غادرنا القاهرة العامرة في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس الماضية بالطائرة ووصلنا الوطن بالسلامة والراحة بعد ساعتين وربع . نشكر الله تعالى على ذلك ، وإننا لنشكركم على ما قمتم به نحونا مع أعضاء المؤتمر وجميع الوفود من الحفاوة والتكريم وتوفير وسائل الراحة ، سائلين المولى جل جلاله التوفيق والسداد لنا ولكم ولرجال المؤتمر والأزهر الشريف .. إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد اللطيف بن محمد آل سعد

قاضي المحكمة الشرعية بالبحرين

من الأردن :

فضيلة الأستاذ رئيس مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المحترم :

يسرنا وقد عدنا إلى الأردن بعد حضور المؤتمر في القاهرة أن نقدم جزيل الشكر ، وعظيم الامتنان لفضيلتكم ولمجمع البحوث الإسلامية ولمشيخة الأزهر الشريف وللحكومة الجمهورية العربية على ما لقيناه من الجميع أثناء إقامتنا في الجمهورية العربية من حفاوة وتكريم ، وما لمسناه من عواطف كريمة وشعور نبيل .

وإننا لنسأل الله تعالى أن يجزيكم جميعاً خير الجزاء ، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خير المسلمين وصلاحهم ، والله من وراء القصد .

عبد الله غوشة

قاضي قضاة الأردن

سيادة الأخ الكريم الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :

فقد رأيت أثر وصولى للوطن سالماً بحمد الله أن أزجى لكم شكرى الجزيل على الحكمة التى كانت تتجلى من إدارتكم مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الأول ، وعلى الحفاوة التى شملتمونى بها مدة إقامتى فى القاهرة راجياً من الله سبحانه أن يأخذ بناصركم ويوفقكم فى مجمع البحوث ، فإن المهمة شاقة والمسئولية أمام الله والتاريخ .

وإنه لتجربة نرجو الله أن يجعلها ناجحة فى حفظ قوة الإسلام ، وصلاحيته لكل زمان ومكان ومجابهة الأحداث ، وأن نخرج من هذا المعترك ظافرين ومنصورين بنصر الله وتأييده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من المخلص

عبد الحميد السائح

عضو المحكمة الشرعية العليا بالأردن

من تونس :

جامعة القرويين ـ كلية الشريعة

ظهر المهراز ـ فاس ـ صندوق بريد ٦٠

فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف ورئيس مؤتمر البحوث الإسلامية .

سلام تام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وبعد ، فيطيب لى بعد عودتى إلى المغرب أن أتوجه إليكم بالشكر الجزيل على ما غمرتمونا به من عطف ورعاية وإكرام أثناء تشرفنا بالمقام بينكم ، بمناسبة حضورنا فى المؤتمر الأول الكبير للبحوث الإسلامية بدعوة مشكورة منكم .

كما يطيب لى أن أنوه بحصافتكم ومقدرتكم الفائقة وتفكيركم الفذ فى تسيير أعمال المؤتمر وحكمتكم فى حفظ توازنه وولايته والتقدم بحلقاته المتسلسلة من حسن إلى أحسن سواء فى أثناء عرض البحوث والكلمات أو فى أثناء المناقشات والمداولات والاقتراحات .

إن رجال الثقافة الإسلامية فى المغرب تتبعوا باهتمام كبير الخطوات الموفقة التى سجلها مؤتمر البحوث الإسلامية وإنهم ليعلقون على ذلك كبير الآمال فى تحقيق العزة الإسلامية والنخوة العربية ويباركون بإعجاب تلك التوصيات السبع التى انبثقت من حكمتكم وحكمة أعضاء المؤتمر صفوة علماء العالم الإسلامى والتى سيكون لها بحول الله أحسن الأثر فى توثيق عرى المسلمين وتنمية أواصر المودة والأخوة بينهم فى مشارق الأرض ومغاربها

حتى يكونوا صفا واحدا فى الإطاحة بخطر إسرائيل .

وتقبلوا فى الختام فائق احترامنا وتقديرنا والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

مدير كلية الشريعة
الحاج أحمد بن شعرون

من مالى :

الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ورئيس المـــؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية .

أرى من الواجب المقدس بعثى لكم هذه البرقية معبرا عن شكرى العميق للشعب العربى الكريم ورجال الأزهر الذين أتاحوا لمسلمى العالم الاجتماع التاريخى للنهوض بالإسلام ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يلهم أعضاء المجمع فى جلساته التالية ، وأن ينصركم والشعب العربى المؤمن فى جهاده تحت قيادة الرئيس المقدام جمال عبد الناصر !

عبد الوهاب دكرورى
قائم بأعمال سفارة جمهورية مالى فى جده

من العراق :

السيد الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف كان للأجواء العلمية التى وفرها مجمعكم الموقر ، واللقاءات الفكرية بين أعلام السلام أعمق الأثر فى النفوس .

نشكركم ونحيى ما بذلتم فى إعداده من جهد ، وفقكم الله دائما لخدمة الإسلام وتعاليمه المقدسة .

محمد تقى الحكيم

هل يجوز نقل مقام إبراهيم من مكانه ؟

قال الله تعالى: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » صدق الله العظيم .

لقد تواتر كلام المفسرين من السلف الصالح من معنى المقام بأنه محل إقامة الخليل عليه السلام ، وعلى هذا فإنه يشمل جميع الحرم وقال آخرون : إن المقصود بالمقام جميع المشاعر .

فعلى التفسير الأول : من صلى فى أية بقعة من بقاع مكة فقد اتخـــذ من مقام إبراهيم مصلى .

وعلى التفسير الثانى : من صلى فى أى مشعر من مشاهر الحج فقد اتخذ من مقام إبراهيم مصـــلى .

فكيف بمن يصلى داخل المسجد الحرام سواء كان فى الحادث منه أو القديم إنه من باب أولى قد اتخذ من مقام إبراهيم مصلى .

أما ما ورد من أن معنى المقام إنما هو محل القدم فى الصخرة القائمة داخل السياج الذى أمام المقام ، وإن معنى الصلاة إنما هو

الدعاء ، فإن ذلك بعيد التناول والمنى ، وعلى فرض صحته فإن جواز نقلها من محلها الضرورة القاهرة لا يوجد دليل على منعها .

بل لقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أمر بنقلها من مكانها الأول بجانب الكعبة إلى هذا الموضع وقال آخرون ، إن الذى أمر بنقلها هو عمر رضى الله عنه .

ومفهوم من هذه الرواية أن النقل قد تم فعلا سواء بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من خليفته عمر رضى الله عنه وكان ذلك توسعة للطائفين فى الصدر الأول من الإسلام .

وأى مضايقة وازدحام أشد مما يتكلفه المسلمون اليوم فى موسم الحج . فهم فى يسر وراحة أثناء الطواف من جميع الجهات إلا عندما يحاذون الحجر الأسود فمن هناك يواجههم الضيق والعنف والمدافعة والمناقشة ، ولقد سمعت مسلما يسب أخاه بسبب الضيق فى الوقت الذى كان ينبغى أن يدعو له بالهداية والتوفيق .

ولعل من حكمة الله العلى العظيم فى تشريع الحج وحج المسلمين فى هذه المشاعر التآلف والتوادد فلذلك يجب أن يزال كل عامل يحدث الشقاق والتباغض بين المسلمين .

وليس هناك ما يمنع من نقل المقام إلى ما يحاذيه حتى يتسع المطاف ويرتفع الحرج عن المسلمين إذ أننا لم نقف على نص صريح يدل على إلزام المقام هذا الوضع .

أما ما ورد من أن الرسول صلى خلف المقام فإنه عليه الصلاة والسلام حينما صلى ، لم تكن الصخرة فى هذا الموضع بل كانت بجانب الكعبة ، فيحتمل أنه صلى إلى الكعبة حيث كان المقام أمامه (بينه وبين الكعبة) ومن القواعد الثابتة أنه إذا حصل الاحتمال سقط الاستدلال .

وقد نقل الأزرقى فى تاريخه أن المقام قد نقل من مكانه أكثر من مرة حينما كانت تجرفه السيول قبل أن يردم عمر رضى الله عنه الحرم الردم الأعلى . ثم جاء سيل عارم الذى عرف فى التاريخ بسيل أم نهشل فنقل المقام إلى أسفل مكة ، ثم رده عمر إلى محله الحالى بشهادة من رجل يقال له المطالب بن أبى وداعة .

وهذا الرد لا يثبت وجوب استدامته فى هذا المحل وليس هناك ما يمنع من نقلة إلى الموضع المناسب حتى يتسع المكان للطائفين .

لذلك فإنا نأمل من إخواننا العلماء إعادة النظر فى موضع نقل المقام . وأن يجتمعوا ويتفقوا على الرأى الصواب

عبد الله إبراهيم الأنصارى
الدوحة ـ قطر

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الأصيل

استبدال النقود بالهدى فى الحج :

السؤال :

شاهدت كما شاهد غيرى من حجاج بيت الله الحرام تكدس لحوم الهدى فى منى فهل يجوز استبدال النقود بالهدى حرصا على المنفعة أرجو تفصيل القول فى هذا .

عبد المعطى سلمان ـ دميره

الجواب :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب على كل حاج أن يذبح هديا فى حجه ، وأن يكون ذبحه فى أيام معينة هى : أيام النحر الثلاثة ، وفى مكان معين وهو منى خاصة . ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء يعمدون إلى ما قل ثمنه من هدى مريض أو هزيل فيذبحونه فلا يطيب لحه لآكل ولو كان فقيراً يتضور جوعا ، وبذلك تتكدس لحوم الهدايا فى منى وتتعفن ، وتنبعث منها الروائح الكريهة ، فتفسد الجو ، وتنتشر بها جراثيم المرض ، وفى ذلك من الأذى والضرر ما لا يرضاه الشرع ، الحريص على صحة الناس ، وطيب الحياة .

وبذلك وقعت مسألة « الهدى فى الحج » بين جهل فى التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ويدعو الناس إليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر .

والله أرحم بعباده منهم ، وهو لا يشرع لهم إلا كل خير نافع ، وأجل من أن يتعبدهم بما فيه شر أو ضرر ، وتشريعه فوق ما يربطون به نظرهم من سوء التصرف المبنى على الجهل بأحكامه ، وشرائعه .

معنى الهدى :

والهدى اسم للحيوان الذى يهدى باسم الله إلى الحرم ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين « فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون » . وقد أرشد القرآن إلى الروح الذى يقبل الله به الهدى ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكاليف ، لا يكفى فى تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها إليه ، الإخلاص ، وهو المعنى بقوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها

ولكن يناله التقوى منكم ». كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات، ولا من الصوم، ترك المأكولات والمشروبات ولكن يناله منهما ما يحملان من معانى الخشوع والإخبات، ومراقبة القلب وحسن النيات «إنما يتقبل الله من المتقين».

الهدى فى القرآن:

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث:

أولها: جهة التنويه بشأنه، فطلبه وطلب الإخلاص فيه لله، وجعله من الشعائر التى يجب المحافظة عليها، ويحرم إهمالها وإحلالها، ففى سورة المائدة «يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله، ولا الشهر الحرام، ولا الهدى ولا القلائد، ولا آمين البيت الحرام» (١). وفى سورة الحج «والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير» (٢) وفيها «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣)».

ثانيها: جهة الحالات التى يطلب فيها، وهى: حالة الإحصار ومعناه، المنع عن إتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة: «وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى» (٤).

(١) الآية ٢ من سورة المائدة.
(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج.
(٣) الآية ٣٢ من سورة الحج.

وقد طلب الهدى فيها عينا متى تيسر.

وحالة الاعتداء على الإحرام بفعل محظور من محظوراته، كتغطية الرأس، أو لبس مفصل على الجسم أو قتل صيد الحرم، وهى المذكورة بقوله تعالى فى سورة البقرة: «فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك» (٥) وبقوله فى سورة المائدة: «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بلغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً» (٦).

وقد طلب الهدى فى هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينه وبين غيره من الصوم والإطعام، وقد بين الرسول أن المراد صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين.

وحالة التمتع بالتحلل من الإحرام الأول على إرادة استئناف إحرام آخر للحج عند الخروج إلى عرفة، وهى المذكورة بقوله تعالى: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم»، وقد طلب الهدى هنا، على أن يكون له بدل عند العجز.

(٤) و(٥) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.
(٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة.

زمانه ومكان ذبح الهدى:

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه، ومن جهة الحالات التي يطلب فيها عينا أو تخييراً بينه وبين غيره، عرض له من جهة المكان الذي يذبح فيه، «ثم محلها إلى البيت العتيق»، «هديا بالغ الكعبة»، «حتى يبلغ الهدى محله» والمراد به ما دل عليه قول الرسول وعمله، الحرم كله، وقد صح عنه عليه السلام «أن منى كلها منحر وأن مكة وفجاجها منحر»، وإذن، ففي مكان ذبحه متسع ومتسع عظيم، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس.

أما الوقت الذي يذبح فيه الهدى، فلم يعرض له القرآن ولم يصح في تعيينه حديث وإذن، فلمن وجب عليه الذبح عينا، أن يذبح هديه في أي وقت شاء بعد أن وجب عليه، وليس هناك ذبح يتعين زمنه، سوى «الأضحية» التي تكون في أيام النحر الثلاثة وهي غير الهدى، وهي لا تجب — إن صح أنها واجبة — على حاج أو مسافر.

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج إلى عرفة بل قبل الإحرام بالحج، وهو أهم ما يجرى فيه الجدل بين الناس وأهم ما يحدث به تلك الظاهرة الكريهة.

الهدى من شعائر الله:

بهذا الذي ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التي تجب المحافظة عليها، ولا يصح التهاون فيها أو إغفالها حسبانا «ولا تحلوا شعائر الله»، والشعائر هي العلامات الواضحة الظاهرة التي اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس في مناسبات خاصة. وإذا أردت زيادة في الإيضاح فانظر إلى موقف الشريعة من الأذان. إذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض.

ألا وإن الشعائر في نظر الإسلام مكانة الفروض المقدسة. وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء في ذبائح الحج، ولم يرو عن أحد منهم خلاف في ذلك، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة، وتحقيقا للغرض المقصود، وهو التقرب إلى الله بإراقة الدم؛ ولله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء: بما يدركون حكمته وبما لا يدركون. وما كان اختلاف الفرائض في عدد الركعات والكيفيات، وتحديد الأوقات واختلاف مقادير الزكاة، والكفارات، وسائر ما دخله العد أو اعتبرت فيه الكيفية — إلا نوعا من هذا التعبد الذي يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم، عقل معناه أو لم يعقل.

من ثمرات الهدى الروحية والاقتصادية:

والعلماء يذكرون في هذا المقام أن هذه القربة تذكر بحادث الفداء الذي حصل

لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التضحية فى سبيل الله وطاعته بأعز شىء لديها : « وفديناه بذبح عظيم » .

على أن فى العمل بهذه القربة سرا اقتصاديا يرجع إلى سكان البادية . ولعله من مصداق دعوة أبيهم إبراهيم حين قال : « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . ذلك أن الماشية رأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتعرضوا لذل السؤال ، أو يترقبوا المن العطاء .

لا تغيير فى أمور التعبد

من هذا يتضح جليا أنه لا يجوز للمسلمين أن يفكروا فى استبدال النقود بالهدى أو الأضاحى التى طلبها الشارع بذاتها ، إقامة التصدق بثمنها مقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصدق ، وإنما القصد ـ كما قلنا ـ التقرب بها نفسها وإننا لو أبحنا لأنفسنا هذا النحو من التفكير ـ بناء على ما نظن من حكم التشريع ـ لانفتح علينا باب التفكير فى التخلى عن الأعداد والكيفيات التى طلبت فى كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة ! فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرهما من كيفيات الصلاة الخاصة ، وبذلك ينفتح باب الشر على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج .

الشريعة لا ذنب لها :

أما ما يبررون به مثل هذا التفكير من أن لحوم الذبائح تتكدس فى منى ، وتترك للتعفن المفسد للجو ، أو للنار المذهبة للأموال ؛ فهذه الحالة ـ إن صحت ـ ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإلمام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح فالذى نوى الحج واستمر على إحرامه حتى أكمل حجه لا يجب عليه ذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح ـ فيما يطلب فيه الذبح ـ فى خصوص منى ولا بجزرتها ، ولا فى اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح . والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب عينا إلا فى حالات مخصوصة وما عداها فالحاج مخير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحجاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا

الذبح على الأماكن والأيام ، ثم نخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، ونهيئوها بالسلخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ؛ ولكن جرت سنتنا فى التفكير أن نعد الوضع الذى جرت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للتشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التخلى عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل فى باب من التغيير والتبديل فى أحكام الله ، ولا نلبث بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها جانباً ، باستحساناتنا الفاسد المبنى على واقع جر إليه الجهل وعدم التنظيم.

اقتراح لحل المشكلة

وبعد : فإن الكلام فى هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الظواهرى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال فضيلته بحثه من الوجهة الفقهية الشرعية ، على فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق فقرر فضيلته بعد البحث : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد فى هذه المسألة بإراقة الدماء ، دون أن يرى فى كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - إلى جواز استبدال النقود بها . فاطمأن الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى إلى هذا وأقره ، وقد عرض الشيخ شلتوت على الشيخ المراغى اقتراحا هو :

أنه على فرض تكدس اللحوم - كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية فى زمان الذبح ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه - يجب على المسلمين - وفيهم والحمد لله موسرون كثير - أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وإدخارها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين فى جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق عنها القطر الحجازى ، أو بيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو فى سبيل الله العامة وإنى أعتقد أن هذا المشروع متى كفلته الدولتان العظيمتان : الجمهورية العربية ، والمملكة السعودية رأينا آثاره ، وانتفع الناس بثمراته ، فى المواسم المقبلة إن شاء الله

حكم تناول طعام متعامل بالربا :

السؤال : شخص يتعامل بالربا ودعانى فيمن دعا إلى طعام بمناسبة فما حكم الأكل من هذا الطعام؟

عبد الهادى مصطفى - شبرا الخيمة

الجواب : يقول النبى صلى الله عليه وسلم : كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به .

وعليه فلو كان دخل الداعى كله من الربا فالأكل من طعامه حرام وهو مسئول أمام الله عن ارتكاب هذا العمل المحرم وإذا كان بعض ماله من حرام والبعض الآخر من مورد حلال فالأكل منه جائز مع الكراهة شرعا لأنه أصبح مالا مشبوها وتناول المشبوه جائز وإن كان عدم تناوله أولى لقوله عليه الصلاة والسلام فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الخامس والثلاثين

الموضوع	الصفحة
(ا)	
أبغض الحلال إلى الله	٨٦٣
ابن الفارض وما يقال عنه	١٨٥
ابن قتيبة الناقد	٦٦٣-١٠٦٨
أبو جعفر الطبرى شيخ المفسرين	
وإمام المؤرخين	٨٤٠
أبو الفرج الجوزى ـ يتحدث	
عنه رحالة	٢٩٤
الاتجاه نحو الكعبة فى الصلاة ...	٦٣٤
الاجتهاد فى ماضيه وحاضره	٩٣٦
الاجتهاد ـ قضيته	٩٠٩
أجرة مكث الماشية فى السوق ..	١٢٤
أحاديث لأعضاء وفود المؤتمر ...	١٠١١
أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام	٤٩٩
اختلاف الفقهاء وأسبابه ـ كتاب ...	٣٦٢
الأدب بين الصعود إليه والهبوط به	٥١٣
الأدب العربى واتجاهات القومية	
العربية	٤٨٤
الأزهر وقضايانا القومية	٧١٧

الموضوع	الصفحة
أسبانيا المغربية لأثريك سوردو ...	٧٣٦
الإسلام والمدنية الحديثة ... ٢٦ ،	١٥٣
الإسلام والمعركة ضد الجوع ...	٧٨
الإسلام فى تاريخ العالم	١١٠
الإسلام فى زنجبار ... ... ٢٤٧ ،	٣٧٥
الاستعباد والحرية بين المدنية	
الحديثة وشريعة الإسلام	٣٢٦
الإسلام رسالته فى عالم اليوم ...	٣٣٢
الإسلام محرر العبيد	٣٩٣
الإسلام وثقافة المرأة	٤٠١
الإسلام والمذاهب الأدبية ـ كتاب	٤٩٤
الإسلام وتحديد النسل	٥٤٥
الإسلام عقيدة وشريعة للإمام	
الراحل الشيخ محمود شلتوت ...	٧٠٩
الإسلام فى القرن العشرين	٨٨٨
الإيمان والإسلام	١١١٠
الإسلام والعلاقات الدولية	٩٧١
إضافة مبلغ على المبلغ الأصلى كأتعاب	٣٧٧
الأعلام الشرقية ـ كتاب	٦٢٢
إقراض المصوغات المنضبطة	
وزناوعياراً	١٢٥

الموضوع	الصفحة
أمة التوحيد تتوحد	١
أمية النبى صلى الله عليه وسلم	
أساس معجزته وعظمته	٢٧٢
أنا أفصح العرب بيدأنى من قريش	٢٨٥
الإنتاج وترقيته	٣٢١
الإنسان العقائدى - كتاب	٢٤٦
الأوزاعى عالم أهل الشام	٣٩٣
(ب)	
البابية أو البهائية	٨٣
بحث فى علم الجنس	٧٩٩
براهين الإيمان عن طريق براهين الشكوك	٥١٦
بناء القبور بالآجر...	٧٦٦
بنك ابن الأمهات . بيان عنه ...	٣٧١
بين الشريعة الإسلامية والقوانين	
الوضعية ٦٥ ، ٣١٠ ، ٤٣٥ ،	٥٨١
بين الكسائى وسيبويه	١٢١
(ت)	
تأبين عالم أندونيسى كبير	٢٤٩
تأليف القلوب وتوحيد الصفوف	
مقصد من مقاصد الزكاة	٧٨٠
تاريخ المغرب الكبير كتاب	٢٤٤
تحرير عقود الرهن بفائدة	٣٧٧
تحية لبور سعيد — قصيدة	٧٤٠
تداخل المذاهب الفقهية ... ٧٩١ ،	١٠٧٤
التصوير السياسى فى شعر ذكريات	
الهجرة الحديث	٧٠
التطهير فى الإسلام	٥٢١
التطورات التشريعية للطلاق	١٠٣٥
تطور التصوف ... ... ٦٨٩ ،	٨١٠
تعازى العالم الإسلامى بوفاة الإمام الأكبر	٧٥٤
تعجيل الفطر وتأخير السحور ...	٨٩٢
تعليق على فتوى حكمة تحريم لحم الخنزير	٥٠٧
تعليق على نقد...	٧٥١
تفسير الإمام الشيخ محمد عبده ...	٣٨٩
التكليف والثواب والعقاب	٤٧٥
التلفيق بين أحكام المذاهب	٩٥٤
التنافس السلمى حول الثقافة	
فى الإسلام ... ... ٥٩ ،	١٧٧
تناول طعام المتعامل بالربا وحكمه	١١٤٨
توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية	١٠٢١
(ث)	
الثورة الثقافية فى الإسلام ٧٢٦ ، ٨٧٠ ،	١٠٨٦
(ج)	
جامعة الدين وجامعة اللغة	٧٠٢
جريدة ملايوية تشيد بتقدم الجمهورية	
المتحدة فى مجال الثقافة الإسلامية	٦٣١
جلسة افتتاح المؤتمر	٩١٢
الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر	١٢٣
جنات واعظة...	١١١٥

الموضوع	الصفحة
(ح)	
حد السكر	٣٤٧
حرمة زواج البنت بعدو طيء أمها حراما	٣٨٠
حروف القرآن وحدوده ...	٣٨ ، ١٦٧
حرية العقيدة فى الإسلام ...	٤٢٩ ، ٥٩٨
الحسبة فى الإسلام (كتاب) ...	٤٩٨
حكم الله وحكم الفقيه	١٠٦٤
حكم إخراج الزكاة خارج البلد ...	٢٧٧
حكم شرب البيرة والاتجار بها ...	٧٦٤
حكم شرب الكينا التقوية	٧٦٤
حكم صلاة الجمعة فى غير مسجد ...	٣٧٨
حكم الصيام فى البلاد التى يطول النهار فيها طولا غير عادى ...	٨٩٣
حكم نقل المسجد إلى مكان يتسع لعدد أكبر	٥٠٦
حكمة تحريم الخنزير	٢٧٨
الحمل الصناعى	١٢٤
حول أمة التوحيد تتوحد	١٢٠
حول تراجم الأعلام	٧٥١
حول مقام الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم	١٢٠
حول موضوع التبشير فى أندونيسيا	١١٩
الحياة الأدبية فى ليبيـــا . كتاب	٧٤١
(خ)	
الخدمات الاجتماعية عن طريق الدين	٤٣٩ ، ٥٧٥
الخطيب البغدادى مؤرخ بغداد وعالمها	٤١٧
الخميس والأربعين بدعة فى الإسلام	٢٥٣

الموضوع	الصفحة
(د)	
الدراسات النفسية عند المسلمين لعبد الكريم عثمان « كتاب » ...	٢٤٣
دراسة للإسلام المعاصر على الساحل الغربى للقارة الإفريقية	٦١٥
الدعاء فى الصلاة وهل يمنع الحيض منه ومن ذكر الله	٦٣٣
الدهلوى فى حجة الله البالغة	٨٨٤
الدعوة الاشتراكية للسيد حسين الشافعى	٦٣٠
الدعوة الزاحفة	٨٢٣
الدعوة إلى المؤتمر	٩٠٥
دين الخلود	٢٢٥
(ذ)	
الذبح أمام الميت عادة جاهلية	٢٥٣
ذكرى الرافعى...	١٢٢
ذو النون المصرى بين التصوف والأدب	٥٥١
(ر)	
رأى جديد فى أشعار المديح	٤٦٢
الرؤى والأحلام	٥٠٥
الربيع بين أدبى الشرق والغرب ...	٢٣١
الرحمة المهداة	٢٦٠
رســـالة المسجد فى نشر الثقافة والحضارة	٦٦٩ ، ٨٦٦ ، ١٠٧٨

الموضوع	الصفحة
الرعاية الاجتماعية لطلبة معهد الإسكندرية	٦٣٢
وفاة الطهطاوى صحفى من الأزهر ...	٣٥١
(ز)	
الزواج من أرملة الأخ المتوفى ...	٦٣٦
(س)	
سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله	١٥٠
سر هذا الوجود عازب عن كل موجود	٢٢٥
سلمان الفارسى - حياته وإسلامه	٨٢٨، ٦٩
سيارة بغير وقود يخترعها عالم أزهرى	١١٣٧، ١٨٢
(ش)	
شخصية الرسول الأعظم	٢٦٩
شخصية المسلم	٥٨٦-٤٥٧
شرب الخمر وحده فى التشريع الإسلامى	٨٤٤
شرح العقيدة النونية - كتاب ...	١١٧
شكيب أرسلان الناقد	١٩٦
شيخى محمود شلتوت	٦٧٨
الشيوعية عند قدامى اليهود	٧٧٣
(ص)	
صدقة الفطر	٨٩٣
صفحة بيضاء من جهاد شلتوت فى سبيل الإصلاح الدينى والتقريب بين المسلمين	٦٥١
صلة القرابة فى نصوص القرآن ...	١٨٩
الصمت عند الجنازة	٢٥٢
الصوفية وعلاقتها بالزهد ...	٥٦٩-٤٥١
صوم اللسان	٨٣٦
صيغ أخرى المبالغة	٣٣٦
(ط)	
طبيعة الشعر العربى	٢١٥-٩٦
الطريق التى يتم بها الزواج	٦٣٥
طلاق القاضى وحكمه	٦٣٥
(ع)	
عادات المآتم	٢٥١
العالم العربى اليوم	٢٣٨
العالم الإسلامى فى المؤتمر	١٠٠٠
عالم مثالى يتحدى ابن طولون	١٠٥٥
عباد الرحمن	٨٠٥
العبث بالتاريخ تصحيح ضلالة فى الدين	١٦
عبد القاهر الجرجانى وآراؤه فى الشعر والشعراء	٨١٨-٧٢١، ٥٣٥
العتاب فى رفق - تكريم وإعزاز	٢٧٥
عجل الذهب الذى عبده بنو إسرائيل	٦٨٣
عدالة التوزيع	٤٦٨
عدة المتوفى عنها زوجها مع ادعاء الحمل	٧٦٦
العدد فى اللغة العربية	٧

الموضوع	الصفحة
العقاد فى الدراسات اللغوية	
العلم والعمل فى الإسلام	١٢١
على الحدود بين دولتين وحضارتين ... ٦٠٥ ، ٧٣١ - ٨٥٩	
عناية الإسلام بتربية الناشئين	١٠٦١
عوامل انتشار الإسلام	٩٢٧
(غ)	
الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب الأظفار	١٢٤
(ف)	
الفارابى وشعره	٣٠٠
فرضية الصيام	٨٩١
فقيد الإسلام الشيخ محمود شلتوت « قصيدة » ...	٧٤٢
الفكر فى الإسلام	٦١١
فلسطين فى شعر شوقى	٣٤٢
فلسفة الحرية فى الإسلام	٩٤٣
فلسفتى فى الحياة والمبادىء التى اهتديت إليها	٢٦٣
فهم الإسلام	٤٨٩
فى أصول الحديث « كتاب »	١١٨
فى الحرم « قصيدة »	٦١٩
فى ذمة الله إمام المسلمين	٧٣٤
فى مطلع الأعوام نظرة إلى التنجيم فى العالم المتمدن	١٣١
فى مطلع العام الهجرى	٥

الموضوع	الصفحة
(ق)	
القاموس الإسلامى « كتاب » ...	٦٣٦
قرارات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية	١٠٢٥
القرآن يشهد لأبى بكر الصديق ...	١٤٥
القتل الخطأ	١٢٥
قصة لسان العرب بين ابن منظور والنجارى	٥٩٣
قضاء الصلوات الفائتة	٦٣٤
قضاة المذاهب يجبهون الطغاة	٧٨٥
(ك)	
كتابة المصحف اقتراح حولها ...	٢٧٣
كتابة المصحف بالإملاء الحديث ...	٥٠٢
كفارة اليمين	٢٧٩
الكلمة الختامية لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية	١٠٢٣
كلمة الحاج إبراهيم إيناس السنغالى نيابة عن الوفود	٩٣٢
كلمة الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر	٩١٥
كلمة الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ورئيس المؤتمر ...	٩١٩
كلمة الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث	٩٢٤

الموضوع	الصفحة
كلمة السيد / حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية	٩١٣
كما تحدث الرسول ـ كتاب	٤٩٥
كيفية اعتناق الإسلام	٦٢٣
(ل)	
لا حداد إلا لامرأة على زوجها ...	٢٥٣
اللفظ والمعنى	٢٠٣ ، ٤٢٣
(م)	
مؤتمر علماء الإسلام	٨٩٧
المذهب الرمزى فى أدب الصوفية ...	١٠٨٣
الملكية فى الإسلام	١١٠٠
مجمع البحوث الإسلامية وأمل المسلمين فيه	٩٠١
محاولة لبعث القديم	٥٢
المحرم والسنة وعاشوراء	٢١
محمود شلتوت ــ الإمام الأكبر محمود شلتوت	٦٤١
المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام	٣٤ ، ١٥٦ ، ٢٩٠ ، ٤١٣ ، ٥٤١ ، ٧٠٥
مدى التجديد المقبول فى الأدب ...	٧٦٩
المرأة فى الإسلام ـ كتاب	٤٩٧
مراجعات إسلامية	٣٥٨
المسئولية الجماعية بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة ...	٢٨٠
المسح على الزرقة	٨٦٥
مفهوم العدل فى الإسلام	٨٨١
مفاعل ومفاعيل	٨١٣
المقومات الخلقية والأدبية ومدى تأثيرها فى تقدير الإسلام	٣٥٤
المنافق يحيد عن الحق ويشكك فى العدالة	٦٧٣
مناقشات المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية	٩٨٦
مناهج الإسلام لتقوية روابط الأسرة	١٢ ، ١٢٨
من أجل الطيبات	١٧٢
من أخلاق الشريعة وآدابها	٤٨٦
من ذكريات النصر فى تاريخ الإسلام	٧٧٦
من روائع المثنى بن حارثة	٤٤
من شخصيات فجر الإسلام ابن أبى	٨٥٥
الملاحم والمطولات الإسلامية فى الشعر العربى	٤٤٤ ، ٥٥٥ ، ٧١٢ ، ٧٩٥ ، ٩ ١
ملك يكفر عن خطيئته	٤٠٦
ملك التتار يعتنق الإسلام طوعا ...	٦٥٧
من معانى القرآن	٤٣ ، ١٧٦ ، ٢٤٥ ، ٣٠٩ ، ٤٣٤ ، ٥٦٢ ، ٦٨٧ ، ٨٤٩

الموضوع	الصفحة
من ملامح الإسلام	٣٩٧
منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم كتاب	١٤٤
الموروثات والأدب عند تبسمن البوت	٨٥٠
الموطأ للإمام مالك...	١٠٢٩
الموفق الموفق...	٦٤٦
موقف الإسلام من النظريات الإنسانية فى أصل الكون ونشأة الحياة	٨٧٦
مولانا أبو الكلام أزاد ...	٢٠٩، ٣٠٤
مولانا أزاد والخلافة	٥٦٣
المولد النبوى الاحتفال به فى مصر الإسلامية	٢١٥
(ن)	
نبي الإسلام عظمته	٢٢٠
النبي محمد كتاب	١١٦
نحو أدب إسلامى	٤٨٢
نشأة الكون	١١٢٢
نداء المخاطبين فى القرآن أسراره وبلاغته	١٤٩
نظام الحسبة فى الإسلام...	٩٥٨
نظرية الفروق الجنسية فى ضوء الإسلام	٥٣٠
نعمة المال والبنين شقوة على المنافقين والكافرين	٥٢٦
(هـ)	
الهدى وحكم استبداله بنقود ...	١١٤٧
هذا بيان للناس	١٣٦
هل تأخير الثمن فى البيع محل الزيادة عليه	٥٠٧
هل يجوز حرمان الابن العاق من الميراث	٦٣٧
(و)	
الوجهة الثقافية فى تونس	٢٨٤
الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية	٢٥٧
وحدة الشاعر...	٢٩
وحدة الوجود	١٠٥١
وحدة لا وحدتان...	١٣٠
وحدة الهدف مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة...	٩١
وزير الدين والخير...	١٠٣١
وقفة مع رمضان	٨٣٢
(ى)	
يعقوب بن كلس	١٦٠

